

الكتاب  
الرقمي  
الرقمي  
الرقمي  
الرقمي  
الرقمي  
الرقمي  
الرقمي

# إيلانتريس

ترجمة أحمد صالح العاصمي



براندون ساندرسون

أول مؤلفات الأب الروحي لكتب الفانتازيا الأكثر مبيعا

# إيلانتريس

تأليف: براندون ساندرسون

ترجمة: أحمد صلاح المهدي



دار حكايا للنشر و التوزيع ، ١٤٤٤ هـ

## قهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ساندرسون ، براندون  
إيلانتريس. / براندون ساندرسون ؛ احمد صلاح المهدي - ط١ .  
الدمام ، ١٤٤٤ هـ  
٩٥٨ ص ؛ .سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٢٠١٤-٢-٧

١- القصص الانجليزية - الولايات المتحدة أ. المهدي، احمد صلاح  
(مترجم) ب.العنوان

١٤٤٤/٩٢٧٦

ديوي ٨٢٣،٠٣٩٧٣

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٩٢٧٦

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٢٠١٤-٢-٧

رسم الغلاف: آمال المالكي

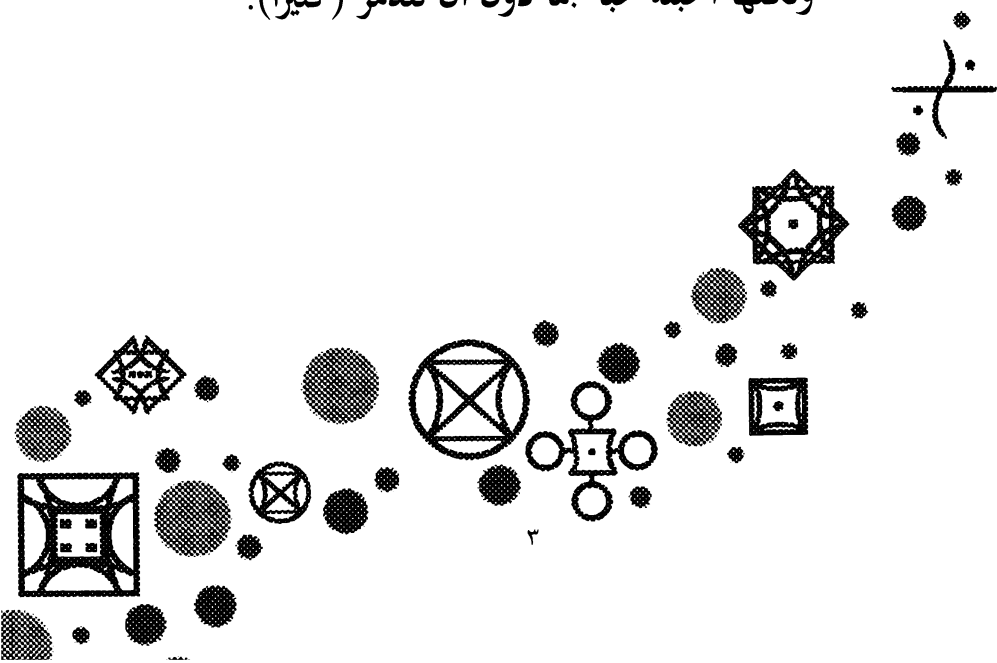
إشراف وتنفيذ: فاطمة بوخمسين



f @ darhakaya  
darhakaya.com  
info@darhakaya.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يُسمح بإعادة إصدار أو طباعة هذا الكتاب أو جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله كلياً أو جزئياً بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر، جميع آراء المؤلف الواردة في هذا العمل وخلافه تعبر عنه وحده وليست مسؤولية دار النشر أو أي جهة أخرى متصلة بما من الجهات والمهيمات الثقافية التنظيمية أو المانحة وغيرها

إهداء إلى أمي،  
التي أرادت طبيبًا،  
فانتهى بها الأمر إلى كاتب،  
ولكنها أحبته حُبًّا جمًّا دون أن تتذمر (كثيرًا).





إيلانتريس كانت هي أول كتاب أجلس لكتابته عام ٢٠٠٥ بعد أن اتخذت قرارًا بأن الفانتازيا الملحمية هي ما أريد أن أكتبه، كانت أول رواية أقرر أن أضيف إليها ميثولوجيا الكوزمير وشخصياته وسحره.

لم يكن الكتاب الذي جعلني أدخل عالم النشر كتابًا مفعّمًا بالحركة والإثارة، أو كتابًا به بناء موسع للعالم، بل كان كتابًا تأمليًا، عن رجل يحاول أن يعيد بناء مجتمع بين البؤساء، وامرأة ترفض أن يفرض عليها المجتمع دورًا محددًا، وكاهن لديه أزمة في إيمانه.

يُمكنني أن أتحدث عن مصادر الإلهام وراء هذا الكتاب؛ سارين مستوحاة من صديقة لي تدعى آني، وينبع هراثن عن الوقت الذي قضيته كمبشر من طائفة المرمون. أما السحر فنبع عن الطريقة الممتعة التي تتفاعل بها الكورية والصينية كلغتين مكتوبتين. أما رابودن فقد استوحيته من رغبتي في سرد قصة . على سبيل التغيير . عن رجل ليس لديه ماضٍ من العذاب الشديد، بل كان رجلًا صالحًا وجد نفسه في موقف فظيع.

أنا فخور غاية الفخر بهذا الكتاب، وعلى مدار عشر سنوات تحسن أسلوبني في الكتابة ونضج صوتي السردى، ولكني أجد أنه من الجوهري أن أتذكر أن القصة النابضة بالحياة والمشاعر التي تدور حول شخصيات مثيرة للاهتمام تكون أكثر أهمية من الأنظمة السحرية الرائعة، أو مشاهد القتال الملحمية.

الشخصيات والمشاعر هي السحر الحقيقي، وهمسة من إيلانتريس تحذرنني ألا أنسى هذا أبدًا.

براندون ساندرسون - فبراير ٢٠١٥

## تهيد

كانت إيلانتريس جميلة، ذات يوم. كانت تُسمى مدينة الآلهة، بقعة تنعم بالقوة والبهاء والسحر. يقول الزائرون إن أحجار المدينة ذاتها تتوهج بضوء داخلي، وإن المدينة تحوي عجائب سحرية مدهشة. في الليل تلمع إيلانتريس كنيران فضية، يُمكن رؤيتها حتى من مسافة بعيدة.

ولكن رُغم عظمة إيلانتريس كان سكانها أكثر عظمة. كان شعرهم أبيض ناصعاً، وبشرتهم بلون فضي أشبه بالمعدن، ويلمع الإيلانتيون كالمدينة نفسها. تزعم الأساطير أنهم كانوا خالدين، أو على الأقل أقرب ما يكون إلى هذا، فأجسادهم تتعافى بسرعة، وقد وهبوا القوة العظيمة والبصيرة والسرعة، ويمكنهم فعل أشياء سحرية بمجرد التلويح بيدهم. البشر من جميع أنحاء أويبلون قد زاروا إيلانتريس ليتلقوا العلاج أو الطعام أو الحكمة، لقد كانوا آلهة.

وَيُمكن لأي واحد أن يصير إلهًا.

كان هذا يُسمى الشايود<sup>١</sup>؛ التحول. إنه يضرب عشوائيًا، وعادة في الليل، في تلك الساعات الغامضة التي تُبطئ فيها الحياة لتستريح. يُمكن للشايود أن يضرب شحاذًا أو حرفيًا أو نبيلًا أو مُحاربًا. عندما يأتي فإن حياة سعيد الحظ تنتهي وتبدأ من جديد، فيترك وراءه حياته الدنيوية القديمة وينتقل إلى إيلانتريس. إيلانتريس حيث يمكنه أن يعيش حياة مباركة، ويسود بحكمة، وَيُبَجَل إلى الأبد.

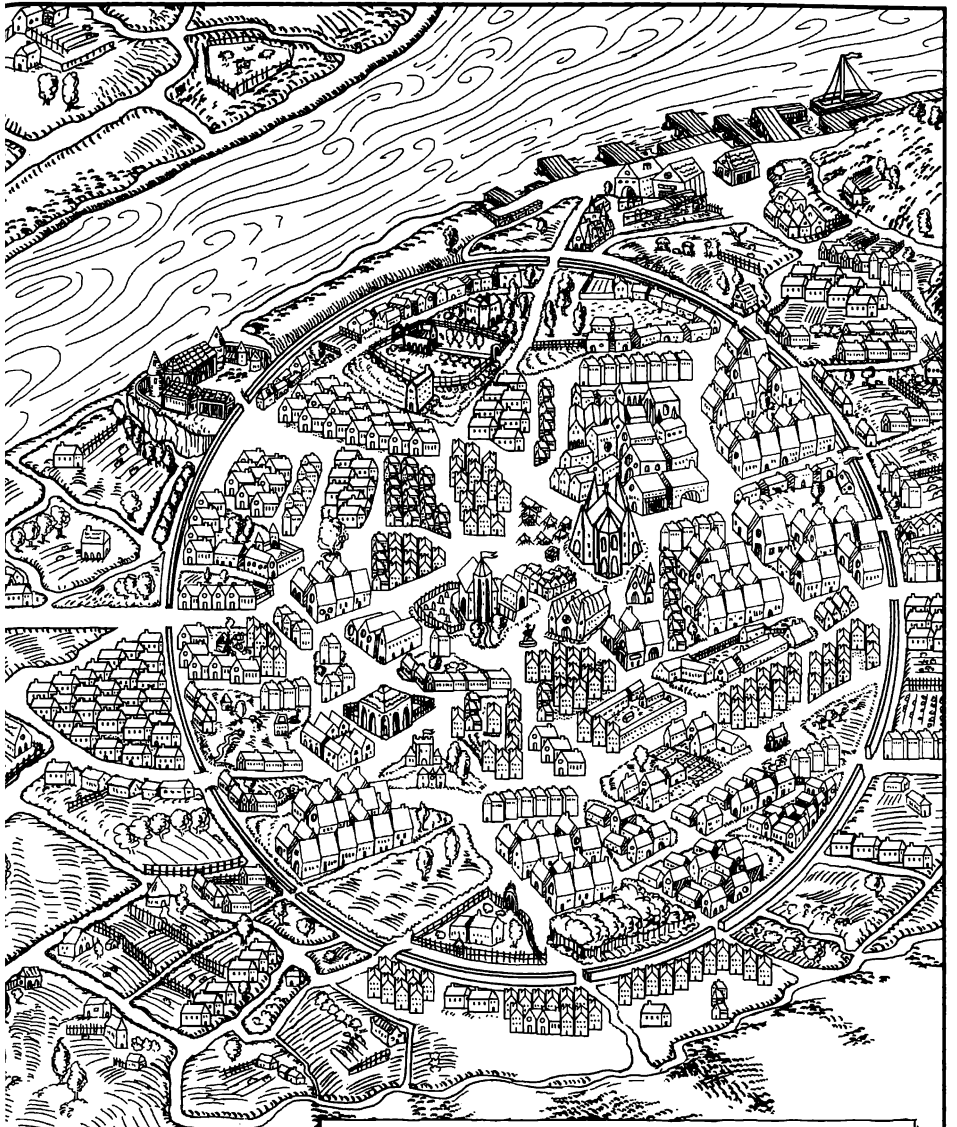
ولكن الأبدية انتهت قبل عشر سنوات.

---

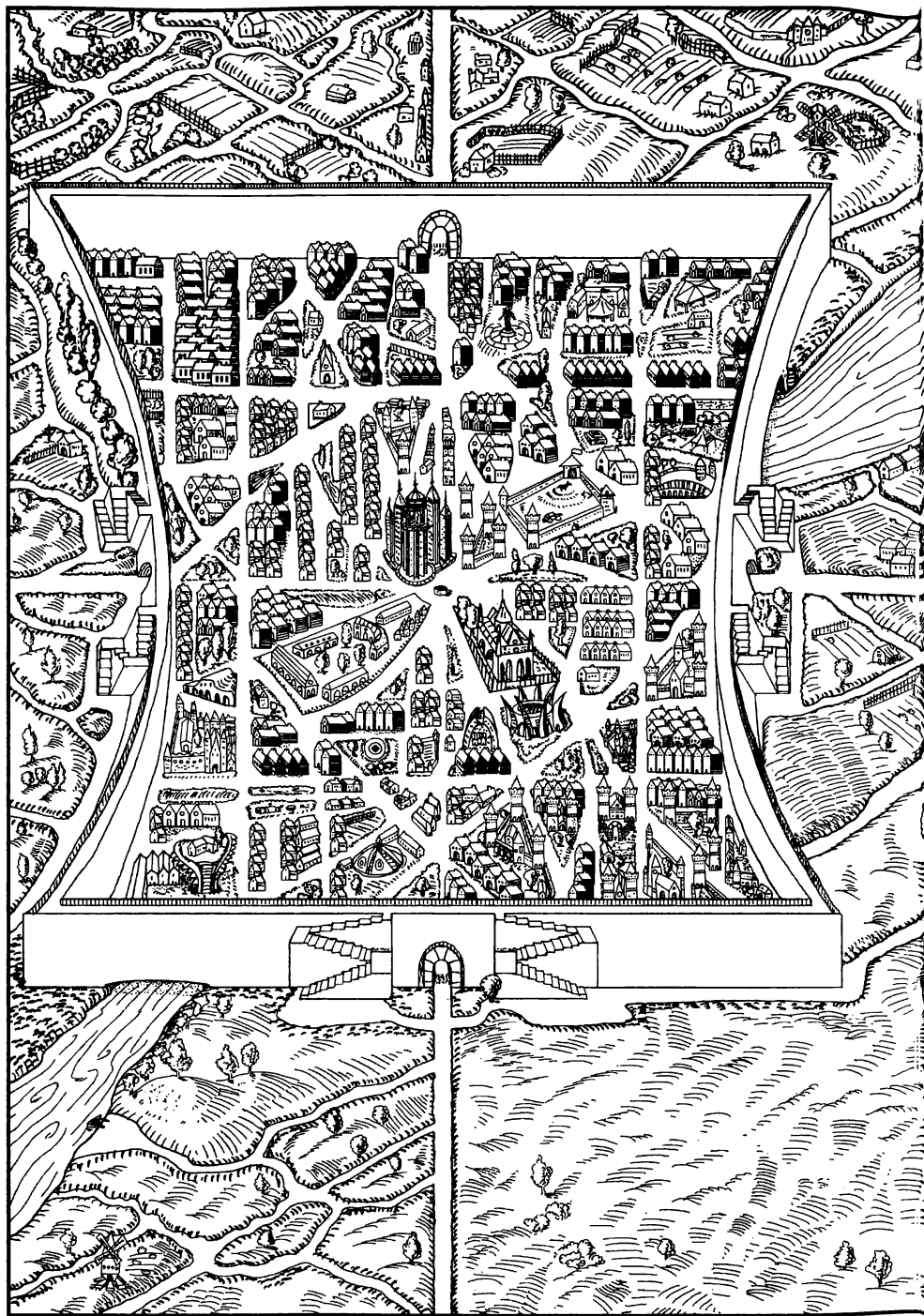
<sup>١</sup> الشايود: يعني التحول، وهو الاسم الذي أُطلق على الحدث الغامض الذي يحول الإنسان العادي إلى إيلانتريس.

<https://t.me/fantazynov>





**إيلانتريس.** التي كانت ذات يوم تتمتع بالجمال والحكمة. صارت ملاد  
المبتكين والملعونين. أمة على ضفاف نهر أريدل. بناءً على استطلاعات  
ما قبل اليرود. فإن هذه الرسومات تعرض المدينة كما كانت في سابق  
عهدنا. لتذكركنا بما فقدناه من سحر. في شرف إيلانتريس تقع **مدينة كاي.**  
عاصمة الملوك. التي تتمتع بالثقافة الرفيعة والثروة العظيمة. ويحتضن  
مرافئها الوافدين من التجار والبلعاء. لقد ابتثقت من ظلال اليرود كوابية إلى  
أراضي الجنوب العامرة بالخيرات.



## الفصل الأول

استيقظ رايودن أمير أريلون في وقت مبكر من ذلك الصباح، دون أن يُدرك أنه قد لُعن أبَد الدهر. اعتدل جالسًا والنعاس لم يرحه بعد، فرمش بعينيه في ضوء الصباح الهادئ. خارج نافذة غرفته المفتوحة استطاع أن يرى مدينة إيلانتريس الهائلة في الأفق وأسوارها البارزة تُلقي بظلالها على مدينة كاي الأصغر حجمًا، حيث يعيش رايودن. كانت أسوار إيلانتريس شاهقة الارتفاع بشكل لا يُصدق، ولكن كان باستطاعة رايودن أن يرى قمم الأبراج السوداء تعلو من ورائها، وأبراجها المتداعية تدل على المجد المتهاوي المستتر وراء الأسوار.

بدأت المدينة المهجورة مُظلمة أكثر من المعتاد، حدّق رايودن إليها للحظة ثم أشاح بنظره، كان من المستحيل تجاهلها، ولكن قاطني كاي كانوا يبذلون قصارى جهدهم لفعل هذا. يجز في النفس تذكر جمال المدينة، والتعجب من أنه قبل عشر سنوات تحول الشايود من هبة إلى لعنة.

هز رايودن رأسه وهو يخرج من فراشه. كان الجو دافئًا على غير العادة في مثل هذه الساعة المبكرة، لم يشعر حتى بالقليل من البرودة بينما يرتدي روبه، ثم جذب حبل الخدم بجانب فراشه إشارة إلى أنه يريد الفطور.

كان هذا شيئًا غريبًا آخر، لقد كان جائعًا، جائعًا للغاية، بل يكاد أن يتضور جوعًا. لم يكن يجب وجبات الإفطار العامرة، ولكنه في هذا الصباح وجد نفسه ينتظر وصول وجبته بفاغ الصبر. وأخيرًا قرر أن يُرسل أحدًا ليرى سبب هذا التأخر الشديد.

نادى عبر الغرف المُظلمة: "آين؟".

لم يكن هناك إجابة، فعقد رايودن حاجبيه بسبب غياب السيون<sup>٢</sup>، أين يُمكن أن يكون آين؟ اعتدل رايودن واقفاً على قدميه وبينما يفعل هذا وقع بصره على إيلانتريس مرة أخرى، بدت كاي في ظل المدينة العظيمة كقرية متواضعة بالمقارنة معها. كانت إيلانتريس هائلة الحجم، كتلة من اللون الأسود الأبوسوي، لم تعد مدينة حقاً، بل جنة مدينة. ارتجف جسد رايودن.

جاءت طرقة على الباب، قال رايودن وهو يخطو ليفتح الباب: "أخيراً". كانت إيلاو العجوز تقف بالخارج ومعها صينية من الفاكهة والحبز الساخن.

سقطت الصينية لترطم بالأرض بعد أن انزلقت من بين أصابع الخادمة، بينما رايودن يمد يده لأخذها. تجمد رايودن في موضعه وصدى دوي الارتطام المعدني يتردد عبر الرواق في صمت الصباح.

همست إيلاو: "بحق دومي<sup>٣</sup> الرحيم!". كانت عيناها مرتعبتين ويدها ترتجف وهي تُمسك بالقلادة الكوراثية التي تحيط بعنقها.

مد رايودن يده ناحيتها ولكن الخادمة قطعت خطوة مرتجفة إلى الوراء فتعثرت في بطيخة صغيرة أثناء فرارها المتعجل.

سألها رايودن: "ما الخطب؟". ثم رأى يده، ما كان مخفياً في ظلال غرفته المظلمة صار واضحاً في ضوء مصباح الرواق المتوهج.

---

<sup>٢</sup> السيونات: مخلوقات سحرية عاقلة على هيئة كرات من الضوء مرتبطة بإيلانتريس. وكل سيون يحمل حرفاً أيونياً في منتصفه، يتوهج ويمنحه ضوءه.  
<sup>٣</sup> دومي: إله الديانة الكوراثية، وترغم الديانة أنه الأب المحب لكل البشرية.



استدار رايودن على عقبه مُلقياً بقطع الأثاث بعيداً عن طريقه وهو يُسرع متعثراً إلى المرأة الطويلة في نهاية غرفته. كان ضوء الفجر قد صار قوياً بما يكفي لكي يرى الانعكاس الذي يُبادله التحديق؛ انعكاس شخص غريب.

كانت عيناه الزرقاوان لا تزالان نفس العينين، ولكنهما تحدقان إليه متسعين في رعب، وقد تغير شعره من البني الرملي إلى الرمادي الفاتح، وكان ما حدث لبشرته أسوأ. كان الوجه في المرأة مُعطى ببقع سوداء شنيعة، ككدمات داكنة، ولا يمكن لهذه البقع أن تعني سوى شيء واحد.

لقد حل به الشايود.

\*\*\*

أغلقت بوابة مدينة إيلانتريس بدوي هائل من ورائه يؤكد أن الأمر نهائي لا رجعة فيه، فهوى رايودن بجسده عليها وقد تخدر جسده وهو يفكر في أحداث اليوم.

بدا الأمر وكأن ذكرياته تنتمي إلى شخص آخر. لم ينظر أبوه الملك آيادون إلى عينيه وهو يأمر الكهنة بتهيئة ابنه وإلقائه داخل إيلانتريس. حدث الأمر بسرعة وهدوء، فلم يكن آيادون مستعداً لتحمل تبعات أن يعرف الجميع أن ولي العهد إيلان تري. قبل عشر سنوات كان الشايود ليجعل رايودن إلهًا، والآن بدلاً من أن يحول الناس إلى كائنات نورانية ببشرة فضية صار يحولهم إلى هذه المخلوقات الوحشية البغيضة.

هز رايودن رأسه في استنكار، الشايود شيء يحدث لأشخاص آخرين، أشخاص بعينين، أشخاص يستحقون اللعنة، وليس ولي عهد أربلون.

كانت مدينة إيلانتريس ممتدة أمامه، وأسوارها العالية محفوفة بمخافر الحراسة، والجنود الذين مهمتهم ليس أن يُقوا الأعداء خارج المدينة بل أن يمنعوا قاطنيتها من الهرب. منذ الريود<sup>٤</sup>، عندما سقطت إيلانتريس، وكل شخص يضربه الشايود يُلقى بداخل الأسوار لكي يتعفن، لقد صارت المدينة مقبرة شاسعة لهؤلاء الذين نسيت أجسادهم كيف تموت.

كان بمقدور رايودن أن يتذكر وقوفه على هذه الأسوار لينظر بازدراء إلى قاطني إيلانتريس المرعبين، تمامًا كما كان الحراس ينظرون إليه بازدراء في تلك اللحظة. كانت المدينة تبدو بعيدة للغاية حينها، حتى وهو يقف خارجها تمامًا. لطالما تساءل بشكل فلسفي عن حال المرء وهو يمشي في هذه الشوارع المسودة. والآن سيكتشف بنفسه.

ضغط رايودن بجسده على البوابة للحظة كأنما ليُجر جسده على المرور منها، أن يُطهر بدنه من دنسه. أطرق برأسه وأطلق أنينًا خافتًا. أحس برغبة في أن يتكوم على نفسه على الأحجار المتسخة وأن ينتظر حتى يستيقظ من هذا الحلم. ولكنه كان يعرف أنه لن يستيقظ أبدًا. قال الكهنة إن هذا الكابوس لن ينتهي أبدًا.

ولكن شيئًا بداخل رايودن حثه على المضي قُدُمًا، كان يعرف أن عليه مواصلة السير، فقد كان يخشى أنه إن توقف عن الحركة فرما يستسلم، لقد أصاب الشايود جسده، ولكنه لن يجعله يصيب عقله أيضًا.

وهكذا استخدم رايودن كبريائه كدرع في مواجهة اليأس والانكسار، والأهم من ذلك الشفقة على الذات، ورفع رأسه ليحدق إلى لعنته الأبدية في عينيها.

<sup>٤</sup> الريود: الاسم الذي منحه الناس لسقوط إيلانتريس.

\*\*\*

من قبل عندما كان رابودن يقف على أسوار إيلانتريس ليحدق بازدراء إلى قاطنيتها كان يرى القدارة التي تغطي المدينة، والآن يقف فيها.

كل سطح . بداية من جدران المباني وحتى الشقوق العديدة في أحجار الرصف . كان مُغطى بطبقة من الأوساخ. كان للمادة الزيتية الملساء تأثير مُعادِل على ألوان إيلانتريس، حيث مزجها جميعًا في لون واحد مثير للإحباط، وهو اللون الذي يمزج تشاؤم الأسود مع الألوان الخضراء والبنية للمجاري.

من قبل كان بمقدور رابودن أن يرى عددًا قليلاً من قاطني المدينة، والآن بمقدوره أن يسمعهم أيضًا، دزينة أو ما يُقارب هذا من الإيلانترين متناثرون على الأحجار النتنة عبر الباحة، العديد منهم يجلسون غير مكتئبين . أو غير مدركين . في برك من المياه الداكنة، بقايا العاصفة المطيرة في الليل. وكانوا جميعًا يئنون، معظمهم يفعل هذا بخفوت وهم يتمتمون لأنفسهم أو يتأوهون من ألم ما خفي. ولكن كان هناك امرأة في الطرف الآخر البعيد من الباحة صرخت بصوت ينم عن معاناة شديدة، ولكنها صمتت بعد لحظة وقد نفدت أنفاسها أو خارت قواها.

معظمهم كان يرتدي ما يبدو كأسمال بالية، ملابس داكنة وفضفاضة، قدرة كالشوارع. ولكن عندما حدق رابودن إلى الملابس عن كئيب تعرف عليها. خفض بصره لينظر إلى ملابس الدفن البيضاء التي يرتديها، كانت طويلة وواسعة، كشرائط قد خيطت معًا لتصير ثوبًا فضفاضةً. كان الكتان على ذراعيه وساقيه قد تلطّخ بالأوساخ بالفعل، بعد احتكاكه ببوابة المدينة والأعمدة الحجرية. حُمن رابودن أنه سرعان ما سيكون من الصعب التفرقة بينها وبين ملابس الإيلانترين الآخرين.

قال رابودن لنفسه: هذا ما سأصير عليه، لقد بدأ الأمر بالفعل، في غضون أسابيع قليلة لن أكون أكثر من مجرد جسد منكسر، جثة تنن في أحد الأركان.

انتزع رابودن من شففته على نفسه حركة بسيطة على الجانب الآخر من الباحة. كان بعض الإيلانترين رابضين في مدخل تكتنفه الظلال على الناحية المقابلة له. لم يستطع أن يُميز الكثير من أشكالهم المظلمة، ولكن بدا وكأنهم ينتظرون شيئاً ما، كان باستطاعته أن يشعر بنظراتهم تحديق إليه.

رفع رابودن يده ليظلل عينيه، وحينها فقط تذكر السلة الخوصية الصغيرة التي يحملها في يديه، كانت تحتوي على قرابين كرات الطقوس الذي يُرسل ليرافق الميت إلى الحياة الأخرى، أو في هذه الحالة إلى إيلانتريس. كانت السلة تحتوي على رغيف من الخبز وقليل من الخضراوات الضئيلة وحفنة من الحبوب وزجاجة صغيرة من النبيذ. تكون قرابين الموت أكثر استفاضة في المعتاد، ولكن حتى ضحية الشايود يجب أن يُعطى شيئاً.

حدق رابودن من جديد إلى الأشخاص الموجودين عند المدخل، وفي عقله ومضت شائعات قد سمعها بالخارج، حكايات عن الوحشية الإيلانترية. لم تتحرك الهيئات التي تكتنفها الظلال بعد، ولكن تفحصهم له كان يصيبه بالتوتر.

أخذ رابودن نفساً عميقاً ثم بدأ يخطو بمحاذاة سور المدينة نحو الجانب الشرقي من الباحة. بدا أن الهيئات لا تزال تراقبه، ولكنها لم تلتحق به. في غضون لحظة لم يعد قادراً على رؤية ما وراء المدخل، وبعد ثانية أخرى كان قد دلف بأمان إلى أحد الشوارع.

تنفس رابودن الصعداء وهو يشعر أنه قد نجا من شيء ما، رغم أنه لم يعرف ماهيته. بعد لحظات قليلة صار متيقناً من أن أحداً لا يلحق به، وبدأ يشعر بالحماقة لإحساسه بالذعر. لم

يرَ حتى الآن شيئًا يدعم الشائعات التي تحيط بإيلانتريس. هز رايودن رأسه وواصل المضني قُدُمًا.

كانت الرائحة الكريهة تغلب على كل شيء تقريبًا، كان للطين المترسب على كل شيء رائحة عطنة متعفنة، كرائحة فطر متحلل. كان رايودن منزعجًا كثيرًا لهذه الرائحة حتى أنه كاد أن يخطو مباشرة على الجسد المتفضعن لرجل عجوز متكوم بجانب أحد المباني. كان الرجل يئن بشكل مثير للشفقة وهو يمد بذراع ذابلة إلى الأعلى. نظر إليه رايودن وأحس فجأة بقشعريرة باردة، فهذا "الرجل العجوز" لم يكن عمره أكثر من ستة عشر عامًا. كان جلد المخلوق المغطى بالسخام داكنًا ومرقطًا، ولكن وجهه كان وجه طفل لا رجل، ورغمًا عنه خطا رايودن خطوة للوراء.

وكانما أدرك الفتى أن هذه الفرصة لن تدوم طويلًا فقد مد ذراعه إليه بقوة مفاجئة ناتجة عن اليأس. تمت بم قد فقد نصف أسنانه: "طعام؟ أرجوك".

ثم هوت ذراعه بجانبه كأنما قد استنزف قدرته على التحمل، وعاد جسده ليتكوم على الجدار الحجري البارد. إلا أن عينيه واصلتا التحديق إلى رايودن، عينين حزبتين يملأهما الألم. كان رايودن قد رأى شحاذين من قبل في المدن الخارجية، وربما قد خدعه بعض المحتالين بضع مرات، ولكن هذا الفتى لم يكن يتظاهر.

مد رايودن يده وأخرج رغيف الخبز من قربانه وأعطاه للفتى. كانت نظرة عدم التصديق المرتسمة على وجه الفتى أكثر إثارة للقلق من اليأس الذي حلت محله. هذا المخلوق قد تخلى عن الأمل منذ زمن طويل، ربما توسل بدافع العادة وليس الأمل في الحصول على شيء ما حقًا.

ترك رايودن الفتى وراءه، وهو يلتفت ليواصل سيره عبر الشارع الصغير. كان يأمل أن المدينة ستصير أقل بشاعة بعدما يغادر الفناء الرئيسي، وهو يفكر أن الأوساخ كانت نتيجة

للاستخدام المتكرر نسبيًا لهذه المنطقة، ولكنه كان مخطئًا، كان الرقاق مغطى بالأوساخ تمامًا كالباحة، إن لم يكن أكثر.

جاء صوت ارتطام مكتوم من وراء رابودن فالتفت في دهشة، كان هناك مجموعة من الأشكال المظلمة تقف بالقرب من مدخل الشارع الجانبي متجمعين حول جسد على الأرض. انتابت رابودن قشعريرة وهو يراقب خمسة رجال يلثمون رغيفًا من الخبز وهم يتصارعون فيما بينهم ويتجاهلون صرخات الفتى اليانسة. في نهاية المطاف بدأ أحد الواقدين منزعجًا بوضوح، ثم هوى بمرارة بدائية على عنق الفتى فتردد صدى صوت الانسحاق عبر الرقاق الصغير.

أنهى الرجال الخبز ثم التفتوا لينظروا إلى رابودن، فخطا خطوة متخوفة إلى الوراء. يبدو أنه قد تعجل في افتراض أن أحدًا لن يلاحقه. تقدم الرجال الخمسة ببطء ناحية رابودن، فاستندار على عقبيه وبدأ يركض مبتعدًا.

جاء صوت المطاردة من وراء رابودن وهو يُسرع مبتعدًا في خوف، وهو شيء لم يكن بحاجة لأن يفعله من قبل عندما كان أميرًا. راح يركض في جنون وهو يتوقع أن أنفاسه ستنفد سريعًا وأن الألم سيطعنه في جانبه كما يحدث عادة عندما يُرهق نفسه. لم يحدث هذا ولا ذاك، وبدلًا منهما بدأ ببساطة يشعر بالتعب الشديد، وبالضعف، حتى أدرك أنه سرعان ما سينهار. كان شعورًا مروعًا، كما لو أن حياته تنسل منه ببطء.

في يأسه ألقى رابودن بسلة القرايين وراءه، وأدت هذه الحركة المربكة إلى إفقاده توازنه، وجعله شقًا ما غير مرئي في أحجار الرصف يتعثر بشكل أحرق لم ينته حتى اصطدم بكتلة متعفنة من الخشب. تحطّم الخشب. الذي ربما كان يومًا كومة من الصناديق. وخفف من سقوطه.

اعتدل رابودن واقفًا على الفور فأدت هذه الحركة إلى تناثر شظايا الخشب في أنحاء الرقاق الرطب، ولكن مهاجميه لم يعودوا مكتئبين به. جلس الرجال الخمسة القرفصاء في قذارة الشارع

وهم يجمعون الخضراوات والحبوب المتناثرة من البرك الداكنة. أحس رابودن بمعذته تنقبض عندما دس أحد الرجال إصبعه عبر شق لينتشل حفنة داكنة كانت وحلاً أكثر منها ذرة، ثم دفع بالكتلة اللزجة بين شفتيه المتلهفتين. تقاطر اللعاب الموحد على ذقن الرجل متساقطاً من فم يبدو أشبه بقدر مليء بالطين يغلي على موقد.

رأى أحد الرجال رابودن وهو يراقبهم فزجر المخلوق وهو يمد يده ليمسك بالهراوة التي كاد أن ينساها الموضوعه بجانبه. راح رابودن يبحث بشكل محموم عن سلاح فوجد قطعة من الخشب كانت أقل تعفنًا من البقية. أمسك بالسلاح بيدين مرتعدتين وهو يحاول أن يبدو منذراً بالخطر.

توقف الجرم في موضعه للحظة، وبعد ثانية لفت انتباهه صرخة فرح جاءت من ورائه، فقد عثر واحد من الآخرين على زجاجة النبيذ الصغيرة، يبدو أن الصراع الذي تلا ذلك قد أبعث كل تفكير في رابودن عن عقول الرجال، وسرعان ما اختفى الخمسة، أربعة منهم يلاحقون ذلك المخطوظ. أو الأحمق. بما فيه الكفاية لكي يهرب بهذا الخمر الثمين.

جلس رابودن في الحطام وهو يشعر بالانزعاج. هذا ما ستصير عليه.

قال صوت: "يبدو أنهم قد نسوا بشأنك يا سول<sup>٥</sup>".

جفل رابودن وهو ينظر ناحية مصدر الصوت، كان رجلاً ينعكس ضوء الصباح على رأسه الأضلع الأملس، وهو مستلقٍ بتكاسل على مجموعة من الدرجات، على مسافة قريبة منه. كان إيلانترياً بكل تأكيد، ولكن لا شك أنه قبل التحول كان من عرق مختلف، ليس من أريلون مثل رابودن. كان جلد الرجل يحمل البقع السوداء التي تدل على الشايود، ولكنه البقع غير المصابة لم تكن شاحبة، بل كانت بلون بني داكن. توتر رابودن في وجه الخطر المحتمل،

<sup>٥</sup> سول: كلمة باللغة الدولادية تعني صديق.

ولكن هذا الرجل لم يُبدِ أي علامات على الوحشية البدائية أو الضعف المهالك اللذين قد رأهما رايبودن في الآخرين. كان الرجل طويل القامة وقوي البنية، بكفين عريضين وعينين ثاقبتين، وكان ينظر إلى رايبودن متفحصًا.

تنفس رايبودن الصعداء وقال: "أياً من كنت فأنا مسرور لرؤيتك، كنت على وشك أن أعتقد أن الجميع هنا إما يحتضرون أو مسهم الجنون".

أجابته الرجل ساخراً: "لا يمكننا أن نموت، فنحن موتى بالفعل، كولو؟".

"كولو؟". كانت الكلمة الأجنبية مألوفة بشكل مبهم، تمامًا كالكنة الرجل الثقيلة. "ألست من أريلون؟".

هز الرجل رأسه وقال: "أنا جالادون، من جمهورية دولادل، ومؤخرًا أنا من إيلانتريس، أرض الوحل والجنون والضياء الأبدي. سعيد بلقائك".

قال رايبودن: "دولادل؟ ولكن الشايود لا يؤثر إلا على قاطني أريلون". اعتدل واقفًا وهو ينفذ عن نفسه قطع الخشب التي كانت في مراحل مختلفة من التحلل. ثم تلوى مع الألم من إبهام قدمه المصاب. كان مغطى بالطين ورائحة إيلانتريس النتنة تفوح منه بدوره.

"إن دولادل خليط من الأعراق يا سول؛ الأريلي، والفيوردي، والتويد، ستجدهم جميعًا. أنا...".

قاطع الرجل سباب خافت من رايبودن.

---

<sup>٦</sup> كولو: كلمة باللغة الدولادية توضع في نهاية الحديث يُمكن ترجمتها بشكل تقريبي إلى "هل تفهم؟".



رفع جالادون حاجبًا وهو يقول: "ما الأمر يا سول؟ هل أصابتك شظية في المكان الخاطئ؟ أفترض أنه ليس هناك الكثير من الأماكن الصحيحة لهذا".

قال رايدون وهو يعرج عبر أحجار الرصف الزلقة: "إنه إبهام قدمي، هناك خطب ما به، لقد أصيب عندما سقطت، ولكن الألم لا يختفي".

هز جالادون رأسه في أسى وقال: "مرحبًا بك في إيلانتريس يا سول، أنت ميت، وجسدك لن يُصلح نفسه كما يُفترض به".

"ماذا؟". قالها رايدون وهو يعرج نحو الدرجات التي يجلس عليها جالادون. ظل إبهام قدمه يؤلمه بحدة مثل اللحظة التي صدمه فيها.

همس جالادون: "كل ألم يا سول، وكل جرح، وكل قطع، وكل كدمة، وكل وجع، سيبقى معك حتى تصاب بالجنون من المعاناة. كما قلتُ لك؛ مرحبًا بك في إيلانتريس".

سأله رايدون بينما يدلك إبهام قدمه، وهو ما لم يخفف من ألمه: "كيف تتحملون الأمر؟". كانت مجرد إصابة بسيطة تافهة، ولكنه أحس أنه يقاوم لمنع عينيه من أن تترقق بدموع الألم.

"نحن لا نحمله، إما أن نكون حذرين للغاية، أو سينتهي بنا المطاف مثل هؤلاء الرولوس<sup>٧</sup> الذين رأيتهم في الباحة".

"في الباحة... آيدوس<sup>٨</sup> دومي!". أجبر رايدون نفسه على الوقوف على قدميه ثم مشى وهو يعرج نحو الفناء. وجد الفتى الشحاذ في نفس المكان بالقرب من مدخل الزقاق. كان لا يزال حيًّا... بطريقة ما.

<sup>٧</sup> رولو: كلمة باللغة الدولادية تعني أحمق، وجمعها رولوس.

<sup>٨</sup> آيدوس: تعني الرحيم. وعادة ما تستخدم مرتبطة باسم دومي.

كانت عينا الفتى تحدقان بخواء إلى الفراغ، وبؤبؤ كل عين يرتجف، بينما شفتاه تتحركان بصمت دون أن يند عنهما أدنى صوت. كان عنق الفتى قد تحطم تمامًا، وهناك جرح عميق في جانب العنق يكشف عن الفقرات والحلق. كان الفتى يحاول بلا جدوى أن يتنفس عبر هذه الفوضى. فجأة لم تعد إصابة إهام رايودن تبدو سيئة للغاية. همس رايودن وهو يشيح برأسه ومعدته تنقبض: "آيدوس دومي...". مد يده واتكأ على جانب أحد المباين ليحافظ على توازنه وهو يحني رأسه ويحاول أن يتفادى إضافة المزيد من الأوساخ على الأرض.

قال جالادون بنبرة عملية وهو يريض بجانب الشحاذ: "لم يتبق الكثير من أجل هذا الفتى".

قال رايودن: "كيف...؟". ثم بتر حديثه عندما انقبضت معدته مرة أخرى. ألقى بجسده ليجلس في الوحل، وبعد بضعة أنفاس عميقة استكمل حديثه قائلاً: "إلى متى سيعيش هكذا؟".

قال جالادون ولكنته تحمل نبرة من الحزن: "ما زلت لم تفهم يا سول، إنه ليس حيًا، لا أحد منا حي، لهذا نحن هنا، كولو؟ سيبقى الفتى هكذا إلى الأبد، فهذه في نهاية المطاف هي المدة الزمنية القياسية لكل لعنة أبدية".

"هل هناك شيء يمكننا فعله؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "يمكننا أن نحاول حرقه، بافتراض أن بإمكاننا أن نشعل نارًا. يبدو أن الأجساد الإيلانترية تحترق أفضل من أجساد البشر الطبيعيين، والبعض يعتقد أن هذا موت مناسب لمن هم على شاكلتنا".

قال رايودن وهو لا يزال غير قادر على النظر إلى الفتى: "و... وإن فعلنا هذا فماذا سيحدث له... لروحه؟".

قال جالادون: "ليس لديه روح، أو هذا ما يقوله الكهنة لنا. الكوراثيون، والديريثيون، والجسكريون، جميعهم يقولون نفس الشيء؛ إننا ملعونون".

"هذا لا يُجيب عن سؤالي، هل سيتوقف الألم إن أحرقناه؟".

نظر جالادون إلى الفتى، وأخيراً هزّ كتفيه وقال: "البعض يقول إنك إن أحرقتنا، أو قطعت رؤوسنا، أو فعلت بنا أي شيء من شأنه أن يُدمر أجسادنا تمامًا، فإننا سنتوقف عن الوجود. يقول آخرون إن الألم سيستمر، إننا سنصير الألم، يعتقدون أننا سنطفو بلا تفكير، غير قادرين على الشعور بأي شيء سوى المعاناة. لا يُعجبني أيًا من الخيارين، لذا أحاول فقط أن أحافظ على نفسي سليمًا، كولو؟".

همس رابودن: "أجل، كولو". ثم التفت وقد استجمع أخيرًا من الشجاعة ما يكفي لأن ينظر إلى جرح الفتى. كان الجرح الهائل يُحْدق إليه، والدم ينساب ببطء من الجرح كما لو كان السائل مستقرًا في الأوردة، كالماء الراكد في بركة.

فجأة انتابت رابودن قشعريرة باردة وهو يمد يده ليتحسس صدره قبل أن يقول: "ليس لدي نبضات قلب". لقد أدرك هذا للمرة الأولى.

نظر جالادون إلى رابودن كأنما قد نطق بجملته حمقاء تمامًا وقال له: "أنت ميت يا سول، كولو؟".

\*\*\*

لم يحرق الفتى، ليس فقط لأنهما يفتقران إلى الأدوات المناسبة لإشعال النار، ولكن أيضًا لأن جالادون قد نهي عن الأمر. قال: "لا يمكننا أن نأخذ قرارًا من هذا القبيل، ماذا لو لم يكن له روح حقًا؟ ماذا لو توقف عن الوجود عندما نحرق جسده؟ إن وجودًا من المعاناة أفضل من عدم الوجود على الإطلاق بالنسبة للكثيرين".

ترك الفتى حيث سقط، فعل جالادون هذا دون تردد، فلحق به رايودن لأنه لا يستطيع التفكير في أي شيء آخر لفعله، رغم أنه كان يشعر بألم الإحساس بالذنب أكثر من ألم إبهامه.

كان من الجلي أن جالادون لا يُبالي إن كان رايودن قد لحق به أم لا، وهو يخطو في الاتجاه المعاكس، أو يقف ليحذر باهتمام إلى بقعة من الأوساخ على الجدار. كان الرجل الضخم أسمر البشرة يسير عائداً عبر الطريق الذي أتيا منه، وهو يمر من آن لآخر بجسد متأوه في الأوساخ، مولياً ظهره إلى رايودن بلا مبالاة تامة.

حاول رايودن أن يستجمع أفكاره وهو يُراقب الدولادي أثناء سيره، لقد تدرّب طيلة حياته في السياسة، سنوات من الإعداد قد جعلته مهياً لاتخاذ قرارات سريعة، وقد اتخذ قراراً حينها، قرر أن يتق في جالادون.

كان هناك شيء حيال هذا الدولادي يجعله مثيراً للإعجاب بشكل فطري، شيء وجده رايودن جذاباً بشكل مبهم، حتى لو كان مغطى بأوساخ من التشاؤم سميكة كالوحد على الأرض. لم يكن الأمر فقط هو وضوح جالادون أو سلوكه المتأني، يزعم جالادون أنه قد قبل المحتوم، ولكنه أحس بالخزن لأنه كان مضطراً لهذا.

وجد الدولادي مجلسه السابق على الدرجات فاستقر عليها مرة أخرى. أخذ رايودن نفساً حازماً ثم اقترب من الرجل ووقف أمامه في ترقب. رفع جالادون عينيه وهو يقول: "ماذا؟".

قال رايودن وهو يجلس القرفصاء على الأرض أمام الدرجات: "أنا بحاجة إلى مساعدتك يا جالادون".

قال جالادون في سخرية: "هذه إيلانتريس يا سول، لا يوجد شيء اسمه المساعدة، لن تجد هنا سوى الألم والجنون والكثير من الوحل".

"يبدو أنك تصدق هذا حقاً".

"أنت تسأل في المكان الخاطئ يا سول".

قال رابودن: "أنت الشخص الوحيد غير الفاقد للوعي الذي التقيته هنا ولم يحاول مهاجمتي. إن تصرفاتك مقنعة أكثر من كلماتك".

"ربما لم أحاول إيذاءك لأنك ببساطة لم تعد تملك شيئاً يمكن سلبه".

"لا أصدق هذا".

هزّ جالادون كتفيه كأنما يقول "لا أباي بما تصدقه". ثم أمال رأسه متكئاً على جانب المبنى وأغلق عينيه.

سأله رابودن بصوت خافت: "هل أنت جائع يا جالادون؟".

فتح الرجل عينيه على الفور.

قال رابودن مفكراً: "كثيراً ما تساءلت متى يُطعم الملك آيادون الإيلانترين، لم أسمع من قبل عن أي مؤن تدخل المدينة، ولكني لطالما افترضت أنها تُرسل، فالإيلانترين يبقون أحياء على أي حال. لم أفهم الأمر قط. إن كان الناس في هذه المدينة يُمكنهم العيش بدون نبضات قلب إذن فعلى الأرجح يُمكنهم العيش بدون طعام. هذا لا يعني بالطبع أن الجوع يزول. كنت أشعر بنهم شديد عندما استيقظت هذا الصباح، وما زلت أشعر به، ومن النظرات في أعين أولئك الرجال الذين هاجموني أفترض أن الجوع لا يزداد إلا سوءاً".

مد رابودن يده تحت رويه القرباني الملطخ بالأوساخ ليُخرج شيئاً خفيفاً ويرفعه لأعلى كي يراه جالادون؛ قطعة من اللحم الجفف. انفتحت عينا جالادون على اتساعهما، وتغير وجهه من الملل إلى الاهتمام. كان هناك بريق في هاتين العينين، شيء من الجموح الذي قد رآه رابودن في

الرجال المتوحشين باكراً. كان تحت السيطرة بشكل أكبر، ولكنه هناك. وللمرة الأولى يُدرك رايبودن قدر مقامته على انطباعه الأول عن الدولادي.

سأله جالادون ببطاء: "من أين جئت بهذه؟".

"لقد سقطت من سلتي عندما كان الكهنة يقتادونني إلى هنا، لذا دسستها في ملابسني. هل تريدُها أم لا؟".

لم يُجبه جالادون للحظة، ثم قال: "ما الذي يجعلك تعتقد أنني ببساطة لن أهاجمك وأخذها؟". هذه الكلمات لم تكن مجرد افتراض، فقد كان بمقدور رايبودن معرفة أن جزءاً من جالادون يضع مثل هذا التصرف في الحسبان. ولكنه لم يكن قادراً على تحديد حجم هذا الجزء.

"لقد ناديتني ب (سول) يا جالادون، كيف يمكنك أن تقتل شخصاً قد أطلقت عليه لقب صديق؟".

اعتدل جالادون ونظره مُعلق بقطعة اللحم الصغيرة، ثم سألت قطرة صغيرة غير ملحوظة من اللعاب على جانب فمه، قبل أن يرفع عينيه لينظر إلى رايبودن الذي كان قلقه يتزايد. عندما التقت أعينهما لمع شيء في عيني جالادون وانكسر التوتر. فجأة ضحك الدولادي ضحكة مدوية قبل أن يقول: "هل تتحدث اللغة الدولادية يا سول؟".

قال رايبودن بتواضع: "عدد قليل من الكلمات فقط".

"رجل متعلم؟ قربان ثمين من أجل إيلانتريس اليوم! حسناً أنت رولو ماكر، ما الذي تريده؟".

قال رايبودن: "ثلاثين يوماً، ستصحبني في أرجاء المكان لثلاثين يوماً وتخبرني بكل ما تعرفه".

"ثلاثين يومًا يا سول؟ أنت كايانا؟"<sup>٩</sup>.

قال رايودن وهو على وشك أن يعيد قطعة اللحم إلى داخل ملابسه: "حسبما أرى فإن الطعام الوحيد الذي يدخل هذا المكان يأتي مع الوافدين الجدد، لا شك أنك تشعر بالجوع الشديد مع قلة القرابين وكثرة الأفواه التي يجب إطعامها. أتصور أن الجوع يكاد أن يكون مثيرًا للجنون".

قال جالادون وقد عاد إليه لحة من حدته السابقة: "عشرين يومًا".

"ثلاثين يا جالادون، إن لم تكن ترغب في مساعدتي فشخص آخر سيفعل".

جزء جالادون على أسنانه ثم تتمم قائلاً وهو يمد يده إلى الأمام: "ثلاثين يومًا يا رولو. لحسن الحظ أنني لم أخطط لأي رحلات طويلة من أجل الشهر المقبل".

ألقى إليه رايودن بقطعة اللحم وهو يضحك.

انتزع جالادون اللحم، ورغم أن يده تحركت غريزيًا نحو فمه إلا أنه توقف، وبحركة حذرة دس اللحم في جيبه وهو يعتدل واقفًا قبل أن يقول: "إذن بماذا يجب أن أناذك؟".

صمت رايودن للحظة؛ ربما من الأفضل ألا يعرف أحد في الوقت الحالي أنني من العائلة من الملكية. قال: "سول لا بأس بما بالنسبة لي".

ضحك جالادون وقال: "أرى أنك من النوع المحب للخصوصية، حسنًا فلنذهب إذن، حان الوقت لكي تحظى بالجولة الكبرى".

<sup>٩</sup> كايانا: كلمة باللغة الدولادية تعني مجنون.



## الفصل الثاني

نزلت سارين عن السفينة لتكتشف أنها صارت أرملة، كان خبيرًا صادقًا بالطبع، ولكنها لم تكن محطمة كما يُفترض بها أن تكون، فهي لم تلتقِ بزوجها. في الواقع عندما رحلت سارين عن وطنها كانت هي ورايودن مخطوبين فقط، افترضت أن مملكة أريلون ستنتظر وصولها قبل أن يُعقد الزفاف، أو على الأقل من حيث جاءت كان من المفترض أن يكون الشريكان حاضرين عندما يتزوجان.

"لم يعجبني قط هذا البند في عقد الزفاف يا سيدتي". قالها مُرافق سارين؛ كرة من الضوء بحجم بطيخة تحوم بجانبها.

كانت سارين تنقر بقدمها على الأرض في انزعاج وهي تشاهد الحمالين يحملون متاعها إلى عربة. كان عقد الزواج عبارة عن وثيقة ضخمة من خمسين صفحة، وأحد الشروط يجعل زواجها ملزمًا قانونيًا إن ماتت هي أو خطيبها قبل حفل الزفاف.

قالت: "إن هذا الشرط شائع إلى حد كبير يا آش، وبهذا يضمنون عدم إلغاء معاهدة الزواج السياسي إذا حدث شيء لأحد الشريكين. ولكني لم أره يُنفذ على أرض الواقع من قبل".

أجابها كرة الضوء بصوت عميق، حتى أن كلماته كانت واضحة تمامًا: "حتى اليوم".

وافقته سارين قائلة: "حتى اليوم. ولكن كيف كنت سأعرف أن الأمير رايودن لن يظل حيًا الخمسة أيام التي نستغرقها لعبور بحر فيوردن؟". صممت قليلاً وهي تعقد حاجبها مفكرة قبل أن تقول: "فلتذكر لي نص هذا الشرط يا آش، أريد أن أعرف فحواه بالضبط".



قال آش: "إن حدث واستدعى دومي الرحيم أحد الزوجين إلى بيته قبل موعد الزفاف المحدد مُسبقًا فستعد الخطبة مُعادلاً للزواج من جميع النواحي القانونية والاجتماعية".

"لم يتزكوا مجالاً للمجادلة، أليس كذلك؟".

"يؤسفني هذا يا سيدتي".

عقدت سارين حاجبها في انزعاج وهي تطوي ذراعها وتنقر على خدها بسبابتها بينما تُراقب الحمالين. كان هناك رجل طويل نحيف يوجه العمل بعينين ملولتين ونظرة مستسلمة. كان الرجل هو أحد أفراد البلاط الأريلي، ويُدعى كيتول، وهو الاستقبال الوحيد الذي رآه الملك آيادون مناسبًا لإرساله لملاقاتها. كان كيتول هو من "أخبرها بأسف" أن خطيبها "قد مات بمرض غير متوقع" أثناء رحلتها. كان قد نقل إليها الخبر بنفس النبرة الملولة غير المكترثة التي يأمر بها الحمالين.

قالت سيرين تستوضح الأمر: "إذن فأنا الآن أميرة أريلون بحسب القانون".

"هذا صحيح يا سيدتي".

"والعروس الأرملة لرجل لم ألتق به قط".

"هذا أيضًا صحيح".

"سيضحك أبي حتى يتعب عندما يسمع بهذا، لن ينسى هذا الأمر أبدًا".

ومض آش قليلاً في انزعاج ثم قال: "لن يتلقى الملك مثل هذا الخبر الحزين باستخفاف يا سيدتي، لا شك أن وفاة الأمير رايودن قد جبلت الكثير من الحزن للأسرة الملكية في أريلون".

"أجل الكثير من الحزن، حتى أنهم لم يتكبدوا عناء الجيء للقاء ابنتهم الجديدة".

"رما كان الملك آيادون ليأتي بنفسه لو كان لديه خبر بوصولنا..."

عقدت سارين حاجبيها، ولكن هذا السيون كان محمًا، إن وصولها المبكر قبل حفل الزفاف الرئيسي ببضعة أيام كان من المفترض أن يكون مفاجئة ما قبل الزفاف للأمير رايدون. أرادت أن تحظى ببضعة أيام على الأقل لتقضيها معه على انفراد وبشكل شخصي. إلا أن تكنمها لم يكن في صالحها في نهاية المطاف.

قالت: "أخبرني يا آش، كم ينتظر الناس في أريلون عادة ما بين وفاة الشخص ودفنه؟"

اعترف آش قائلاً: "لست وأتقاً يا سيدتي، لقد رحلت عن أريلون منذ وقت طويل ولم أعش هنا إلا لوقت قصير، حتى أنني لا أتذكر إلا القليل من التفاصيل. ولكن تُخبرني دراستي أن عادات أريلون متشابهة إلى حد كبير مع عادات وطنك".

أومأت سيرين برأسها ثم لوحت إلى مبعوث الملك آيادون.

سألها كيتول بنيرة متكاسلة: "ما الأمر يا سيدتي؟"

سألته سارين: "هل أعددت جنازة من أجل الأمير؟"

أجابها المبعوث: "أجل يا سيدتي، خارج الكنيسة الكوراثية، سيجري الدفن هذا المساء".

"أريد الذهاب لرؤية النعش".

صمت كيتول للحظة ثم قال: "آه... أمر جلالة الملك بإحضارك إليه على الفور..."

قالت سارين وهي تمشي ناحية العربية: "إذن لن أقضي وقتًا طويلاً في خيمة العزاء".

\*\*\*

تفحصت سارين خيمة العزاء المزدحمة بعين ناقدة وهي تنتظر أن يمهد لها كيتول وعدد من الحمالين الطريق لكي تصل إلى النعش. اعترفت في قرارة نفسها أن كل شيء يبدو لا غبار عليه، الزهور، والقرايين، والكهنة الكوراثيين الذين يتلون الصلوات. كان الشيء الغريب الوحيد هو مدى ازدحام الخيمة.

قالت لآش: "بالتأكيد يوجد عدد كبير من الناس هنا".

أجابها السيون وهو يحوم بجانبها: "كان الأمير محبوبًا للغاية يا سيدتي. ووفقًا لتقاريرنا كان الشخصية العامة الأكثر شعبية في البلاد".

أومات سارين برأسها وهي تخطو عبر الممر الذي أعده لها كيتول. كان نعش الأمير رابودن موضوعًا في منتصف الخيمة، تحرسه دائرة من الجنود الذين لا يسمحون للجماهير بالاقتراب أكثر من اللازم. وبينما تمشي أحست بالحزن الحقيقي في وجوه هؤلاء الحاضرين.

قالت لنفسها: *إذن فهذا حقيقي، الناس يحبونه حقًا.*

أفسح لها الجنود الطريق لكي تقترب من النعش، الذي يحمل نقوشًا من الأحرف الآيونية، معظمها رموز للأمل والسلام، بحسب التقاليد الكوراثية. كان النعش الحشبي كله محاطًا بدائرة من الأطعمة الفاخرة، وهو القربان الذي يُقدَّم بالنيابة عن المتوفى.

التفتت إلى واحد من الكهنة الكوراثيين، رجل ضئيل الحجم تبدو عليه الطيبة، ثم سألته: "هل يمكنني رؤيته؟".

قال الكاهن: "المعذرة يا طفلي، ولكن مرض الأمير قد شوّهه بشكل غير سار. لقد أمر الملك بدفن الأمير بكرامته".

أومات سارين برأسها وهي تُعيد نظرها إلى النعش، لم تعرف ما الذي كانت تتوقع أن تشعر به وهي تقف أمام الرجل الميت الذي كان سيتزوجها، الغريب أنّها أحست ... بالغضب.

أزاحت مشاعرها جانبًا للحظة وجالت ببصرها في الخيمة، لقد بدت رسمية أكثر من اللازم، على الرغم من أن الحزن قد بدا على الزائرين بوضوح، ولكن الخيمة والقرايين والزخارف كلها بدت عقيمة.

قالت لنفسها: رجل في عمر رابودن من المفترض أن يتمتع بالحياة، يموت من رعشات السعال. *يُمكن أن يحدث هذا ولكنه لم يكن مرجحًا بالتأكيد.*

سأها آش بصوت خافت: "سيدتي... هل هناك خطب ما؟".

لَوّحت بيدها إلى السيون ثم مشت عائدة إلى العربية وهي تقول بجدوء: "لا أعرف، شيء ما هنا لا يبدو صحيحًا يا آش".

قال آش مُدكِّرًا: "أنتِ مرتابة بطبيعتك يا سيدتي".

"لم لا يقيم الملك آيادون سهرة عزاء لابنه؟ قال الكيتول إنه سيعقد البلاط، كأن موت ابنه لا يُزعجه إطلاقًا". هزت سارين رأسها ثم قالت: "لقد تحدثت مع رابودن قبل أن أغادر تيود مباشرة وقد بدا أنه بخير. هناك خطب ما يا آش وأريد أن أعرف ما هو".

قال آش: "أوه... أنتِ تعرفين يا سيدتي أن أباك قد طلب مني أن أحاول إبقاءك بعيدة عن المتاعب".

ابتسمت سارين وقالت: "هذه مهمة مستحيلة... هيا بنا، أريد أن أذهب لملاقة أبي الجديد".

\*\*\*

اتكأت سارين على نافذة العربة وهي تُراقب المدينة تمضي بجوارها بينما تتوجه ناحية القصر. كانت جالسة في صمت ولا يشغل بالها إلا فكرة واحدة.

ما الذي أفعله هنا؟

كانت كلما تأمش لآش تبدو واثقة ولكنها لطالما كانت بارعة في إخفاء مخاوفها. صحيح أنها تشعر بالفضول تجاه موت الأمير، ولكن سارين تعرف نفسها جيداً. جزء كبير من هذا الفضول كان محاولة لإبعاد عقلها عن مشاعر الدونية والإحراج. أي شيء يجعلها تتجنب الاعتراف بحقيقتها؛ امرأة نحيلة وفضة تكاد أن تتخطى ريعان شبابها. إنها في الخامسة والعشرين من العمر، وكان يجب أن تتزوج منذ سنوات مضت، وكان رايبودن هو فرصتها الأخيرة.

قالت سارين في قرارة نفسها بسخط: كيف تجرؤ على الموت قبل أن تتزوجني يا أمير أريلون! ولكن لم يفتها المفارقة في الأمر، كان من المناسب أن يموت هذا الرجل الذي ظنّت أنها ستعتاد عليه وتجه قبل حتى أن تلتقي به. لقد صارت وحيدة في بلد غير مألوف مرتبط سياسياً بملك لا تثق فيه. لقد كان شعوراً مضنياً من الوحدة.

قالت لتذكر نفسها: لقد كنتِ وحيدة من قبل يا سارين، ستتجاوزين الأمر، عليك فقط أن تجدي شيئاً لتشغلي به بالك، سيكون أمامك بلاط جديد لتستكشفيه، فلتستمتعي بالأمر.

تنهدت سارين وهي تعيد انتباهها إلى المدينة، على الرغم من خبرتها الكبيرة في العمل في الأمور الدبلوماسية مع والدها إلا أنها لم تزر أريلون من قبل، لقد عزلت معظم الممالك الأخرى أريلون بشكل غير رسمي منذ سقوط إيلانتريس. لا أحد يعرف سبب لعنة المدينة الأسطورية، وكان الجميع قلقاً من انتشار هذا المرض الإيلانترى.

كانت سارين مندهشة من الازدهار الذي رآته في كاي، كانت شوارع المدينة واسعة وتحظى بالاعتناء. وكان الناس في الشوارع يرتدون ملابس أنيقة ولم تر متسولاً واحداً. رأت إلى جانبيها

مجموعة من الكهنة الكوراثيين في أرواحهم الزرقاء يمشون بمدوء عبر الحشد يتقدمون شخصاً غريباً يرتدي روباَ أبيض. راقبت الموكب وهي تتساءل من يكون حتى اختفت المجموعة بأن انعطفت عند إحدى النواصي.

من منظورها لم تعكس كاي أياً من المصاعب الاقتصادية التي كان من المفترض أن تُعاني منها أريلون. مرت العربة بالعشرات من القصور المسيجة، وكل قصر منها مبني بطراز معماري مختلف، كانت بعض القصور شاسعة بأجنحة واسعة وأسقف مدبية على الطراز المعماري الدولادي، وقصور أخرى كانت أشبه بالقلاع، حيث بدت أسوارها الصخرية وكأنها قد نُقلت مباشرة من ريف فيوردن العسكري. ولكن جميع القصور كانت تتشارك شيئاً واحداً ألا وهو الثراء. ربما يتصور أناس هذا البلد جوعاً، ولكن كاي. عاصمة أرستقراطية أريلون. لم يبُد عليها أنما قد لاحظت هذا.

بالطبع لا يزال هناك ظل مزرع يجيم على المدينة، كان سور إيلانتريس الهائل يلوح في الأفق، وارتجفت سارين لمأرى أحجاره السوداء المهيبة، لقد سمعت حكايات حول إيلانتريس طيلة الوقت تقريباً منذ أن نضجت، حكايات عن السحر الذي كان ينبع عنها ذات يوم، والوحشية التي تقطن شوارعها المظلمة الآن. مهما كانت البيوت فخمة، ومهما كانت الشوارع ثرية، فإن هذا النصب التذكاري يُمثل شهادة على أنه ليس كل شيء على ما يرام في أريلون.

قالت سارين: "أتساءل لم يعيشون هنا من الأساس؟".

"سيدتي؟".

"لم بنى الملك آيادون قصره في كاي؟ لم اختار مدينة قريبة للغاية من إيلانتريس؟".

قال آش: "أعتقد أن الأسباب اقتصادية في المقام الأول يا سيدتي. لا يوجد سوى عدد قليل من الموانئ التي يُمكن العيش فيها على الساحل الشمالي لأريلون، وهذا هو أفضلها".

أومات سارين برأسها، فالخليج الذي يُشكله اندماج نهر أريدل مع المحيط يصنع ميناءً يُحسدون عليه، ولكن مع هذا...

قالت سارين وهي تفكر في الأمر: "ربما الأسباب سياسية، لقد اعتلى آيادون سدة الحكم في أوقات مضطربة. ربما يعتقد أن البقاء بالقرب من العاصمة القديمة سيمنحه السلطة".

قال آش: "ربما يا سيدتي".

فكرت أن الأمر ليس مهمًا حقًا، فمن الواضح أن القرب من إيلانتريس . أو الإبلانترين . لا يزيد من فرصة أن يستولي الشايود على المرء.

أشاحت بوجهها بعيدًا عن النافذة لتنظر إلى آش الذي كان يحوم فوق الكرسي بجانبها. لم تشاهد أي سيون بعد في شوارع كاي، على الرغم من أن هذه المخلوقات . قيل إنها من صنائع إيلانتريس السحرية القديمة . من المفترض أن تكون شائعة في أربلون أكثر من وطنها. إن ضيقت عينيتها فيمكنها بالكاد أن تميز الأيون المتوهج في قلب ضوء آش.

قالت سارين أخيرًا: "على الأقل المعاهدة ليست مهددة بالخطر".

قال آش بصوته العميق: "هذا على افتراض أنك ستبقين في أربلون يا سيدتي، على الأقل هذا ما ينص عليه عقد الزواج. ما دمتِ ستبقين هنا وتظلين مخلصه لزوجك فإن الملك آيادون سيحترم تحالفه مع تيود".

تمتت سارين: "أظل مخلصه لرجل ميت". ثم تنهدت قبل أن تقول: "حسنًا هذا يعني أن عليّ البقاء، بزواج أو بدون زوج".

"إن كنتِ تشائين هذا يا سيدتي".

قالت سارين: "نحن بحاجة إلى هذه المعاهدة يا آش، إن فيوردن تبسط نفوذها بمعدل لا يُصدق. قبل خمس سنوات كنت سأقول إننا لسنا بحاجة للقلق، فلن يملك كهنة فيوردن أي سلطة في أريلون، ولكن الآن...". هزّت سارين رأسها، لقد تغير الكثير مع اختيار جمهورية دولادل.

قالت: "لم يكن من المفترض أن نبقى أنفسنا بمعزل عن أريلون طيلة السنوات العشرة الماضية يا آش. ربما لم أكن لأتورط في هذا الموقف إن كنا قد أقمنا علاقات قوية مع الحكومة الأريلية قبل عشر سنوات".

قال آش: "كان والدك يخشى من أن تنتقل عدوى اضطرابهم السياسي إلى تيود، ناهيك بذكر الريود، لم يكن أحد متيقنًا إن كان ما أصاب الإيلانترين سيصيب الأشخاص العاديين أيضًا أم لا".

أبطأت العربية فتهتدت سارين وأهتت النقاش. كان والدها يعلم أن فيوردن تُمثل خطرًا، وأنه يجب إعادة تشكيل التحالفات القديمة، وهذا سبب وجودها في أريلون. انفتحت بوابة القصر أمامهم على مصراعها. وحيدة أو لا، لقد وصلت، وتيود تعتمد عليها. يجب عليها أن تعد أريلون من أجل الحرب المشوكة، الحرب التي ستصير حتمية لحظة سقوط إيلانتريس.

\*\*\*

كان والد سارين الجديد، آيادون ملك أريلون، رجلًا نحيلاً بوجه ماكر، كان يتشاور مع العديد من مسؤوليه عندما دلفت سارين إلى قاعة العرش ووقفت دون أن يلاحظها لخمسة عشر دقيقة تقريبًا قبل حتى أن يومئ إليها برأسه. شخصيًا لم تمنع الانتظار، فقد منحها هذا فرصة لمراقبة الرجل الذي أقسمت على الولاء له، ولكن كرامتها جعلتها تشعر بالإهانة رغمًا عنها لهذه المعاملة. إن مكانتها كأمية تيود وحدها من المفترض أن تجعلها تحظى بالاستقبال اللائق على الأقل.



بينما تنتظر خطر لها شيء ما، لم يبداً آيادون كرجل في حداد على رحيل ابنه وولي عهده، لم يكن هناك أدنى دلالة على الحزن في عينيه، ولا شيء من الإنهاك الذي يصحب عادة وفاة أحد الأحباء. في الواقع بدا البلاط نفسه خاليًا بشكل ملحوظ من أمارات الحداد.

تساءلت سارين في فضول: هل آيادون رجل قاسي القلب إذن؟ أم أنه ببساطة رجل يعرف كيف يتحكم في عواطفه؟

إن السنوات التي قضتها سارين في بلاط أبيها قد علمتها أن تكون خبيرة في الشخصيات النبيلة. رغم أنها لا تستطيع سماع ما يقوله آيادون. فقد طلب منها كيتول أن تبقى في نهاية القاعة وتنتظر الإذن بالاقتراب. ولكن تصرفات الملك وسلوكياته قد أفصحت عن شخصيته. كان آيادون يتحدث بحزم، ويوجه الأوامر مباشرة، ومن آن لآخر يصمت ليكز الخريطة الموضوعية على طاولته بإصبعه النحيفة. كان يحمل كل أمانة على أنه رجل يتمتع بشخصية قوية، ولديه فكرة محددة عن الطريقة التي يجب أن تجري بها الأمور، لم تكن هذه أمانة سيئة. قررت سارين مؤقتًا أنها قد تكون قادرة على العمل مع هذا الرجل.

لوح لها الملك آيادون بيده لكي تقترب. أخفت انزعاجها من الانتظار بعناية وهي تقترب منه بحالة لاثقة من الخضوع النبيل. وبينما هي على وشك أن تنحني في لباقة قاطعها قائلاً: "لم يخبرني أحد أنك طويلة للغاية هكذا".

قالت وهي ترفع نظرها إليه: "سيدي؟".

"حسنًا، أعتقد أن الشخص الوحيد الذي كان سيهتم بهذا لم يعد موجودًا لرؤيته. إيشن!". قالها بحدة مما جعل امرأة تكاد تكون محتفية بالقرب من الطرف الآخر للقاعة تقفز امتثالاً لأمره.

"اصحبي هذه المرأة إلى جناحها، واحرصي أن يكون لديها الكثير من الأشياء لتبقيها منشغلة، التطريز أو أيًا كان ما يسليكن أيتها النسوة". وما إن انتهى الملك من حديثه حتى أولى اهتمامه إلى المقابلة التالية، مجموعة من التجار.

تجمّدت سارين في منتصف المناءتها مذهولة من عدم تحلي آيادون بأدق قدر من اللباقة. لم يمنعها من أن تفغر فاهها إلا سنوات من التدريب على آداب البلاط. بسرعة ولكن في تردد اقتربت المرأة التي وجه لها آيادون الأمر. الملكة إيثن زوجة الملك. وأمسكت بذراع سارين. كانت إيثن قصيرة ونحيلة، وشعرها الأشقر البني الأيوني لم يحظه الشيب إلا قليلاً.

قالت إيثن بصوت رفيع: "تعالي يا طفلي، يجب ألا نضيع وقت الملك".

سمحت لها سارين بأن تجذبها عبر واحد من أبواب القاعة الجانبية، ثم تمت بصوت هامس: "بحق دومي الرحيم، ما الذي ورطت نفسي فيه؟".

\*\*\*

"... وستتهجين عندما تفتح الزهور، لقد أمرت البستانيين بأن يزرعوها، لكي تتمكني من شم رائحتها دون حتى أن تميلي خارج النافذة. ولكني أتمنى لو لم تكن بمثل هذه الضخامة".

عقدت سارين حاجبها في حيرة وقالت: "الزهور؟".

أكملت الملكة حديثها دون أن تكاد تتوقف: "لا يا عزيزتي، النوافذ. لا يمكنك أن تصدقي مدى سطوع الشمس عندما تشرق من خلالها في الصباح. لقد طلبت منهم. أعني البستانيين. أن يجلبوا لي زهورًا برتقالية لأنني أحب اللون البرتقالي، ولكن حتى الآن كل ما وجدوه هو بعض الألوان الصفراء الشاحبة. قلت لهم إن كنت أريد زهورًا صفراء لأمرت بزراعة زهور الأبرتين. كان يجب عليك أن تريهم وهم يعتذرون، أنا واثقة من أنه سيكون لدينا بعض الزهور

البرتغالية بحلول نهاية العام القادم. ألا تعتقد أن هذا سيكون جميلًا يا عزيزتي؟ بالطبع لا تزال النوافذ ضخمة للغاية، ربما يُمكنني أن أمر بإغلاق بعضها بالقرميد".

أومات سارين برأسها وهي تشعر باهتمام شديد، لا بالمحادثة، بل بالملكة. كانت تعتقد أن المحاضرين في أكاديمية والدها ماهرون في أن ينطقوا بالكثير من الكلمات دون أن يقولوا شيئًا، ولكن إيشن تتفوق عليهم جميعًا. كانت الملكة تقفز من موضوع لآخر كفراشة تبحث عن مكان لتهبط فيه، ولكنها لا تجد أي مكان مناسب للبقاء فيه لفترة طويلة. ربما كان أي واحد من هذه المواضيع ليصير وقودًا لمحادثة مثيرة للاهتمام، ولكن الملكة لم تسمح لسارين بالتشبث بأي موضوع لوقت طويل لإيفائه حقه.

أخذت سارين نفسًا عميقًا لتهدي نفسها، وهي تحض نفسها على التحلي بالصبر. لا يُمكنها أن تلوم الملكة لكونها هكذا، فمن تعاليم دومي أن كل شخصيات البشر هي هدايا يجب الاستمتاع بها. كانت الملكة جذابة حتى في طريقتها المتعرجة في الحديث. لسوء الحظ بعد لقاء سارين بالملك والملكة بدأت تشعر أنها ستواجه صعوبة في العثور على حلفاء سياسيين في أربيلون.

شيء آخر أزعج سارين، شيء غريب حيال الطريقة التي تتصرف بها إيشن، لا يُمكن لأحد أن يتحدث بنفس القدر الذي تتحدث به الملكة، فهي لم تترك لحظة قمر في صمت. بدا الأمر وكأن المرأة لا تشعر بالارتياح في وجود سارين، وفجأة أدركت سارين ما يحدث، إن إيشن تتحدث في كل موضوع يُمكن أن يحظر على البال باستثناء الموضوع الأكثر أهمية، الأمير الراحل. ضيقت سارين عينيها في رغبة، لا يمكن أن تكون واثقة، فقد كانت إيشن على أي حال امرأة متقلبة، ولكن بدا أن الملكة تتصرف بمرح أكثر من اللازم بالنسبة لامرأة قد فقدت ابنها للتو.

"ها هي غرفتك يا عزيزتي، لقد أفرغنا متاعك وأضفنا بعض الأشياء أيضاً، لديك ملابس من كل لون، حتى الأصفر، رغم أنني لا أتخيل لم قد ترغبين في ارتدائه، لون فطيع. هذا لا يعني أن شعرك فطيع بالطبع، فاللون الأشقر لا يُشبه اللون الأصفر بالطبع، ليس أكثر من الشبه بين الحصان والحضراوات. ليس لدينا حصان من أجلك بعد، ولكن يُمكنك استخدام أي حصان في إسطبلات الملك كما يحلو لك. لدينا الكثير من الحيوانات كما ترين. تكون دولادل جميلة في مثل هذا الوقت من العام".

قالت سارين وهي تتفحص الغرفة: "بالطبع". كانت الغرفة صغيرة ولكنها تناسب ذوقها، فالمساحة الشاسعة تُشعرها بالرهبة تماماً كما تُشعرها المساحة الضيقة بالاختناق.

قالت إيشن: "ستحتاجين إلى هذه يا عزيزتي". كانت تشير بيدها الصغيرة إلى كومة من الملابس لم تكن معلقة مثل البقية، كأنما قد وصلت مؤخراً، وجميع الفساتين التي في الكومة كانت تتشارك سمة واحدة.

سألت سارين: "سوداء؟".

"بالطبع، أنتِ... أنتِ في...". تعثرت الكلمات على لسان إيشن.

قالت سارين وقد أدركت ما تعنيه: "أنا في حداد". راحت تنقر بقدمها على الأرض في استياء، لم يكن الأسود من ألوانها المفضلة.

أومات إيشن برأسها وقالت: "يُمكنك أن ترتدي واحداً منها في الجنازة هذا المساء، ستكون مراسم لاثقة، لقد رتبت لها بنفسني". بدأت تتحدث عن زهورها المفضلة مرة أخرى، وسرعان ما تحول حديثها غير المنقطع إلى خطاب حول مدى كراهيتها للمطبخ الفيوردي. برفق ولكن بحزم اقتادت سارين المرأة إلى الباب وهي تومئ للمرأة بلُطف، وما إن وصلتا إلى الردهة حتى اعتذرت سارين متحججة ببعيها من أسفارها وسدت سيل حديث الملكة بأن أغلقت الباب.

قالت سارين لنفسها: "لن يمضي وقت طويل قبل أن أشعر بالضجر من هذا".

وافقها صوت آش العميق قائلاً: "إن الملكة لديها بالفعل موهبة في الإفراط في الحديث".

سألته سارين: "ما الذي عثرت عليه؟". وهي تقترب من كومة الملابس السوداء لتنتقي من بينها، بينما آش يخلق إلى الداخل عبر النافذة المفتوحة.

"لم أجد العديد من السيونات كما كنت أتوقع. أتذكر بشكل ما أن هذه المدينة كانت تعج بنا ذات يوم".

قالت سارين: "لقد لاحظت هذا أيضاً". بينما تمسك بفستان أمام المرأة، قبل أن تلقيه جانباً وتقول: "أعتقد أن الأمور قد تغيرت".

"لقد تغيرت بالفعل، فقد سألت وفقاً لتعليماتك السيونات الآخرين عما يعرفونه عن موت الأمير المفاجيء. لسوء الحظ يا سيدتي فإهم كانوا مترددين في مناقشة الحادثة، فهم يعتبرون أن موت الأمير قبل زواجه بوقت قصير هو نذير شؤم".

تمتت سارين وهي تخلع ملابسها لتجرب الفستان: "وخصوصاً في حالته. هناك شيء غريب يحدث يا آش، أعتقد أنه ربما شخص ما قد قتل الأمير".

"قتله يا سيدتي؟". كان صوت آش مستكراً ونبض قليلاً أثناء حديثه. "لم قد يفعلون شيئاً كهذا؟".

"لا أعرف ولكن... هناك شيء غريب. لا يبدو هذا كبلاط في حالة حداد، فالملكة - على سبيل المثال - لم تبدُ مكلومة وهي تتحدث إليّ. قد تعتقد أنها ستكون على الأقل منزعة قليلاً لحقيقة أن ابنها قد مات بالأمس".

"هناك تفسير بسيط لهذا يا سيدتي، وربما نسييت أن الملكة إيشن ليست أم الأمير رايودن. كان رايودن ابن زوجة الملك آيادون الأولى، التي ماتت قبل أكثر من اثني عشر عامًا.  
"متى تزوج مرة أخرى؟".

قال آش: "بعد الربود مباشرة، قبل استيلائه على العرش بأشهر قليلة".

عقدت سارين حاجبها وقالت: "ما زلت أشعر بالريبة". مدت يدها وراءها بصعوبة لترتبط الأزوار في ظهر فستانها. ثم نظرت إلى نفسها في المرآة وتفحصت الفستان بعين ناقدة قبل أن تقول: "حسنًا إنه يُلائمني على الأقل، رُغم أنه يجعلني أبدو شاحبة، كنت أخشى إلى حد ما أن ينقطع عند ركبتي، أولئك النسوة الأريليات قصيرات بشكل غير طبيعي".

أجابها آش: "كما ترين يا سيدتي". كان يعرف جيدًا. مثلما تعرف سارين. أن النسوة الأريليات لسن قصيرات إلى هذا الحد، وحتى في تيود كانت سارين أطول من معظم النسوة الأخريات بمقدار رأس. كان أبوها يُناديها عصا الرما وهي طفلة، مستعيرًا الاسم من العمود الطويل الرفيع الذي يحدد خط المرمى في رياضته المفضلة، وحتى بعد امتلاء جسدها في فترة المراهقة كانت سارين لا تزال نحيلة بشكل لا يُمكن إنكاره.

قال آش مُقاطعًا أفكارها: "سيدتي".

"أجل يا آش؟".

"والدك في أمس الحاجة إلى الحديث معك، أعتقد أن لديك بعض الأخبار التي يستحق أن يسمعها".

أومأت سارين برأسها وهي تمتنع نفسها من التنهد، بينما بدأ آش ينبض بسطوع. بعد لحظة ذابت كرة الضوء التي تشكل جوهره لتتحول إلى رأس متوهج؛ إيفينتيو ملك تيود.

تحركت شفقتا الرأس المتوهج بينما أبوها يسأل: "إين؟". كان رجلاً متين البنية برأس بيضاوي وذقن عريض.

"أجل يا أبي، أنا هنا". إن أباه يقف في هذا اللحظة بجانب سيون مشابه . على الأرجح ديو . سيتبدل ليمثل صورة متوهجة لرأس سارين.

سأها إيفينتيو في قلق: "هل أنتِ متوترة بشأن الزفاف؟".

قالت ببطء: "حسنًا، بشأن هذا الزفاف... على الأرجح سترغب في أن تلغي خطتك للمحبيء الأسبوع القادم. لن يكون هناك الكثير لتراه".  
"ماذا؟".

كان آس محققًا، لم يضحك أبوها عندما سمع أن رايودن قد مات. بدلاً من هذا تحول صوته إلى اهتمام حاد وظهر القلق على الوجه المتوهج. تضاعف قلقه عندما شرحت له سارين أن شرط الوفاة قبل الزواج قيد التنفيذ.

قال أبوها: "يوسفني سماع هذا يا إين، أنا أعرف كم كنتِ تتطلعين لهذا الزواج".

"هذا غير صحيح يا أبي". إن إيفينتيو يعرفها جيدًا أكثر من اللازم. "أنا لم ألتقي بالرجل حتى، كيف يُمكن أن يكون لي أي تطوعات؟".

"أنتِ لم تلتقي به ولكنك تحدثتِ معه عبر السيون، وكتبتِ له كل هذه الخطابات، أنا أعرفك يا إين، أنتِ رومانسية. لم تكوني لتقرري المضي قُدماً في هذا الأمر إن لم تُقنعي نفسك تمامًا بأنك يُمكن أن تُحبي رايودن".

كانت الكلمات صحيحة، وفجأة عاد إلى سارين إحساسها بالوحدة. لقد أمضت رحلتها عبر بحر فيوردن في حالة من التوتر وعدم التصديق، وهي متحمسة ومتخوفة في الوقت ذاته من مقابلتها للرجل الذي سيصير زوجها. ولكن حماسها كان أكبر من تخوفها.

لقد ابتعدت عن تيود في مناسبات عديدة، ولكنها كانت دومًا ما تُغادر موطنها بصُحبة آخرين، هذه المرة جاءت بنفسها، فقد سافرت قبل بقية القادمين إلى حفل الزفاف، لكي تُفاجئ رايودن. لقد قرأت خطابات الأمير وأعادتها قراءتها مرات عديدة، حتى باتت تشعر أنها تعرفه، وأن الشخص الذي شكَّلته من هذه الأوراق هو شخص معقد وعطوف، رجل تتوق بشدة لملاقاته.

والآن لن تلقاه، أحست بالمزيد من الوحدة، أحست أنها مرفوضة مرة أخرى، لا أحد يُريدها. لقد انتظرت كل هذه السنوات تُعاني من أب صبور لا يعرف كم يتجنبها رجال موطنها، وكيف يخافون من شخصيتها المباشرة أو حتى المتغطسة. على الأقل وجدت رجلًا مستعدًا لأن يتزوجها، وقد انتزعه دومي منها في اللحظة الأخيرة.

سمحت سارين لنفسها أخيرًا أن تشعر ببعض هذه المشاعر التي كانت تكبح جماحها منذ نزولها من السفينة، كانت مسرورة لأن السيون لا ينقل إلا ملامحها فقط، لأنها كانت ستشعر بالحنين إن رأى أبوها دمعة تسيل على وجنتها.

قالت: "هذا سخيف يا أبي، فهذا مجرد زواج سياسي بسيط، وجميعنا نعرف هذا. الآن هناك قواسم مشتركة بين بلدنا أكثر من اللغة، فقد صار هناك قرابة بين العائلتين الملكيتين".

همس أبوها: "أوه يا عزيزتي... يا صغيرتي سارين. كنت آمل أن ينجح هذا، فأنتِ لا تعرفين كم صليت أنا وأملك لكي تجدي السعادة هناك. آيدوس دومي! لم يكن علينا الموافقة على هذا الأمر".



قالت سارين: "كنت سأجعلك توافق يا أبي، نحن في حاجة ماسة للمعاهدة مع أريلون، لن يتمكن أسطولنا من ردع فيوردن عن شواطئنا لوقت طويل. البحرية السقوردية كلها تحت قيادة الويرن<sup>١٠</sup>".

قال أبوها عبر رابط السيون: "لقد كبرتِ يا صغيرتي".

"كبرتُ وصرت قادرة على أن أزوج نفسي إلى جنة". ضحكت سارين بضعف. "ربما هذا هو الأفضل، لا أعتقد أن الأمير رابودن كان سيُشبه الصورة التي رسمتها عنه، عليك أن ترى أباه".

"لقد سمعت الحكايات، أمل أنها ليست حقيقية".

قالت سارين وقد سمحت لاستيائها من ملك أريلون أن يدد حزنها: "لا شك أن الملك آيادون هو أبغض رجل قد قابلته في حياتي، بالكاد رُحِب بي قبل أن يصرفني لأشغل نفسي مع "التطريز أو أيًا كان ما يسليكن أيتها النسوة" كما قال بنفسه. لو أن الأمير رابودن كان يُشبه والده ولو قليلاً فأنا أفضل حالاً هكذا".

كان هناك صمت قصير قبل أن يقول والدها: "ألا تريدان العودة إلى الوطن يا سارين؟ يُمكنني أن ألغي العقد إذا أردتُ مهما كان ما تنص عليه القوانين".

كان العرض مغرياً، اعترفت لنفسها بهذا، ولكنها ترددت قبل أن تقول أخيراً وهي تمز رأسها: "لا يا أبي، يجب أن أبقى. هذه كانت فكري، وموت رابودن لن يغير من حقيقة أننا بحاجة إلى هذا التحالف، كما أن عودتي إلى الوطن ستكسر التقاليد. كلانا يعرف أن آيادون هو أبي الآن. ليس من المستحب أن تعيدني إلى بيتك".

---

<sup>١٠</sup> الويرن: هو لقب يُمنح لإمبراطور فيوردن وقائد الكنيسة الدبريثية في كوكب سيل الذي يُعد جزءاً من عالم الكوزمير، الذي تدور فيه أحداث العديد من روايات الكاتب.

"سأكون دومًا أبأك يا إين، لعنة دومي على التقاليد. أبواب تيود دومًا مفتوحة لك".

قالت سارين بمدوء: "شكرًا لك يا أبي، كنت بحاجة إلى سماع هذا، ولكني ما زلت أعتقد أن عليّ البقاء، مؤقتًا على الأقل. كما أن الأمر قد يكون مثيرًا للاهتمام، فلدي بلاط جديد مليء بالناس الذين يُمكنني اللعب معهم".

قال أبوها في تخوف: "إين... أنا أعرف هذه النبرة، ما الذي تخططين له؟".

قالت: "لا شيء، هناك فقط بعض الأشياء التي أرغب في دس أنفي فيها قبل أن أتخلى تمامًا عن هذا الزواج".

ساد الصمت للحظة ثم ضحك والدها وقال: "فليحلمهم دومي، إنهم لا يعرفون ما أرسلته إليهم. رفقًا بهم يا عصا الرما، لا أريد أن أتلقى رسالة من الوزير نايولن في غضون شهر تُخبرني أن الملك آيادون قد ركض لينضم إلى أحد الأديرة الكوراثية، وأن الأريبيين قد نصبوك ملكة بدلًا منه".

قالت سارين بابتسامة شاحبة: "لا بأس، سأنتظر شهرين على الأقل إذن".

انفجر والدها مرة أخرى في نوبة من ضحكاته المميزة، وبدا أن هذا قد أفادها أكثر من تعازيه ونصائحه. قال بعد أن هدأت ضحكاته: "انتظري دقيقة يا إين، دعيني أحضر والدتك، سترغب في الحديث معك". وبعد لحظة من الضحك أكمل قائلاً: "سُغشى عليها عندما أخبرها أنك قد قتلت المسكين رابودن بالفعل".

قالت سارين: "أبي!". ولكنه كان قد اختفى..

## الفصل الثالث

لم يَحْيَ أي من شعب أريلون مُخْلِصَهُمْ عندما وصل، إنها إهانة، ولكنها كانت متوقعة. إن شعب أريلون . وخاصة أولئك الذين يعيشون بالقرب من مدينة إيلانتريس سيئة السمعة . معروفون بحياتهم المهرطقة المارقة. لقد جاء هرائن لتغيير هذا، لقد قضى ثلاثة أشهر يُقنَع مملكة أريلون بأسرها باعتناق ديانته وإلا فإن جادث<sup>١١</sup> المقدس . سيد كل الخلق . سيدمرها.

خطا هرائن هابطاً من السفينة عبر الجسر الخشبي المؤدي إلى أرصفة الميناء بصخبها المتواصل من التحميل والتفريغ، ومن وراء الأرصفة تمتد مدينة كاي. ووراء كاي بمسافة قصيرة كان هرائن قادراً على رؤية الأسوار الحجرية الشاهقة؛ مدينة إيلانتريس القديمة. على الجانب الآخر من كاي إلى يسار هرائن كانت الأرض ترتفع في منحدر حاد إلى تل مرتفع، سفح التل الذي سيصير لاحقاً جبال دائريكي، ومن وراء هرائن كان المحيط.

عموماً لم يكن هرائن منبهراً، في العقود الماضية كان هناك أربع مدن صغيرة تحيط بإيلانتريس، ولكن وحدها كاي . عاصمة أريلون الجديدة . لا تزال مأهولة بالسكان. كانت كاي فوضوية للغاية، وممتدة للغاية بحيث لا يُمكن الدفاع عنها، وبدا أن تحصيناتها الوحيدة عبارة عن سور صغير بارتفاع خمسة أقدام من الحجر، يُعتبر حدًا أكثر من كونه تحصينًا.

سيكون الانسحاب إلى إيلانتريس صعباً، ولن يكون مفيداً للغاية، ستوفر مباني كاي غطاءً رائعاً للقوة الغازية، والعديد من مباني كاي الخارجية تبدو وكأنها قد بُنيت ملاصقة لأسوار إيلانتريس.

<sup>١١</sup> جادث: يُعد تاريخياً إله العالم السفلي في فيوردن، والمعتقد السائد هو أن مملكة جادث موجودة تحت الأرض وليس في السماوات.

لم تكن هذه أمة معتادة على الحرب، ومع هذا من بين كل الممالك في قارة سيكلا<sup>١٢</sup>. الأرض التي يطلق عليها الأريليون اسم أوبيلون. وحدها أريليون نجت من الخضوع إلى سيطرة الإمبراطورية الفيوردية، وهذا بالطبع شيء سيغيره هراثن قريبًا.

خطا هراثن مبتعدًا عن السفينة، وقد أثار وجوده حفيظة الناس، توقف العمال عن عملهم أثناء مروره وهم يحدقون إليه في ذهول وانبهار، انقطعت المحادثات عندما وقعت عليه أعين الناس. لم يبطئ هراثن من أجل أي شخص، ولكن هذا لم يكن مهمًا لأن الناس كانوا يفسحون له الطريق بسرعة. ربما كان السبب عينيه، ولكنه على الأرجح دروعه، فقد كانت حمراء قانية وتلمع في ضوء الشمس. كانت دروع الكاهن الأكبر الديريني الإمبراطوري المعدنية مشهدًا مهيبًا حتى بعدما يعتاد المرء رؤيتها.

بدأ يفكر أنه سيكون عليه أن يجد طريقه بنفسه إلى الكنيسة الديرينية بالمدينة عندما رأى بقعة حمراء تشق طريقها إليه عبر الحشد. سرعان ما تحولت البقعة إلى رجل أصلع قصير يرتدي الروب الديريني الأحمر. صاح الرجل: "سيدي هراثن!".

توقف هراثن في موضعه وهو يسمح لفيون. الأرتيث<sup>١٣</sup> الديريني الأكبر في كاي. بأن يقترب منه. زفر فيون وهو يمسخ جبهته بمنديل حريري قبل أن يقول: "أنا آسف للغاية يا مولاي، لقد ذكر السجل أنك ستأتي على سفينة أخرى. لم أعرف أنك على متن السفينة حتى بدأت في إنزال حمولتها. يؤسفني أنني اضطررت لترك العربة ورائي، فلا يمكنني أن أجعلها تشق الطريق وسط هذا الحشد".

---

<sup>١٢</sup> سيكلا: الكلمة الفيوردية التي تشير إلى القارة التي تتضمن كل الأمم باستثناء تيود، ويطلق عليها في اللغة الأيونية اسم أوبيلون.  
<sup>١٣</sup> الأرتيث: هو من يحصل على رتبة كاهن في الديانة الديرينية، وهو أقل مرتبة في الكهنوت ممن يُمكنهم ترأس كنيسة.

ضيق هرائن عينيه في استياء ولكنه لم يقل شيئاً، واصل فيون الثرثرة، قبل أن يقرر أخيراً أن يصحب هرائن إلى الكنيسة الديرية، وهو يعتذر مرة أخرى عن عدم وجود وسيلة نقل. سار هرائن وراء دليله البدين بخطوات محسوبة، وهو لا يزال يشعر بعدم الرضا. كان فيون يهرول بابتسامة على شفثيه وهو يلوح من آن لآخر للمارة في الشوارع ويلقي عليهم بالتحية. كان الناس يجيبونه بلطف، على الأقل إلى أن يروا هرائن، وعباءته الحمراء القانية تحقق وراءه، ودروعه المهولة ذات الزوايا الحادة والخطوط الصارمة. حينها يلوذون بالصمت وتلاشى التحيات وأعينهم تتبع هرائن حتى يختفي. هكذا يجب أن يكون الأمر.

كانت الكنيسة عبارة عن مبنى حجري طويل، تغطي جدرانه مفروشات حمراء زاهية، وبه أبراج شاهقة. هنا على الأقل وجد هرائن بعض الفخامة التي اعتاد عليها، ولكن واجهه بالداخل مشهد مزعج، حشد من الناس منخرطون في نشاط اجتماعي ما. كان الناس يروحون ويجيبون متجاهلين الهيكل المقدس الذي يقفون فيه، يضحكون ويمزحون. كان هذا أكثر من اللازم، لقد سمع هرائن التقارير وصدقها، والآن تيقن من الأمر.

قال هرائن: "اجمع كهنتك يا أرتيث فيون". كانت هذه أول كلمات ينطق بها منذ وصوله إلى أريلون.

جفل الأرتيث كأنما تفاجأ لسماع الصوت الصادر عن ضيفه المميز. قال وهو يشير بيده لفض الحشد: "أمرك سيدي".

استغرق الأمر وقتاً طويلاً بشكل مزعج، ولكن هرائن انتظر بصبر وبوجه خالٍ من التعبيرات. عندما غادر الناس اقترب من الكهنة وحذاء درعه يقرع على أرضية الكنيسة الحجرية. عندما تحدث أخيراً كانت كلماته موجهة إلى فيون.

قال مستخدمًا اللقب الديرثي للرجل: "أيها الأرتيث، السفينة التي جلبتني إلى هنا ستغادر إلى فيوردن في غضون ساعة، وأنت ستكون على متنها".

فغر فيون فاه في دهشة وقال: "ماذ...". <https://t.me/fantazynov>

قال هراثن بجدة: "تحدث بالفيوردية يا رجل! لا شك أن عشر سنوات بين الأريليين المارقين لم تفسدك إلى حد أن تنسى لغتك الأم، أليس كذلك؟".

أجابه فيون وهو ينتقل من اللغة الآيونية إلى اللغة الفيوردية: "ولكن أنا...".

قاطع هراثن مرة أخرى: "يكفي! لقد تلقيتُ الأوامر من الويرن نفسه، لقد قضيت وقتًا أطول من اللازم في الثقافة الأريلية حتى إنك نسيت نداءك المقدس. ولم تعد قادرًا على رؤية التقدم الذي تحرز هراطورية جادث. هؤلاء الناس لا يحتاجون إلى صديق، بل إلى كاهن، كاهن ديرثي. قد يظن المرء أنك كوراثي عندما يراك تتآخى معهم. نحن لسنا هنا لنحب الناس، نحن هنا لمساعدتهم، لذا سترحل".

تهاوى فيون بظهره إلى أحد أعمدة الحجرة وعيناه متسعتان، بينما شفتاه ترتعشان وهو يقول: "ولكن من سيصير أرتيث الكنيسة الأكبر في غيايبي يا سيدي؟ الأراتثة الآخرون يفتقرون إلى الخبرة".

قال هراثن: "هذه لحظات فارقة أيها الأرتيث، سأبقى في أريلون لأوجه العمل هنا بنفسي. فلبوفلك جادث".

\*\*\*

كان يأمل أن ينال مكتبًا يطل على مشهد أفضل، ولكن الكنيسة رغم فخامتها لم يكن بها طابق ثانٍ، لحسن الحظ أنهم اعتنوا جيدًا بالطابق السفلي، وكان مكتبه . حجرة فيون القديمة . يطل على أسيجة من الأشجار المشذبة بشكل جميل، وأحواض الزهور المتراسة بعناية .

بعدما نظف الجدران من اللوحات . معظمها مشاهد طبيعية زراعية . وتخلص من متعلقات فيون الشخصية العديدة اقتريت الحجرة من مستوى النظام الوقور اللائق من أجل جيورن<sup>١٤</sup> ديريشي . كل ما تحتاج إليه هو بعض المفروشات الجدارية، وربما درع أو اثنتان .

أومأ هراثن لنفسه قبل أن يولي اهتمامه إلى اللقافة الموجودة على مكتبه التي تحوي الأوامر الموجهة إليه . بالكاد جرؤ على حملها بيديه النجستين، لقد كرر الكلمات مرارًا وتكرارًا وطبعها في روجه بحيثتها المادية ومعناها اللاهوتي .

"سيدي... مولاي؟" . ناداه صوت خافت باللغة الفيوردية .

رفع هراثن عينيه، دلف فيون إلى الحجرة ثم جثا على الأرض خاضعًا وجبينه يكاد أن يحتك بالأرض . سمح هراثن لنفسه بالابتسام، رغم علمه بأن الأريث التائب لا يُمكنه أن يرى وجهه، ربما لا يزال هناك أمل من أجل فيون .

قال هراثن: "تحدث" .

"لقد أخطأت يا مولاي، لقد تصرفت بشكل يتعارض مع خطط سيدنا جادث" .

"كانت خطيئتك هي الرضا أيها الأريث، لقد دمّرت القناعة أمّا أكثر من أي جيش، وقد حصدت أرواح رجال أكثر من هرطقات إيلانتريس" .

---

<sup>١٤</sup> الجيورن: هو الأعلى مرتبة في الكهنوت الديرشي . باستثناء الجرادجت وهو الكاهن الذي يتزعم ديزًا .

"هذا صحيح يا سيدي".

قال هراثن: "ما زال عليك الرحيل أيها الأرتيث".

تهدل كتفا الرجل وهو يقول: "ألا يوجد أي أمل لي إذن يا سيدي؟".

"هذه هي حماقة الأريلي تتحدث أيها الأرتيث وليس كبرياء الفيوردي". مد هراثن يديه ليُمسك بكتفي الرجل ويقول أمرًا: "انفض يا أخي!".

رفع فيون عينيه وقد عاد إليهما الأمل.

"لقد تلوث عقلك بالأفكار الأريلية، ولكن روحك لا تزال فيوردي. أنتم شعب جادث المختار، كل الفيورديين لهم دور في خدمة إمبراطوريتهم. عد إلى الوطن والتحق بأحد الأديرة لتتعرف من جديد على الأشياء التي نسيتهما، وستمنح وسيلة أخرى تخدم بما الإمبراطورية".

"أجل يا سيدي".

أمسكه هراثن بقوة أكبر وهو يقول: "فلتفهم هذا قبل رحيلك أيها الأرتيث، إن وصولي بركة لا يُمكنك تصورها، لا يُمكنك أن تفهم كل صنائع جادث، وإياك أن تحاول أن تتكهن بما سيفعله إهنا". صمت وهو يفكر فيما يجب أن يفعله تاليًا، وبعد لحظة حسم أمره، هذا الرجل لا يزال مفيدًا. كان لدى هراثن فرصة نادرة لإصلاح الكثير مما أفسدته أريلون في روح فيون بضربة واحدة. "انظر هناك على الطاولة أيها الأرتيث، اقرأ هذه اللقافة".

نظر فيون ناحية المكتب وعثرت عيناه على اللقافة مستقرة عليه. ترك هراثن كتف الرجل ليسمح له بأن يلتفت حول المكتب ويقرأ اللقافة.

قال فيون وهو يُمسك باللقافة: "هذا هو الختم الرسمي للويرن نفسه".



قال هراثن: "ليس الختم فحسب أيها الأرتيث، هذا هو توقيعه أيضاً، اللفافة التي تحملها قد خطّها قداسته بنفسه. هذا ليس مجرد خطاب، بل نص مقدس".

انفتحت عينا فيون على اتساعهما وبدأت أصابعه ترتجف وهو يقول: "الويرن نفسه؟". وعندما أدرك تماماً ما يحمله بيديه النجستين ألقى بالمخطوطة على المكتب بصرخة خافتة، ولكن عينيه لم تبتعدا عن الخطاب. كان في حالة ذهول وهو يقرأ الكلمات بنهم رجل جائع يلتهم قطعة من اللحم. قلة من الناس قد أُتيحت لهم الفرصة لقراءة الكلمات المكتوبة بيد نبي جادث؛ الإمبراطور المقدس.

منح هراثن الكاهن الوقت الكافي لقراءة اللفافة مرارًا وتكرارًا، وعندما رفع فيون عينيه أخيرًا كان هناك فهم وامتنان على ملامحه. كان الرجل ذكيًا بما يكفي، ويعرف ما كانت ستتطلبه منه هذه الأوامر إن ظل هو المسئول عن كاي.

تمتم فيون: "شكرًا لك".

أوما هراثن برأسه في وقار وقال: "هل كان بمقدورك أن تفعلها؟ هل كان بمقدورك أن تنفذ أوامر الويرن؟".

هز فيون رأسه وعيناه تنظران إلى المخطوطة قبل أن يقول: "لا يا مولاي، لم أكن لأقدر... لم أكن لأقدر على تنفيذ العمل أو حتى التفكير فيه بوجود هذا العبء على ضميري، أنا لا أحسدك على المكان الذي أنت فيه يا سيدي، ليس بعد الآن".

قال هراثن: "عد إلى فيوردن بمباركتي يا أخي". ثم أخرج مطروحًا صغيرًا من حقيبة على الطاولة وقال: "أعط هذا للكهنة هناك، إنها رسالة مني تُخبرهم بأنني قبلت إعادة تكليفك بكل إجلال يليق بواحد من خدام جادث. سيرون أنك قد ألحقت بأحد الأديرة، ربما سيُسمح لك يومًا بقيادة كنيسة مرة أخرى، كنيسة داخل حدود فيوردن".

"أجل يا سيدي. شكراً لك يا سيدي".

انسحب فيون مُغلّقاً الباب وراءه. مشى هراثن إلى مكتبه وأخرج من حقيبة الرسائل مظروفاً آخر، يبدو ظاهرياً مُطابقاً للمظروف الذي أعطاه لفيون. أمسكه لبضع لحظات ثم التفت إلى واحدة من شموع المكتب، الكلمات التي يحويها والتي تدين الأريث فيون باعتباره خائناً ومرتدّاً لن يقرأها أحد أبداً، ولن يعرف الأريث المبتهج المسكين قدر الخطر الذي كان معرضاً له.

\*\*\*

"بعد إذنك يا سيدي الجيرون". قالها كاهن وهو ينحني، دورفن<sup>١٥</sup> قليل الشأن قد خدم تحت إمرة فيون لأكثر من عقد. لُوّح هراثن بيده ساعماً للرجل بالمغادرة. انغلق الباب بصمت بينما الكاهن يتراجع مبتعداً عن الحجر.

لقد أضر فيون باتباعه، حتى أصغر ضعف قد يبني أوجه قصور هائلة على مدار عقدين من الزمان، ولم تكن مشكلات فيون صغيرة. كان الرجل متساهلاً بشكل صارخ، فكان يدير الكنيسة بدون نظام، منحنيّاً أمام الثقافة الأريلية، بدلاً من أن يجلب إلى الناس القوة والانضباط، نصف الكهنة الذين خدموا في كاي صاروا فاسدين بشكل ميؤوس منه، بما فيهم رجل جديد لم يمضِ في المدينة سوى ستة أشهر. في غضون الأسابيع القليلة القادمة سيرسل هراثن أسطولاً كبيراً من الكهنة عائدين إلى فيوردن. سيتعين عليه اختيار كبير أرائنة من بين من تبقوا، أو القلة الذين سيبقون.

جاء طرق على الباب فقال هراثن: "ادخل". كان يلتقي بالكهنة واحداً تلو الآخر، وقد أحس بمدى الدنس فيهم. لم يشعر بالإعجاب تجاه الكثير منهم حتى هذه اللحظة.

---

<sup>١٥</sup> الدورفن: أدنى مرتبة في الكهوت الديرثي.

قال الكاهن وهو يُعرِّف نفسه بعد دخوله: "الأرثيث ديلاف".

رفع هراثن عينيه، كان الاسم والكلمات فيوردية، ولكن اللهجة كانت غريبة بعض الشيء، لقد بدت... "أنت أريلي؟". قالها هراثن في دهشة.

انحنى الكاهن بالقدر المناسب من الخنوع ولكن كان بعينه شيء من التحدي.

سأله هراثن: "كيف صرت كاهنًا ديريثيًا؟".

قال الرجل بصوت حاد: "أردت أن أخدم الإمبراطورية. لقد هداني جادث".

أدرك هراثن أن ما في عيني الرجل ليس تحديًا، بل حماسًا دينيًا. نادرًا ما يجد المرء متعصبين دينيين في الديانة الديرثية، عادة ما ينجذب هؤلاء الأشخاص إلى الفوضى المسعورة في الباطنية العسكرية بدلًا من التنظيم العسكري في ديانة شو-ديرث. ولكن وجه هذا الرجل كان يحترق بشغف متعصب. لم يكن هذا شيئًا سيئًا، فرغم أن هراثن نفسه يزدري مثل هذا الافتقار إلى السيطرة، إلا أنه في كثير من الأحيان يجد المتعصبين أدوات مفيدة.

قال هراثن بدقة: "جادث يهدي الجميع، كن أكثر وضوحًا".

"لقد التقيت بأرثيث ديريثي في دولادل قبل اثني عشر عامًا، دعاني إلى الإيمان فأمنت. لقد منحني نسختين من الدو-كاندو والدو-ديرث، وقرأتهما في ليلة واحدة. أرسلني الأرثيث المقدس عائدًا إلى أريلون لأساعد في تبشير الناس في وطني، وأقمت في ناين، لقد بشرت هناك لسبعة أعوام حتى سمعت أن هناك كنيسة ديرثية قد بُنيت في كاي نفسها. لقد تغلبت على بغضي للإيلانترين وعرفت أن جادث المقدس قد أنزل عليهم عقابًا أبدئيًا، فجننت لألتحق بإخوتي الفيوردين.

لقد جلبت معي من آمنوا على يدي، نصف المؤمنين في كاي قد جاؤوا معي من ناين. لقد أعجب فيون بمخابرتي ومنحني لقب أرتيث وسمح لي بأن أوصل التبشير".

فرك هرائن ذقنه مفكرًا وهو يتأمل الكاهن الأريلي ثم قال: "أنت تعرف أن ما فعله الأرتيث فيون كان خاطئًا".

"أجل يا سيدي، لا يمكن لأرتيث أن يُعين شخصًا آخر في منصبه. عندما أتحدث إلى الناس لا أشير إلى نفسي ككاهن من شو-ديريث، بل مبشر فحسب".

مبشر بارع للغاية، أحس هرائن بهذا من نبرة صوت ديلاف، ثم سأله: "ما رأيك في الأرتيث فيون؟".

"كان أحقق غير منضبط، إن تراخيه قد منع مملكة جادث من الازدهار في أربلون، وجعل ديانتنا أضحوكة".

ابتسم هرائن، فرغم أن ديلاف ليس من العرق المختار إلا أنه يفهم تعاليم ديانته وثقافتها، ولكن حماسه قد تكون خطيرة. إن الحماس الجامح في عيني ديلاف كان بالكاد تحت السيطرة، سيكون عليه إما أن يُراقبه عن كثب أو أن يتخلص منه.

قال هرائن: "يبدو أن الأرتيث فيون قد فعل شيئًا واحدًا صحيحًا، رغم أنه لم يكن يملك السلطة لهذا". التهبت عينا ديلاف ببريق أكبر مع سماعه لهذا التصريح. "سأجعل منك أرتيثًا كاملاً يا ديلاف".

أخنى ديلاف فلمس رأسه الأرض. كان سلوكه فيوردياً على أكمل وجه، ولم يسمع هرائن من قبل أي شخص أجنبي يتحدث اللغة المقدسة بمثل هذه الطلاقة. قد يُثبت هذا الرجل أنه مفيد، فقد كانت إحدى الشكاوى الشائعة ضد ديانة شو-ديريث هي أنها تحايي الفيوردين.

سيئبت الكاهن الأريلي أن الجميع مرحب بهم داخل إمبراطورية جادث، حتى لو كانت أكثر ترحيبًا بالفيورديين.

هنا هراثن نفسه على صنع مثل هذه الأداة المفيدة، وهو يشعر بالرضا التام، حتى اعتدل ديلاف من الخنائه وهو ينظر إليه. كان الشغف لا يزال موجودًا في عيني ديلاف، ولكن كان بهما شيء آخر؛ الطموح. عقد هراثن حاجبيه وهو يتساءل إن كان الرجل قد تلاعب به. لم يتبق سوى شيء واحد لفعله. "قل لي أيها الأرتيث، هل أقسمت بقسم الأوديف لأي رجل آخر".

اتسعت عينا ديلاف في دهشة وهو يحدق إلى هراثن، وقد لمع فيهما التردد، قبل أن يقول: "لا يا سيدي".

"حسنًا، سأجعلك لي إذن".

"سيدي... أنا خادمك المتواضع بالطبع".

قال هراثن: "ستكون أكثر من هذا أيها الأرتيث. إن أصبحت أوديفًا<sup>١٦</sup> لي فسأصير أنا هرودن<sup>١٧</sup> لك. ستصير ملكي قلبًا وروحًا. إن كنت ستتبع جادث فستتبعه من خلالي. إن خدمت الإمبراطورية فسيكون هذا تحت إمرتي، كل ما تفكر فيه أو تفعله أو تقوله سيكون بتوجيهاتي، هل فهمتني؟".

---

<sup>١٦</sup> الأوديف: هو نصف رابط القسم الديرثي. فالمجتمع الديرثي مبني على أن كل شخص يتصل بجادث، فالعامة يقسمون بالرابط إلى كهنتهم، والكهنة يقسمون بالرابط إلى الكهنة الأعلى مرتبة منهم، وهكذا حتى تنتهي السلسلة بالويرن، وهو الوحيد الذي يخدم جادث. هناك نوعان من القسم، قسم الأوديف-هرودن، وقسم الكروندت-هرودن.

<sup>١٧</sup> الهرودن: تعني السيد، ويجب على الأوديف أن يُلبي كل ما يأمره به الهرودن.

تأججت النيران في عيني ديلاف وهو يهتف: "أجل". إن حماس الرجل لن يسمح له برفض مثل هذا العرض، على الرغم من أن رتبته المتدنية كأرتيث لن تتغير، إلا أن كونه أوديقًا بالنسبة لجيرون سيمنحه قدرًا كبيرًا من السلطة والاحترام. سيكون عبدًا لهرائن، وهذه العبودية سترفع من مكانته. كان شيئًا لا يفعله إلا فيوردي، إن الطموح هو الشعور الوحيد الذي يقبله جادث بسهولة مثل الإخلاص.

قال هرائن: "جيد. إذن فأول أمر لك هو أن تلتحق بالكاهن فيون، يجب أن يكون قد صعد على متن السفينة المتوجهة إلى فيوردن في هذه اللحظة، أريد منك أن تتيقن من أنه قد فعل هذا، وإن هبط فيون عن السفينة لأي سبب فلتقتله".

"أمرك يا سيدي الجيرون". أسرع ديلاف خارجًا من الحجرة، لقد صار لديه أخيرًا متنفس لحماسه، كل ما كان على هرائن أن يفعله هو أن يُبقي هذا الحماس مركزًا في الاتجاه الصحيح.

وقف هرائن للحظة بعد رحيل الأربلي ثم هز رأسه وعاد إلى مكتبه. كانت اللفافة لا تزال موضوعة حيث سقطت من أصابع فيون الدنسة. أمسك بها هرائن في إجلال وهو يتنسم. لم يكن من الرجال الذين يبتهجون بما يمتلكونه، كان يصوب نظره على أهداف أعظم من مجرد تكديس الحلبي عديمة الجدوى. ومع ذلك يأتيه في بعض الأحيان شيء فريد من نوعه، فيبتهج هرائن لأنه ببساطة يمتلك هذا الشيء. لم يكن يقتني شيئًا كهذا لنفعه أو لقدرته على إثارة إعجاب الآخرين، ولكن لكي يحظى بامتياز امتلاكه، وكانت اللفافة واحدة من هذه الأشياء.

لقد كُتبت أمام هرائن بيد الويرن نفسه، كان وحيًا مباشرًا من جادث، نصًا مقدسًا خصَّ به رجلًا واحدًا. قلة من الناس قد التقوا برسول جادث، وحتى بين الجيورنات كان لقاءه شخصيًا شيئًا نادرًا، أن تتلقى أوامر مباشرة من يد الويرن... كان هذا هو اسمي شرف يُمكن أن يناله المرء.

أجال هرائث عيينه على الكلمات المقدسة مرة أخرى، رغم أنه قد حفظ كل تفاصيلها منذ وقت طويل.

فلتسمع وتِعِ كلمات جادث من خلال عبده الويرن وولفدين الرابع، الإمبراطور والملك.

ابنا الكاهن الأكبر، أذنتُ لك بما طلبت. فلتنذهب إلى شعوب الغرب المارقة وتحذرهم تحذيري الأخير، فإمبراطوريتي أبدية ولكن صبري سينفذ قريبًا، لن أرقد لوقت أطول داخل قبر صخري. لقد اقترب يوم الإمبراطورية، وسيُشرق مجدي قريبًا، شمس ثانية ستوهج من فيوردن.

إن أمتي أربلون وتيود الوثنيتين قد لطختنا أرضي بندوب سوداء طويلًا بما يكفي. لقد خدم كهنتي لثلاثئة عام بين هؤلاء الذين دنستهم إيلانتريس، ولم يستجب لندائي إلا قلة منهم. فلنعرف هذا أيها الكاهن الأكبر، إن محاربي المخلصين مستعدون ولا ينتظرون سوى كلمة من تابعي الويرن. لديك ثلاثة أشهر لدعوة شعب أربلون للإيمان، ومع انتهاء هذه المدة سينقض جنود فيوردن المخلصون على هذه الأمة كالسباع المفترسة، لتنهش وتمزق الحياة الدنسة هؤلاء الذين لم يستجيبوا لكلماتي. ثلاثة أشهر فقط ستمضي قبل تدمير كل من يعارضون إمبراطوريتي. لقد اقتربت لحظة الانقضاء يا بني، كُن جسورًا وكُن مثابًا.

كلمات جادث، سيد كل الخلق، من خلال عبده الويرن وولفدين الرابع، إمبراطور فيوردن، وني الشو-ديريث، وحاكم مملكة جادث المقدسة، والوصي على كل الخلق.

لقد حان الوقت أخيرًا، لا يُقاومهم سوى أمتين، لقد استعادت فيوردن مجدها السابق، المجد الذي ضاع قبل مئات الأعوام عندما انهارت الإمبراطورية الأولى، ومن جديد لا يوجد سوى

مملكيتين وحيدتين في العالم المعروف تقاومان حُكم فيوردن؛ أريلون وتيود. هذه المرة ستنتصر فيوردن مع قوة نداء جادث المقدس من ورائها. ومن ثم سيتوحد كل البشر تحت حكم الويرن، وسينهض جادث من على عرشه تحت الأرض ويحكم في مجد جليل.

وسيكون هراثن هو المسئول عن هذا، فواجبه الملح هو إدخال أريلون وتيود في ديانتهم، لديه ثلاثة أشهر لتغيير المعتقد الديني لثقافة كاملة. إنها مهمة هائلة ولكن من الضروري أن تنجح، فإن لم ينجح ستدمر جيوش فيوردن كل مخلوق حي في أريلون، وسرعان ما ستلحق بما تيود، فالأمتان اللتان لا يفرق بينهما سوى الماء كانتا تتشاركان العرق والدين والعناد.

ربما لا يعرف الناس هذا بعد، ولكن هراثن هو الشيء الوحيد الذي يحول بينهم وبين الإبادة التامة. لقد قاوموا جادث وشعبه في تحدٍّ متعجرف لزمان طويل، إن هراثن هو فرصتهم الأخيرة. يوماً ما سيسمونه المُحَلِّص.



## الفصل الرابع

صرخت المرأة حتى تعبت؛ تتوسل من أجل النجدة، من أجل الرحمة، تتوسل إلى دومي. كانت تخمش بأظفارها البوابة العريضة فتركت آثارًا على طبقة الوحل. وفي النهاية هوت إلى الأرض متكومة على نفسها، وهي ترتجف بنحيبها المتقطع. عندما رأى رايودن معانقها تذكر ألمه، الوخز الحاد في إبهام قدمه، وخسارته لحياته بالخارج.

هس جالادون: "لن ينتظروا أكثر من هذا". ثم أمسك ذراع رايودن بجزم، ليجذب الأمير إلى الوراء.

وأخيرًا اعتدلت المرأة واقفة على قدميها وهي تبدو مذهولة كأنما قد نسيت أين هي. قطعت خطوة واحدة مترددة إلى يسارها وهي تنكئ إلى الجدار براحة يدها، كأنما تلتمس منه الراحة، كأنما هو شيء يربطها بالعالم الخارجي وليس حاجزًا يفصلها عنه.

قال جالادون: "لقد انتهى الأمر".

سأله رايودن: "بمذه البساطة؟".

أومأ جالادون برأسه وقال: "هذا أفضل اختيار لها، أو أقرب ما يكون إليه".

تحركت الظلال في زقاق على الناحية المقابلة من الباحة. كان رايودن وجالادون يُراقبان بالداخل مبنى حجريًا متداعيًا، من تلك المباني العديدة التي تصطف في باحة الدخول إلى إيلانتريس. تحولت الظلال إلى مجموعة من الأشخاص يقتربون من المرأة بخطوات حازمة محسوبة ليحيطوا بها. مدت واحدة منهم يدها لتأخذ سلة القرابين منها. خارت قوى المرأة تمامًا، فلم تقدر على

المقاومة وانهارت مرة أخرى. أحسَّ رايودن بأصابع جالادون تنغرس في كتفه عندما تقدم للأمام لا إرادياً وهو يرغب أن يندفع لمواجهة اللصوص.

همس جالادون: "هذه فكرة سيئة يا سول، احتفظ بشجاعتك لنفسك. إن كان ألم إبهامك يكاد أن يُفقدك الوعي، ففكر كيف سيكون شعورك عندما تكسر إحدى هذه المراوات رأسك الصغير الشجاع".

أوما رايودن برأسه واسترخى. لقد سُرقت المرأة، ولكن لم يبذُ أنها معرضة لخطر آخر. ورغم هذا يحز في النفس مُراقبتها، لم تكن فتاة صغيرة، بل كانت تحمل هيئة امرأة معتادة على الولادة أو تدير شؤون عائلة. إنها أم وليست فتاة. كانت ملامحها الصارمة تشي بحكمة وشجاعة ناجمتين عن حياة شاقّة، وهذا جعل مراقبتها أكثر صعوبة بطريقة ما. إن كانت إيلانتريس قادرة على هزيمة امرأة كهذه فأى أمل هناك من أجل رايودن.

أكمل جالادون: "قلت لك إنها أحسنت الاختيار، ربما تكون قد خسرت بضعة أرتال من الطعام، ولكن ليس بما أي جروح. إن انعطفت يميناً. كما فعلت أنت يا سول. لصارت تحت رحمة رجال شايبور الأوغاد، وإن تقدمت للأمام لزعم أندين بحقه في قرابينها. إن الانعطاف للييسار هو الخيار الأفضل قطعاً. ربما يأخذ رجال كاراتا طعامك ولكنهم نادراً ما يؤذونك. من الأفضل أن تجوع على أن تقضي بضع السنوات التالية بذراع مكسورة".

سأله رايودن: "بضع السنوات التالية؟". ثم أبعد عينيه عن الباحة ليتأمل رفيقه الطويل الأسمر. "ظننت أنك قلت إن جروحنا ستستمر إلى الأبد".

"نحن نفترض هذا فحسب، فلترني إيلانترى قد تمكن من الحفاظ على عقله حتى تنتهي الأبدية، وربما سيكون قادراً على إثبات هذه النظرية".

"كم يقضي المرء هنا عادة؟".

قال جالادون: "سنة، ربما سنتين".

"ماذا؟".

"ظننت أننا خالدون، أليس كذلك؟ نحن لا نشيخ ولكن هل هذا يعني أننا نعيش إلى الأبد؟".

قال رابودن: "لا أعرف، ظننت أنك قلت إننا لا نموت".

قال جالادون: "لا يُمكن أن نموت، ولكن الجروح والكدمات والرضوض... إنها تتراكم ولا يمكن للمرء أن يتحمل فوق طاقته".

سأله رابودن بصوت خافت: "هل يقتلون أنفسهم؟".

"هذا ليس خيارًا، معظمهم يتكلمون على أنفسهم في الأثناء وهم يتمتمون أو يصرخون، رولوس مساكين".

"منذ متى وأنت هنا إذن؟".

"بضعة أشهر". هذه الحقيقة كانت صدمة أخرى، تراكمت فوق الكومة المترنحة بالفعل. لقد افترض رابودن أن جالادون قضى في إيلانتريس بضع سنوات على الأقل. هذا الدولادي يتحدث عن الحياة في إيلانتريس كأنما كانت وطنه لعقود، وقد كان بارعًا إلى حد مثير للإعجاب في شق طريقه عبر شوارع المدينة الضخمة.

أعاد رابودن نظره إلى الباحة ولكن المرأة كانت قد اختفت بالفعل، ربما كانت خادمة في قصر أبيه، أو زوجة تاجر ثري، أو ربة بيت متواضعة. لا يفرق الشايود بين الطبقات الاجتماعية، فيصيب الجميع على حد سواء. كانت قد اختفت بعد أن ابتلعها تلك الهاوية المسماة إيلانتريس. كان من المفترض أن يقدر على مساعدتها.

تمتم رايودن: "كل هذا من أجل رغيغ من الخبز وقليل من الخضراوات الذابلة".

"قد لا يبدو هذا كثيرًا بالنسبة لك الآن، ولكن فلتنتظر بضعة أيام. الطعام الوحيد الذي يدخل هذا المكان يأتي مع الوافدين الجدد وهم يحتضونه بين أذرعهم. فلتنتظر يا سول، ستشعر بهذه الرغبة أيضًا، إن الأمر ليتطلب قدرًا كبيرًا من القوة لكي يقاوم المرء نداء الجوع".

"أنت تقاومه".

"ليس إلى حد كبير، وأنا لم أمضِ هنا سوى بضعة أشهر. لا أحد يعرف ما الذي سيدفعني إليه الجوع بعد عام من الآن".

قال رايودن بسخرية: "فلتنتظر حتى تنتهي الثلاثين يومًا التي اتفقنا عليها قبل أن تتحول إلى وحش بدائي من فضلك. لا أريد أن أشعر أنني أهدرت قطعة اللحم دون أن أنال مقابلها منك".

صمت جالادون للحظة ثم ضحك وقال: "ألا يُخيفك شيء يا سول؟".

"في الواقع كل شيء هنا تقريبًا يُخيفني، ولكني بارع في تجاهل خوفي، إن أدركت مدى رعيي فعلى الأرجح ستجدي أحاول أن أختبئ تحت أحجار الرصف تلك. والآن أخبرني المزيد عن هذه العصابات".

هز جالادون كتفيه وهو يمشي مبتعدًا عن الباب الخطم لجذب كرسيًا من الجدار، تفحص قوائمه بعين ناقدة ثم جلس عليه بحذر. ما إن جلس عليه حتى اعتدل واقفًا على الفور وقوائمه تتشقق. ألقى بالكرسي جانبًا في الشتمزاز ثم جلس على الأرض.

"هناك ثلاثة قطاعات في إيلانتريس يا سول، وثلاث عصابات. قطاع السوق يحكمه شايبور، لقد التقيت ببعض أتباعه بالأمس، رغم أنهم كانوا مشغولين عن تقديم أنفسهم إليك بلعق

الوحد عن قرابينك. في قطاع القصر ستجد كاراتا، إنها تلك التي خلّصت المرأة من طعامها في تمذيب شديد. والأخير هو آندين، وهو يقضي معظم الوقت في قطاع الجامعة".

"رجل مثقف؟".

"بل رجل يجيد اغتنام الفرص. كان أول من أدرك أن العديد من أقدم النصوص بالمكتبة مكتوبة على الرق. إن كلاسيكيات الأمس قد صارت طعام الغد، كولو؟".

صاح رابودن: "آيدوس دومي! هذا شنيع! من المفترض أن تحوي لفافات إيلانتريس أعدادًا لا تُحصى من الأعمال الأصلية. إنها لا تُقدر بثمن!".

نظر جالادون بعينين متألمتين وقال: "هل أنا بحاجة لأن أردد على مسمعك خطابي عن الجوع؟ ما فائدة الأدب عندما تؤلمك معدتك كثيرًا حتى تدمع عيناك؟".

"هذه أسوأ حجة ممكنة. من المستحيل على لفافات من جلد الأغنام عُمرها قرنين أن يكون مذاقها مستساغًا".

هز جالادون كتفيه وقال: "أفضل من الوحد. يُفترض أن اللفافات قد نفذت من آندين قبل بضعة أشهر على أي حال. لقد حاولوا علي الكتب ولكن هذا لم ينجح بشكل جيد".

"أنا مندهش أنهم لم يحاولوا علي أحدهم الآخر".

قال جالادون: "أوه، لقد حاولوا هذا، ولكن لحسن الحظ شيئًا ما حدث لنا أثناء الشايود، من الواضح أن مذاق لحم الموتى سيئ للغاية، كولو؟ في الواقع إنه مر إلى حد شنيع حتى إنه لا أحد يقدر على ابتلاعه".

قال رابودن بسخرية: "من اللطيف معرفة أنهم وبشكل منطقي قد استبعدوا أكل لحوم البشر من الخيارات المطروحة".

"قلت لك يا سول إن الجوع يجبر الرجال على فعل أشياء غريبة".

"وهذا يبرر الأمر؟".

تعقل جالادون فلم يُجبه.

أكمل رايودن قائلاً: "أنت تتحدث عن الجوع والألم كأنهما قوتان لا يُمكن مقاومتها، أي شيء مقبول ما دام الجوع قد أجبرك عليه. نتحول إلى حيوانات لأننا فقدنا سبل الرفاهية".

هز جالادون رأسه وقال: "المعذرة يا سول، ولكن هكذا تجري الأمور فحسب".

"ليس من الضروري أن تجري هكذا".

\*\*\*

عشر سنوات ليست وقتًا طويلًا بما يكفي، حتى في الرطوبة الكثيفة في أرييلون، كان يجب أن يتطلب الأمر وقتًا أطول من هذا حتى تتدهور المدينة إلى هذا الحد. بدت إيلانتريس وكأنها مهجورة منذ قرون، الخشب يتحلل، والحصص والطوب يتفكك، حتى أحجار المباني بدأت تتداعى. وكان هناك غشاء من الوحل يُغطي كل شيء وفي كل مكان.

كان رايودن قد اعتاد أخيرًا المشي فوق أحجار الرصف الزلقة غير المستوية. حاول أن يمنع نفسه من الاتساخ بالوحل ولكن ثبت له أن هذه المهمة مستحيلة، كل جدار يحتك به. وكل حافة يُمسك بها. يترك أثرًا عليه.

كان الرجلان يمشيان ببطء عبر شارع عريض، أكبر من أي طريق من نوعه في كاي. لقد بُنيت إيلانتريس على نطاق هائل، وبينما الحجم مهيبًا من الخارج، إلا أن رايودن لم يبدأ في إدراك مدى ضخامة المدينة إلا الآن. لقد مشى بصحبة جالادون لوقت طويل، وقال جالادون إن أمامهما مسافة كبيرة قبل الوصول إلى وجهتهما.

ولكن الاثنين لم يتعجلا، كان هذا أول شيء قد علمه له جالادون. لا أحد يتعجل في إيلانتريس، فهناك متسع من الوقت. كل شيء يفعله الدولادي بدقة شديدة وكانت حركته متمهلة وحذرة. إن أقل خدش مهما كان بسيطاً يضيف إلى ألم الإيلانترى. كلما ازداد المرء حرصاً ظل عاقلاً لوقت أطول. ومن ثم حذا رابودن حذو جالادون محاولاً أن يقلد مشيته اليقظة. كلما بدأ رابودن يشعر أن الحذر مبالغاً فيه يكون كل ما عليه فعله هو أن ينظر إلى أحد الأشكال العديدة المتكومة على أنفسها في المجاري وعند نواصي الشوارع، وحينها يسترد عزيمته.

إنهم الهويد كما يُسميهم جالادون، هؤلاء الإيلانتريون الذين استسلموا للألم. لقد ضاعت عقولهم وامتألت حياتهم بالعذاب المستمر الذي لا يلين. نادراً ما يتحركون، رغم أن بعضهم لديه ما يكفي من الغريزة الوحشية لكي يربض في الظلال. معظمهم كانوا هادئين، ولكن قلة منهم كانوا صامتين تماماً. كان رابودن قادراً على سماع تمتائمهم ونحيبهم وأنيبهم أثناء مروره. معظمهم بدا أنه يكرر كلمات أو عبارات لنفسه؛ مانترا تُصاحب معاناتهم.

"دومي، دومي، دومي...".

"جميل للغاية، ذات يوم، جميل للغاية...".

"توقف، توقف، توقف. اجعله يتوقف...".

أجبر رابودن نفسه على غض السمع عن هذه الكلمات. بدأ صدره ينبض، كأنما يُعاني مع البؤساء المساكين الجھولين. إذا أولاهم الكثير من الاهتمام سيُصاب بالجنون قبل أن يستحوذ عليه الألم بوقت طويل.

ومع ذلك إن ترك عقله يشرد فإنه حتماً يتحول إلى حياته خارج الأسوار؛ هل سيواصل أصدقاؤه اجتماعاتهم السرية؟ هل سيتمكن كين وروبال من الحفاظ على ترابط المجموعة؟ وماذا

عن أعز أصدقائه لوكل؟ لم يجد رايودن وقتًا للتعرف على زوجة لوكل الجديدة، والآن لن يرى ابنهما الأول أبدًا.

والأسوأ كان أفكاره عن زواجه؛ لم يلتقي قط بالمرأة التي كان سيتزوجها، رغم أنه قد تحدث إليها عبر السيون في مرات عديدة. هل هي ذكية حقًا ومثيرة للاهتمام كما يبدو عليها؟ لن يعرف أبدًا. على الأرجح سيخفي آيادون حقيقة التحول الذي حدث لرايودن، ويزعم أن ابنه قد مات. لن تأتي سارين إلى أربيلون، فيمجرد أن تسمع الأخبار ستبقى في تيود وتبحث عن زوج آخر.

تمنى لو كان قادرًا على أن يلقاها ولو لمرة واحدة، ولكن مثل هذه الأفكار كانت عديمة النفع، لقد صار إيلانترياً.

بدلاً من هذا ركز على المدينة نفسها، كان من الصعب تصديق أن إيلانتريس كانت ذات يوم أجمل مدينة في أويلون، وربما في العالم بأسره. كان الوحل هو كل ما يراه، العفن والتآكل. ومع ذلك تحت هذه القذارة كانت بقايا عظمة إيلانتريس السابقة، برج مستدق، بقايا نقوش جدارية منحوتة بدقة، كنائس عظيمة وقصور شاسعة، أعمدة وأقواس. منذ عشر سنوات كانت هذه المدينة تتألق بهائنها الأسطوري، مدينة من اللونين الأبيض والذهبي الصافين.

لا أحد يعرف ما تسبب في الريود، كان هناك الذين وضعوا فرضيات. معظمهم من الكهنة الديريثيين. بأن سقوط إيلانتريس كان من صنيع الرب. قبل الريود كان الإيلانتريون الذين يحيون كآلهة يسمحون بالأديان الأخرى في أربيلون، ولكنهم لا يتقبلونها إلا كما يتقبل السيد أن يلحق كلبه فئات الطعام من على الأرض. إن جمال إيلانتريس والقوة التي كان سكانها يتمتعون بها قد منع عامة الناس من التحول إلى ديانة الشو-كيسج. لم تبحث عن إله غير مرئي عندما يكون لديك آلهة أحياء أمام عينيك؟



لقد جاء الأمر مصحوبًا بعاصفة، هذا القدر حتى رابودن يتذكره، تشققت الأرض ذاتها، وظهر صدع هائل في الجنوب، بينما أربيلون بأسرها ترتجف. مع هذا الدمار فقدت إيلانتريس مجدها. تغير الإيلانتريون من كائنات ذات شعر أبيض لامع إلى مخلوقات ببشرة مبقعة ورأس أصلع، مثل هؤلاء الذين يعانون من مرض شنيع في مرحلة متأخرة من التعفن. توقفت إيلانتريس عن التوهج وصارت مظلمة. ولم يحدث هذا إلا قبل عشرة أعوام، وهذه الأعوام العشرة ليست وقتًا كافيًا، لا ينبغي للأحجار أن تتداعى بعد عقد واحد من الإهمال. لا ينبغي أن تتراكم القذارة بمهذبة السرعة، ليس مع هذا العدد القليل من السكان، ومعظمهم عاجزون عن الحركة. بدأ الأمر وكأن إيلانتريس تريد الموت، مدينة تنتحدر.

\*\*\*

قال جالادون: "قطاع السوق في إيلانتريس، كان هذا المكان ذات يوم أعظم سوق في العالم، يأتيه التجار من جميع أنحاء أوبيلون لبيع بضائعهم العجيبة للإيلانتريين. كان المرء قادرًا على أن يأتي إلى هنا ليشتري أفخم عجائب إيلانتريس السحرية، إنهم لم يمنحوا أي شيء مجانًا، كولو؟".

توقفنا على قمة مبنى مسطح السقف، فيبدو أن بعض الإيلانتريين كانوا يفضلون الأسقف المسطحة على الأسقف المحدبة أو القباب. فهذا الجزء المسطح يسمح بزراعة البساتين عليه. امتد أمامهما قطاع من المدينة يبدو مُشابهًا لبقية إيلانتريس، مُظلمًا وتمداعيًا. كان باستطاعة رابودن أن يتخيل أن شوارعها كانت ذات يوم مُزينة بمظلات قماشية ملونة لباعة جانلين، ولكن لم يتبقَّ من كل هذا سوى قطع قماشية قدرة متناثرة هنا وهناك.

مال رابودن إلى الأمام ليطل على قطاع السوق وهو يسأل: "ألا يُمكننا أن نقترب أكثر من هذا؟".

قال جالادون مفكرًا: "يُمكنك أن تقترب إن أردت يا سول، ولكني سأبقى هنا، فرجال شايبور مغرمون بملاحقة الناس. إنَّها على الأرجح واحدة من الملذات القليلة التي قد تبقت لهم".

"أخبرني عن شايبور نفسه إذن".

هرَّ جالادون كتفيه وقال: "في مكان كهذا يبحث عديد من الناس عن قادة، شخص ما يُمكنه أن يردع قليلًا من الفوضى، وكأي مجتمع يكون الأقوى من بينهم هم القادة في نهاية المطاف. إن شايبور واحد من هؤلاء الذين يجدون متعة في السيطرة على الآخرين. ولسبب ما فإن أكثر الإيلانترين جموحًا وأفسدهم أخلاقًا يجدون طريقهم إليه".

سأله رايبودن: "وهو يأخذ القربان من ثلث الوافدين؟".

"حسنًا، نادرًا ما يشغل شايبور نفسه بهذه الأشياء، ولكن أجل، ينال أتباعه حق المطالبة بثلاث القربان".

سأله رايبودن: "ولم هذه التسوية؟ إن كان من الصعب السيطرة على رجال شايبور كما تتضمن كلماتك فما الذي يقنعهم بالالتزام بمثل هذا الاتفاق التعسفي".

قال جالادون: "إن العصابين الأخيرين كبيرتان مثل عصابة شايبور يا سول. يميل الناس في الخارج إلى الاقتناع بخلودهم، نحن هنا أكثر واقعية، نادرًا ما ينتصر المرء في معركة بدون بضعة جروح على الأقل، وهنا يُمكن لأكثر الجروح بساطة أن تصير أكثر إيلاّمًا وتدميرًا من جز سريع للنعق. رجال شايبور جامحون ولكنهم ليسوا حمقى تمامًا، لن يقاتلوا ما لم تكن الاحتمالات في صفهم إلى درجة كبيرة، أو أن هناك مكافأة تستحق المخاطرة. هل تعتقد أن بنيتك الجسمانية هي ما منعت ذلك الرجل من مهاجمتك بالأمس؟".

قال رايبودن معترفًا: "لم أكن واثقًا".

قال جالادون: "حتى أدنى تلميح بأنك ستقاوم سيكون كافيًا لكي يهرب هؤلاء الرجال خائفين يا سول. إن متعة تعذيبك لا تستحق المقاومة بأنك قد تصيب أحدهم بضرية غير محسوبة".

ارتجف رابودن لهذه الفكرة قبل أن يقول: "أرني أين تعيش العصابتان الأخريان".

\*\*\*

كانت الجامعة والقصر متجاورين، وبحسب ما قاله جالادون فإن كاراتا وآندين بينهما هدنة مضطربة للغاية، وعادة ما يُنشر الحراس على الجانبين للمراقبة. مرة أخرى اقتاده جالادون إلى مبنى ذي سقف مسطح، وسلم آخر غير جدير بالثقة يؤدي إلى الأعلى.

ولكن بعد أن صعد رابودن السلم. وكاد أن يسقط عندما تشققت إحدى الدرجات من تحته . اعترف رغمًا عنه أن المشهد يستحق هذا العناء. كان قصر إيلانتريس ضخمًا بما يكفي لأن يكون مذهلاً رغم الاضمحلال الحتمي، خمس قباب تملو خمسة أجنحة، ولكل منها برج مهيب. ولكن كان هناك برج واحد . البرج الذي في المنتصف . قد تبقى سليمًا. ولكنه كان شاهق الارتفاع، وكان أطول بناء قد رآه رابودن في حياته على الإطلاق.

قال جالادون وهو يشير إلى البرج: "يُقال إنه يقع في مركز إيلانتريس بالضبط، ذات يوم كان المرء قادرًا على أن يصعد درجات السلم الملتفة من حوله ليرى المدينة بأسرها. ولكني لن أثق في درجاته هذه الأيام، كولو؟".

<https://t.me/fantazynov>

ثم قال جالادون وهو ينظر إلى القصر: "والجدير بالذكر أن كاراتا أقسى زعماء العصابات، وفي الوقت ذاته أكثرهم تسامحًا". كان هناك شيء غريب في عينيه، كأنها يرى أشياء لا يراها رابودن. واصل وصفه لخصالها بنبرة مرتعشة كأن فمه لا يُدرك أن عقله يُركز على شيء آخر.

"إنها لا تسمح عادة بانضمام أعضاء جدد إلى عصابتها، كما أنها تدافع عن نطاق نفوذها بحزم شديد. قد يُطاردك رجال شايور لفترة من الوقت إن تحولت في أراضيهم، فقط إن أحسوا برغبة

في هذا. لا تسمح كاراتا بوجود أي دخلاء، ولكن إن تركتها وشأنها فستتركك وشأنك، ونادراً ما تؤدي الوافدين الجدد وهي تأخذ طعامهم. لقد رأيتها باكراً اليوم، لقد أخذت الطعام بنفسها، إنها دوماً ما تأخذ الطعام بنفسها، ربما لا تتق في أتباعها بما يكفي للتعامل مع الأمر".

قال رايودن: "ربما. هل تعرف أي شيء آخر عنها؟".

"ليس الكثير، لا يتميز قادة عصابات اللصوصية العنيفة عادة بكوهم من النوع الذي يقضي ما بعد الظهر في تجاذب أطراف الحديث".

قال رايودن وهو يبتسم: "من منا لا يأخذ الأمر على محمل الجد الآن؟".

"إن تأثيرك سيء عليّ يا سول، ليس من المفترض أن يبتهج الموتى. على أي حال الشيء الوحيد الذي يُمكنني أن أقوله لك عن كاراتا هو إنها لا تحب الوجود في إيلانتريس كثيراً".

عقد رايودن حاجبيه وهو يقول: "ومن يحبه؟".

"جميعنا نكرهه يا سول، ولكن قلة منا لديهم الشجاعة لمحاولة الهرب والنجاح في هذا. لقد قبض على كاراتا في كاي ثلاث مرات حتى الآن، ودوماً ما يكون هذا في محيط قصر الملك. إن أمسكوا بها مرة أخرى فسيأمر الكهنة بإحراقها".

"ما الذي تريده من القصر؟".

"إنها ليست طيبة بما يكفي لكي تشرح الأمر لي، ولكن معظم الناس يعتقدون أنها تريد اغتيال الملك آيادون".

سأله رايودن: "لماذا؟ ما الذي سيحققه هذا؟".

"الانتقام، الاضطراب، سفك الدماء. كلها أسباب مقنعة عندما تكون ملعوناً بالفعل، كولو؟".

عقد رايبودن حاجيبه، ربما العيش مع أبيه، الذي كان مُصابًا بجنون الارتياب حيال قتله على يد قاتل مأجور، قد جعله يفقد حساسيته تجاه الأمر، ولكن قتل الملك لم يبذُ هدفًا محتملاً بالنسبة له. "ماذا عن قائد العصاة الأخرى؟".

سأله جالادون وهو ينظر ناحية الجامعة: "آندين؟". كانت ضخمة وأقل مهابة من القصر، تتكون من خمسة مبانٍ مسطحة طويلة أو ستة، والكثير من المساحات المفتوحة، أراضي كانت ذات يوم على الأرجح مغطاة بالحشائش أو البساتين، وهي الأشياء التي أكلها قاطنو إيلانتريس المتضورين جوعًا حتى جذورها منذ زمن بعيد. "يزعم أنه كان نبيلًا ما قبل أن يُلقى هنا، بارون على ما أعتقد. حاول أن يُنصب نفسه ملكًا لإيلانتريس، وهو يشعر بانزعاج شديد لأن كاراتا تُسيطر على القصر، إنه يعقد بلاطًا ويزعم أنه سيُطعم هؤلاء الذين سينضمون إليه، رغم أن كل ما تحصل عليه هو عدد قليل من الكتب المغلية، ويضع خططًا للهجوم على كاي".

سأله رايبودن في دهشة: "ماذا؟ الهجوم؟".

قال جالادون: "إنه ليس جادًا، ولكنها دعاية رائعة. إنه يزعم أن لديه خطة لتحرير إيلانتريس، وقد أكسبه هذا عددًا من الأتباع. ولكنه أيضًا وحشي للغاية. لا تؤدي كاراتا إلا هؤلاء الذين يحاولون التسلل إلى القصر، أما آندين فمشهور عنه أنه يُصدر الأحكام بناء على نزواته. لا أعتقد أنه عاقل تمامًا يا سول".

عقد رايبودن حاجيبه، لو كان آندين بارون حقًا لسمع عنه، ولكنه لم يتعرف على الاسم، إما أن آندين يكذب بشأن ماضيه، أو أنه قد اتخذ لنفسه اسمًا جديدًا بعد أن جاء إلى إيلانتريس.

تفحص رايبودن المنطقة الواقعة بين الجامعة والقصر، شيء ما هناك لفت انتباهه، شيء عادي للغاية حتى إنه لم يكن لينتبه إليه لولا أنه كان الأول من نوعه الذي يراه في إيلانتريس.

سأله في تردد: "هل هذه... بشر؟".

أوما جالادون برأسه وقال: "البئر الوحيدة في المدينة".

"كيف يُعقل هذا؟".

"لقد كانت أعمال توصيل المياه الداخلية يا سول، شيء من المجاملة بجانب سحر آيوندور<sup>١٨</sup>، فالآبار لم تكن ضرورية".

"إذن لماذا بنوا هذه البئر؟".

"أعتقد أنها كانت تُستخدم في المراسم الدينية، العديد من طقوس العبادة الإيلانترية تتطلب ماءً قد جُمع حديثًا من نهر جار".

قال رابودن: "إذن فنهر أريديل يجري حقًا تحت المدينة".

"بالطبع، إلى أي مكان آخر يُمكن أن يذهب؟ كولو؟".

ضيق رابودن عينيه مفكرًا ولكنه لم يتطوع بتقديم أي معلومات. بينما يقف هناك يُراقب المدينة لاحظ كرة الضوء التي تطفو عبر أحد الشوارع للأسفل. كان سيون يتحرك على غير هدى، ومن آن لآخر يحوم في دوائر، كان بعيدًا للغاية على أن يميز الآيون في مركزه.

لاحظ جالادون نظرة رابودن المتمعنة فقال: "إنه سيون، وهذا ليس أمرًا غريبًا على المدينة".

سأله رابودن: "إنه حقيقي إذن؟".

أوما جالادون برأسه وقال: "عندما يصيب الشايود سيد سيون فإن السيون نفسه يُصاب بالجنون، هناك عدد منهم يحوم في أرجاء المدينة. إنهم لا يتحدثون، بل يكتبون بالتحليق في الأرجاء على غير هدى".

<sup>١٨</sup> الأيوندور: شكل قديم من أشكال السحر كان يُمارسه الإيلانتريون.

أشاح رايبودن بنظره بعيدًا، فمذ أن ألقى في إيلانتريس وهو يحاول أن يتجنب التفكير في مصير سيونه آين.

نظر جالادون إلى السماء وقال: "ستمطر قريبًا".

رفع رايبودن حاجبًا وهو ينظر إلى السماء الخالية من الغيوم وقال: "إن كنت ترى هذا".

"تق بي، يجب أن ندلف إلى الداخل ما لم ترغب في قضاء الأيام التالية في ملابس رطبة. يصعب إشعال النار في إيلانتريس، فالخطب إما رطب للغاية أو متعفن للغاية على أن يحترق".

"أين يجب أن نذهب؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "فلتختر بيتًا يا سول، الاحتمال الأكبر أنه لن يكون مأهولًا".

كان عليهما قضاء الليلة التالية نائمين في بيت مهجور، ولكن في هذه اللحظة خطر شيء لرايبودن. "أين تعيش يا جالادون؟".

أجابه جالادون على الفور: "في دولادل".

"أعني هذه الأيام".

فكر جالادون للحظة وهو ينظر إلى رايبودن مترددًا، ثم هز كتفيه وأشار إلى رايبودن أن يلحق به هابطين السلم المتداعي وهو يقول: "تعال".

\*\*\*

صاح رايبودن في حماس: "كتب!".

تمتم جالادون: "لم يكن يجب عليّ أن أجلبك إلى هنا، الآن لن أتمكن من التخلص منك أبدًا".

كان جالادون قد اقتاد رايبودن إلى ما بدا أنه قبو نبيذ مهجور، ولكن تبين أنه شيء مختلف تمامًا. كان الهواء أكثر جفافاً في هذا المكان رغم وجوده تحت الأرض، وأكثر برودة أيضاً. وبما يتناقض مع تحذير جالادون المسبق بشأن النار أخرج مصباحاً من تجويف خفي وأشعله بفولاذ وحجر صوانٍ صغير. ما كشف عنه الضوء كان مُدهشاً بالفعل.

بدا المكان وكأنه حجرة دراسة لرجل متعلم، كان هناك آيونات . الأحرف الغامضة القديمة التي تُشكل اللغة الآيونية . مرسومة على كل الجدران، وكان هناك العديد من أرفف الكتب .

سأله رايبودن في لهفة: "كيف عثرت على مثل هذا المكان؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "عثرت عليه مصادفة".

أمسك رايبودن بكتاب من على أحد الأرفف، كان متعفنًا بعض الشيء ولكن لا يزال من الممكن قراءته، ثم قال: "ربما يُمكن لكل هذه الكتب أن تعلمنا سر الآيونات يا جالادون! هل فكرت يوماً في هذا؟".

قال رايبودن: "سحر إيلانتريس. يقولون إنه قبل الريود كان الإيلانتيون قادرين على صنع أشياء سحرية قوية يرسم الآيونات فحسب".

"آه، أنت تقصد شيئاً كهذا". سأله الرجل الأسمر الضخم وهو يرفع يده ويرسم رمزاً في الهواء؛ آيون ديو. فتزكت إصبعة خطأً أبيض متوهجاً من ورائها.

فتح رايبودن عينيه على اتساعهما والكتاب يرتجف في قبضته، الآيونات! من المفترض تاريخياً أن الإيلانتيين وحدهم كانوا قادرين على استدعاء القوة المحبوسة بداخلها، القوة التي من المفترض أنها قد اندثرت، من المفترض أنها سقطت مع سقوط إيلانتريس.

ابتسم جالادون وهو ينظر إليه من وراء الرمز المتوهج المعلق في الهواء بينهما.



## الفصل الخامس

قالت سارين بدهشة: "بحق دومي الرحيم! من أين ظهر هذا الرجل؟".

خطا الجيورن إلى داخل قاعة عرش الملك بغطرسة تميز أمثاله، كان يرتدي دروع الكاهن الأكبر الديريشي الحمراء القانية، ويتدلى من ورائه عباءة حمراء قرمزية، ولكنه لا يحمل أي سلاح. كان الغرض من هذا الزي هو إثارة الإعجاب، ورغم ما تعتقده سارين بشأن الجيورنات أنفسهم اعترفت أن ملابسهم مثيرة للإعجاب. بالطبع كان الغرض منه هو الاستعراض، فحتى في مجتمع فيوردن العسكري لا يُمكن للكثير أن يمشوا بمثل هذا البسر وهم يرتدون دروعًا معدنية كاملة. ربما كان المعدن رقيقًا وخفيفًا للغاية، حتى أنه سيكون عديم الجدوى في أي معركة.

مر الجيورن من جوارها دون أن يُلقى نظرة عليها وعيناه مصوبتان مباشرة نحو الملك. كان أصغر من أن يكون جيورنًا، ربما في الأربعينيات من عمره، ولم يكن هناك إلا القليل من الشيب في شعره القصير المصفف بعناية.

قال آش وهو يحوم إلى جوارها كالمعتاد، لم يكن هناك سوى سيون آخر في القاعة: "أنت تعرفين أن هناك حضورًا ديرينيًا في إيلانتريس يا سيدتي. لم تتفاجئين لرؤية كاهن فيوردي؟".

"هذا جيورن كامل يا آش، لا يوجد سوى عشرين منهم في الإمبراطورية الفيوردية بأسرها، قد يكون هناك بعض المؤمنين الديريشين في كاي، ولكن هذا ليس كافيًا لتبرير زيارة من كاهن أكبر. إن الجيورنات بخلاء للغاية في إنفاق وقتهم".

راقبت سارين الرجل الفيوردي وهو يخطو عبر القاعة، ويشق طريقه عبر مجموعة من الناس كطائر يخترق سحابة من البعوض. همست لآش: "هيا بنا". وهي تشق طريقها عبر الحشد نحو مقدمة القاعة، لم ترغب في أن يفوتها ما يقوله الجيرون.

لم تكن بحاجة للقلق بشأن هذا، فعندما تحدث الرجل دوى صوته عبر جميع أنحاء قاعة العرش. قال وهو يومئ برأسه إيماءة طفيفة بدلاً من الانحناء: "أيها الملك آيادون، أنا الجيرون هراثن، أحمل لك رسالة من الويرن وولفدين الرابع. إنه يعلن أن الوقت قد حان لكي تتقاسم أمتانا ما هو أكثر من الحدود المشتركة". كان يتحدث بلهجة أهل فيوردن الثقيلة المتناغمة.

رفع آيادون بصره عن سجلاته، وهو لا يكاد يُخفي عبوسه، ثم قال: "ما الذي يريده الويرن أكثر من هذا؟ لدينا بالفعل اتفاقيات تجارية مع فيوردن".

قال هراثن: "قداسته يخاف على أرواح شعبك يا جلالة الملك".

"حسنًا إذن، فليدعهم إلى دينه، لقد منحت كهنتكم الحرية الكاملة للتبشير في أربلون".

"الناس يستجيبون ببطء شديد يا مولاي، إنهم بحاجة إلى دفعة... إلى توقيع إن جاز التعبير. لقد قرر الويرن أن الوقت قد حان لكي تعتنق بنفسك الشو-ديريث".

هذه المرة لم يكلف آيادون نفسه عناء إخفاء الانزعاج في نبرة صوته وهو يقول: "أنا أعتقد الشو-كورات بالفعل أيها الكاهن، نحن نخدم نفس الإله".

قال هراثن بوجوم: "الشو-ديريث هي الهيئة الحقيقية الوحيدة من الشو-كيسج".

لوح آيادون بيده وهو يقول: "أنا لا أبالي بالمشاحنات بين الطائفتين أيها الكاهن، فلتنذهب لتدعو غير المؤمنين للإيمان، لا يزال هناك الكثير من الأربليين الذين يتشبثون بالديانة القديمة".

قال الجيرون محذرًا: "لا يُمكنك أن ترفض عرض الويرن بمثل هذه البساطة".

"اصدقني القول أيها الكاهن، هل نحن بحاجة لأن نخوض هذا الحديث؟ إن تهديداتك لا تحمل أي ثقل، فطيلة القرون الثلاثة الماضية لم يكن لفيوردن أي تأثير حقيقي. هل تعتقد حقًا أنك سترهني بناءً على القوة التي كنتم تتمتعون بها في الماضي؟".

ازدادت عينا هراثن غضبًا وتهديدًا وهو يقول: "إن فيوردن أقوى الآن من أي وقت مضى".

سأله آيادون: "حقًا؟ أين إمبراطوريتكم الشاسعة؟ أين جيوشكم؟ كم دولة تمكنت من غزوها في القرن الأخير؟ ربما سيُدرك شعبك يومًا ما أن إمبراطوريتكم قد انحارت قبل ثلاثة قرون".

صمت هراثن للحظة ثم كرر إيماءته الطفيفة قبل أن يدور على عقبيه، وخفقت عباؤه بشكل درامي وهو يمشي ناحية الباب. لم تُجِب دعوات سارين، وهو لم يتعثر في عباؤه ويسقط أرضًا. قبل أن يُغادر هراثن التفت ليلقي نظرة أخيرة على قاعة العرش تحمل خيبة أمل، ولكن نظره توقف عند سارين بدلاً من الملك، وتبادلا التحديق للحظة، وكان باستطاعتها أن ترى لحة من الارتباك وهو يتفحص طولها غير المعتاد، وشعرها الأشقر النيودي، ثم رحل فاشتعلت القاعة بثرثرة منات من المحادثات.

نظر الملك آيادون بسخرية إلى حيث اختفى، قبل أن يولي اهتمامه إلى سجلاته من جديد.

همست سارين: "إنه لا يُدرك الأمر، ولا يفهمه".

سألها آش: "يفهم ماذا يا سيدتي؟".

"مدى خطورة هذا الجيرون".

"إن جلالته الملك تاجر يا سيدتي، وليس ملكًا حقيقيًا، فلا يرى الأشياء كما تريدها".

قالت سارين بصوت خافت حتى لا يسمعها أحد سوى آش: "ومع ذلك يجب أن يكون الملك آيادون قد اكتسب ما يكفي من الخبرة ليدرك أن ما قاله هراثن. على الأقل بشأن فيوردن".

حقيقي تمامًا. الويرنات أقوى الآن مما كانوا عليه قبل قرون، حتى في ذروة قوة الإمبراطورية القديمة".

قال آش: "من الصعب النظر إلى أي شيء بجانب القوة العسكرية، وخصوصًا عندما يكون المرء ملكًا جديدًا. لا يستطيع الملك آيادون أن يتخيل كيف يُمكن لجيش كهنة فيوردن أن يكون أكثر نفوذًا مما كان عليه محاربوها من قبل".

نقرت سارين بإصبعها على وجنتها وهي تفكر قبل أن تقول: "حسنًا يا آش، على الأقل لن يكون هناك داحٍ لأن تقلق حيال أن أتسبب في الكثير من الاضطراب بين نبلاء كاي".

"أشك في هذا حقًا يا سيدي، فأى شيء آخر يُمكنك أن تقضي فيه وقتك؟".

قالت بعدوية: "أوه يا آش، لمَ قد أزعج نفسي بمجموعة من مدعي النبيل غير المؤهلين بينما يُمكنني أن أتصارع بذلكائي مع واحد من الجيورنات؟". ثم أكملت بجديّة أكثر: "إن الويرن يُحسن اختيار كبار الكهنة، إن لم يجتزس آيادون من هذا الرجل. ولا يبدو أنه سيفعل هذا. فسيسحب هراثن البساط من تحت قدميه وسيجعل المدينة كلها تتبعه. ما الفائدة التي ستعود على تيود بتضحيتي بنفسي في هذا الزواج إن سلمت أريلون نفسها لأعدائنا؟".

قال آش وهو ينبض: "ربما تبالغين في رد فعلك يا سيدي". كانت الكلمات مألوفة، فقد بدا أن آش يشعر في كثير من الأحيان بالحاجة لأن يقولها لها.

هزت سارين رأسها وقالت: "ليس هذه المرة، ما حدث اليوم كان اختبارًا يا آش، الآن سيُشعر هراثن بأن أي تصرف سيأخذه تجاه الملك سيكون مبررًا، لقد أقنع نفسه أن من يحكم أريلون هو بالفعل مهرطق. سيحاول أن يجد طريقة للإطاحة بعرش آيادون، وستتهار حكومة أريلون للمرة الثانية خلال عشر سنوات. هذه المرة لن تكون طبقة التجار هي من ستملأ الفراغ في القيادة، بل الكهنة الديرثيون".

سألها آش وهو يبدو مندهشًا: "هل ستحاولين مساعدة آيادون؟".

"إنه ملكي الذي أدين له بالولاء".

"رغم رأيك فيه بأنه لا يُطاق؟".

"أي شيء أفضل من حكم فيوردن، كما أنني قد أكون مخبطة بشأن آيادون". لم تسر الأمور بينهما على نحو سعي منذ ذلك اللقاء الأول المرحج. لقد تجاهلها آيادون عن عمد في جنازة رايدون، ولكن سارين لم تمنع هذا، لقد كانت منشغلة بمراقبة الاختلافات في المراسم. لسوء الحظ كان الحدث على مستوى مخيب للآمال وفقًا للتقاليد الدينية القويمة. ولم يفضح أي من النبلاء البارزين نفسه بأن يتخلف عن الحضور أو يبدو عليه الإحساس بالذنب أثناء المراسم. قالت: "أجل... ربما يُمكن أن أكون أنا والملك آيادون على وفاق بأن نتجاهل أحدهما الآخر".

"ما الذي تفعلينه في بلاطي بحق دومي المنتقم يا فتاة؟".

نظرت سارين إلى الأعلى في استسلام، بينما نبض آش في ضحك خافت وهي تلتفت لتواجه الملك آيادون.

قالت وهي تضع في صوتها أكبر قدر من البراءة: "ماذا؟".

صاح آيادون وهو يشير إليها: "أنتِ!". كان في مزاج سعي لسبب مفهوم، وحسبما سمعت نادرًا ما يكون آيادون في مزاج طيب. "ألا تفهمين أن النساء لا يحضرن إلى بلاطي إلا بناءً على دعوة مني؟".

نظرت سارين إليه وهي ترمش بعينها في حيرة قبل أن تقول: "لم يُخبرني أحد بهذا يا مولاي". كانت تحاول عن عمد أن تبدو وكأنها لا تتمتع بأي ذكاء في رأسها.

زجر آيادون وهو يقول شيئًا عن حماقة النساء، ويهز رأسه بسبب افتقارها الواضح إلى الذكاء. قالت بصوت جعلته مرتجفًا كأنما هي على وشك البكاء: "لقد أردت فقط أن أرى اللوحات". رفع آيادون يده كأنما ليمنع المزيد من هرائها قبل أن يعود إلى سجلاته. بالكاد منعت سارين نفسها من الابتسام وهي تمسح عينيها وتظاهر بأنها تتفحص اللوحة الموجودة وراءها. قال آش بصوت خافت: "كان هذا متوقعًا".

تمتت سارين: "سأعامل مع آيادون لاحقًا، فهناك شخص يستحق قلقي الآن أكثر منه". "لم أعتقد أنني سأرى اليوم الذي تتصرفين فيه أنتِ. من بين كل النساء. بالصورة الأنثوية النمطية، حتى لو كان مجرد تظاهر".

سألته سارين وهي ترمش بعينيها: "ماذا؟ أنا أتظاهر؟".

قال آش ساخرًا: "هل سأعاني من رؤيتك تنتحيين كلما تحدث معك الملك؟".

هزّت سارين كتفيها وقالت: "إنه يتوقع أن تكون النساء حماقات، لذا سأكون حماقة. من السهل التلاعب بالناس عندما يفترضون أنك لا تملك من الذكاء حتى ما يكفي لأن تتذكر اسمك".

فجأة تردد صوتًا يقول: "إين، أهذه أنت؟". كان الصوت العميق الأجش مألوفًا بشكل غريب. بدا الأمر وكأن المتحدث مُصاب بالتهاب في حلقة، رغم أنها لم تر من قبل أحدًا يخلق ملتهب يُمكنه أن يصيح عاليًا هكذا.

دارت سارين على عقبيها، كان هناك رجل ضخّم. طويل وعريض ومفتول العضلات بشكل يبدو مستحيلًا. يشق طريقه عبر الحشد مقتربًا منها. كان يرتدي سترة حريرية زرقاء عريضة.

ارتجفت وهي تفكر في عدد ديدان القز التي عانت لإنتاج هذا القدر من الحرير . وسرواً  
مكشكشاً عند الأقدام، الثياب التي تُميز البلاط الأريلي.

صاح الرجل في دهشة: "إنه أنتِ حقاً! ظننت أنك لن تأتي قبل أسبوعٍ آخر!".

تمتت قائلة: "من هذا المحبول يا آش؟ وما الذي يُريده مني؟".

"إنه يبدو مألوفاً يا سيدي، المعذرة فذاكرتي لم تعد كالسابق".

قال الرجل الضخم وهو يحتضنها كالدب: "مرحى!". كان شعوراً غريباً، نصفها السفلي يغوص في كرشه الضخم، بينما وجهها يكاد أن يتحطم على صدره الصلب مفتول العضلات. قاومت الرغبة في التذمر وهي تنتظر على أمل أن يُطلق الرجل سراحها قبل أن تفقد الوعي. على الأرحح سيتدخل آش لمساعتها إن تغير لون وجهها.

لحسن الحظ تركها الرجل قبل أن تختنق، وبدلاً من هذا أمسكها من كتفها وهو يقول: "لقد تغيرت، عندما رأيتك آخر مرة كنتِ بارتفاع ركبتي". ثم نظر إلى جسدها الطويل قبل أن يقول: "حسناً، ربما لم تكوني بارتفاع ركبتي، ولكنك بالتأكيد لم تكوني أطول من خصري. قالت أمك إنك عندما تكبرين ستصيرين طويلة ونحيفة!".

هزّت سارين رأسها، كان الصوت مألوفاً إلى حد ما ولكنها لم تستطع أن تتذكر وجهه، عادة ما تكون جيدة في تذكر الوجوه ما لم...

سألته في تردد: "هانكي كي؟ بحق دومي الكريم! ما الذي حدث للحيتك؟".

"نبلاء أريلون لا يُطيلون اللحى يا صغیرتي، لم أطلق لحيتي منذ أعوام".

إنه هو حقًا، كان الصوت مختلفًا، والوجه الحليق غير مألوف، ولكن كانت العينان هما ذاتهما. تذكرت النظر إلى هاتين العينين البنيتين الواسعتين المليئتين دوماً بالضحك. تمتعت في شروود: "هانكي كي، أين هديتي؟".

ضحك عمها كين، ولكن صوته الأجلش الغريب جعل ضحكته تبدو صغيرًا. لطالما كانت هذه هي الكلمات الأولى التي تخرج من فمها عندما يأتي لزيارتهم، ولطالما جلب عمها أعجب الهدايا، الأشياء المبهجة التي كانت باهظة بما يكفي لتكون فريدة من نوعها حتى بالنسبة لابنة ملك.

"يوسفني أنني نسيت هديتك هذه المرة يا صغيرتي".

احمر وجه سارين خجلاً ولكن قبل أن تتمكن من تقديم اعتذارها أحاط عمها كتفها بذراعه الضخمة وبدأ يجذبها إلى خارج قاعة العرش.

"تعال، يجب عليك أن تلتقي بزوجتي".

قالت سارين في صدمة: "زوجتك؟". لقد مضى أكثر من عقد منذ آخر مرة رأت فيها كين، ولكنها تتذكر حقيقة واحدة بوضوح، أن عمها كان عازفًا عن الزواج، وميلاً إلى العريضة. "هانكي كي تزوج؟".

أجابها كين بصوته الخشن: "لست وحدك من كبر في السنوات العشرة الماضية. ورغم أنه من اللطيف أن أسمعك تناديني هانكي كي وأنت طفلة، فرمما يجب أن تُناديني العم كين الآن".

احمر وجهها خجلاً مرة أخرى.

سألها الرجل الضخم: "إذن كيف حال والدك؟ أفترض أنه يتصرف بالشكل الملكي الملائم".



أجابته: "إنه يُبلي حسناً يا عماه، رغم أنني واثقة من أنه سيتفاجأ لمعرفة أنك تعيش في بلاط أريلون".

"إنه يعرف".

"لا، إنه يعتقد أنك قد غادرت في واحدة من رحلاتك البحرية وأقمت في واحدة من الجزر النائبة".

"إن كنتِ امرأة حادة الذكاء يا سارين كما كنتِ وأنتِ طفلة فُيفترض بكِ أن تكوني قد تعلمتِ كيف تفرق بين الحقيقة والحكايات".

نزلت عليها الجملة كدلو من الماء المثلج، إنها تتذكر بشكل مبهم مراقبة سفينة عمها وهي تُبحر مبعدة ذات يوم بينما تسأل أباهما متى سيعود هانكي كي؟ كان وجه إيفينتيو حزيباً وهو يخبرها أن هانكي كي سيذهب في رحلة طويلة للغاية.

سألته: "ولكن لماذا؟ طيلة هذه الأيام وأنت تعيش على مسافة بضعة أيام من الوطن ولم تأتِ قط لزيارتنا".

هز كين رأسه وقال: "فلنترك هذه الحكايات ليوم آخر يا صغيرتي، الآن يجب أن تلتقي بزوجتي؛ الوحش الذي أوقع بعمك في الأسر لكي يتزوج أخيراً".

\*\*\*

بالكاد يُمكن وصف زوجة كين بالوحش، بل في الواقع كانت واحدة من أجمل النساء الناضجات اللاتي رأتهن سارين. كانت دايورا تملك وجهاً جميلاً حاد القسمات وشعرًا كستنائيًا مُصفاً بعناية. لم تكن تتوقع أن يتزوج عمها امرأة مثلها، ولكن أحدث ذكرياتها عن كين قديمة بأكثر من عقد بالطبع.

لم تكن مندهشة لرؤية قصر عمها الضخم الأشبه بالحصن. فكرت أن عمها كان تاجرًا من نوع ما، وأبرز ذكرياتها كانت عن الهدايا الباهظة وملابس كين الفاخرة. لم يكن الابن الأصغر لملك فحسب، بل كان تاجرًا ناجحًا للغاية، ويبدو أنه لا يزال كذلك. كان قد خرج من المدينة في رحلة عمل، ولم يعد حتى هذا الصباح، ولهذا لم تره في الجنازة.

الصدمة الأكبر كانت أطفاله، فرغم حقيقة أن سارين قد عرفت بزواجه لكنها لم تستطع أن توافق بين ذكرياتها عن هانكي كي الجامح ومفهوم الأبوة. تحطمت تصوراتها المسبقة تمامًا في اللحظة التي فتح فيها كين ودايورا الباب إلى قاعة تناول الطعام في القصر.

نادى صوت فتاة صغيرة: "عاد أبي إلى البيت!".

قال كين بأسف: "أجل لقد عدت إلى البيت، ولكني لم أجلب شيئًا، فأنا لم أغب إلا لبضع دقائق".

قالت: "أنا لا أباي إن كنت قد جلبت لي شيئًا أو لا، فقط أريد أن أكل". كانت المتحدثة فتاة صغيرة في العاشرة من عمرها تقريبًا، ولها صوت جاد تمامًا كأصوات البالغين، ترتدي فستانًا وردّيًا بشريط أبيض، ولها شعر أشقر زاہ.

"أنت تريدين أن تأكلي طيلة الوقت يا كايسي". قالها ولد صغير يكاد أن يكون مطابقًا للفتاة وهو ينظر إليها بحنق.

قالت دايورا بحزم: "لا تتشاجرا أيها الطفلان، لدينا ضيف".

قال كين: "أعزفك على ابني عمك يا سارين، كايسي ودايورن. أكبر صداع في حياة عمك المسكين".

"أنت تعرف أنك كنت لتصاب بالجنون بسبب الملل منذ زمن بعيد من دونهما يا أبي". قالها رجل من الباب المقابل على الناحية الأخرى. كان الؤافء الءءءء بالظوء الأربلى المعءاء، بما يعنى أنه أقصر من سارن ببوصة أو اءءنن، ممشوق القوام ووسم بشكل ملحوظ، مع وءه ءاء القسماء، شعره مفروقاً من المنءصف وبنسءل على ءانبى وءهه. كان هناك امرأة بشعر أسوء ءقف إلى ءواره ءزم شفءىها وهى ءءفءص سارن.

أنءى الرءل لسارن انءناء طفيفة وهو يقول: "مولاءى". كان هناك ابءمامة شاءبة على شفءىه. قال ءن: "ابنى لوكل".

قالء: "ابنء؟". كانت هذه مفاجأة، يمكن لسارن أن ءقبل وءوء الطفلىن الصءىرىن، ولكن لوكل كان أكبر منها ببضع سنواء، هذا يعنى...

قال ءن وهو يهز رأسه: "لوكل هو ابن ءاىورا من زواءها السابق".

قال لوكل وابءمامءه ءزءاء اءساعاً: "هذا لا يعنى أننى لسء ابنه، لا يمكنك الهرب من المسؤولة ءءاهى بمهء البسامة".

قال ءن: "ءومى نفسه لن يءرؤ على ءءمل مسؤولىءك. على أى ءال هذه الواقفة بءواره هى ءالا".

ءساءءل سارن بىنما ءالا ءءءنى لها فى ءءاملة: "ابءءك؟".

قالء المرأة ءاء الشعر الأسود: "زوءة ابنه". كانت ءءءء بلءنة ءرابة.

سألءها سارن: "أءء فىورءىة؟". كان لون شعرها ءلىلاً على هذا، ولكن الاسم والءكنة لم بءعا ءءالاً للشء.

قالت جالا لتصحح لها الأمر: "سفوردية". ولكن الأمر ليس مختلفًا كثيرًا، فمملكة سفوردن كانت ولا تزال مقاطعة فيوردية.

قال لوكل مفسرًا: "لقد درسنا معًا في الجامعة السفوردية، وتزوجنا الشهر الماضي".

قالت سارين: "ثماني. يسعدني أن أعرف أنني لست وحدي في الغرفة من تزوج حديثًا". أرادت سارين أن تقول هذا بمرح ولكنها لم تستطع أن تخفي المرارة من صوتها.

أحست بيد كين الضخمة تُمسك بكتفها وهو يقول برفق: "المعذرة يا إين، لم أكن عازمًا على الحديث في الأمر، ولكن... أنتِ تستحقين ما هو أفضل من هذا. لطالما كنتِ طفلة سعيدة".

قالت سارين وهي تتظاهر بعدم الاكتراث: "لم أخسر شيئًا، ليس الأمر وكأنني كنت أعرفه يا عماء".

قالت دايورا: "ولكن لا شك أنكِ شعرتِ بالصدمة".

وافقتها سارين قائلة: "يُمكنك أن تقولي هذا".

قال كين: "لا أعرف إن كان هذا سيخفف عنك ولكن رايدون كان رجلًا صالحًا، واحدًا من أفضل الرجال الذين عرفتهم على الإطلاق. إن عرفتِ المزيد عن سياسة أريلين فستفهمين حينها أنني لا أستخدم هذه الكلمات ببساطة عندما أُشير إلى واحد من بلاط آيادون".

أومات سارين برأسها، جزء منها كان سعيدًا لأنها لم تُسئ الحكم على رايدون مُسبقًا، والجزء الآخر فُكّر أنه سيكون من الأسهل عليها أن تواصل التفكير في أنه كان تمامًا مثل أبيه.

"يكفي حديثًا عن الأمير الميت!". قالها صوت صغير لحوح من عند الطاولة. "إن لم نأكل قريبًا فسيكون على أبي أن يتوقف عن الشكوى مني، لأنني سأكون ميتة".

وافقتها دايبورا قائلة: "أجل يا كين، ربما من الأفضل أن تذهب إلى المطبخ وتحرص على أن وليمنتك لم تحترق".

قال كين ساخراً: "إن كل طبق لذيّ يُطهى وفقاً لجدول زمني محدد، سيكون من المستحيل على واحد منهم أن...". بتر الرجل الضخم حديته وهو يتشمم الهواء ثم أطلق سُبَّةً، قبل أن يُسرع خارجاً من الحجرة.

تساءلت سارين في دهشة: "العم كين هو من يطهو العشاء؟".

قالت دايبورا: "إن عمك واحد من أفضل الطهاة في البلدة يا عزيزتي".

كررت سارين في دهشة: "العم كين؟ يطهو؟".

أومأت دايبورا برأسها كأنه أمر يومي معتاد وقالت: "لقد سافر كين إلى أماكن في العالم أكثر من أي شخص في أربيلون، وقد جلب وصفات طعام من كل مكان. أعتقد أنه سيعد لنا الليلة شيئاً قد تعلمه في جيندو".

تساءلت كايسي بإلحاح: "هل يعني هذا أننا سنأكل؟".

قال دايبورن متذمراً: "أنا أكره طعام جيندو، فهو حار للغاية". كان صوته مُطابقاً تقريباً لصوت أخته.

قال لوكل مازحاً وهو يبعثر شعر أخيه: "أنت لا تحب أي شيء ما لم يكن به الكثير من السكر".

"اذهب يا دايبورن وأحضر آداين".

تساءلت سارين: "واحدًا آخر؟".

أمأت دايبورا وقالت: "الأخير، شقيق لوكل".

قالت كايسي: "إنه على الأرجح نائم، دومًا ما يكون آداين نائمًا. أعتقد لأن عقله نصف مستيقظ فقط".

قالت دايبورا: "عادة ما ينتهي المطاف بالفتيات الصغيرات اللاتي يقلن مثل هذه الأشياء عن إخوتهن بالذهاب إلى الفراش دون عشاء يا كايسي. تحرك يا دايبورن".

\*\*\*

قالت كايسي: "أنتِ لا تبدين أميرة". كانت الفتاة تجلس كما يليق على كرسيها بجانب سارين. كانت حجرة الطعام ذات طابع مريح، أقرب إلى مكتب، حيث كانت مليئة بالألواح الخشبية الداكنة، والتحف التذكارية من أيام سفر كين.

سألته سارين: "ما الذي تعنيه؟". بينما تحاول أن تستخدم أدوات مائدة جيندو الغريبة. كان هناك اثنتان منهم، واحدة ذات طرف حاد، والأخرى بنهاية مسطحة أشبه بالمجرفة. كان الجميع يأكلون بهما كأنه شيء فطري، وكانت سارين مصممة على عدم قول أي شيء، ستكتشف الأمر بنفسها أو لن تأكل الكثير، وكان الخيار الثاني هو الأكثر احتمالاً.

قالت كايسي: "على سبيل المثال أنتِ طويلة للغاية".

قالت أمها بنبرة محذرة: "كايسي".

"ولكنها حقيقة، كل الكتب تقول إن الأميرات هيفاوات. أنا لا أعرف بالضبط ما تعنيه كلمة هيفاوات ولكنها بالتأكيد ليست كذلك".

قالت سارين: "أنا تيودية". لقد نجحت أخيراً في أن تغرس الأداة الحادة فيما يبدو أنه قطعة متبلة من الجمبري. "جميعنا بهذا الطول".

قال دايورن: "أبي تيودي أيضاً يا كايسي، وأنتِ ترين مدى طولهِ".

قالت كايسي: "ولكن أبي بدين، لم لستِ بدينة يا سارين؟".

كان كين قد ظهر من باب المطبخ فضرب على رأس ابنته بأسفل صينية التقديم المعدنية التي يحملها أثناء مروره، ثم متم قائلاً وهو يصغي إلى صوت الرنين: "تماماً كما توقعت، إن رأسك أجوف تماماً، أعتقد أن هذا يُفسر الكثير".

فركت كايسي رأسها في انزعاج قبل أن تولي اهتمامها إلى وجبتها مرة أخرى وهي تتمتم قائلة: "ما زلت أعتقد أن الأميرات يجب أن يكن أصغر حجماً، كما أنه من المفترض بمن أيضاً أن يتمتعن بآداب الطعام. ابنة عمي سارين أسقطت نصف وجبتها على الأرض، من سمع عن أميرة لا تعرف كيفية استخدام عصا المايبون؟".

احمر وجه سارين خجلاً وهي تنظر إلى أدوات المائدة الغريبة عليها.

ضحك كين وهو يضع طبقاً آخر شهوي الرائحة على الطاولة قبل أن يقول: "لا تنصتي إليها يا إين، هذا طعام جيندو، إنه مصنوع من الكثير من الشحوم، وسيكون هناك خطأ ما إن لم يسقط نصفه على الأرض. سرعان ما ستقنين استخدام هذه العصا".

قال دايورن: "يُمكنك استخدام ملعقة إن أردتِ، آداين دائماً ما يفعل هذا".

انجذبت عينا سارين على الفور إلى الطفل الرابع. كان آداين صبيّاً نحيل الوجه في أواخر سن المراهقة، بشرته بيضاء شاحبة، وقسمات وجهه غريبة وغير مريحة. كان يأكل بجعل، وحرركاته متعثرة وغير منضبطة. كان يتمتع لنفسه وهو يأكل، مُكرراً بعض الأرقام حسبما سمعت سارين. لقد التقت سارين بأشخاص مثله من قبل، أطفال لا تكون عقولهم كاملة.

قال لوكل: "الوجهة شهية يا أبي، لا أعتقد أنك قد أعددت طبق الجمبري هذا من قبل".

قال كين بصوته الخشن: "إنه يُدعى هايكو، لقد تعلمته من تاجر جوال، بينما كنت تدرس في سفوردن العام الماضي".

تمت آداين: "مليونان ومئة وستة ألف ومئتان وثمانية وثلاثون، هذه عدد الخطوات إلى سفوردن".  
تفاجأت سارين من تعليق آداين، ولكن بقية العائلة لم تول الأمر اهتمامًا، ففعلت مثلهم.  
قالت: "إنه لأمر رائع حقًا يا عماء، لم أظن من قبل أنك طاهٍ".

قال كين وهو يجلس في كرسيه: "لطالما استمتعت بالأمر، كنت سأعد لك بعض الأشياء عندما كنت أזור تيود، ولكن كبيرة الطهارة لدى والدتك كان لديها تلك الفكرة السخيفة بأن أفراد العائلة الملكية لا ينتمون إلى المطبخ. حاولت أن أشرح لها بطريقة ما أن المطابخ ملك لي جزئيًا، ولكنها مع ذلك لم تسمح لي قط أن أضع قدمي بداخلها لكي أعد وجبة".

قالت سارين: "لقد ظلمتنا جميعًا بذلك. أنت لا تطهو كل شيء وحدك، أليس كذلك؟".

هز كين رأسه وقال: "لا لحسن الحظ، فدايورا طاهية بارعة".

رمشت سارين بعينيها في دهشة وقالت: "هل تعني أنه ليس لديكم طاهٍ ليعد لكم الوجبات؟".

هز كين ودايورا رأسيهما في نفس الوقت.

قالت كايسي: "إن أبي هو طاهينا".

سألته سارين: "ولا خدم أيضًا؟". لقد افترضت أن سبب عدم رؤيتها لأي خدم هو رغبة غريبة من كين أن يُبقي هذه الوجبة شخصية.

قال كين: "لا على الإطلاق".

"ولكن لماذا؟".



نظر كين إلى زوجته ثم أعاد نظره إلى سارين وقال: "هل تعرفين ما حدث هنا قبل عشرة أعوام يا سارين؟".

سألته سارين: "الريود؟ العقاب؟".

"أجل، ولكن هل تعرفين ما يعنيه هذا؟".

فكرت سارين للحظة ثم هزت كتفها وقالت: "مُهاية الإيلانترين".

أوما كين برأسه ثم قال: "ربما لم تلتقي بأي إيلانترين من قبل، كنتِ لا تزالين صغيرة عندما أصابهم الريد، من الصعب شرح كم تغيرت هذه البلد منذ أن حلت هذه الكارثة. كانت إيلانتريس أجمل مدينة في العالم، صدقيني، لقد ذهبت إلى كل مكان آخر، كانت نصبًا من الحجر المتوهج والمعدن اللامع، وبدا قاطنوها كأنهم منحوتون من نفس المواد، ثم... ثم سقطوا".

قالت سارين وهي تومئ برأسها: "أجل، لقد درست هذا من قبل. اسودت بشرتهم ببقع سوداء، وبدأ شعرهم يتساقط من على رؤوسهم".

قال كين: "يُمكنك أن تقولي هذا بناءً على ما تعرفينه من الكتب، ولكنك لم تكوني هنا عندما حدث الأمر، لا يُمكنك أن تتخيلي مدى الرعب الذي أصابهم من رؤية آهتهم يتحولون إلى أشياء بشعة وكريهة، لقد دمر سقوطهم الحكومة الأريلية، وألقى بالبلد في حالة من الفوضى التامة".

صمت للحظة ثم أكمل: "كان الخدم هم من بدأوا الثورة يا سارين، لقد انقلبوا على سادتهم في اليوم الذي سقطوا فيه. يقول البعض - معظمهم من النبلاء الحاليين - إن معاملة الطبقات الدنيا في إيلانتريس بشكل حسن وطبيعتهم المدللة هو ما دفعهم لإسقاط حكامهم السابقين مع أول بادرة ضعف. أعتقد أنه كان مجرد خوف، الخوف الجاهل من أن الإيلانترين قد أُصيبوا

بمرض كريبه، ممتزج بالرعب الذي يصيب المرء عندما يرى الشخص الذي كان يعبدّه يسقط أمامه.

على أي حال تسبب الخدم في أكبر قدر من الضرر، أولاً في مجموعات صغيرة، ثم في ثورة مدمرة بشكل لا يُصدق، حيث قتلوا أي إيلان تري يُمكنهم العثور عليه، سقط أقوى الإيلان تريين أولاً، ثم اتسع القتل ليشمل الأضعف من بينهم.

لم يقتصر الأمر على الإيلان تريين أيضاً، لقد هاجم الناس العائلات والأصدقاء وحتى هؤلاء الذين عيّنهم الإيلان تريون في مناصبهم. راقبنا أنا ودايورا كل هذا في فرع، وكنا ممتنين لأنه لا يوجد أي إيلان تري في العائلة. بسبب ما حدث في تلك الليلة لا نقدر على إقناع أنفسنا بأن نوظف خدماً".

قالت دايورا: "نحن لا نحتاج إليهم حقاً، سُدّهشين لمعرفة القدر الذي يُمكنك إنجازَه بنفسك".

قال كين بابتسامة مآكرة: "وخصوصاً عندما يكون لديك أطفال يؤديون مهام التنظيف".

قال لوكل ضاحكاً: "أهذا هو كل ما نصلح له يا أبي؟ مسح الأرضيات؟".

قال كين: "هذا هو السبب الوحيد الذي دفعني لإنجاب أطفال، لم نقرر أنا وأمك أن ننجب دايورن إلا لأننا كنا بحاجة إلى من يساعدنا في تنظيف المراحيض".

قالت كايسي: "أبي، أرجوك، أنا أحاول أن أكل".

قال لوكل مقهقهاً: "فليكن دو مي الرحيم في عون من يقطع عشاء كايسي".

قالت الفتاة الصغيرة مُصححة: "الأميرة كايسي".

سألها كين متصعفاً الدهشة: "إذن فابنتي الصغيرة قد صارت أميرة؟".

"إن كانت سارين أميرة فيمكنني أن أصير أميرة أيضًا. فأنت عمها على أي حال، ومن المفترض بهذا أن يجعلك أميرًا، أليس كذلك يا أبي؟".

قال كين: "أعتقد أن هذا صحيح من الناحية العملية، رغم أنني لا أعتقد أنني ما زلت أحمل اللقب رسميًا".

قالت كايسي: "على الأرجح طردوك لأنك تتحدث عن المرحاض أثناء العشاء، الأمراء لا يفعلون مثل هذه الأشياء كما تعرف. إنه سلوك شنيع يتناقض مع آداب المائدة".

ابتسم كين بخنو وهو يقول: "بالطبع، أتساءل لم لم أدرك هذا من قبل".

أكملت كايسي: "إن كنت أميرًا إذن فهذا يجعل ابنتك أميرة".

قال لوكال: "الأمر لا يجري على هذا النحو يا كايسي، أبوك ليس ملكًا، لذا يُمكن لأبنائه أن يصيروا بارونات أو كونتات، لا أمراء".

سألت كايسي وقد بدت عليها خيبة الأمل: "هل هذا صحيح؟".

قال كين: "يُؤسفني هذا، ولكن ثقي بي، أي شخص يزعم أنك لستِ أميرة فهو لم يُنصت إليك وأنتِ تتذمرين وقت النوم".

فكرت الفتاة الصغيرة للحظة، وبدا عليها أنها غير واثقة من كيفية فهم هذا التعليق، فاعتقدت بأن أولت انتباهها من جديد إلى عشاها. لم تكن سارين تولي الأمر اهتمامًا كبيرًا، فقد كان عقلها متجمدًا عند النقطة التي قال فيها عمها "لا أعتقد أنني ما زلت أحمل اللقب رسميًا". كان الأمر يحمل رائحة السياسة، كانت سارين تظن أنها تعرف كل حدث مهم قد جرى في بلاط تيود خلال الخمسين عامًا الماضية، ولكنها لم تعرف أي شيء عن تجريد كين من لقبه رسميًا.

قبل أن تطيل التفكير في هذا التناقض جاء آش معلقاً عبر النافذة. لقد انشغلت تمامًا بما يجري أثناء تناول العشاء، حتى نسيت تمامًا أنها قد أرسلته ليلحق بالجيورن.

توقف كرة الضوء بتردد في الهواء بالقرب من النافذة قبل أن يقول: "هل أنا أقطعكم يا سيدتي؟".

"لا يا آش، تعالٍ لأعرفك على عائلي".

صاح دايبورن في حماس: "لديك سيون!". ولأول مرة بدت أخته مندهشة بما يمنعها من الحديث.

قالت سارين: "إنه آش، وقد خدم عائلي لأكثر من قرنين، وهو أحكم سيون عرفته في حياتي".

قال آش بتواضع: "أنتِ تبالغين يا سيدتي". ولكنها لاحظت في الوقت ذاته أنه توهج بسطوع أكثر بعض الشيء.

قالت كايسي في انبهار وقد نسيت عشاءها: "سيون...".

قال كين: "لطالما كانوا نادرين، وهم الآن أكثر ندرة من ذي قبل".

سألت كايسي: "كيف حصلتِ عليه؟".

قالت سارين: "من أمي، لقد منحتني السيون عندما وُلدت". إن السيون واحد من أفضل الهدايا التي يُمكن أن يتلقاها المرء. يومًا ما سيكون على سيرين أن تمنح آش لشخص آخر، أن تختار له وصيًا جديدًا ليراقبه ويعتني به. كانت قد خططت لأن يكون أحد أبنائها، أو ربما أحفادها. ولكن احتمال أن يصير لها أبناء أو أحفاد قد صار مستبعدًا إلى حد كبير.

قالت كايسي مرة أخرى: "سيون". ثم التفتت إلى سارين بعينين متقدتين بالحماس وهي تقول: "هل يُمكن أن ألعب معه بعد العشاء؟".

سألها آش في تردد: "تلعبين معي؟".

قالت كايسي متوسلة: "هل يُمكنني هذا من فضلك يا ابنة عمي سارين؟".

ابتسمت سارين وقالت: "لا أعرف، يبدو أنني أتذكر بعض التعليقات عن طولي".

إن نظرة الانزعاج وخيبة الأمل التي ترسم على وجه كايسي كانت مصدر تسلية للجميع، وفي هذه اللحظة ما بين ضحكاتهم بدأت سارين تشعر بتوترها يخف لأول مرة منذ مغادرتها لوطنها قبل أسبوع.

## الفصل السادس

"أخشى أنه لم يتبقَّ أمل للملك". قالها هراثن وهو يعقد ذراعيه على صدره مفكرًا بينما ينظر وراءه إلى قاعة العرش.

سأله ديلاف: "مولاي؟".

قال هراثن: "الملك آيادون، كنت آمل أن أنقذه، رغم أنني لم أفترض أن النبلاء سيتبعونني بدون قتال. إن معتقداتهم مترسخة فيهم. ربما لو جئت إليهم بعد الريود مباشرة. لكن حينها لم تكن واثقين من أن المرض الذي أصاب الإيلانترين - أيًا ما كان - لن يُصيبنا أيضًا".

قال ديلاف في حماس: "لقد أنزل جادث عقابه على الإيلانترين".

قال هراثن دون أن يكلف نفسه عناء النظر إلى الرجل الأقصر منه: "أجل، ولكن أحيانًا ما يستخدم جادث قوى الطبيعة لتحقيق مشيئته. أي وباء قد يقتل الفيوردين كما يقتل الأرييلين".

"سيحمي جادث شعبه المختار".

قال هراثن في شرود: "بالطبع". ثم ألقى نظرة مستاءة أخرى عبر الردهة ناحية قاعة العرش. لقد قدّم هذا العرض بدافع الواجب، فهو يعرف أن أسهل طريقة لإنقاذ أريلون هي تحويل إيمان حاكمها، ولكنه لم يكن واثقًا من أن آيادون سيقبل هذا العرض. تمني لو أن الملك يعرف قدر المعاناة التي يُمكن أن يمنعها بإقرار بسيط بالإيمان.

ولكن الأوان قد فات، لقد رفض آيادون الإيمان بمجاثد، يجب أن يصير عبرة لمن يعتبر، ولكن هرائن بحاجة إلى توخي الحذر. كانت ذكريات ثورة دولادل لا تزال واضحة في عقل هرائن؛ الموت، والدماء، والفوضى. يجب عليهم تجنب مثل هذه الكارثة. كان هرائن رجلاً صارماً وحازماً، ولكنه لم يكن من محبي المذابح.

ولكن مهلة الثلاثة أشهر قصيرة ولا تترك له خياراً آخر، إن أراد أن ينجح فربما سيكون عليه أن يشعل ثورة. المزيد من الموت والمزيد من الفوضى؛ أشياء شنيعة لأن تُبلى بها أمة لا تزال تتعافى من ثورتها العنيفة الأخيرة، ومع ذلك لن تقف إمبراطورية جادث مكتوفة اليدين لأن قلة من النبلاء الجهلة يرفضون قبول الحقيقة.

تمتم هرائن: "أفترض أنني بالغت في توقعاتي بشأنهم، فهم على أي حال مجرد أريليين".

لم يُبدِ ديلاف أي رد فعل تجاه هذا التعليق.

"لقد لاحظت شخصاً غريباً في قاعة العرش أيها الأرتيث". قالها هرائن وهما يعطفان ويمشيان للخروج من القصر دون أن ينظرا وراءهما نظرة واحدة. "ربما يُمكنك أن تساعدني على تحديد هويتها. إنها أيونية ولكنها أطول من معظم الأريليين، كما أن لون شعرها فاتح أكثر من اللون البني الأريلي المعتاد. لقد بدت دخيلة على هذا المكان".

سأله ديلاف: "ما الذي كانت ترتديه قداستك؟".

"كانت ترتدي ملابس سوداء بالكامل مع حزام أصفر".

امتلاً صوت ديلاف فجأة بالكراهية وهو يقول: "إنها الأميرة الجديدة يا مولاي".

"أميرة جديدة؟".

"لقد وصلت بالأمس مثلك، كان من المفترض أن تتزوج رايبودن ابن آيادون".

أوما هرائن برأسه، إنه لم يحضر جنازة الأمير ولكنه سمع عن الحدث، إلا أنه لم يكن على علم بالزواج الوشيك. لا شك أن الخطبة لم تكن منذ وقت طويل. سأله: "وهي لا تزال هنا رغم وفاة الأمير؟".

أوما ديلاف برأسه وقال: "لسوء حظها فإن عقد الزواج الملكي يجعلها زوجته في لحظة موته".  
قال هرائن: "آها، من أين هي؟".

قال ديلاف: "تيود يا مولاي".

أوما هرائن برأسه وقد فهم سبب الكراهية في صوت ديلاف. فرغم مدينة إيلاتريس المهترقة تُظهر أريلون احتمالاً للخلاص، أما تيود على الجانب الآخر كانت موطن الشو-كورا، طائفة فاسدة من الشو-كيسج، الديانة الأم للشو-ديريث. اليوم الذي تخضع فيه تيود لمجد فيوردن سيكون يوماً مبهجاً بالفعل.

قال هرائن مفكراً: "إن الأميرة التبودية قد تمثل معضلة".

"لا شيء يُمكنه أن يعرقل إمبراطورية جادث".

"إن لم يكن هناك شيء يُمكن أن يعرقلها أيها الأرتيث لكانت قد شملت الكوكب كله بحلول هذا الوقت. يسعد جادث بالسماح لخدمه أن يخدموا إمبراطوريته ويمنحنا المجد بإخضاع الحمقى لمشيبتنا، ومن بين جميع الحمقى في العالم فإن الحمقى التبوديين هم الأخطر".

"كيف يُمكن لامرأة واحدة أن تشكل خطراً عليك قد استك؟".

"إن زواجها على سبيل المثال يعني أن هناك رابطة دم رسمية بين تيود وأريلون، إن لم نتوخَ الحذر فقد نضطر إلى محاربتهم معاً في وقت واحد. من المرجح أن يعد المرء نفسه بطلاً عندما يكون لديه حليف يؤازره".



"فهمتك يا مولاي".

أوما هرائن برأسه وهو يخرج إلى ضوء الشمس، ثم قال: "أعزني انتباهك أيها الأرتيث وسأعلمك درسًا مهمًا للغاية، درسًا لا يعرفه سوى عدد قليل من الناس، وأقل القليل يُمكنهم تطبيقه على أكمل وجه".

سأله ديلاف وهو يسرع الخطى وراءه: "أي درس هذا؟".

ابتسم هرائن ابتسامة باهتة وهو يقول: "سأريك كيف تدمر أمة، الوسائل التي يُمكن لأحد رجال جادث أن يستخدمها للإطاحة بالممالك وإحكام قبضته على أرواح الناس".

"أنا... متلهف للتعلم يا مولاي".

"جيد". قالها هرائن وهو ينظر عبر كاي إلى سور إيلانتريس الهائل، الذي يعلو فوق المدينة كالجبل. "خذني إلى الأعلى هناك، أريد أن أرى سادة أربلون الذين قد سقطوا".

\*\*\*

عندما وصل هرائن إلى الجزء الخارجي من مدينة كاي، لاحظ مدى صعوبة الدفاع عنها. بينما يقف أعلى سور إيلانتريس كان قادرًا على رؤية أنه قد بالغ في تقدير تعزيزات كاي المثيرة للشفقة. كان هناك سلام جميلة تصعد على الجزء الخارجي من سور إيلانتريس، مما يسمح لمن هم بالخارج بالصعود إلى قمته. كانت منشآت حجرية صلبة وسيكون من المستحيل تدميرها في حالة الطوارئ. إن انسحب سكان كاي إلى إيلانتريس فسيكونون محاصرين لا محميين.

لم يكن هناك أي رماة أسهم، بل كان حراس مدينة إيلانتريس يحملون رماحًا ثقيلة غير عملية، لا يبدو عليهم أنهم سيقدرّون على رميها. كان الكبرياء باديًا عليهم، ويرتدون أزياء رسمية غير مدرعة من اللونين الأصفر والبني، ومن الواضح أنهم يعدون أنفسهم أسمى من جنود المدينة

التقليديين. وحسبما سمع هراثن فإن الحرس ليسوا ضروريين حقًا لإبقاء الإيلانترين داخل المدينة. نادرًا ما تحاول هذه المخلوقات الهرب، وكان سور المدينة كبيرًا للغاية على أن يُسيّر الحرس دوريات مراقبة على نطاق واسع. لم تكن هذه قوات عسكرية حقيقية، بل أقرب إلى مناورات للحفاظ على الصورة العامة، فقاطنو كاي يشعرون براحة أكبر في العيش بجانب إيلانتريس وهم يعرفون أن هناك دوريات من الجنود تراقب المدينة. ولكن هراثن حَمَّن أنه في حالة الحرب سيواجه الحرس صعوبة شديدة في الدفاع عن أنفسهم، ناهيك بالدفاع عن سكان كاي.

كانت أريلون جوهرة ثمينة تنتظر من ينهبها. لقد سمع هراثن عن أيام الفوضى التي تلت سقوط إيلانتريس مباشرة، وعن الكنوز النفيسة التي نُبِتت من المدينة العظيمة. هذه الثروات تتركز الآن في كاي، حيث يعيش النبلاء الجدد بدون حراسة حقيقية. لقد سمع أيضًا أنه - رغم السرقات - لا يزال هناك نسبة كبيرة من ثروات إيلانتريس - قطعة فنية كبيرة لا يُمكن نقلها بسهولة، أو مقتنيات أصغر لم تُنهب قبل أن يفرض آيادون عزلة المدينة - عالقة وراء أسوار إيلانتريس المحظورة.

لم يحجم إيلانتريس وكاي من التعرض إلى النهب على يد الغزاة إلا الخرافات وصعوبة الوصول إليهما. لا تزال عصابات النهب الصغيرة خائفة من سمعة إيلانتريس، والعصابات الكبيرة إما أنها تحت سيطرة فيوردن - ومن ثم لا يُمكنها الهجوم ما لم تتلقَ أمرًا بذلك - أو تلتقت رشوة من نبلاء كاي للبقاء بعيدًا. كلا الموقفين مؤقت بطبيعة الحال.

وكان هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل هراثن يشعر بأن الحذر مبرر في اتخاذ تدابير صارمة لوضع أريلون تحت حكم فيوردن وحمايتها. هذه الأمة بيضة متوازنة على قمة جبل، تنتظر أول هبة رياح لكي تُسقطها على الأرض الصلبة تحتها. إن لم تغزُ فيوردن أريلون قريبًا فمن المؤكد أن المملكة ستتهار تحت وطأة عشرات المشكلات المختلفة. فبجانب القيادة التي تفتقر إلى

الكفاءة تعاني أربيلون من إرهاق الطبقة العاملة بالضرائب وزعزعة العقيدة وتضاؤل الموارد. كل هذه العوامل تتنافس لتوجيه الضربة الأخيرة.

قاطع أفكاره صوت تنفس خشن من ورائه. كان ديلاف واقفاً على الجانب الآخر من ممشى السور ينظر إلى إيلانتريس. كانت عيناه متسعيتين كعيني رجل قد تلقى لكمة في معدته، وهو يجز على أسنانه، حتى توقع هرائن أن يسيل الزبد من فمه.

همس ديلاف بصوت خشن يكاد يكون غير مفهوم: "أنا أكرههم".

قطع هرائن ممشى السور ليقف بجانب ديلاف، ونظرًا لأن السور لم يُشيد لأغراض عسكرية لم يكن هناك أي تحصينات، ولكن كان هناك حواجز على الجانبين من أجل الأمان. اتكأ هرائن على أحد هذه الحواجز وهو ينظر إلى إيلانتريس متفحصًا إياها.

لم يكن هناك ما يستحق المشاهدة، فقد رأى أحياء فقيرة أفضل حالًا من إيلانتريس، كانت المباني متداعية حتى إنها كانت معجزة أن أيًا منها لا يزال يحمل سقفًا، وكانت الرائحة الكريهة مقززة للغاية، كان يشك في وجود أي شيء على قيد الحياة في المدينة، ثم رأى بعض الأشكال تتحرك خلسة بجانب أحد المباني. كانوا رابضين وأيديهم ممدودة كأنما يستعدون للسقوط على أطرافهم الأربعة. توقف أحدهم ونظر لأعلى فرأى هرائن إيلانترية لأول مرة في حياته.

كانت أول فكرة خطرت لهرائن هي أنه أصلع بجلد أسود، مثل أفراد طبقة الجيندو النبيلة، ولكنه لاحظ بقعًا من اللون الرمادي الفاتح على بشرة المخلوق أيضًا، كتلاً عظيمة شاحبة غير مستوية، كالإشنيات على الأحجار. ضَبَقَ عينيه وهو يميل للأمام متكئًا على الحاجز. لم يستطع أن يميز عيني الإيلانترية، ولكن بطريقة ما عرف هرائن أنهما ستكونان جامعتين ووحشيتين، كهيني حيوان خائف.

أسرع المخلوق ليلحق برفاقه... بقطيعه. إذن هذا ما فعله الريد، قالها هرائن لنفسه مفكرًا، لقد جعل الآلهة وحوشًا. كل ما فعله جادث هو أن أخرج ما في قلوبهم وأظهره للعالم. وفقًا للفلسفة الديرثية فإن الدين هو الشيء الوحيد الذي يميز البشر عن الحيوانات، البشر يخدمون إمبراطورية جادث، والوحوش لا يخدمون سوى شهوراتهم. كان الإيلانتيون يمثلون الخلل المطلق للغطسة البشرية، لقد نصبوا أنفسهم آلهة، واستعلاؤهم جعلهم يستحقون مصيرهم. في حالة أخرى كان هرائن سيكون قانعًا بتركهم لعقوبتهم.

ولكن تصادف أنه بحاجة إليهم.

التفت هرائن إلى ديلاف وقال: "أول خطوة في السيطرة على أمة هي الأبسط أيها الأرتيث؛ عليك أن تجد شخصًا لتكرهه".

\*\*\*

قال هرائن متسائلًا وهو يدلّف إلى حجرته بداخل الكنيسة: "أخبرني عنهم أيها الأرتيث، أريد أن أعرف كل شيء تعرفه".

قال ديلاف بصوت كالفحيح: "إنهم مخلوقات كريهة بغيضة، التفكير فيهم يجعل قلبي ينبض، ويُشعر عقلي بالدنس. أصلي كل يوم من أجل دمارهم".

أغلق هرائن الباب المؤدي إلى حجرته وهو يشعر بعدم الرضا؛ من الممكن أن يصير المرء متحمسًا أكثر من اللازم. قال هرائن بحزم: "أنا أتفهم مشاعرك القوية أيها الأرتيث، ولكن إن أردت أن تصير أوديقًا لي فستكون بحاجة إلى التخلص من نظرتك المتحيزة. لقد وضع جادث هؤلاء الإيلانتيين أمامنا لغرض في نفسه، ولا يُمكنني أن أكتشف هذا الغرض إن رفضت أن تُخبرني بأي شيء مفيد".

رمش ديلاف بعينه مأخوذاً، ثم عاد مستوى من العقلانية إلى عينيه لأول مرة منذ زيارتهما لإيلانتريس. قال: "أجل يا مولاي".

أوما هراثن برأسه وقال: "هل رأيت إيلانتريس قبل سقوطها؟".  
"أجل".

"هل كانت جميلة كما يقول الناس".

أوما ديلاف برأسه متجهماً وقال: "كانت نقية، وقد أبقنتها أيدي العبيد بيضاء".  
"العبيد؟".

"جميع شعب أربلون كانوا عبيداً للإيلانترين يا مولاي، كانوا آلهة مزيفين، وقد منحوا وعود الخلاص نظير الكد والعمل".  
"وماذا عن قواهم الأسطورية؟".

"أكاذيب، كألوهيتهم المزعومة. خدعة متقنة لتكسيهم احترام الناس وخوفهم".  
"كان هناك فوضى في أعقاب الربود، أليس هذا صحيحاً؟".

"فوضى، وقتل، وثورة، وذعر يا مولاي. ثم استولى التجار على السلطة".

سأله هراثن وهو يجلس على كرسيه أمام المكتب: "وماذا عن الإيلانترين".

قال ديلاف: "لم يتبقَّ منهم إلا القليل، معظمهم قد قُتل في الثورة. وهؤلاء الذين تبقوا محتجزون في إيلانتريس، وكذلك كل من أصابهم الشيوذ منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا. إنهم يريدون تماماً كما رأيتهم للتو، مسوحاً بانسين. إن بشرتهم مبقعة بندوب سوداء، كأنما شخص ما قد انتزع اللحم ليكشف عن الظلام من تحته".

سأله هراثن: "وماذا عن التحولات؟ هل انخسرت بأي قدر بعد الربود؟".

"إنها مستمرة يا مولاي، وتحدث في جميع أنحاء أريلون".

"لم تكرههم إلى هذا الحد أيها الأرتيث؟".

كان السؤال مُباغثًا، فصمت الأرتيث للحظة قبل أن يُجيب: "لأنهم رجس يا مولاي".

"وماذا أيضًا؟".

"لقد كذبوا علينا يا مولاي، لقد وعدونا بالخلود، ولكنهم لم يتمكنوا حتى من الحفاظ على ألوهيتهم. لقد استمعنا لهم لقرون، وكانت مكافأتنا هي مجموعة من العاجزين الضعفاء المنحطين".

قال هراثن: "أنت تكرههم لأنهم قد خيبروا أملك".

"ليس ألمي، بل أمل شعبي. لقد صرت من أتباع الشو-ديريث قبل الربود بسنوات".

عقد هراثن حاجبيه وقال: "إذن فأنت على يقين من أنه لا يوجد شيء خارق للطبيعة حيال الإيلانترين بخلاف حقيقة أن جادت قد لعنهم؟".

"أجل يا مولاي، كما قلت، لقد ابتكر الإيلانترين العديد من الأكاذيب لتعزيز ألوهيتهم".

هز هراثن رأسه، ثم وقف وبدأ ينتزع دروعه، فتحرك ديلاف لمساعدته، ولكن هراثن أشار للأرتيث أن يبقى مكانه. "كيف يُمكن إذن تفسير تحول الأشخاص العاديين إلى إيلانترين أيها الأرتيث؟".

لم يُجب ديلاف.

"لقد أعمت الكراهية بصيرتك أيها الأرتيث". قالها هراثن مبتسمًا وهو يعلق درع الصدر على الجدار بجانب مكتبه. لقد انتابه في هذه اللحظة وميض من العبقرية، جزء من خطته صار فجأة في موضعه المناسب. "أنت تفترض أنهم لا يمتلكون أي قوى لأن جادث لم يمنحهم أي قوى". امتنع وجه ديلاف وهو يقول: "إن ما تقوله..."

"ليس هرطقة أيها الأرتيث، بل عقيدة، هناك قوى أخرى خارقة للطبيعة إلى جانب إلها". قال ديلاف بصوت خافت: "السفراكيس"<sup>١٩</sup>.

"بالضبط". السفراكيس، أرواح الموتى الذين يكرهون جادث، والذين يعارضون كل ما هو مقدس. بحسب الشو-ديريث لا يوجد شيء أكثر مرارة من روح قد نالت فرصتها وأهدرتها. سأله ديلاف: "هل تعتقد أن الإيلانترين سفراكيس؟".

قال هراثن وهو يحل درع ساقه: "إن العقيدة المتفق عليها تقول إن السفراكيس قادرون على التحكم في أجساد الأشرار. هل من الصعب تصديق أنهم طيلة هذا الوقت كانوا يتحكمون في أجساد الإيلانترين ويجعلونهم يبدون كأهله لخداع البسطاء ومن هم بعيدون عن الدين؟". لمع ضوء في عيني ديلاف فأدرك هراثن أن هذا المفهوم لم يكن جديدًا على الأرتيث. فجأة لم يعد وميض الإلهام يبدو عبقرياً للغاية.

تأمل ديلاف هراثن للحظة ثم سأله: "أنت لا تؤمن بهذا حقًا". كان صوته يحمل اتهامًا غير مريح بالنسبة لشخص يتحدث إلى سيده الهرودن.

---

<sup>١٩</sup> السفراكيس: هو مصطلح سفوردي دخل الديانة الديريثية، وهو يُعبر عن مخلوقات محرومة من دخول الملكوت، فتُجبر على التجول في العالم واقتراس الأحياء. أما في الديانة الديريثية فهم نصف أشباح نصف شياطين، ويُستخدم المصطلح عادة للتعبير عن كل ما هو شرير.

كان هراثن حريصًا على ألا يظهر انزعاجه على ملامحه وهو يقول: "لا يهم أيها الأرتيث، والرابط منطقي وسيؤمن به الناس. الآن كل ما يرونه هو البقايا المقيتة لما كان هو الأستقرافية ذات يوم. الناس لا يبغضون شيئًا كهذا، بل يُشفقون عليه، ولكن الشياطين شيء يُمكن للجميع أن يكرهه. إن اعتبرنا أن الإيلانترين شياطين فسنتجح، أنت تكره الإيلانترين بالفعل، ولا بأس بهذا. ولكن لجعل الآخرين ينضمون إليك علينا أن منحهم سببًا أكثر من أنهم قد خيخوا أملنا".

"أجل يا مولاي".

"أنت رجل متدين أيها الأرتيث، ويجب أن يكون لنا أعداء متدينون. الإيلانتريون هم السفراكيس بالنسبة لنا، بغض النظر عن إن كانوا يستحوذون على أرواح البشر الأشرار الذين ماتوا قبل وقت طويل، أو البشر الأشرار الذين يعيشون الآن".

"بالطبع قد استك. سوف ندمرهم حينها". كان هناك تلهف في وجه ديلاف.

"في نهاية المطاف. الآن سنستخدمهم، ستجد أن الكراهية يُمكنها أن توحد الناس بشكل أسرع وأكثر حماسة من الإخلاص الديني".



## الفصل السابع

طعن رابودن الهواء بإصبعه، فتوهج الهواء بالضوء، تركت إصبعه من ورائها أثرًا أبيض متوهجًا وهو يحرك ذراعه، كأنما يكتب بطلاء على حائط، غير أنه لم يكن هناك طلاء ولا حائط.

كان يتحرك بحذر وهو يحرص على ألا ترتجف إصبعه. رسم خطأ بطول شبر تقريبًا من اليسار إلى اليمين ثم حرك إصبعه بانحراف طفيف ليرسم خطأً منحنياً للأسفل عند الزاوية. ثم رفع إصبعه عن اللوحة غير المرئية قبل أن ينزلها مرة أخرى ليرسم نقطة في المنتصف، هذه العلامات الثلاثة . خطآن ونقطة . هي بداية كل آيون.

واصل رسم نفس النمط الثلاثي بزوايا مختلفة ثم أضاف عددًا من الخطوط القطرية. كان الرسم النهائي أشبه بساعة رملية، أو صندوقين موضوعين أحدهما فوق الآخر، منكمشين قليلاً بالقرب من المنتصف. كان هذا آيون آش، الرمز القديم للضوء. توهج الحرف للحظات وبدا كأنه ينبض بالحياة ثم ومض بضعف كرجل يلفظ أنفاسه الأخيرة. اختفى الآيون وتلاشى ضوءه من التوهج إلى الخفوت إلى اللاشيء.

قال جالادون: "أنت أفضل بكثير مني في هذا يا سول، عادة ما أجعل أحد الخطوط كبيرًا بعض الشيء، أو منحرفًا أكثر من اللازم، فيتلاشى الشيء برمته قبل أن أنتهي منه".

قال رابودن متذمرًا: "ليس من المفترض أن يكون الأمر على هذا النحو". لقد مضى يوم منذ أن علمه جالادون كيف يرسم الآيونات، وقد قضى كل لحظة تقريبًا منذ ذلك الحين وهو يتدرب. كل آيون قد أمّاه بشكل صحيح تتصرف بنفس الطريقة، بأن يختفي دون أن يترك وراءه أي أثر ملحوظ. كان تعرفه الأول على سحر الإيلانترين الأسطوري محيياً للآمال.

أكثر شيء مفاجئ كان مدى سهولته. لقد افترض في جهله أن الآيوندور . سحر الآيونات . يتطلب تعاويد أو طقوسًا ما . لقد مضى عقد من الزمن دون أن يتولد عن الآيوندور جحافل من الشائعات؛ بعض الناس . معظمهم من الكهنة الديريثيين . يزعمون أن السحر كان مجرد أكذوبة، بينما الآخرون . ومعظمهم أيضًا من الكهنة الديريثيين . قد نددوا بهذا الفن وعُدّوه طقوسًا تجديفية تنطوي على قوى الشر . الحقيقة أن لا أحد يعرف بالضبط ما هو الآيوندور، وخصوصًا الكهنة الديريثيين، فكل واحد من ممارسي هذا السحر قد سقط ضحية الريود .

ومع ذلك يزعم جالادون أن الآيوندور لا يتطلب أكثر من يد ثابتة ومعرفة وثيقة بالآيونات. نظرًا لأن الإيلانترين وحدهم من يمكنهم رسم الأحرف في الضوء، فقد تمكنوا وحدهم من ممارسة الآيوندور، ولم يسمحوا لأي شخص خارج إيلانتريس بأن يعرف مدى بساطته. يُمكن لأي شخص قد استحوذ عليه الشايود أن يُمارس الآيوندور، هذا بالطبع على افتراض أنه يعرف الأحرف.

باستثناء أن الأمر لم ينجح، كان من المفترض أن تفعل الآيونات شيئًا ما، على الأقل شيئًا أكثر من مجرد وميض ضعيف يتلاشى. كان باستطاعة رايودن أن يتذكر صورًا عن إيلانتريس عندما كان صغيرًا؛ روى عن رجال يطيرون في الهواء، وقوى خارقة لا تصدق، وشفاءً رحيمًا. لقد كسر ساقه ذات مرة، ورُغم اعتراض أبيه إلا أن أمه حملته إلى إيلانتريس لشفاؤه. كان هناك امرأة بشعر براق أعادت وصل عظام رايودن بتلوحة بسيطة من يدها. لقد رسمت آيونًا تمامًا كما يفعل، ولكن هذا الحرف أطلق قدرًا كبيرًا من السحر الغامض.

قال رايودن مرة أخرى بصوت عالٍ: "من المفترض أن تفعل شيئًا".

"كانت تفعل ذات مرة يا سول، ولكن أيًا كان ما أخذ الحياة من إيلانتريس فقد سرق قوة الآيوندور أيضًا. الآن كل ما يمكننا فعله هو أن نرسم أحرف جميلة في الهواء".

أوما رايودن برأسه وهو يرسم آيونه الخاص؛ آيون رايو. أربع دوائر ومُربع كبير في المنتصف، والخمسة متصلون معًا بخطوط. تفاعل الآيون كالبقية، بأن يتوهج كأنما ليُطلق قدرًا من القوة، ثم يختصر مرتجفًا.

"تشعر بخيبة الأمل، كولو؟".

قال رايودن معترفًا: "أشعر بالكثير من خيبة الأمل". ثم جذب كرسيًا ليجلس عليه. كانا لا يزالان في مكتب جالادون الصغير تحت الأرض. "سأكون صادقًا معك يا جالادون، عندما رأيت ذلك الآيون الأول يحوم في الهواء أمامك نسيت كل شيء، الوسخ، الاكتئاب، وحتى إصبع قدمي".

ابتسم جالادون وقال: "إن كان الآيون دور يعمل لظل الإيلانتريون يحكمون أربيلون، سواء كان هناك ريود أو لا".

"أعرف، ولكنني فقط أتساءل ما الذي حدث، ما الذي تغير؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "العالم بأسره يتساءل معك يا سول".

قال رايودن مفكرًا: "لا شك أن هناك رابطًا بين كل شيء، التغير في إيلانتريس، والطريقة التي صار الشايود يحول بها الناس إلى شياطين بدلًا من آلهة، وعجز الآيون دور...".

"لست أول شخص يُلاحظ هذا، لقد لاحظته الكثيرون من قبلك، ولكن ليس من المرجح أن يجد أحد الإجابة، فالأقوياء في أربيلون مرتاحون إلى الوضع الذي عليه إيلانتريس الآن".

قال رايودن: "أعرف هذا، صدقني. إن كان هناك أحد سيكشف السر فيجب أن نكون نحن". تلفت رايودن حوله في أرجاء المكتب، كانت الحجرة نظيفة وخالية بشكل ملحوظ من الوسخ الذي يُعطي بقية إيلانتريس. وكاد أن يشعر بالارتياح في الحجرة، كأنما هي مخبأ في قصر كبير.

قال رايودن: "ربما الإجابة هنا يا جالادون، في مكان ما في هذه الكتب".

قال جالادون بلا اكتراث: "ربما".

"لم كنت مترددًا للغاية في جلبي إلى هنا؟".

"لأن هذا مكان خاص يا سول، بالتأكيد يُمكنك أن ترى هذا. إن أفضي سره فلن أكون قادرًا على مُغادرته خشية أن يُنهب أثناء غيابي".

اعتدل رايودن واقفًا وهو يومئ برأسه بينما يمشي في أرجاء الحجرة ويقول: "إذن لم جلبتني؟".

هز جالادون كتفيه كأنما لم يكن واثقًا من الأمر بنفسه، وأخيرًا أجاب: "أنت لست أول من يعتقد أن الإجابة قد تكون في هذه الكتب، يُمكن لرجلين أن يقرأ بسرعة أكثر من رجل واحد".

واقفه رايودن وهو يبتسم: "أسرع بمرتين كما أعتقد. لم تُبقي المكان مُظلمًا هكذا؟".

"نحن في إيلانتريس يا سول، لا يُمكننا الذهاب إلى متجر المصاييح في كل مرة ينفد فيها الزيت".  
"أعرف هذا، ولكن هناك ما يكفي بالتأكيد، فلا شك أن إيلانتريس كان بها مخازن من الزيت قبل الريود".

قال جالادون وهو يهز رأسه: "ما زلت لا تفهم الأمر يا سول، أليس كذلك؟ هذه إيلانتريس، مدينة الآلهة، ما حاجة الآلهة إلى هذه الأشياء الدنيوية مثل المصاييح والزيت؟ انظر إلى الجدار بجانبك".

التفت رايودن، كان هناك لوح معدني معلق على الجدار، ورغم أنه قد تلتخ بمرور الزمن إلا أن رايودن كان لا يزال بإمكانه أن يميز الشكل المحفور على سطحه؛ آيون آش، الحرف الذي رسمه منذ دقائق قليلة.

قال جالادون مفسراً: "هذه الألواح كانت تتوهج بسطوع وثبات أكثر من أي مصباح يا سول، وكان الإيلانتريون قادرين على إطفائها بلمسة بسيطة من أصابعهم. لم تكن إيلانتريس بحاجة إلى الزيت، فقد كان لديها مصدر للضوء يُمكنها الاعتماد عليه بشكل أكبر، وللأسبب ذاته فلن تجد في إيلانتريس فحمًا أو حتى أفرانًا، تمامًا مثلما لا يوجد سوى بئر وحيدة. من دون الآيوندور لا تكاد هذه المدينة تصلح للعيش".

فرك رايودن اللوح المعدني بأصابعه وهو يتحسس خيوط آيون آش، لا شك أن شيئًا كارثيًا قد جرى، حدثًا قد ضاع في عشر سنوات فحسب، شيئًا فظيماً للغاية أدى إلى تحطم الأرض وسقوط الآلهة. ولكن من دون فهم عمل الآيوندور فلا يُمكنه حتى أن يبدأ في تصور ما تسبب في فشله. أبعد عينيه عن اللوح المعدني لينظر إلى خزائني كُتب موضوعتين على الأرض، لم يكن من المرجح أن يحتوي أي من الكتب على تفسير مباشر للآيوندور، ولكن إن كان الإيلانتريون من كتبها فرما تحتوي على إشارات إلى هذا السحر، إشارات يُمكن أن تقود القارئ المتعمّن إلى فهم كيفية عمل الآيوندور، ربما.

قاطع أفكاره ألم في معدته، لم يكن جوعًا كالذي كان يشعر به في الخارج، لم تقرقر معدته، ولكن الألم موجود، وبطريقة ما كان أكثر تطلّبًا. لقد أمضى ثلاثة أيام بدون طعام، وبدأ جوعه يزداد إلحاحًا. لقد بدأ للتو يفهم لم هذا الألم. والآلام الأخرى. كافيًا لتحويل البشر إلى الوحوش التي هاجمته في اليوم الأول.

قال جالادون: "تعال معي، هناك شيء يجب أن نفعله".

\*\*\*

كانت الباحة تمامًا كما كانت في اليوم السابق؛ الوسخ، وأنين التعساء، والبوابة الطويلة التي لا ترحم. كانت الشمس قد قطعت ثلاثة أرباع طريقها نحو السماء. زاحفة أمام السحب المتجمعة جهة الشرق، لقد حان الوقت لإلقاء الملعونين الجدد داخل إيلانتريس.

تفحص رايبودن الباحة وهو يُراقب من أعلى مبنى بجانب جالادون. وبينما ينظر أدرك أن شيئًا ما مختلف، كان هناك حشد صغير متجمع أعلى السور.

"من هذا؟". تساءل رايبودن باهتمام وهو يشير إلى رجل طويل يقف أعلى السور فوق بوابة إيلانتريس. كان الرجل ممدود الذراعين، وعباءته الملطخة بالدماء تخفق في الريح. كانت كلماته مسموعة بالكاد من على هذه المسافة، ولكن من الواضح أنه يصرخ.

قال جالادون ساخرًا: "جيورن ديريشي، لم أكن أعرف أن واحدًا منهم هنا في أربلون".

"جيورن؟ تعني كاهن أكبر؟". ضيق رايبودن عينيه محاولاً أن يُميز تفاصيل الشخص الذي يعلوهم بكثير.

قال جالادون: "أنا مندهش لأن واحدًا منهم قد أتى إلى هنا في أقصى الغرب. إنهم يكرهون أربلون حتى من قبل الربود".

"بسبب الإيلانترين؟".

أومأ جالادون برأسه وقال: "لم يكن هذا بسبب عبادة الإيلانترين فقط رغم مزاعمهم. إن الديريشيين يكرهون بلدك على نحو خاص، لأن جيوشهم لم تكتشف قط طريقة لعبور هذه الجبال لمهاجرتكم".

سأله رايبودن: "ما الذي تعتقد أنه يفعله هناك بالأعلى؟".

"يدعوهم إلى الدين. أي شيء آخر تعتقد أن كاهنًا سيفعله؟ إنه على الأرجح يُدين إيلانتريس معتبرًا إياها عقابًا ما من إلهه".

أومأ رايودن برأسه وقال: "الكهنة جميعًا يقولون هذا منذ سنوات إن سألتهم، ولكن قلة منهم لديهم الشجاعة للتصريح بهذا علانية. إنهم يخشون في قرارة أنفسهم أن كل هذا مجرد اختبار من الإيلانترين وأنهم سيعودون إلى مجدهم السابق يومًا ما وسيعاقبون كل المارقين".

سأله جالادون: "حتى الآن؟ ظننت أن مثل هذه المعتقدات ستكون قد اختفت بعد عشر سنوات".

هز رايودن رأسه وقال: "لا يزال هناك الكثيرون ممن يصلون من أجل عودة الإيلانترين أو يخشونها. كانت المدينة قوية يا جالادون، ولا يُمكنك أن تُدرك كم كانت جميلة ذات يوم".

قال جالادون: "أنا أدرك هذا يا سول، فأنا لم أقضِ حياتي كلها في دولادل".

تصاعد صوت الكاهن تدريجيًا وهو يُطلق موجة أخيرة من الصيحات قبل أن يدور على عقبه ويختفي عن الأنظار. حتى من هذه المسافة كان رايودن قادرًا على سماع الكراهية والغضب في صوت الجيرون. إن جالادون محق، لم يكن هذا الرجل يُباركهم بكلماته.

هز رايودن رأسه وهو ينتقل بعينيه من السور إلى البوابة قبل أن يقول متسائلًا: "ما هي فرصة أن يُلقى بشخص هنا اليوم يا جالادون؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "من الصعب الجزم بهذا يا سول، في بعض الأحيان تمضي أسابيع بدون إيلانترين جديد، ولكني رأيت ذات يوم خمسة يُلقون في نفس اليوم. أنت جنت قبل يومين، وتلك المرأة بالأمس. من يعرف، ربما نال إيلانتريس ضحية جديدة لليوم الثاني على التوالي، كولو؟".

أوماً رايودن برأسه وهو ينظر إلى البوابة في تطلع.

سأله جالادون في عدم ارتياح: "ما الذي تنوي فعله يا سول؟".

"أنوي الانتظار".

\*\*\*

كان الوافد الجديد كهلاً، ربما في أواخر الأربعينيات من عُمره، بوجه نحيل وعينين زائغتين. عندما أُغلقت البوابة بقوة نزل رايودن من على سطح المبنى ووقف عند حافة الباحة. لحق به جالادون بنظرة قلق على وجهه. كان من الواضح عليه أنه يعتقد أن رايودن قد يفعل شيئاً أحمق.

كان مُحقًا.

كان الوافد التعميس يمدق بأسى إلى البوابة. انتظره رايودن أن يأخذ خطوة، ليتخذ القرار غير المتعمد الذي سيحدد من سيكون له الحق في سرقة. وقف الرجل في مكانه يُراقب الفناء بعينين زائغتين وجسده النحيل منكمش في روبه كأنما يحاول أن يحتبى بداخله. بعد بضع دقائق من الانتظار قطع أخيراً خطوته الأولى المترددة... إلى اليمين، نفس الاتجاه الذي اختاره رايودن.

قال رايودن وهو يخطو خارجاً من الزقاق: "هيا بنا". فزفر جالادون وهو يتمتم بشيء بالغة الدولادية.

نادى رايودن متخيراً اسماً آيونياً شائعاً: "تيورن؟".

نظر إليه الوافد الجديد النحيل في دهشة ثم نظر وراءه في حيرة.



قال رابودن وهو يضع يده على كتف الرجل: "تيورن، إنه أنت حقًا!". ثم خفض صوته وقال: "لديك الآن خياران يا صديقي، إما أن تفعل ما أمرك به، أو تدع هؤلاء الرجال الكامنين هناك في الظلال يطاردونك ويبرحونك ضربًا".

تلقت الرجل حوله مفتشًا في الظلال بعينين متخوفتين. لحسن الحظ تحرك رجال شايبور في تلك اللحظة، فخرجت هيناهم المظلمة إلى النور وأعينهم المتلهفة تحديق إلى الرجل الجديد بنظرة جائعة. كان هذا هو كل التشجيع الذي يحتاجه الوافد الجديد.

سأله الرجل بصوت مرتجف: "ما الذي يجب عليّ فعله؟".

قال رابودن أمرًا: "اركض!". ثم اندفع مسرعًا ناحية أحد الأزقة.

لم يكن الرجل بحاجة لتكرار الأمر، فقد اندفع بسرعة كبيرة حتى خشي رابودن أن يعطف في أحد الأزقة الجانبية ويضل طريقه. كان هناك صرخة دهشة مكتومة من ورائه عندما أدرك جالادون ما يفعله رابودن. من الواضح أن الدولادي الضخم لن يواجه صعوبة في مجاراتهما حتى بالنظر إلى الوقت الذي قضاه في إيلانتريس، فقد كان جالادون في حال أفضل بكثير من رابودن.

صاح جالادون في حنق: "ما الذي تفعله بحق الدولوكين<sup>٢٠</sup> أيها الأحمق؟".

قال رابودن وهو يحاول الحفاظ على قوته من أجل الركض: "سأخبرك بعد لحظات". لاحظ مرة أخرى أن أنفاسه لم تنقطع رغم أن جسده بدأ يشعر بالتعب. كان هناك شعور بالإفكاح يتزايد بداخله، وسرعان ما اتضح أن رابودن هو العداء الأبطأ من بين ثلاثتهم. ولكنه كان الوحيد الذي يعرف إلى أين هم ذاهبون.

---

<sup>٢٠</sup> الدولاكين: كلمة باللغة الدولادية تعني الجحيم.

صرخ في جالادون والرجل الجديد وهو ينعطف في زقاق جانبي: "إلى اليمين!". لحق به الرجلان وكذلك مجموعة المجرمين الذين كانوا يقتربون بسرعة. لحسن الحظ لم تكن وجهة رايودن بعيدة.

صرخ جالادون وقد أدرك إلى أين هم ذاهبون: "رولو". كان واحدًا من البيوت التي أراها رايودن في اليوم السابق، البيت ذا السلم المتداعي. أسرع رايودن عبر الباب صاعدًا درجات السلم وكاد أن يسقط مرتين بينما الدرجات تتهاوى من تحته. ما إن وصل إلى السقف حتى استخدم آخر قوته لكي يدفع كومة من القرميد. بقايا ما كان يومًا حوض زراعة. فسقطت الكومة الطينية المتهالكة في بئر السلم في اللحظة التي وصل فيها جالادون والوافد الجديد إلى أعلى الدرج. لم يتحمل الدرج المتداعي ثقل هذا الحمل فانهار أرضًا في تحطم صახب.

سار جالادون مقتربًا من الفجوة ونظر من خلالها بعين متفحصة، كان رجال شايبور متجمعين حول الدرجات المتهالكة بالأسفل وقد تضاءلت حدة وحشيتهم قليلاً مع إدراك ما حدث.

رفع جالادون حاجبًا وهو يقول: "ماذا سنفعل الآن أيها العبقري؟".

اقترب رايودن من الوافد الجديد الذي انهار على الأرض بعد أن صعده السلم متعثراً. أخذ رايودن قرابين الطعام بحرص من الرجل، وبعد أن وضع شيئًا معينًا منها في حزامه ألقى بالبقية إلى الرجال الذين ينتظرون بالأسفل ككلاب صيد. تلا ذلك صوت معركة وهم يتشاجرون على الطعام.

خطا رايودن إلى الوراء مبتعدًا ع الفجوة وهو يقول: "دعنا نأمل أن يُدركوا أنهم لن ينالوا منا أي شيء آخر ويقرروا الرحيل".

سأله جالادون: "وإن لم يرحلوا؟".

"يُمكننا العيش إلى الأبد بدون طعام أو شراب، أليس هذا صحيحًا؟".

"أجل، ولكني أفضل ألا أقضي بقية الأبدية على قمة هذا المبنى". ثم ألقى جالادون نظرة على الرجل الجديد قبل أن يجذب رابودن جانبًا ويسأله بصوت خفيض: "ما المغزى من هذا يا سول؟ كان من الممكن أن تُلقى إليهم بالطعام في الباحة. في الواقع لم قررت أن تنقذه؟ فحسبما نعرف ربما لم يكن رجال شايبور ليؤذوه".

"نحن لسنا متيقنين من هذا، كما أنه بهذه الطريقة يعتقد أنه مدين لي بحياته".

قال جالادون ساخراً: "إذن لديك الآن تابع آخر، بئس زهيد للغاية وهو أن يكرهك ثلث مجرمي إيلانتريس".

ابتسم رابودن قائلاً: "وهذه هي البداية فحسب". ولكن رغم كلماته الشجاعة لم يكن واثقاً تماماً من نفسه، كان لا يزال مندهشاً كم يؤلمه إبهام قدمه، وقد كسّط يده أثناء دفع القرميد. ورغم أن الأمر لم يكن مؤلماً كإبهام قدمه إلا أن السحجات ظلت تؤلمه وتهدد بتشتيت انتباهه بعيداً عن خططه.

قال رابودن لنفسه: يجب أن أواصل المضي قُدماً، أن أواصل العمل، لا تدع الألم يسيطر عليك.

\*\*\*

قال الرجل: "أنا صائغ، واسمي ماريش".

قال رابودن في عدم رضا عاقداً ذراعيه وهو يتأمل ماريش: "صائغ! هذا لن ينفعنا كثيراً، أي شيء آخر يُمكنك أن تفعله؟".

نظر ماريش إليه في استنكار كأنما نسي أنه كان منكمشاً على نفسه رعباً منذ لحظات وقال: "إن صياغة الجواهرات مهارة مفيدة للغاية يا سيدي".

"ليس في إيبلانتريس يا سول". قالها جالادون وهو يختلس النظر عبر الفجوة ليرى إن كان المجرمون قد قرروا الرحيل، من الواضح أنهم لم يرحلوا، فقد نظر إلى رايودن في غيظ. تجاهل رايودن الدولادي وهو يولي انتباهه إلى ماريش قائلاً: "أي شيء آخر يُمكنك فعله؟".

"كل شيء".

"هذا كلام فضفاض للغاية يا صديقي، هل يُمكنك أن تكون أكثر دقة؟".

رفع ماريش يديه إلى جانبي رأسه في حركة درامية وهو يقول: "أنا... حرفي، صانع ماهر، يُمكنني أن أفعل أي شيء، فإن دومي نفسه قد منحني روح فنان".

نظر جالادون ساخراً من مقعده بجانب بئر السلم.

سأله رايودن: "ماذا عن الأحذية؟".

أجابه ماريش وقد بدا عليه أنه قد شعر بشيء من الإهانة: "الأحذية؟".

"أجل الأحذية".

قال ماريش: "أفترض أنه يُمكنني هذا، رغم أن الأمر لا يكاد يتطلب مهارة حرفي بارع".

قال جالادون: "حرفي أحمر...". ولكن رايودن قاطعه.

أكمل رايودن حديثه بنبرة دبلوماسية: "أيها الحرفي ماريش، إن الإيبلانترين يُلَقون داخل المدينة وهم لا يرتدون شيئاً إلا أكفان الدفن الأريلية، إن الرجل الذي يُمكنه أن يصنع الأحذية سيكون ذا نفع كبير بالفعل".

سأله ماريش: "أي نوع من الأحذية؟".

قال رابودن: "أحذية جلدية، ولكنها لن تكون مهمة سهلة يا ماريش، فالإيلانتيون لا يتمتعون برفاهية التجربة والخطأ كما ترى، إن لم يُناسب أحدهم أول حذاء ينتعله فسيُصاب بالبتور، بتور لن تختفي أبدًا".

سأله ماريش في قلق: "ما الذي تعنيه بأنها لن تختفي أبدًا".

قال رابودن: "نحن إيلانتيون الآن يا ماريش، وجروحنا لم تعد تلتئم".

"لم تعد تلتئم...؟".

سأله جالادون كأنما يعرض مساعدة: "هل تريد مثالاً أيها الحرفي؟ يُمكنني أن أعطيك مثالاً بسهولة شديدة، كولو؟".

امتقع وجه ماريش وهو ينظر إلى رابودن قائلاً بصوت خافت: "لا يبدو أنه يُجني كثيراً".

قال رابودن: "لا تقل هذا". ثم أحاط كتف ماريش بذراعه وهو يُبعده عن وجه جالادون المبتسم. "هذه هي الطريقة التي يُظهر بها المودة".

"كما تشاء يا سيد...".

صمت رابودن للحظة ثم قال: "فلتنادني سبيريت<sup>٢١</sup>". مستخدماً ترجمة آيون رايو.

ضيق ماريش عينيه وهو يقول: "سيد سبيريت، أنت تبدو مألوفاً لسبب ما".

"أنت لم ترني من قبل في حياتك، والآن بالنسبة لهذه الأحذية...".

سأله ماريش: "يجب أن تُناسبهم تماماً دون أدنى قدر من الكشط أو الاحتكاك؟".

---

<sup>٢١</sup> سبيريت: تعني روح.

"أعرف أن الأمر يبدو صعبًا، إن كان يفوق قدراتك...".

قال ماريش: "لا شيء يفوق قدراتي، سأفعلها يا سيد سيريت".

"ممتاز".

قال جالادون من ورائهما: "إنهم لا يرحلون".

التفت رايودن ليتأمل الدولادي الضخم ثم قال: "ما المهم؟ ليس وكأن لدينا شيئًا ملحًا لنفعله.

في الواقع الجو مبهج للغاية هنا، عليك فقط أن تجلس وتستمتع به".

جاء صوت دوي هائل مُقبض من السحب أعلاهم، وأحس رايودن بقطرات من الماء تتساقط على رأسه.

قال جالادون مزيجرًا: "رائع، أنا أستمتع بوقتي بالفعل".

## الفصل الثامن

قررت سارين ألا تقبل عرض عمها بالبقاء معه، ورغم إغراء الانتقال للعيش مع عائلته إلا أنها كانت تخشى أن تفقد موطئ قدمها في القصر، كان البلاط شرياناً يمدّها بالمعلومات، والنبلاء الأريليون كانوا منبعاً للشائعات والمكائد. إن كانت ستخوض معركة مع هرائن فستحتاج إلى أن تظل مطلعة على آخر المستجدات.

لذا في اليوم التالي للقائها مع كين اشترت سارين لنفسها حاملاً وألواناً ووضعتهم بحرص في منتصف قاعة عرش آيادون.

"ما الذي تفعلينه بحق دومي يا فتاة!". صاح بها الملك وهو يذلف إلى القاعة هذا الصباح، وإلى جانبه مجموعة من الحضور المتخوفين.

رفعت سارين عينيها عن اللوحة القماشية بدهشة مصطنعة ثم قالت: "أنا أرسم يا أبي". وهي تلوح بفرشتها مما أدى إلى تناثر قطرات من الطلاء الأحمر على وجه مستشار القضاء.

تهتد آيادون وقال: "يُمكِنني أن أرى أنك ترسمين، ولكني قصدت ما الذي تفعلينه هنا؟".

قالت سارين ببراءة: "أوه، أنا أرسم لوحاتك يا أبي، فهي تعجبني كثيراً".

سألها آيادون في ذهول: "ترسمين...؟ ولكن...".

أدارت سارين لوحتها بابتسامة فخر لُتري الملك لوحة لا تُشبه إلا بشكل مبهم صورة لبعض الزهور.

صاح آيادون: "بحق دومي! فلترسمي إن أردتِ يا فتاة، ولكن لا تفعلي هذا في منتصف قاعة عرشي".

فتحت سارين عينها على اتساعهما ورمشت بضع مرات، ثم جذبت حاملها وكرسیها إلى جانب القاعة بالقرب من أحد الأعمدة قبل أن تجلس وتواصل الرسم.

قال آيادون مزيجاً: "بل قصدت... بحق دومي! أنتِ لا تستحقين هذا العناء". وما إن قال الملك هذا حتى استدار وسار إلى عرشه وأمر حاجبه بأن يُعلن البند الأول من العمل؛ شجاراً بين اثنين من صغار النبلاء.

حام آش بجانب لوحة سارين وهو يقول بصوت خافت: "ظننت أنه سينفيك إلى الأبد يا سيدتي".

هزّت سارين رأسها وعلى شفيتها ابتسامة تهنئة للذات، ثم قالت: "آيادون سريع الغضب، ويشعر بالإحباط بسهولة، كلما أقنعته بأني عديمة العقل قلّت الأوامر التي يُصدرها لي، إنه يعلم أنني سوف أسيء فهمه فحسب، وسينتهي به المطاف بالمزيد من الانزعاج".

قال آش: "بدأت أتساءل كيف يُمكن لشخص مثله أن يعتلي العرش في المقام الأول".

قالت سارين وهي تنقر على وجنتها مفكرة: "سؤال جيد، ربما نستعين به، قد لا يكون ملكاً بارعاً للغاية، ولكن من الواضح أنه رجل أعمال بارع للغاية. أنا بالنسبة له مجرد سلعة مستهلكة، لقد نال تحالفه لذا لم يعد يشغل باله بي".

قال آش: "أنا لست مقتنعاً يا سيدتي، إنه يبدو ضيق الأفق على أن يظل ملكاً لفترة طويلة".

قالت سارين: "على الأرجح سيخسر عرشه، وأعتقد أن هذا سبب وجود الجيرون هنا".



قال آش بصوته العميق: "أتفق معك يا سيدي". ثم حَلَّقَ أمام لوحتها للحظة متفحصًا بقعًا غير منتظمة وخطوطًا شبه مستقيمة قبل أن يقول: "أنتِ تتحسنين يا سيدي".

"لا تفضل عليَّ بالجملة".

"بل أعني ما قلته يا سمو الأميرة، عندما بدأتِ الرسم قبل خمسة أعوام لم أكن قادرًا على تمييز ما تحاولين تصويره".

"وهذه اللوحة تُصور...".

صمت آش للحظة ثم قال بنبرة آملة: "طبق من الفاكهة؟".

تنهدت سارين في إحباط. عادة ما تكون بارعة في أي شيء تجربه، ولكن أسرار الرسم كانت عصية عليها تمامًا. في البداية كانت مندهشة من افتقارها للموهبة، ولكنها واطبت على الأمر عازمة على أن تُثبت نفسها، ولكن هذا الفن رفض الخضوع لإرادتها الملكية. لقد عدَّت نفسها بارعة في السياسة وقائدة لا يُشق لها غبار، ومُمكنها استيعاب حتى رياضيات الجيندو بسهولة كبيرة. ولكنها أيضًا رسّامة مريعة، هذا لا يعني أنها ستدع هذا يوقفها، فقد كانت أيضًا عنيدة دون هوادة.

قالت: "يومًا ما سأفهم الأمر يا آش، وسأعرف كيف أجعل الصور التي في رأسي تظهر على اللوحات القماشية".

"بالطبع يا سيدي".

ابتسمت سارين وقالت: "حتى ذلك الحين دعنا نتظاهر أنني تدرت على يد شخص من مدرسة سفوردية للفن التجريدي المُطلق".

"آه، أجل، مدرسة التضليل الإبداعي، هذا رائع يا سيدي".

دخل رجلان قاعة العرش ليعرضا قضيتهما على الملك، لم يكن هناك الكثير مما يفرق بينهما، فكل منهما يرتدي ستره أنيقة فوق قميص فضفاض مكشكش ملون، وسروالاً عريض السوار. ولكن أكثر شيء أثار انتباه سارين كان رجلاً ثالثاً، جلبه إلى القاعة أحد حراس القصر، كان شخصاً غير مميز، فلاحاً بشعر فاتح، يحمل الدم الآيوني، يرتدي ثوباً بنياً بسيطاً. كان من الواضح أنه يعاني من سوء تغذية حاد، وكان في عينيه نظرة يائسة عاجزة انطبعت في ذهن سارين.

كان النزاع متعلقاً بالفلاح، يبدو أنه قد هرب من أحد النبيلين قبل ثلاثة أعوام تقريباً، وقد أمسك به النبيل الثاني. بدلاً من أن يعيد الرجل احتفظ به النبيل الثاني وجعله يعمل. ولكن الجدال لم يكن حول الفلاح نفسه، بل حول ذريته. كان قد تزوج قبل عامين تقريباً وأنجب طفلين أثناء بقاءه مع النبيل الثاني. كلا النبيلين يزعم ملكية الطفلين.

قالت سارين بصوت خافت: "كنت أظن أن الرق محرم في أريلون".

قال آش في حيرة: "إنه محرم بالفعل يا سيدتي. لا أفهم الأمر".

"إنهما يتحدثان عن ملكية مجازية يا ابنة العم". قالها صوت من أمامها. اختلست سارين النظر من جانب لوحاتها في دهشة، كان لوكل الابن الأكبر لكين يقف مبتسماً بجانب حامل اللوحة.

"الوكل! ما الذي تفعله هنا؟".

"أنا واحد من أنجح التجار في المدينة يا ابنة العم". قالها وهو يدور حول اللوحة لينظر إلى الرسمة بحاجب مرفوع. "مسموح لي المجيء إلى البلاط في أي وقت. أنا مندهش أنك لم تربني عندما أتيت".

"كنت هنا؟".

أوماً لوكل برأسه وقال: "كنت على الجانب الآخر من القاعة، أُعيد تعريف نفسي إلى بعض معارفي القدامى. لقد كنت خارج البلدة لبعض الوقت".

"لمْ تَقُلْ شيئاً؟".

قال مبتسماً: "كنت مهتماً للغاية بما تفعلينه، لا أعتقد أن أي شخص قد قرر من قبل أن يستولي على منتصف قاعة عرش آيادون ليستخدمها كمرسم في".

أحست سارين بالدماء تتدفق إلى وجنتيها وهي تقول: "لقد نجح الأمر، أليس كذلك؟".

"على نحو رائع، وهو ما لم يمكن أن أقوله عن رسمتك". صمت للحظة قبل أن يقول: "إنه حصان، أليس كذلك؟".

تجهم وجه سارين.

"بيت؟".

قال آش: "وهو ليس وعاء فاكهة أيضاً يا سيدي، لقد جربت هذا".

قال لوكل: "حسناً، لقد قالت إنها واحدة من اللوحات في هذه القاعة، كل ما علينا فعله هو الاستمرار في التخمين حتى نجد اللوحة الصحيحة".

قال آش: "استباط رائع يا سيد لوكل".

قالت سارين في غضب: "يكفي أنتما الاثنان، إنها اللوحة المقابلة لنا، اللوحة التي كنت قبالتها بينما أرسم".

سألها لوكل: "هذه اللوحة؟ ولكنها صورة زهور".

"ومن ثم؟".

"ما هذه البقع الداكنة في منتصف لوحتك؟".

قالت سارين بشكل دفاعي: "زهور".

"أوه". نظر لوكل من جديد إلى لوحة سارين ثم نظر إلى ما تحاول محاكاته مرة أخرى قبل أن يقول: "كما تشائين يا ابنة العم".

قالت سارين بلطف متواعد: "ربما يمكنك أن تشرح الدعوة القضائية الماثلة أمام آيادون قبل أن أُلجأ إلى العنف يا ابن العم".

"صحيح، ما الذي تريد من معرفته؟".

"تقول دراساتنا إن الرق محرم في أربلون، ولكن هذين الرجلين يُشيران إلى الفلاح على أنه ملك لهما".

عقد لوكل حاجبيه وهو ينظر إلى النبيلين المتخاصمين قبل أن يقول: "الرق محرم، ولكنه على الأرجح لن يظل هكذا لوقت طويل. قبل عشر سنوات لم يكن هناك أي نبلاء أو فلاحين في أربلون، بل الإيلانزيون ومن عداهم. على مدار العقد الماضي تغير الناس من عائلات تمتلك أراضيها إلى فلاحين تحت إمرة سادة إقطاعيين، إلى خدم يعقود، إلى شيء أشبه بالعبيد الفيورديين القدامى. لن يمضي وقت طويل قبل أن يصيروا متاعًا لا أكثر".

عقدت سارين حاجبيها، إن مجرد حقيقة أن الملك سيستمع إلى قضية كهذه، أن يفكر مجرد التفكير في أخذ طفلي رجل منه لِينقذ شرف أحد النبلاء، كان شيئًا شنيعًا. من المفترض أن يكون المجتمع قد تقدم متجاوزًا هذه المرحلة. كان الفلاح يُراقب الإجراءات بعينين خاويتين قد انثُرَ منهما النور بشكل منهجي متعمد.

قالت سارين: "هذا أسوأ مما كنت أخشى".

أوماً لوكل برأسه وهو واقف إلى جانبها ثم قال: "أول شيء فعله آيادون عندما اعتلى العرش هو إلغاء حقوق الملكية الفردية للأراضي. لا تملك أربيلون جيشًا حقيقيًا، ولكن آيادون كان قادرًا على استئجار المرتزقة وإجبار الناس على الخضوع. أعلن أن كل الأراضي تنتمي للتاج الملكي، وقد كافأ هؤلاء التجار الذين باركوا حكمه بالألقاب والممتلكات. لم يكن هناك سوى القليل من الرجال. مثل والدي. الذين يملكون من الأرض والمال ما يكفي لكيلا يجروا آيادون على محاولة الاستيلاء على ممتلكاتهم".

أحست سارين باشمزاز يتنامى بداخلها تجاه أبيها الجديد. كانت أربيلون تتفاخر ذات يوم بأنها أكثر المجتمعات سعادة وتقدمًا في العالم، لقد سحق آيادون هذا المجتمع وحوّله إلى نظام حتى فيوردن لم تعد تستخدمه.

اختلست سارين النظر إلى آيادون ثم التفتت إلى لوكل وقالت: "تعال". ثم جذبت ابن عمها إلى جانب الغرفة حيث يُمكنهما الحديث بحرية أكبر. كانا قريبين بما يكفي لإبقاء أعينهما على آيادون، ولكن بعيدين بما يكفي عن مجموعات الناس الأخرى، حتى أن أحدهما لا يُمكنه أن يسترق السمع إلى محادثتهما الخافتة.

قالت: "كنت أنا وآش نناقش الأمر باكراً؛ كيف استطاع هذا الرجل اعتلاء العرش؟".

هرّ لوكل كتفيه وقال: "إن آيادون... رجل معقد يا ابنة العم، إنه ضيق الأفق في بعض النواحي، ولكنه قادر على أن يكون ماكراً عندما يتعامل مع الناس، وهذا الجانب فيه هو ما يجعله تاجراً بارعاً. كان رئيس نقابة التجار المحلية قبل الريدود، مما جعله على الأرجح أقوى رجل في المنطقة ليس على صلة مباشرة بالإبلانترين.

كانت نقابة التجار منظمة مستقلة، والعديد من أعضائها لم يكونوا على وفاق مع الإيلانترين، فإيلانتريس كانت توفر طعامًا مجانيًا لجميع الناس في المنطقة، وهو الشيء الذي جعل الناس سعداء، ولكنه كان أمرًا فظيعةً بالنسبة للتجار".

سألته سارين: "لمّ لمّ يستوردوا أشياء أخرى فحسب؟ أشياء غير الطعام؟".

قال لوكل: "يُمكن للإيلانترين أن يصنعوا أي شيء تقريبًا يا ابنة العم، ورغم أنهم لم يمنحوا شيئًا مجانيًا إلا أنهم كانوا قادرين على توفير العديد من المواد بأسعار أرخص بكثير مما يُمكن للتجار تقديمه، وخصوصًا إن أخذتِ في الاعتبار تكلفة الشحن. في نهاية المطاف عقد التجار صفقة مع إيلانتريس، جعلت الإيلانترين يعدون بأنهم لن يقدموا للناس مجانًا سوى الأشياء الأساسية. هذا منح نقابة التجار فرصة لاستيراد الكماليات الأعلى ثمنًا، التي تُلبي احتياجات الأثرياء في المنطقة، وهم من كانوا في المعتاد أعضاء نقابة التجار الآخرين".

قالت سارين وقد بدأت تفهم الأمر: "ثم ضرب الريدود ضربته".

أومأ لوكل برأسه وقال: "سقطت إيلانتريس، وكانت نقابة التجار - التي كان آيادون رئيسها - أكبر قوة منظمة في المدن الخارجية الأربعة، وحقيقة أن النقابة كان لها تاريخ من الخلاف مع إيلانتريس عزز من سمعتها في أعين الناس. كان آيادون مؤهلًا بداهة لأن يصير الملك. هذا لا يعني بالطبع أنه ملك جيد".

أومأت سارين برأسها. لقد اتخذ آيادون الجالس على العرش قراره أخيرًا بشأن القضية، أعلن بصوت عالٍ أن الفلاح الهارب ينتمي بالفعل إلى النبيل الأول ولكن طفليه سيبقيان مع النبيل الثاني، ثم قال آيادون موضحًا: "لأن الطفلين قد أطمعهما طيلة هذا الوقت سيدهما الحالي".

لم يبكِ الفلاح لسماع هذا القرار، بل اكتفى بالنظر إلى قدميه فأحسست سارين بطعنة من الحزن، ولكن عندما رفع الرجل نظره كان هناك شيء في عينيه، شيء تحت الخضوع القسري؛ الكراهية، لا يزال هناك ما يكفي من العزيمة بداخله لكي يكره.

قال بصوت خافت: "لن يستمر هذا لوقت طويل، لن يسكت الناس عن الأمر".

قال لوكل موضحًا: "لقد عاشت الطبقة العاملة لقرون تحت نظام فيوردن الإقطاعي، وكانوا يعاملونهم معاملة أسوأ من حيوانات المزارع".

قالت سارين: "نعم، ولكنهم تربوا في ظل هذا، لم يكن الناس في فيوردن القديمة يعرفون شيئًا سوى هذا، بالنسبة لهم كان النظام الإقطاعي هو النظام الوحيد. هؤلاء الناس مختلفون، إن عشر سنوات ليست فترة طويلة حقًا، يُمكن للفلاحين الأريبيين أن يتذكروا وقتًا كان فيه الرجال الذين يسمون أنفسهم الآن السادة مجرد باعة وتجار بسطاء، إنهم يعرفون أن هناك حياة أفضل، والأهم من ذلك أنهم يعرفون أن أي حكومة يُمكن أن تنهار، مما يجعل الذين كانوا خدماً في السابق يصيرون أسيادًا. لقد حملهم آيادون ما يفوق طاقتهم في وقت قصير".

ابتسم لوكل وهو يقول: "أنتِ تتكلمين مثل الأمير رايودن".

صمتت سارين قليلاً وهي تفكر في الأمر قبل أن تقول: "هل كنت تعرفه جيدًا؟".

أوماً لوكل بحزن وهو يقول: "كان أعز أصدقائي، أعظم رجل عرفته على الإطلاق".

طلبت منه بصوت رقيق: "أخبرني عنه يا لوكل".

فكر لوكل للحظة ثم قال كأنما يسترجع الذكريات: "لقد جعل رايودن الناس سعداء، قد يكون يملك قاسياً كالشتاء، ثم يأتي الأمير وتفاؤله وبكلمات قليلة يجعلك تدركين كم كنت سخيفة. كان ذكياً أيضاً، فكان يعرف كل آيون ويمكنه رسمه بإتقان، ودوماً ما يبتكر فلسفة جديدة

غريبة لا يُمكن لأحد أن يفهما سوى أبي، ورغم التدريب الذي تلقينته في جامعة سفوردن لم أقدر على فهم نصف فرضياته".

"يبدو أنه كان مثاليًا".

ابتسم لوكل وقال: "في كل شيء عدا لعبة الورق. كان دومًا ما يخسر كلما لعبنا التوليدو<sup>٢٢</sup>، حتى لو أقنعني بدفع ثمن العشاء بعدها. كان ليصير تاجرًا فظيلاً، هو لم يكن مهتمًا حقًا بالمال. ربما يخسر جولة في لعبة توليدو مجرد أنه يعلم أنني أشعر بالحماس للفوز. لم أره يوماً حزينًا أو غاضبًا، إلا عندما يزور واحدة من المزارع الخارجية، عندما يتفقد الشعب. كان يفعل هذا كثيرًا ثم يعود إلى البلاط ويتحدث عن أفكاره بشأن هذه المسألة مباشرة".

قالت سارين بابتسامة شاحبة: "أراهن أن الكثير من هذا لم يعجب الملك".

قال لوكل: "كان يكره هذا، لقد فعل كل ما بوسعه. عدا النفي. لكي يُبقي رابودن صامتًا، ولكن لم ينجح شيء. كان الأمير يجد طريقة لكي يُبدي رأيه في أي حكم يصدره البلاط الملكي. لقد كان ولي العهد، لذا فإن قوانين البلاط. التي كتبها آيادون بنفسه. تمنح رابودن فرصة للتعبير عن رأيه في كل أمر يُعرض على الملك، ودعيني أخبرك أيها الأميرة؛ أنتِ لا تعرفين ما هو التوبيخ حتى يوبخك رابودن، يُمكن لهذا الرجل أن يكون صارمًا في بعض الأحيان، حتى إن الجدران الصخرية سترتجف تحت وطأة لسانه".

مالت سارين للوراء مستمتعة بصورة آيادون وهو يتلقى التوبيخ من ابنه أمام البلاط بالكامل.

قال لوكل بصوت خافت: "أنا أفقده، هذا البلد يحتاج إلى رابودن. كان على وشك أن يحقق بعض الاختلافات الجذرية، فقد جمع عددًا كبيرًا من الأتباع من بين النبلاء، الآن تفرقت

<sup>٢٢</sup> توليدو: لعبة ورق نشأت في دولادل.



المجموعة من دون قيادته. نحاول أنا وأبي أن نحافظ على ترابطهم، ولكني كنت خارج البلاد لوقت طويل، لذا فأنا لست على اطلاع بآخر المستجدات، وبالطبع القليل منهم يتق في أبي".

"ماذا؟ لم لا؟".

"إنه مشهور بشكل ما على أنه وعد، كما أنه لا يحمل أي لقب، فقد رفض كل لقب حاول الملك أن يمنحه إياه".

عقدت سارين حاجبيها وهي تقول: "مهلاً، ظننت العم كين معارضاً للملك، لم يحاول آيادون أن يمنحه لقباً؟".

ابتسم لوكل وقال: "آيادون مضطر لهذا، فحكومة الملك بأسرها مبنية على فكرة أن النجاح التجاري يبرر الحكم. أي ناجح للغاية، والقانون يقول إن المال يساوي الثبل، كما ترين كان الملك أحق بما يكفي ليعتقد أن كل شخص ثري سيفكر بنفس الطريقة التي يفكر بها، وبالتالي لن يكون لديه أي معارضة طالما يمنح الألقاب لكل الأثرياء. إن رفض أبي لقب هو في الحقيقة طريقة لتقويض ملك آيادون، والملك يعرف هذا. سيظل هناك خلل في النظام الأرستقراطي الأريلي ما دام هناك شخص ثري لا يعد نبياً فعلياً. يكاد آيادون العجوز أن يُصاب بنوبة قلبية في كل مرة يأتي فيها أبي إلى البلاط".

قالت سارين بخبث: "يجب عليه أن يأتي كثيراً إذن".

"يجد أبي الكثير من الفرص لكي يُظهر وجهه، كان يلتقي هو ورايودن كل ظهيرة تقريباً هنا في البلاط للعب دور من الشيندا<sup>٢٣</sup>. كان هذا مصدرًا غير متناهٍ من الانزعاج لآيادون لأخهما

---

<sup>٢٣</sup> الشيندا: لعبة مشهورة تستخدم رقعة لعب، نشأت في جيندو.

يختاران اللعب في قاعة عرشه، ولكن كما قلت تصرح قوانينه بأن البلاط مفتوح لكل شخص يدعو ابنه، لذا لا يُمكنه أن يُلقِي بما خارجًا".

"يبدو أن الأمير كان لديه موهبة في استخدام قوانين الملك ضده".

قال لوكل مبتسمًا: "كانت واحدة من أكثر سماته إثارة للإعجاب. بطريقة ما كان رايبودن يلوي كل مرسوم من مراسيم آيادون الجديدة ليصفع به الملك. لقد قضى آيادون كل لحظة تقريبًا من السنوات الخمسة الماضية وهو يحاول أن يجد طريقة لكي يجرم رايبودن من الميراث، ولكن اتضح أن دومي قد حل له هذه المشكلة في النهاية".

قالت سارين لنفسها في ريبة متزايدة: إما أنه دومي أو واحد من قتلة آيادون... سألته: "من سيرثه الآن؟".

قال لوكل: "هذا ليس معروفًا على وجه اليقين، ولكني أتوقع أن آيادون يخطط لإنجاب ولد آخر، فايشن صغيرة بما يكفي. سيكون واحدًا من أقوى الدوقات هو المرشح بعده حتى ذلك الحين؛ اللورد تيلري أو اللورد رويال".

سألته سارين وهي تتفحص الحشد: "هل هما هنا؟".

قال لوكل: "رويال ليس هنا، ولكن ذلك الرجل هناك هو اللورد تيلري". كان يومئ ناحية رجل يبدو متعجرفًا يقف بالقرب من الجدار المقابل، كان نحيلًا وقوي البنية، وربما يكون وسيماً لو لم يُبدِ أمارات انغماس شنيع في الملذات. كان ثوبه يتألأ بالأحجار الكريمة المرصع بها، وأصابعه تلمع بالذهب والفضة. عندما التفت استطاعت سارين رؤية أن الجانب الأيسر من وجهه يشوبه وحة بنفسجية ضخمة.

قال لوكل: "دعينا نأمل أن العرش لن يسقط في يده أبداً، قد لا نتفق مع آيادون ولكنه على الأقل رشيد في الأمور المادية، أما تيلري فإنه مُبذر. إنه يحب المال ويجب من يمنحه المال،

وعلى الأرجح كان ليصير أغنى رجل في أربيلون لو لم يكن مسرفًا للغاية، ولكن المسكين الآن في المركز الثالث فحسب من بعد الملك والدوق رويال".

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "كان الملك مستعدًا لأن يجرم رايودن من الميراث تاركًا العرش من دون وريث معروف؟ ألا يعرف أي شيء عن حروب الخلافة؟".

هز لوكل كنفه وقال: "على الأرجح كان يُفضل ألا يكون لديه وريث على أن يغامر بترك رايودن في السلطة".

"لا يُمكنه أن يترك أشياء مثل الحرية والتعاطف تُفسد مُلكه المثالي الصغير".

"بالضبط".

"هؤلاء النبلاء الذين كانوا يتبعون رايودن، هل يلتقون؟".

عقد لوكل حاجبيه وقال: "لا، إنهم خائفون للغاية من المواصلة دون حماية الأمير. لقد أقنعنا عددًا قليلًا من الأشخاص الأكثر تفانيًا بالاجتماع مرة أخيرة بعد الغد، ولكنني أشك أن يُثمر اللقاء عن أي شيء".

قالت سارين: "أريد الحضور".

قال لوكل مُذترًا: "هؤلاء الرجال لا يحبون الوافدين الجدد يا ابنة العم. لقد صارت أعصابهم مشدودة، وهم يعرفون أن لقاءهم قد يعد خيانة".

"هذه هي آخر مرة يخططون فيها للقاء على أي حال، ماذا سيفعلون إن حضرت؟ يرفضون المجيء مرة أخرى؟".

صمت لوكل ثم ابتسم وقال: "حسنًا سأخبر أبي وسيجد طريقة لجعلك تحضرين".

قالت سارين وهي تُلقي نظرة أخيرة غير راضية على لوحتها: "يُمكننا أن نُخبره بالأمر أثناء الغداء". ثم بدأت في جمع أدوات الرسم.

"إذن فستأتين إلى الغداء في نهاية المطاف؟".

"حسنًا، لقد وعدني بأنه سيطهو ريشرتية فيوردية، كما أنني بعد ما عرفته اليوم لا أعتقد أنني أستطيع الجلوس هنا وسماع أحكام آيادون أكثر من هذا. من المحتمل أن أبدأ في رمي الطلاء عليه إن أغضبني أكثر من هذا".

ضحك لوكل وقال: "هذه لن تكون فكرة جيدة على الأرجح، سواء كنتِ أميرة أو لا. هيا بنا، ستبتهج كايسي لقدومك. لطالما أعد أبي طعامًا أفضل عندما يكون لدينا صحبة".

\*\*\*

كان لوكل محقًا.

"إنها هنا!". صاحت كايسي في حماس بمجرد أن رأت سارين تدلف. "سيكون عليك أن تقدم الغداء الآن يا أبي!".

ظهرت جالا من باب قريب لتقابل زوجها بعناق وقبله سريعة. همست المرأة السقوردية بشيء للوكل باللغة الفيوردية فابتسم وربت على كتفها بمودة. راقبتهم سارين في حسد، ثم تمالكت نفسها وهي تجز على أسنانها، إنها أميرة تيودية، وليس لها أن تشتكي من ضرورات زواج سياسي. إن كان دومي قد أخذ زوجها قبل حتى أن تُقابله فلا شك أنه يريد أن يترك عقلها صافيًا من أجل اهتمامات أخرى.

خرج العم كين من المطبخ وهو يحشر كتابًا في متزره قبل أن يُعانق سارين بقوة كعادته. "إذن لا يُمكنك البقاء بعيدًا عنا رغم كل شيء، لا يُمكنك مقاومة إغراء مطبخ كين السحري، أليس كذلك؟".

قالت كايسي: "لا، إنما فقط جائعة يا بابا".

"أوه، أهذا كل شيء؟ حسنًا فلتجلسي يا سارين، سأقدم الغداء في غضون بضع دقائق".

جرى الغداء كعشاء الليلة الماضية، كايسي تشتكي من التأخير، ودابورن يحاول أن يتصرف بطريقة أكثر نضجًا من أخته، ولوكل يغيظهما بلا هوادة كأخي أكبر يؤدي واجبه الرسمي. ظهر آداين متأخرًا وبدا مشتت الذهن وهو يتمتم لنفسه ببعض الأرقام بصوت خافت. جلب كين العديد من أطباق الطعام التي يتصاعد منها البخار وهو يعتذر عن غياب زوجته لأن لديها موعد سابق.

كان العشاء مبهجًا؛ الطعام لذيذ والمحادثة ممتعة، حتى أخذ لوكل على عاتقه إخبار الأسرة بموهبة سارين في الرسم.

قال ابن عمها بجدية تامة: "إنها منخرطة في نوع جديد من الفن التجريدي".

سأل كين: "هل هذا صحيح؟".

قال لوكل: "أجل، رغم أنني لم أعرف الرسالة التي تحاول إيصالها من خلال رسم زهرة على هيئة لطخة بنية تُشبه حصانًا بشكل مبهم".

احمر وجه سارين خجلًا عندما ضحك جميع الجالسين حول الطاولة، ومع ذلك لم ينته الأمر، فقد اختار آس هذه اللحظة ليخذه أيضًا.

قال السيون بجديّة بصوته الرسمي العميق: "إنّها تُسميها مدرسة التضليل الإبداعي، أعتقد أن الأميرة تشعر بالقوة عن طريق صياغة الفن الذي يُربك تمامًا قدرة المرء على تمييز موضوع اللوحة".

كان هذا أكثر من قدرة كين على الاحتمال فكاد أن ينهار من الضحك. سرعان ما انتهى عذاب سارين عندما تغير موضوع المحادثة قليلاً، وكان مصدره ذا أهمية كبيرة بالنسبة للأميرة.

أخبرتهم كايسي قائلة: "لا يوجد شيء يُسمى مدرسة التضليل الإبداعي".

سألها أبوها: "حقاً؟".

"لا، هناك المدرسة التصويرية والمدرسة التصويرية الحديثة والمدرسة التجريدية الاشتقاقية والمدرسة الإحيائية. هذا كل شيء".

سألها لوكل باهتمام: "هل هذا صحيح؟".

قالت كايسي: "أجل، هناك الحركة الواقعية ولكنها لا تختلف عن المدرسة التصويرية الحديثة، إنهم فقط يغيرون الأسماء ليبدو مهمين".

قال دايرن متمتاً: "كفي عن التباهي أمام الأميرة".

زفرت كايسي وقالت: "أنا لا أتباهي، أنا فقط مثقفة".

قال دايرن: "أنتِ تتباهين أيضاً، كما أن المدرسة الواقعية ليست هي نفسها المدرسة التصويرية الحديثة".

قال كين أمراً: "دايرن، كُفّ عن التذمر من أختك. كايسي، كُفي عن التباهي".

تجهمت كايسي ثم مالت في كرسيها إلى الورااء بنظرة عابسة على وجهها، ثم بدأت تغمغم بكلمات غير مفهومة.

تساءلت سارين في حيرة: "ما الذي تفعله؟".

قال دايورن بلا اكتراث: "أوه، إنها تسبنا بلغة الجيندو، دومًا ما تفعل هذا عندما تخسر جدالًا".

قال لوكل: "تعتقد أن بإمكانها حفظ ماء وجهها بالحديث بلغات أخرى، كأنما هذا يُثبت أنها أكثر ذكاءً من بقية العالم".

ما إن قال هذا حتى تغير اتجاه تدفق سيل الكلمات من فم الفتاة الشقراء. جفلت سارين عندما أدركت أن كايسي صارت تتمم باللغة الفيوردية، ولكن كايسي لم تكن قد أنهت تقريرها باتهام قصير لاذع فيما بدا أنه باللغة الدولادية.

تساءلت سارين بدهشة: "كم عدد اللغات التي تتحدث بها؟".

قال لوكل: "أوه، أربع أو خمس، ما لم تكن قد تعلمت لغة جديدة في غفلة مني، ولكن سيكون عليها أن تتوقف قريبًا، فالعلماء السفورديون يزعمون أن العقل البشري لا يُمكنه أن يحتفظ إلا بست لغات قبل أن يبدأ في الخلط بينهم".

قال كين بصوته العميق الأبحس: "إنه واحد من أهداف كايسي الصغيرة في الحياة، أن تثبت خطأهم، هذا بالإضافة إلى أكل كل الطعام الذي يمكنها العثور عليه في أريلون بأسرها".

شمخت كايسي بأنفها وهي تنظر إلى أبيها باستياء ثم أولت اهتمامها إلى وجبتها من جديد.

قالت سارين بشيء من الدهشة: "إن كليهما... واسع الاطلاع".

قال لوكل: "لا تبالغي في إعجابك، إن معلميهما كانوا يغطون تاريخ الفن مؤخرًا، ويعمل كلاهما يجد لإثبات قدرته في التفوق على الآخر".

قالت سارين: "وحتى مع هذا يظل الأمر مثيرًا للإعجاب".

تمتت كايسي بشيء بينما تناول وجبتها، وهي لا تزال مستاءة من خسارتها.

سألها كين بنبرة حازمة: "ما الذي قلته؟".

"قلت إن كان الأمير هنا لأصغي إليّ، لطالما وقف في صفي".

قال دايرن: "كان يبدو لك فقط أنه يتفق معك، هذا يسمى السخرية يا كايسي".

أخرجت كايسي لسانها لأخيها ثم قالت: "كان يعتقد أنني جميلة، وكان يُجبنني. كان ينتظر أن أكبر لكي يتزوجني، وحينها أصير ملكة وألقي بكم جميعًا في السجن حتى تعترفوا بأنني محقة".

قال دايرن متجهماً: "لم يكن ليتزوجك أيها الغبية، لقد تزوج سارين".

لا شك أن كين قد لاحظ الحزن الذي كسا ملامح سارين عندما جاؤوا على ذكر الأمير، لأنه سرعان ما أسكت الطفلين بنظرة صارمة. ومع هذا كانت الفأس قد وقعت على الرأس، كلما عرفت سارين المزيد عن الأمير تذكرت صوته الرقيق والمشجع الذي كان يسافر مئات الأميال عبر السيون لكي يتحدث معها. تذكرت رسائله المستفيضة التي كان يخبرها فيها عن الحياة في أربلون، شارحًا لها كيف يعد مكانًا من أجلها. كانت تتطلع إلى مفاجآت بوصولها المبكر، ولكن يبدو أنها لم تأت مبكرًا بما فيه الكفاية.

ربما كان يجب عليها أن تُصغي لأبيها، كان مترددًا في الموافقة على الزواج، رغم أنه يعرف أن تيود بحاجة إلى تحالف قوي مع الحكومة الأريلية الجديدة، رغم أن البلدين منحدران من نفس الإرث العرقي والثقافي لم يكن هناك أدنى تواصل بين تيود وأربلون طيلة العقد الماضي. الثورة



التي تلت الربود كانت تمدد أي شخص على علاقة بالإيلانترين، وهذا بالتأكيد يتضمن العائلة الملكية اليهودية. ولكن مع توسيع فيوردن لنطاق نفوذها من جديد، وهذه المرة بالسعي إلى إسقاط الجمهورية الدولادية، صار من الواضح أن تيود بحاجة إلى أن تعيد تحالفها مع حليف قديم وإلا سيكون عليها أن تواجه جحافل الويرن وحيدة.

وهكذا اقترحت سارين هذا الزواج، كان أبوها معارضاً في البداية، ولكنه رضخ بعد ذلك أمام الضرورة الملحة للأمر. لم يكن هناك رابطة أقوى من رابطة الدم، وخاصة عندما يكون الزواج متعلقاً بولي العهد. لا يهم أن عقد الزواج الملكي يمنع سارين من الزواج مرة أخرى، فقد كان رايبودن شاباً وقوياً، لقد افترضوا جميعاً أنه سيعيش لعقود.

كان كين يتحدث إليها، فقالت له: "ماذا قلت يا عماه؟".

"أردت فقط أن أعرف إن كان هناك أي شيء تريد أن رأيته في كاي. لقد كنت هناك قبل يومين وربما قد حان الوقت ليمنحك شخص ما جولة في المدينة. أنا واثق أن لوكل سيكون مسروراً لأن يُريك المعالم السياحية".

رفع الشاب النحيل يديه وقال: "المعذرة يا أي، أود حقاً أن أصطحب ابنة عمي الجميلة في جولة في البلدة، ولكن أنا وجمالا علينا الذهاب للمساومة على شراء بعض الحرير من أجل شحنة ذاهبة إلى تيود".

سألته سارين في دهشة: "كلاكما؟".

قال لوكل وهو يضع منديلته على المائدة ويعتدل واقفاً: "بالطبع، جمالا مساومة لا يُشق لها غبار".

قال المرأة السفوردية معترفة بلهجة ثقيلة وابتسامة شاحبة: "هذا هو السبب الوحيد لزواجه مني، لوكل تاجر، والأرباح هو كل ما يعنيه، حتى في الزواج".

قال لوكل ضاحكًا وهو يمسك بيد زوجته بينما تنهض: "هذا صحيح، لم يخطر على بالي حقيقة أنها رائعة وجميلة. شكرًا على الوجبة يا أبي، كانت لذيذة. طاب يومكم جميعًا".

ثم انصرف الزوجان وكل منهما يمدق إلى عيني الآخر أثناء سيرهما. ما إن خرجا حتى تأفف دايرن بصوت مسموع ثم قال: "يجب عليك أن تتحدث معهما يا أبي، إن نظرة الهيام الحمقاء في أعينهما تجعل تناول الطعام صعبًا".

وافقته كايسي قائلة: "إن عقل أختنا العزيز قد تحول إلى هريسة".

قال كين: "عليكما التحلي بالصبر يا طفلي، فلم يمضِ على زواج لوكل سوى شهر واحد، امنحاه بعض الوقت وسيعود إلى طبيعته".

قالت كايسي: "آمل هذا، إنه يصيبني بالغثيان". لم يبدُ بالنسبة لسارين أنها تشعر بالغثيان فقد كانت لا تزال تلتهم الطعام بنهم.

بجانب سارين كان آداين لا يزال يتمتم بطريقته المعتادة، لم يبدُ عليه أنه يقول الكثير، باستثناء ترديد الأرقام، ومن آن لآخر كان يقول كلمة تبدو أشبه بـ"إيلانتريس".

أدى هذا إلى تنشيط ذاكرة سارين فقالت: "أود حقًا أن أرى البلدة يا عماء، وخصوصًا إيلانتريس، أريد أن أعرف سبب كل هذه الضجة التي تحيط بها".

فرك كين ذقنه ثم قال: "حسنًا، أفترض أنه بإمكان التوأمين اصطحابك لتهيأ، إنهما يعرفان كيف يصلان إلى إيلانتريس، وهذا سيجعلهما يتوقفان عن إزعاجي لبعض الوقت".

"التوأمين؟".

ابتسم كين وقال: "إنه اللقب الذي منحهما إياه لوكل".

قال دايبورن: "اللقب الذي نكرهه، نحن لسنا توأمين، لا نبدو حتى متشاكين".

تفحصت سارين الطفلين بشعرهما الأشقر المتشابه والتعبير الحازم المتماثل المرتسم على وجهيهما، ثم ابتسمت وقالت: "لا، على الإطلاق".

\*\*\*

كان سور إيلانتريس يطل على كاي كحارس ينظر في استياء. بينما سارين تسير بمحاذاة قاعدته أدركت أخيراً كم هو هائل، لقد زارت فيوردن ذات يوم وانبهرت بالعديد من مدنها المحصنة، ولكن حتى هذه المدن لا يمكنها منافسة إيلانتريس، كان السور شاهق الارتفاع، وجوانبه ملساء للغاية، ومن الواضح أن ما بناه لم يكن أيدي بشرية عادية. كان هناك نقوش هائلة متداخلة من الآيونات على جوانبه، ولم تستطع سارين التعرف على العديد منها، رغم أنها تعتبر نفسها واسعة الاطلاع.

اقتادها الطفلان إلى سلم هائل من الدرجات الصخرية يصعد على الجانب الخارجي للسور. كان منحوتاً بشكل رائع، مع قناطر ومنصات مشاهدة، وكانت الدرجات نفسها منحوتة بشكل مهيب. كان هناك أيضاً إحساس من ال... الغطرسية يحيط بالسلم. كان من الواضح أنه جزء من التصميم الأصلي لمدينة إيلانتريس، وقد أثبت أن الأسوار الشاهقة لم تُبن كوسيلة للدفاع، بل كوسيلة للفصل. لا يبني مثل هذه التحصينات الهائلة ثم يضع درجات واسعة في الخارج تؤدي إلى الأعلى إلا أشخاص واثقون في أنفسهم تمام الثقة.

وقد ثبت أن هذه الثقة كانت في غير محلها، لأن إيلانتريس قد سقطت، ومع ذلك ذُكرت سارين نفسها أن المدينة لم تسقط على أيدي غزاة، بل على يد شيء آخر، شيء غير مفهوم بعد؛ الريبود.

توقفت سارين أمام درابزين حجري في منتصف الطريق تقريباً إلى أعلى السور لتتظر إلى مدينة كاي، كانت المدينة الصغيرة تبدو مثل أخ أصغر أمام إيلانتريس الكبرى، لقد سعت جاهدة لإثبات جدارتها، ولكن بجانب المدينة الضخمة لم يكن هناك مفر من أن تبدو أقل شأنًا. ربما تكون مبانيها مثيرة للإعجاب في مكان آخر، ولكنها بدت ضئيلة، بل وحتى مثيرة للشفقة عند مقارنتها بعظمة إيلانتريس.

قالت سارين لنفسها: سواء كانت كاي مثيرة للشفقة أو لا فيجب أن تكون محور تركيزي، لقد ولت أيام إيلانتريس.

كان هناك العديد من فقاعات الضوء الصغيرة على طول الجزء الخارجي من السور، بعض من أول السيونات التي تراها سارين في المنطقة. كانت متحمسة في البداية ولكنها بعد ذلك تذكرت الحكايات. ذات يوم لم تكن السيونات تتأثر بالشايود، ولكن هذا تغير مع سقوط إيلانتريس. الآن عندما يصيب الشايود شخصًا فإن السيون الخاص به. إن كان يملك واحدًا. يُصاب بنوع من الجنون. كانت السيونات تحوم على غير هدى، كأطفال قد ضلت طريقها. كانت تعرف دون أن تحتاج إلى سؤال أن السيونات المصابة بالجنون تجتمع في المدينة بمجرد أن يسقط أسيادها.

أشاحت بنظرها بعيدًا عن السيونات وهي تومئ للطفلين وتُكمل طريقها عبر درجات السلم الهائلة. صحيح أن كاي ستكون محور تركيزها، ولكنها لا تزال ترغب في رؤية إيلانتريس، كان هناك شيء بشأنها. حجمها، آيواناتها، سمعتها. تحتاج لأن تختبره بنفسها.

بينما تمشي مدت يدها لتفرك نقشًا غائرًا يمثل آيونًا منحوتًا في جانب سور المدينة. كانت الخطوط أعرض من يدها، ولم يكن هناك أي فجوات حيث يلتقي الحجر بالحجر، كان الأمر كما قرأت عنه، إن السور بأكمله كتلة واحدة متجانسة من الصخور.

إلا أنه لم يعد خاليًا من العيوب، كان هناك قطع من البناء الحجري الهائل متشققة وامتداعية، وخصوصًا بالقرب من قمته. بينما يقتربون من نهاية تسلقهم كان هناك أماكن قد انهارت فيها أجزاء كبيرة من الصخور، تاركة جروحًا وعرة في الحجر أشبه بعلامات عض. ومع ذلك كان السور مثيرًا للإعجاب، وخصوصًا عندما يقف المرء على قمته وينظر إلى الأرض تحته.

قالت سارين وهي تشعر بالدوار: "يا للهول!".

جذبها دايرون من فستانها إلى الورا بإلحاح وهو يقول: "لا تقتربي كثيرًا يا سارين".

قالت وهي تشعر بقليل من الدوار: "أنا بخير". ومع هذا تركته يجذبها للوراء.

كان آس يحوم إلى جانبها فتوجه في قلق وهو يقول: "ربما لم تكن هذه فكرة جيدة يا سيدتي، أنتِ تعرفين حالك مع المرتفعات".

قالت سارين وهي تستعيد توازنها: "هذا هراء". ثم لاحظت لأول مرة أن هناك تجمعًا كبيرًا على قمة السور على مسافة قصيرة منها. كان هناك صوت حاد يعلو فوق المجموعة، صوت لم تستطع تمييزه جيدًا. "ما هذا؟".

تبادل التوأمان نظرة من الحيرة ثم قال دايرون: "لا أعرف".

وقالت كايسي: "عادة يكون هذا المكان خاويًا إلا من الحرس".

قالت سارين: "دعونا نلقي نظرة". لم تكن واثقة من الأمر، ولكن حُيِّل إليها أنها تعرفت على الصوت، بينما يقتربون من مؤخرة الحشد تأكدت شكوك سارين.

قالت كايسي في حماس: "إنه الجيرون! لقد أردت أن أراه". ثم اندفعت ناحية الحشد. سمعت سارين صرخات مفاجئة وانزعاج مكتومة بينما الطفلة الصغيرة تشق طريقها إلى مقدمة المجموعة.

نظر دايورن إلى أخته نظرة تواقّة وقطع خطوة للأمام، ولكنه حينها نظر وراءه إلى سارين، فقرر البقاء بجوارها ليقوم بواجبه كمرشد سياحي.

لم يكن دايورن بحاجة للقلق حيال رؤية الجيورن. كانت سارين أكثر تحفظًا من ابنة عمها الصغيرة، ولكنها كانت عازمة مثلها على الاقتراب بما يكفي لسماع هرائن. وهكذا شقت سارين طريقها بتهديب وبحزم بين الحشد وحارسها الصغير إلى جانبها، حتى صارت تقف في المقدمة.

كان هرائن يقف على منصة صغيرة مبنية في سور إيلانتريس، وهو يولي ظهره إلى الحشد، ولكنه يميل بزاوية تسمح لكلماته بالوصول إليهم. من الواضح أن خطابه كان موجّهًا لآذانهم وليس لمن هم بالأسفل. بالكاد ألقت سارين نظرة على إيلانتريس نفسها، سيكون عليها أن تنظر إليها بتمعن لاحقًا.

قال هرائن أمرًا وهو يشير إلى إيلانتريس: "انظروا إليهم! لقد فقدوا حقهم في أن يصيروا بشرًا، ليس لديهم إرادة أو رغبة لخدمة مملكة الرب جادث. لأنهم لا يؤمنون بأي إله، ولا يتبعون إلا شهواتهم".

عقدت سارين حاجبها، لم تكن العقيدة القائلة بأن الاختلاف الوحيد بين الإنسان والحيوان هي قدرة الإنسان على عبادة الإله. الذي هو جادث في فيوردن. جديدة عليها، لقد حرص والدها على أن يتضمن تعليمها معرفة شاملة عن الشو-ديريث. ما لم تستطع فهمه هو لماذا يضع جيورن وقته مع الإيلانترين، ما الذي يمكن أن يجنيه من التنديد بمجموعة قد تعرضت بالفعل لعقاب شنيع؟

ولكن هناك شيئًا واحدًا واضحًا، إن رأى الجيورن أن هناك سببًا ليهاجم إيلانتريس فإن من واجبه الدفاع عنها. من الممكن أن توقف مخططات عدوها قبل أن تفهمها تمامًا.

أكمل هراثن وخطبته تقترب من نهايتها: "وكما يعلم الجميع فإن الحيوانات أدنى منزلة من البشر في عيني الرب جادث".

رأت سارين الفرصة سانحة فاغتنمتها، فتحت عينيها على اتساعهما لتتظاهر بالغباء والحيرة وبأكثر صوت حدة وبراعة قالت كلمة واحدة: "لماذا؟".

صمت هراثن، كانت قد حددت توقيت السؤال بدقة لكي يقع مباشرة في الصمت القصير الفاصل ما بين جملتين. تعثر الجيرون مع هذا السؤال الثاقب، وكان من الواضح أنه يحاول استعادة رباطة جأشه. ومع ذلك كان توقيت سارين بارعاً للغاية، فلم يتمكن من استعادة توازنه. تلفت حوله بعينين صارمتين بحثاً عن الشخص الذي قاطعه بحماقة شديدة، كل ما وجدته هو سارين التي تقف في حيرة وخجل.

سألها هراثن: "لماذا ماذا؟".

فسألته: "لماذا الحيوانات أدنى منزلة من البشر في عيني السيد جادث؟".

جز الجيرون على أسنانه لاستخدامها مصطلح "السيد جادث" قبل أن يقول: "لأنهم على عكس البشر لا يمكنهم أن يفعلوا شيئاً سوى اتباع شهواتهم".

كان السؤال المعتاد الذي يتبع مثل هذا الحديث هو "ولكن البشر يتبعون شهواتهم أيضاً" وهو ما يسمح هراثن الفرصة لشرح الفرق بين الإنسان المتدين والإنسان الخطيء الشهواني، ولكن سارين لم تلتزم بهذا.

قالت سارين بصوت يحمل نبرة من الحيرة: "ولكني سمعت أن السيد جادث يكافئ الكبرياء".

امتألت عينا الجيورن بالريبة، كان السؤال دقيقاً للغاية على أن يصدر من امرأة بسيطة حسبما تتظاهر سارين. كان يعرف. أو على الأقل يشك. أما تتلاعب به. ولكن لا يزال عليه إجابة السؤال، إن لم يكن من أجلها فمن أجل بقية الحشد.

"الرب جادث يُكافئ الطموح لا الكبرياء".

قالت سارين: "لا أفهم، ألا يخدم الطموح شهواتنا؟ لم يُكافئ السيد جادث هذا؟".

أدرك هرائن أنه يخسر جمهوره، فقد كان سؤال سارين حجة لاهوتية عمرها قرن من الزمان ضد الشو-ديريث، ولكن الحشد لا يعرفون شيئاً عن الخلافات أو التفنيدات العلمية القديمة، كل ما يعرفونه هو أن شخصاً ما يطرح أسئلة لا يتمكن هرائن من الإجابة عليها بسرعة كافية، أو بشكل مثير للاهتمام بما يكفي لجذب انتباههم.

"الطموح يختلف عن الشهوانية". قالها هرائن بحدة مستغلاً موقعه القيادي في الإمساك بزمام المحادثة. "إن خدمة الناس في إمبراطورية جادث تُكافأ بسرعة في الدنيا وفي الآخرة".

كانت محاولة بارعة، لم يتمكن فحسب من تغيير الموضوع، بل جذب انتباه الحشد إلى فكرة أخرى. يرى الجميع أن المكافآت أمر رائع مثير للاهتمام. ولكن لسوء حظه لم تكن سارين قد انتهت بعد.

"إذن إن خدمنا جادث فستُشبع شهواتنا؟".

"لا أحد يخدم جادث سوى الويرن". قالها هرائن باستخفاف وقد عدَّ هذا أفضل طريقة للرد على اعتراضاتها.

ابتسمت سارين فقد كانت تأمل أن يقع في هذا الخطأ، كان من المبادئ الأساسية للشو-ديريث أن بإمكان رجل واحد أن يخدم جادث مباشرة، إن الديانة ذات هيكل صارم أشبه



بالحكومة الإقطاعية التي كانت تحكم فيوردن ذات يوم. كل واحد يخدم من هم فوقه، والذين بدورهم يخدمون من هم فوقهم، حتى يصل الأمر إلى الويرن الذي يخدم جادث. الجميع يخدمون إمبراطورية جادث، ولكن رجلاً واحداً يُمكن أن يكون مُقدَّساً بما يكفي لكي يخدم الإله ذاته. كان هناك الكثير من الالتباس بشأن هذه التفرقة، وكان من المعتاد على الكهنة الديرِيثيين أن يصححوا الأمر كما فعل هرائن للتو.

لقد منح سارين فرصة أخرى لسوء حظه.

سألته في حيرة: "لا يُمكن لأحد أن يخدم جادث؟ ولا حتى أنت؟".

كانت حجة سخيفة، تفسيراً خاطئاً لما قاله هرائن، وليس هجوماً حقيقياً على الشو-ديريت. في نقاش ديني حقيقي لن تكون سارين قادرة على الوقوف في وجه جيورن مخضرم، ولكنها لم تكن تسعى إلى دحض تعاليم هرائن، بل إفساد خطبته فحسب.

تأمل هرائن تعليقها، من الواضح أنه أدرك الخطأ الذي وقع فيه. كل تفكيره السابق وتخطيطه صاراً عديماً الجدوى، فقد راح الجمهور يفكر في هذا السؤال الجديد.

حاول الجيورن في نبل أن يتدارك خطأه محاولاً أن يعيد المحادثة إلى أرضية مألوفة له، ولكن الحشد قد صار في صف سارين، وقد أحكمت عليهم قبضة لا يمكن أن تُحكما سوى امرأة على وشك الهيستريا.

قالت وهي تمز رأسها: "ما الذي يجب علينا فعله؟ أخشى أن أمور الكهنة هذه تفوق فهم العامة أمثالي".

وهكذا حُسم الأمر، بدأ الناس يتحدثون فيما بينهم وهم يتفرقون، معظمهم كان يضحك من غرابة أطوار الكهنة وغموض التفكير اللاهوتي. لاحظت سارين أن معظمهم من النبلاء، لا

شك أن الأمر قد تطلب جهدًا كبيرًا من الجيورن لكي يجلبهم إلى أعلى سور إيلاتريس. وجدت نفسها تبسم في مكر لإفساد مخططاته ومحاولاته لإقناعهم.

راقب هراثن بحرص تفرق الحشد. لم يحاول أن يتحدث مرة أخرى، على الأرجح يُدرك أنه إن صرخ أو استشاط غضبًا فإن هذا سيضره ولن ينفعه.

بشكل مفاجئ أبعاد الجيورن نظره عن الحشد المتفرق وأوما برأسه إلى سارين في تقدير. لم تكن الخنأة، ولكنها أكثر لفتة تلتقتها من كاهن ديريني احترامًا، إنها اعتراف بانتصارها في المعركة، وتنازل خصم جدير بالاحترام.

قال بصوت خافت ولكنة بسيطة: "أنت تلعبين لعبة خطيرة أيتها الأميرة".

أجابته: "ستجد أنني لاعبة ماهرة أيها الجيورن".

"إلى اللقاء في الجولة التالية إذن". قالها وهو يشير بيده إلى كاهن ذي شعر فاتح لكي يتبعه وهو ينزل من على السور. لم يكن في عيني هذا الرجل الآخر ما يشير إلى الاحترام أو حتى التسامح، بل كان نظره مصوبًا عليها وعيناه تشتعلان بالكراهية، فارتجفت سارين. كان يجز على أسنانه بقوة، فأحست سارين أنه لا يكاد يكون هناك شيء يمنع الرجل من الإمساك بعنقها وإلقائها من على السور. أصابها الدوار وهي تفكر في الأمر.

قال آش وهو يحوم إلى جانبها: "هذا الرجل يقلقني، لقد رأيت رجالًا مثله من قبل، ولم تكن تجربة لطيفة. إن السد المبني بشكل سيئ سينهار في نهاية المطاف".

أومات سارين برأسها وقالت: "إنه آيوني وليس فيوردًا، يبدو أنه خادم هراثن أو مرافق له".

"حسنًا دعينا نأمل أن يكون الجيورن قادرًا على إبقاء حيوانه الأليف تحت السيطرة يا سيدتي".

أومات برأسها ولكن قبل أن تجيبه تعالت ضحكة حادة من جانبها، خففت بصرها فرأت كايسي تتدحرج على الأرض في مرح، فيبدو أنها تمكنت من كتم ضحكاتهما حتى اختفى الجيورن عن الأنظار.

قالت من بين أنفاسها اللاهثة: "كان هذا رائعًا يا سارين! كنتِ بلهاء للغاية! ووجهه... كان أكثر احمرارًا من وجه أبي عندما يكتشف أنني أكلت كل حلوياته. لقد كاد وجهه أن يضاهاى دروعه حُمرًا!".

قال دايورن بجدية وهو يقف بجانب سارين: "لم أحبه على الإطلاق". كان يقف بالقرب من فتحة في الدرايزين وهو ينظر لأسفل ناحية هراثن بينما الرجل يهبط درجات السلم الضخمة المؤدية إلى كاي. "كان... صارمًا للغاية. ألم يُدرك أنك كنتِ تتظاهرين بالبلاهة فحسب؟".

قالت سارين: "على الأرجح". ثم أشارت إلى كايي أن تعادل واقفة قبل أن تنفض الغبار عن فستان الفتاة الوردى. "ولكن لم يكن لديه طريقة لإثبات هذا، لذا كان عليه أن يتظاهر بأني جادة".

قال دايورن: "قال أبي إن الجيورن هنا ليدعونا لاعتناق الشو—ديريث".

سألته سارين: "أهذا ما يفعله حقًا؟".

أوما دايورن برأسه وقال: "إنه يخشى أيضًا أن هراثن سينجح في هذا. قال أيضًا إن المحاصيل لم تكن جيدة في العام الماضي، وإن الكثير من الناس ليس لديهم طعام. إن لم تجرِ زراعة المحاصيل على نحو جيد هذا الشهر فسيكون الشتاء القادم أكثر قسوة، والأوقات العصيبة تجعل الناس مستعدين لقبول ما يقوله رجل يدعوهم لتغيير دينهم".

قالت سارين: "أبوك رجل حكيم يا دايورن". لم تكن مواجهتها مع هراثن سوى لعبة، وبقول الناس متقلبة وسرعان ما سينسون مناقشة اليوم. أيًا كان ما يفعله هراثن فإنه جزء من شيء

أكبر، شيء له علاقة بإيلانتريس، ويجب على سارين أن تكتشف نواياه. وأخيرًا تذكرت السبب الحقيقي وراء زيارتها لهذا السور، فألقت سارين أول نظرة حقيقية على المدينة أسفلها.

لقد كانت جميلة ذات يوم. الطريقة التي تتداخل بها المباني وتتقاطع بها الطرق، كان البناء بأسره... مقصودًا، فنًا على نطاق واسع، لقد انهارت معظم القناطر وقنوات العديد من القباب، وحتى بعض الأسوار بدت وكأنها على وشك الانهيار. ورغم ذلك كان باستطاعتها أن ترى شيئًا واحدًا، لقد كانت إيلانتريس جميلة ذات يوم.

"يا لهم من مساكين". قالتها كايسي بجانبها وهي تقف على أطراف أصابعها لكي تنظر من فوق الحاجز.

"من؟".

قالت كايسي وهي تشير إلى الشوارع أسفلها: "هؤلاء".

كان هناك أشخاص بالأسفل، متكومين على أنفسهم ولا يكادون يتحركون، ويمكن رؤيتهم بصعوبة في الشوارع المظلمة. لم تكن سارين قادرة على سماع تأوهاتهم ولكنها كانت قادرة على الإحساس بها.

قالت كايسي: "لا أحد يعتني بهم".

سألته سارين: "كيف يأكلون؟ لا شك أن هناك من يُطعمهم". لم تكن قادرة على تمييز الكثير من التفاصيل بشأن الأشخاص بالأسفل. إنما تعرف فقط أنهم بشر، أو على الأقل أشكال بشرية، لقد قرأت العديد من الأشياء المتضاربة بشأن الإيلانترين.

قال دايرن: "لا أحد يُطعمهم. من المفترض أن يكونوا جميعًا موتى، فليس هناك شيء يأكلونه".

قالت سارين محتجة: "لا شك أنهم يحصلون على الطعام من مكان ما".

هزّت كايسي رأسها وقالت: "إنهم موتى يا سارين، لا يأكلون".

قالت سارين بعدم اقتناع: "ربما لا يتحركون كثيرًا، ولكن من الواضح أنهم ليسوا موتى، انظروا هؤلاء الواقفين هناك".

قالت كايسي بنبرة جادة على غير عادتها: "لا يا سارين، إنهم موتى أيضًا، لا يحتاجون إلى الأكل ولا النوم، ولا يتقدمون في العمر، إنهم جميعًا موتى".

قالت سارين: "كيف تعرفين الكثير عنهم؟". كانت تحاول تجاهل الكلمات باعتبارها نتاج مخيلة طفلة، ولكن لسوء الحظ ثبت أن هذين الطفلين على اطلاع كبير.

قالت كايسي: "أنا أعرف حقًا، صدقيني، إنهم موتى".

أحست سارين بالشعر ينتصب على ذراعيها، وقالت لنفسها بجزم إن عليها ألا تستلم للخرافات، قد يكون الإيلانتريون غريب الأطوار حقًا، ولكنهم ليسوا موتى، لا شك أن هناك تفسيرًا آخر.

تفحصت المدينة مرة أخرى، محاولة أن تُبعد تعليقات كايسي المقبضة عن عقلها، ولكن بينما تفعل هذا وقع بصرها على ثلاثة أشخاص، لم يبدووا بئس كالبقية. ضيقت عينها وهي تنظر إليهم، كانوا إيلانترين، ولكن بدا أن أحدهم يتمتع ببشرة داكنة أكثر من الاثنين الآخرين. كانوا رابضين على قمة مبنى، وبدا أنهم يتحركون على عكس معظم الإيلانترين الآخرين الذين قد رأتهم. كان هناك شيء... مختلف حيال هؤلاء الثلاثة.

قال آش في قلق: "سيدتي؟". كان صوته قريبًا من أذنها فأدركت أنها بدأت تميل على الحاجز الصخري.

جفلت وهي تنظر لأسفل فلاحظت مدى ارتفاعهم. زاغت عينها وبدأت تفقد توازنها مذهولة بالأرض المتموجة أسفلها...

"سيدتي!". جاء صوت آش ليوقظها من ذهولها.

تعثرت سارين وهي تتراجع إلى الوراء بعيدًا عن الجدار، ثم جلست على الأرض ولفت ذراعيها حول ركبتيها وهي تتنفس بعمق للحظة قبل أن تقول: "سأكون بخير يا آش".

قال السيون أمرًا بصوت حازم: "سنغير هذا المكان بمجرد أن تستعيدي توازنك".

أومأت سارين برأسها في شروود.

قالت كايسي ساخرة: "بالنظر إلى طولك سيعتقد المرء أنك اعتدتِ المرتفعات".

## الفصل التاسع

حس هرائن أنه لو كان ديلاف كلبًا لراح يزجر ولسال الزبد من فمه، فقد كان الأرتيث أسوأ حالًا من المعتاد بعد زيارة إيلائنتريس.

التفت هرائن وراءه لينظر إلى المدينة. لقد كادا أن يصلا إلى كنيستهما الصغيرة، ولكن السور الهائل الذي يحيط بإيلائنتريس كان لا يزال مرئيًا، ومن فوقه الفتاة المثيرة للحقن التي قد نجحت في التغلب عليه بطريقة ما هذا اليوم.

قال رغمًا عنه: "كانت مذهلة!". مثل أي واحد من شعبه كان لديه تحيز واضح تجاه الشعب التيودي. لقد نفت تيود الكهنة الديريثيين من أراضيها قبل خمسين عامًا، بعد سوء فهم بسيط، ولم تسمح لهم قط بالعودة. لقد كاد ملك تيود أن يطرد سفراء فيوردن أيضًا، لم يكن هناك أي فرد تيودي بارز منتمي للشو-ديريث، وكانت العائلة الملكية التيودية مشهورة بنبذها الحاد لكل ما هو ديريثي.

ومع ذلك كان من المثير أن يلتقي بشخص يُمكنه بسهولة أن يُفسد واحدة من عطاته. لقد دعا هرائن إلى الشو-ديريث لفترة طويلة، وقد أجاد فن التلاعب بعقول العوام، حتى لم يعد قادرًا على أن يجد من يتحداه. إن نجاحه في دولادل قبل نصف عام أثبت أنه من الممكن للمرأة أن يتسبب في انهيار الأمم إن كان بارعًا ما يكفي.

لسوء الحظ لم يكن هناك إلا القليل من المعارضة في دولادل، إن الدولاديين أنفسهم متفتحو العقل للغاية، وقدرتهم على التقبل تجعلهم لا يمثلون تحديًا حقيقيًا. في النهاية وجد هرائن نفسه خائب الأمل، وبقايا الحكومة الميتة مرتقية تحت قدميه. لقد كان الأمر سهلًا للغاية.

قال: "أجل، إنها مثيرة للإعجاب".

قال ديلاف في حق: "إنها ملعونة أكثر من الباقين، إنها من العرق الوحيد الذي يكرهه الرب جادث".

إذن فهذا ما كان يزعجه، الكثير من الفيورديين يفترضون أنه لا أمل في التيوذيين، ولكنه افتراض أحمق بالطبع، تبرير بسيط يفرس الكراهية الدينية تجاه أعداء فيوردن التاريخيين. ورغم ذلك يصدق الكثير من الناس الأمر، ويبدو أن ديلاف واحد منهم.

قال هراثن: "لا يكره جادث إلا من يكرهه".

"إنهم يكرهونه".

قال هراثن: "معظمهم لم يسمعوا حتى باسمه أيها الأرتيث. بالطبع ملكهم قد سمع، وهو ملعون على الأرجح بسبب تأليب الناس ضد الكهنة الديرثيين. ولكن الشعب لم ينل فرصة حقيقية، ما إن تخضع أربلون للرب جادث سيكون علينا أن نقلق بشأن اختراق تيود. لن يصمد هذا البلد كثيرًا مع اتحاد بقية العالم المتحضر في وجهه".

قال ديلاف متنبًا وعينه تتقدان بالغضب: "سوف يتحطم، لن ينتظر جادث بينما الأرائنة يبشرون باسمه في وجه قلوب التيوذيين الموصدة بالأقفال".

"لن يعود الرب جادث إلا بعد أن يتحد البشر جميعًا تحت حكم فيوردن أيها الأرتيث". قالها هراثن وهو يُبعد عينيه المتألمتين عن إيلانتريس ويتحرك ليدلف إلى الكنيسة. "هذا يتضمن التيوذيين".

أجابه ديلاف بصوت هامس، ولكن الكلمات بدت قوية في أذني هراثن: "ربما، ولكن هناك طريقة أخرى، سينهض الرب جادث عندما تتحد كل روح حية. لن يُشكل التيوذيون عائقًا إن



دمرناهم. عندما يلفظ آخر تيودي أنفاسه الأخيرة، وعندما يحترق الإيلانزيون من على وجه سيكلا، حينها سيتبع كل البشر الويرن، ثم يعود جادث".

كانت الكلمات مقبضة، لقد جاء هراثن لينقذ أربلون، لا ليحرقها. قد يكون من الضروري تقويض النظام الملكي، وقد يكون عليهم إراقة بعض الدماء النبيلة، ولكن النتيجة ستكون خلاص أمة بأسرها. بالنسبة لهراثن فإن توحيد كل البشر يعني اعتناقهم الشو-ديريث، وليس قتل أولئك الذين لا يؤمنون.

ولكن ربما تكون طريقته خاطئة. يبدو أن صبر الويرن كاد أن ينفد كصبر ديلاف، ومهلة الثلاثة أشهر أثبتت أنها كثيرة. فجأة أحس هراثن بإحساس شديد بالعجلة، لا شك أن الويرن كان يعني ما قاله، ما لم يجعل هراثن أربلون تعتق الدين القويم فستتدمر بأسرها.

همس هراثن متضرعًا باسم إلهه: "بحق جادث العظيم بالأسفل...". سواء كان مصيبًا أو مخطئًا فإنه لا يُريد أن يسفك بيديه دماء مملكة بأسرها، حتى لو كانت مملكة مارقة، يجب عليه أن ينجح.

\*\*\*

لحسن الحظ لم تكن خسارته تامة أمام الفتاة التبودية كما اعتقد. عندما وصل هراثن إلى مكان الاجتماع. جناح كبير في واحدة من أرقى حانات كاي. كان في انتظاره العديد من النبلاء الذين دعاهم. لم تكن خطبته على سور إيلانتريس سوى جزء من خطته لدعوة هؤلاء الرجال إلى الدين.

قال هراثن وهو يومي برأسه: "مرحبًا أيها السادة".

قال آيدان، واحد من أصغر النبلاء وأكثرهم اندفاعاً: "لا تتظاهر بأن كل شيء بيننا على ما يرام أيها الكاهن، لقد وعدتنا بأن كلمتك ستجلب لنا القوة، ولكن يبدو أننا لن تجلب لنا سوى ارتباك كبير".

لَوْح هرائن بيده وقال: "لقد أربكت خطبتي الفتاة بسيطة العقل، يُقال إن الأميرة الجميلة تواجه صعوبة في التمييز ما بين يدها اليمنى واليسرى. لم أكن لأتوقع منها أن تفهم كلامي، لا تقل لي إنك كنت متحيراً مثلها أيها اللورد آيدان".

قال آيدان بوجه محتقن: "بالطبع لا يا سيدي، الأمر وما فيه هو أنني... لا أرى كيف سيجلب لنا القوة اعتناق الناس الدين".

"تتبع القوة من معرفة عدوك أيها اللورد". قطع هرائن الحجر وديلاف إلى جانبه، ثم تخير كرسيًا، يُفضل بعض الجيورنات الوقوف لإضفاء الرهبة، ولكن هرائن يجد أن الجلوس مفيد أكثر. في كثير من الأحيان يجعل الجلوس مستمعيه يرتبكون، وخصوصًا هؤلاء الذين لا يزالون واقفين. يبدو المرء أكثر سيطرة على الموقف عندما يأسر الحضور دون أن يبسط قامته. وبالفعل سرعان ما جلس آيدان والبقية بدورهم.

أراح هرائن مرفقيه على مسندي الكرسي ثم شبك أصابعه وهو يتأمل الحضور في صمت. عقد حاجبيه قليلاً حين وقع بصره على الوجه الموجود في آخر الحجر. كان الرجل كبير السن، ربما في أواخر الأربعينيات ويرتدي ثياباً فخمة. كان أكثر شيء مميز في مظهر الرجل هو الوحمة البنفسجية الكبيرة على وجنته اليسرى وعنقه.

لم يدعُ هرائن الدوق تيلري إلى هذا الاجتماع. كان الدوق واحدًا من أقوى الرجال في أريلون، وقد اقتصرت دعوة هرائن على النبلاء الأصغر سنًا. لقد افترض أنه لا يوجد فرصة كبيرة لإقناع الرجال الأقوياء باتباعه. إن الشباب أكثر تلهفًا لترقي السلم الأرستقراطي، لذا فمن

السهل التلاعب بهم. سيكون على هراثن أن يتحدث بحذر هذه الليلة، فقد تكون مكافأته حليفاً قوياً.

وأخيراً سأل آيدان وهو يتململ أمام نظرة هراثن: "حسناً؟ من هم إذن؟ من الذي تعتبره عدونا؟".

قال هراثن ببساطة: "الإيلانتيون". كان بإمكانه أن يشعر بتحفز ديلاف الواقف بجواره مع نطقه بالكلمة.

ضحك آيدان في توتر وهو يتبادل النظر مع عدد من رفاقه قبل أن يقول: "لقد مات الإيلانتيون منذ عقد من الزمان أيها الفيوردي، وبالكد يمثلون خطراً".

قال هراثن: "لا أيها اللورد العزيز، إنهم أحياء".

"إن كان بمقدورك أن تسمي هذه حياة".

قال هراثن: "لا أعني تلك البهائم المثيرة للشفقة بداخل المدينة، بل أعني الإيلانتيين الذين يعيشون في عقول الناس. قل لي يا آيدان، هل التقيت من قبل برجل يعتقد أن الإيلانتيين سيعودون يوماً ما؟".

تلاشت ضحكات آيدان وهو يفكر في السؤال.

قال هراثن: "إن حكم آيدان أبعد ما يكون عن الحكم المطلق، إنه أقرب ما يكون إلى وصي عرش لا ملك، لا يتوقع الناس حقاً أن يظل ملكاً لوقت طويل، بل ينتظرون عودة الإيلانتيين المباركين. يقول كثير من الناس إن الريود زائف، وإنه اختبار من نوع ما لمعرفة من سيبقى مخلصاً للديانة الوثنية القديمة. لقد سمعت جميعاً همسات الناس وهم يتحدثون عن إيلانتريس.

كانت كلمات هراثن تحمل ثقلاً، لم يمر عليه في كاي سوى بضعة أيام، ولكنه قد استمع جيداً وأجرى بحثاً مدروساً أثناء هذه المدة، إنه يبالي في الأمر، ولكنه يعلم بوجوده.

أكمل هراثن حديثه بجدوء قائلاً: "آيادون لا يرى هذا الخطر، إنه يعرف أن الناس لا يتقبلون حكمه، بل بالأحرى يتحملونه، ما دام لدى الناس شيء مادي يذكرهم بعظمة إيلانتريس فسيخافونها، وما داموا يخافون شيئاً أكثر من الملك فلن ينال أي منكم القوة. إن الملك هو من يسبغ عليكم الألقاب، إن قوتكم مرتبطة به، إن كان عاجزاً فكذلك أنتم".

صاروا يُنصتون إليه باهتمام، كان في قلب كل رجل نبيل إحساس بعدم الأمان لا دواء له، لم يلتقي هراثن بعد بواحد من الأرسقراطيين غير مقتنع بأن الفلاحين يسخرون منه من وراء ظهره.

أكمل هراثن: "إن الشو-كورات لا تُدرك هذا الخطر، والكهنة الكوراثيون لا يفعلون شيئاً للتنديد بالإيلانتريين، ومن ثم يترسخ الأمل في قلوب العامة، قد تكون فكرة غير عقلانية، إلا أن الناس يؤمنون بعودة إيلانتريس. إنهم يتخيلون مدى عظمتها، وقد عزز ذكرياتهم عقد من الحكايات. إن الطبيعة البشرية هي الإيمان بأن هناك أماكن أفضل من المكان الحالي وأزمنة أفضل من الزمان الحاضر. إن كنتم تريدون سيطرة حقيقية على أربيلون يا أصدقائي النبلاء الأعزاء فسيكون عليكم دحض آمال الناس الحمقاء، يجب عليكم أن تجدوا طريقة لتحذيرهم من قبضة إيلانتريس".

أوماً آيدان برأسه في حماس فزم هراثن شفثيه باستياء، كان من السهل التأثير على أفكار هذا الفتى النبيل. كما هو الحال دائماً فإن الرجل الأكثر اندفاعاً هو الأقل فطنة. تجاهل هراثن آيدان وهو يدرس التعبيرات المرتسمة على وجوه الآخرين، كانوا غارقين في التفكير، ولكنهم لم يبدوا مقتنعين. كان تيلري. الأكثر نضجاً. يجلس بجدوء في الخلف، وهو يفرك ياقوته كبيرة في أحد خواتمه بينما يتأمل هراثن.

إن عدم يقينهم كان أمرًا جيدًا، إن الرجال متقلبي العقل مثل آيدان لن ينفعوه كثيرًا. إن الرجال الذين يستميلهم إلى صفه بسهولة كبيرة قد يتقلبون عليه بنفس السرعة. قال هراثن وهو يغير حجته بمهارة: "قولوا لي يا رجال أربلون، هل سافرتم إلى بلاد الشرق؟".

كان هناك عدة إيماءات، فطيلة السنوات العشرة الماضية تدفق الزوار من أربلون للسياحة في الإمبراطورية الفيوردية القديمة. كان هراثن يشك بقوة في أن الأرستقراطية الجديدة في أربلون تشعر بعدم أمان أكثر من معظم النبلاء، ويشعرون برغبة في إثبات مدى رقي ثقافتهم بالتواصل مع ممالك مثل سفوردن؛ مركز ثقافة الشرق.

"إن كنتم قد زرتم بلاد الشرق القوية يا أصدقائي فأنتم تعلمون مدى سطوة هؤلاء الذين يتحالفون مع الكهنوت الديرثي". ربما لا تفي كلمة "سطوة" بالتعبير عن الأمر. لا يوجد ملك شرق الجبال الدثراكية يحكم ما لم يعلن الولاء للشو-ديرث، والمناصب الحكومية الأكثر إغراءً وربحًا لا يناها سوى الأكثر إخلاصًا في عبادته لجادث.

كان هناك وعد ضمني في كلمات هراثن، وبغض النظر عما سيناقشونه هذه الليلة، وأي حجج أخرى سيطرحها هراثن، فهذا هو ما سيكسبه دعمهم. لم يكن سرًا أن الكهنة الديرثيين منخرطون في السياسة، ومعظم الناس يعرفون أن الحصول على تأييد الكنيسة يُعد كافيًا لضمان النصر السياسي. كان هذا هو الوعد الذي جاء النبلاء وهم يتوقعون سماعه، وهو السبب في أن اعتراضات الفتاة التيودية لم تؤثر فيهم. إن الخلافات الكهنوتية أبعد ما تكون عن أذهان هؤلاء الناس. شو-ديرث أو شو-كورات، لم يكن الأمر مهمًا بالنسبة لهم، كل ما يحتاجون إليه هو تأكيد على أن تدينهم المفاجئ سيكافأ على الفور بالبركات؛ بركات ملموسة ومادية.

قال راميار، واحد من أصغر النبلاء: "يكفي تلاحبًا بالكلمات أيها الكاهن". كان الشاب ذا الوجه حاد القسّمات هو الابن الثاني لبارون غير مهم، يتسم بالأنف الآيوني المدبب والصراحة

المشهور بما الآبونيون. "أنا أريد وعودًا، هل تقول إننا إن اعتنقنا الشو-ديريث ستمنحنا امتيازات أعظم؟".

قال هراثن في مراوغة: "جاءت يُكافئ أتباعه".

سأله راميار: "وكيف سيُكافئنا؟ الشو-ديريث ليس لديها أي سلطة في هذه المملكة أيها الكاهن".

قال هراثن: "إن سلطة الرب جاءت منبسطة في كل مكان يا صديقي". ولكي يحول دون المزيد من المطالب قال: "صحيح أنه حتى الآن لديه القليل من الأتباع في أريلون، إلا أن العالم متغير، ولا يوجد شيء يُمكنه أن يقف في وجه إمبراطورية جادث. تذكروا دولادل يا أصدقائي، لم يمض أريلون أذى حتى الآن إلا لأننا لم نتكبد عناء محاولة تغيير ديانتها". كانت كذبة، ولكنها كذبة صغيرة. "المشكلة الأولى هي إيلانتريس، إن محوناها من أذهان الناس فسيتجذبون إلى الشو-ديريث، إن الشو-كورات مسالمة للغاية ومتراخية للغاية. سيتعاطم جادث في أذهان الناس، ومن ثم سيبحثون عن نماذج يُحتذى بها في صفوف الأرستقراطية، رجال يتمسكون بنفس مثلهم العليا".

سأله راميار بإصرار: "وبعد ذلك سُكافأ؟".

"لن يتحمل الناس حكامًا لا يُؤمنون بدينهم، وكما يُرينا التاريخ الحديث يا أصدقائي فإن الملوك والممالك ليسوا أبديين".

اتكأ راميار إلى الورا في كرسية وهو يفكر في كلمات الكاهن. لا يزال على هراثن أن يتوخى الحذر، فمن المحتمل ألا يدعمه سوى قلة من هؤلاء الرجال، ولم يرغب في منح البقية دليلاً يُدينه. قد يكون آيادون متسامحًا فيما يتعلق بالدين، ولكنه لن يتحمل تبشير هراثن لوقت طويل إن عرف بخيانتته.

لاحقًا بعد أن يشعر هراثن بقناعة راسخة في نبلائه الصغار سيمنحهم وعودًا ملموسة، وبغض النظر عما قد يقوله خصومه فإن وعود هراثن جديرة بالثقة. فبقدر ما يكره العمل مع الرجال الذين يُمكن شراء ولائهم، إلا أن الشو-ديريث ترى أن الطموح يجب أن يُكافأ. كما أنه من المفيد أن يتمتع المرء بسمعة طيبة من الصدق، على الأقل لكي يتمكن من الكذب في اللحظات الحرجة.

قال وارين، رجل نخيل بشعر أشقر يميل إلى اللون الأبيض: "سيتطلب الأمر وقتًا لاجتثاث ديانة برمتها ووضع ديانة جديدة في موضعها". كان وارين مشهورًا بتدينه الصارم، حتى إن هراثن كان متفاجئًا عندما جاء إلى الاجتماع بصحبة آيدان ابن عمه. يبدو أن تدين وارين الشهير لم يكن مسألة حماسة دينية بقدر ما هو مصلحة سياسية. إن استماله إلى صفه بسمعته هذه سيكون عونًا كبيرًا لقضية هراثن.

قال هراثن: "ستكون متفاجئًا أيها اللورد الصغير وارين، فحتى وقت قريب كانت دولادل مقرًا لواحدة من أقدم الديانات في العالم، الآن وبحسب ما تقوله التقارير الفيوردية، فإن هذه الديانة قد نُحيت تمامًا، أو على الأقل في صورتها النقية".

قال وارين: "أجل، ولكن انخيار الديانة العسكرية والجمهورية الدولادية كان نتاج تراكمات استغرقت سنوات، أو ربما قرونًا".

قال هراثن: "ولكن لا يُمكنك إنكار أنه عندما حدث هذا التغيير في السلطة جاء الانخيار سريعًا".

قال وارين ببطء: "هذا صحيح".

قال هراثن: "كان سقوط الإيلانترين سريعًا بالمثل. يُمكن للتغيير أن يأتي بسرعة مذهلة يا لورد وارين، ولكن هؤلاء المستعدين له يُمكنهم أن يستفيدوا منه إلى حد كبير. أنت تقول إن سقوط

الديانة العسكرية كان نتاج تراكمات استغرقت سنوات... حسنًا، أفترض أن الديانة الكورائية تتعرض لنفس القدر من التدهور ولفترة مماثلة، لقد كان لها نفوذ كبير في الشرق فيما مضى، أما الآن فنفوذها يقتصر على تيود وأريلون فقط".

اتكأ وارين في كرسيه إلى الوراء وهو يفكر في الأمر. بدا أنه رجل ذكي وماكر، وبدا أنه قد تأثر بمنطق هراثن، ربما أساء هراثن تقدير نبلاء أريلون، كان معظمهم مئوس منه كملكهم، ولكن عددًا مفاجئًا منهم بدا واعدًا. ربما أدركوا مدى تزعرع مناصبهم، إن شعبهم يتضور جوعًا، وأرستقراطيتهم عديمة الخبرة، وقد صوّب ناحيتهم الاهتمام الكامل من إمبراطورية فيوردن. عندما تضرب العاصفة سيتفاجأ معظم الأريلين كقوارض أبجرها ضوء ساطع، ولكن ربما هذا العدد القليل من اللوردات يستحق الإنقاذ.

قال هراثن: "أمل أن تنظروا إلى عرضي بحكمة أكثر من ملككم أيها اللوردات الأغزاء، هذه أوقات عصبية، وأولئك الذين لا يحظون بدعم الكنيسة سيجدون الحياة قاسية في الأشهر المقبلة. تذكروا من الذي أمثله، وما الذي أمثله".

قال ديلاف بصوت مُفعم بالكرهية: "تذكروا إيلانتريس، لا تنسوا بئر الدنس الذي يلوث أراضينا، إنهم ينامون وينتظرون بمكر كالعادة، ينتظرون أسركم جميعًا، وجذبكم إلى حصنهم، يجب عليكم أن تطهروا العالم منهم قبل أن يظهره منكم".

كان هناك لحظة غير مريحة من الصمت، وأخيرًا مال هراثن إلى الوراء في كرسيه. فإن تدخل الأرتيث المفاجئ قد أفسد إيقاع حديثه. وشبك أصابعه أمامه ليشي بأن الاجتماع قد انتهى. غادر النبلاء وقد أظهرت وجوههم المضطربة أنهم فهموا الخيار الصعب الذي وضعهم هراثن أمامه. تأملهم هراثن وحدد أيًا منهم يبعث على الأطمئنان للتعامل معه. سينضم آيدان إليه، وسيأتي معه حتمًا العديد من أتباعه. على الأرجح سينضم إليه رامبار أيضًا، هذا على افتراض أن هراثن سيلتقي به على انفراد، ويقدم له وعدًا قويًا بالدعم. كان هناك بضعة أشخاص مثل



راميار، ثم كان هناك وارين، الذي كانت عيناه مشويتين بشيء أشبه بالاحترام. أجل يُمكنه أن يفعل أشياء عظيمة مع هذا الرجل.

لم يكن لهم ثقل سياسي، ولا شأن كبير، ولكنهم البداية فحسب. بينما الشو-ديريث تكتسب أتباعًا ستزداد أهمية النبلاء الذين يلقون بثقلهم وراء هرائن. حينها عندما ينهار البلد أخيرًا تحت وطأة الاضطراب السياسي والركود الاقتصادي والتهديد العسكري، سيكافئ هرائن أتباعه بمناصب في الحكومة الجديدة.

إن مفتاح الوصول إلى هذا النجاح لا يزال جالسًا في الطرف الآخر من حجرة الاجتماع وهو يُراقب بصمت. كان هناك هالة مهيبة تحيط بالدوق تيلري، إن وجهه هادئ، ولكن اشتهاره بالبذخ يشي بإمكانيات عظيمة.

قال هرائن وهو يعتدل واقفًا: "لحظة من فضلك أيها اللورد العزيز تيلري، لدي عرض خاص قد يثير اهتمامك".

## الفصل العاشر

"لا أعتقد أنها فكرة جيدة يا سول". همس بما جالادون بلا حماس وهو رايبض إلى جانب رايودن.

قال رايودن أمرًا وهو يختلس النظر عند الناصية ناحية الفناء: "صه". كانت العصابات قد سمعت بشأن تجنيد رايودن لما ريش، واقتنعت بأنه ينوي تشكيل عصابة منافسة. عندما وصل رايودن وجالادون في اليوم السابق للبحث عن وافدين جدد وجدوا مجموعة من رجال آنديين في انتظارهما. لم يكن الاستقبال سارًا، ولكنهما لحسن الحظ تمكنا من الفرار بدون أي كسر في العظام أو كدمات في أصابع الأقدام، ولكن هذه المرة كان رايودن ينوي أن يكون أكثر مكرًا.

سأله جالادون: "ماذا لو كانوا في انتظارنا مرة أخرى؟".

قال رايودن: "سيكونون في انتظارنا على الأرجح، ولهذا يجب أن تُبقي صوتك خفيصًا. هيا بنا".

تسلل رايودن من عند الناصية إلى أحد الأزقة. كان إبهام قدمه يؤلمه وهو يمشي، وكذلك السحجات في يديه، والكدمة التي أصيب بها في ذراعه. بالإضافة إلى ذلك كان الجوع يُناديه، شهوة وهمية بداخله.

تنهد جالادون وقال: "أنا لا أشعر بالملل من الموت حتى أرغب في التخلي عنه لصالح حياة من الألم المحض، كولو؟".

نظر إليه رايبودن بتسامح ثم قال: "يوماً ما ستتخلى عن تشاؤمك العنيد هذا يا جالادون وستنهار إيلانتريس من الصدمة".

قال جالادون بينما رايبودن يتسلل عبر الزقاق: "تشاؤم؟ أنا؟ الدولاديون هم أكثر الناس مرحاً وتفאוلاً في أوبيلون! نحن ننظر إلى كل يوم ب... سول؟ إياك أن تتركني بينما أذافع عن نفسي!".

تجاهل رايبودن الدولادي الضخم، حاول أيضاً أن يتجاهل آلامه رغم حدتها. لقد ساعده حذاؤه الجلدي الجديد إلى حد كبير، ورغم تحفظات جالادون إلا أن ماريش تمكن من أن يصنع له حذاءً يُضاهي غروره الكبير. كان الحذاء متيناً، مع نعل قوي واقٍ، ولكن الجلد اللين - المأخوذ من أغلفة كتب جالادون - كان مُلائماً للغاية ولا يحتك بالقدم.

اختلس رايبودن النظر بحرص من حول الناصية وتفحص الباحة. لم يستطع أن يرى رجال شايبور في أي مكان، ولكنهم على الأرجح محتبئون في مكان قريب. انتبه رايبودن عندما رأى بوابة المدينة تفتتح، وقد جلبوا وافداً جديداً اليوم، ولكنه أحس بالصدمة عندما دفع حراس مدينة إيلانتريس، ليس واحداً، بل ثلاثة أشخاص يرتدون ثياباً بيضاء عبر البوابة.

قال رايبودن: "ثلاثة؟".

أجاب جالادون وهو يتسلل من ورائه: "لا يُمكن التنبؤ بالشايبود يا سول".

قال رايبودن في انزعاج: "هذا يُغير كل شيء".

"حسنًا، دعنا نذهب، يُمكن للآخرين أن ينالوا قرابين اليوم، كولو؟".

"ماذا؟ ونفوت مثل هذه الفرصة العظيمة؟ لقد خاب ظني فيك يا جالادون".

تمتم الدولادي متذمراً بشيء لم يسمعه رايبودن، فمد الأخير يده إلى الوراء ليربت على كتف الرجل الضخم مطمئناً إياه وهو يقول: "لا تقلق، لديّ خطة".

"بجده السرعة؟".

"يجب علينا أن نتحرك بسرعة، في أي دقيقة سيقطع واحد من هؤلاء الثلاثة خطوة، وحينها ستضيع فرصتنا".

تمتم جالادون: "بحق الدولوكين، ماذا ستفعل؟".

"لا شيء، ولكن أنت ستخرج في تمشية لطيفة هناك في الباحة".

سأله جالادون: "ماذا؟ هل صرت كايانا مرة أخرى؟ إذا خرجت إلى هناك ستراني العصابات".

قال رابودن مبتسمًا: "بالضبط، فقط احرص على أن تركض بسرعة كبيرة يا صديقي، فنحن لا نريدهم أن يمسكوا بك".

قال جالادون وتحوفه يتزايد بوضوح: "أنت جاد".

"لسوء الحظ، والآن تحرك. استدرجهم إلى اليسار وسأتولى بقية الأمر، دعنا نلتقي حيث تركنا ماريش".

زفر جالادون وقال شيئًا عن "كون هذا لا يستحق كل اللحم الجفف في العالم"، ولكنه ترك رابودن يدفعه ناحية الباحة. بعد لحظات تعالت سلسلة من الزجرجات الجافلة من المبنى الذي يخبئ فيه رجال شايبور عادة. اندفع الرجال المتوحشون ناسين الوافدين الجدد في كراهيتهم للرجل الذي قد أساء إليهم قبل بضعة أيام.

ألقي جالادون نظرة حانقة أخيرة ناحية رابودن ثم انطلق مسرعًا وقد اختار أحد الشوارع عشوائيًا وهو يستدرج رجال شايبور بعيدًا. منحه رابودن لحظة ثم ركض إلى منتصف الباحة وهو يتظاهر بالتقاط أنفاسه كأنما بفعل الإرهاق.

بحدة سأل الوافدين الثلاثة الجدد المرتبكين: "في أي اتجاه ذهب؟".

وأخيراً تجرأ واحد منهم على أن يقول: "مَنْ؟".

"الدولادي الضخم! بسرعة يا رجل، في أي اتجاه ذهب؟ إنه يملك العلاج!".

سأله الرجل جافلاً: "العلاج؟".

"كما سمعت، إنه نادر للغاية، ولكن يجب أن يكون هناك ما يكفيننا جميعاً، إن أخبرتني في أي اتجاه ذهب، ألا تريد الخروج من هنا؟".

رفع الوافد الجديد يداً مرتجفةً وهو يشير نحو الطريق الذي سلكه جالادون.

قال رايودن في إلحاح: "هيا بنا! ما لم نتحرك بسرعة فسنفقداه إلى الأبد!". وما إن قال هذا حتى بدأ في الركض.

وقف الوافدون الجدد الثلاثة للحظة، ولكن إلحاح رايودن تغلب عليهم فلحقوا به، لذا كانت خطوات ثلاثتهم الأولى في اتجاه الشمال، الاتجاه الذي من شأنه أن يجعلهم من حق رجال شايبور. لا يمكن لأي من العصابتين الأخريين أن تفعل شيئاً سوى أن تراقبهم في إحباط وهم يسرعون مبتعدين.

\*\*\*

سأل رايودن: "ما الذي يُمكنك فعله؟".

هزّت المرأة كتفيها وقالت: "اسمي ماري يا سيدي، أنا كنت ربة بيت بسيطة، لا أملك أي مهارات استثنائية يُمكنني الحديث عنها".

قال رايودن ساخرًا: "إن كنتِ مثل ربّات البيوت الأخريات فعلى الأرجح لديكِ من المهارات أكثر من أي شخص هنا، هل يمكنكِ الحياكة؟".

"بالطبع يا سيدي".

أومأ رايودن برأسه مفكرًا قبل أن يسأل الرجل التالي: "وماذا عنك؟".

"اسمي ريل، وأنا عامل يا سيدي، كنت أقضي معظم وقتي أبني في مزرعة سيدي".

"كنت تحمل القرميد؟".

قال الرجل: "في البداية يا سيدي". كان لديه يدان عريضتان ووجه يشي ببساطة الحال، ولكن عينيه تشعان بالحماسة والذكاء. "لقد قضيت سنوات وأنا أتعلم مع العمال المهرة، وكنت آمل أن يُرسلني سيدي لأصير متدربًا".

قال رايودن: "أنت كبير للغاية على أن تكون متدربًا".

"أعرف يا سيدي ولكنني كنت آمل، لم يعد لدى الكثير من الفلاحين مجالًا للأمال، ولا حتى الآمال البسيطة".

أومأ رايودن برأسه مرة أخرى، لم يكن الرجل يتكلم كفلاح، ولكن القليل من الناس في أريلون يتكلمون هكذا. قبل عشر سنوات كانت أريلون أرض الفرص، وكان معظم سكانها متعلمين بعض الشيء على الأقل. كان العديد من الرجال في بلاط والده يشتكون من أن التعليم قد يُفسد الفلاحين ويجعلهم يتكبرون على العمل، متناسين أنهم كانوا أفرادًا من نفس طبقة "الفلاحين" قبل عقد مضى.

قال رايودن مخاطبًا الرجل التالي: "حسنًا، وماذا عنك؟".

كان الوافد الجديد الثالث . وهو رجل مفتول العضلات، مع أنف يبدو أنه قد كُسر عشر مرات على الأقل . ينظر إلى رايودن بعينين مترددتين، ثم قال: "قبل أن أجيئك أريد أن أعرف لمَ يجب عليّ أن أستمع إليك".

قال رايودن: "لأنني أنقذت حياتك للتو".

"لا أفهم، ما الذي حدث للرجل الآخر؟".

"يجب أن يأتي إلى هنا في غضون بضعة دقائق".

"ولكن...".

قال رايودن: "لم تكن نظارده حقًا، بل كنا نُبعد ثلاثتكم عن الخطر. اشرح لهم من فضلك يا ماريش".

انتهز الحرفي الفرصة، وقيامات درامية راح يصف هربه بشق الأنف قبل يومين، وجعل الأمر يبدو وكأنه كان على حافة الموت قبل أن يظهر رايودن ويحمّله إلى بر الأمان. ابتسم رايودن، كان ماريش يملك روحًا ميلودرامية. كان صوت الحرفي يعلو وينخفض كسيمفونية بارعة. حتى إن رايودن قد صدّق حقًا وهو يُصغي إلى رواية الرجل أنه قد فعل شيئًا نبيلًا بشكل مذهل.

أنهى ماريش حديثه بقوله إن رايودن جدير بالثقة وشجعهم على الاستماع له. في النهاية كانوا جميعًا منتبهين، حتى الرجل قوي البنية ذو الأنف الخطافي.

قال الرجل: "اسمي سايولين يا لورد سيريت، وكنت جنديًا في فيلق اللورد إيونديل الشخصي".

قال رايودن وهو يومئ برأسه: "أنا أعرف إيونديل، إنه رجل صالح، وكان هو نفسه جنديًا قبل أن ينال لقبًا. أنت على الأرجح تلقيت تدريبًا جيدًا".

قال سايولين بفخر: "كنا أفضل الجنود في البلد يا سيدي".

ابتسم رايودن وقال: "ليس من الصعب التفوق على معظم الجنود في بلدنا البائس يا سايولين، ومع ذلك فإن فيلق إيونديل يُضاهي جنود أي أمة، لطالما عهدتهم رجال شرف وانضباط ومهارة، تمامًا كقائدهم. إن منح إيونديل لقبًا كان أحد القرارات الذكية التي اتخذها آيادون مؤخرًا".

"حسبما فهمت يا سيدي فلم يكن أمام الملك خيار آخر". كشفت ابتسامة سايولين عن فم فقد بضع أسنان. "لقد جنى إيونديل ثروة هائلة بتأجير قواته الشخصية للتاج".

قال رايودن ضاحكًا: "هذا حقيقي، حسنًا يا سايولين، أنا مسرور لأنني ضممتك إلى صفّي، من المؤكد أن جنديًا محترفًا في مثل براعتك سيجعلنا جميعًا نشعر بأمان أكثر هنا".

اكتسى وجه سايولين بالجدية وهو يقول: "أياً كان ما تحتاجه يا مولاي، سأسخر سيفي من أجلك. أنا لا أعرف الكثير عن الدين أكثر من تلاوة الصلوات، ولا أفهم حقًا ما يحدث هنا، ولكن الرجل الذي يُني على اللورد إيونديل هو رجل صالح في تقديري".

أمسك رايودن بكتف سايولين متجاهلاً حقيقة أن الجندي الأشيب لم يعد لديه سيف لِيُسَخِّره، ثم قال: "أنا أؤمن عرضك لحمايتي يا صديقي وأقبله، ولكني أحذرك أن هذا لن يكون عبثًا سهلاً على عاتقك. سرعان ما سيتكالب عليّ الأعداء هنا وسيطلب الأمر قدرًا كبيرًا من اليقظة لكيلا يفاجئونا بالهجوم".

قال سايولين بحماس: "أفهم هذا يا سيدي، ولكني لن أخذلك بحق دومي!".

سأله ريل البناء: "وماذا عنا يا سيدي؟".



قال رايودن: "لدي مشروع عظيم من أجلكما أنتما الاثنين أيضًا، انظر للأعلى وأخبرني ماذا ترى".

رفع ريل عينيه إلى السماء ثم قال في حيرة: "لا أرى شيئًا يا سيدي، هل من المفترض أن أرى شيئًا؟".

ضحك رايودن وقال: "لا يوجد شيء لتراه يا ريل، وهذه هي المشكلة، لا شك أن سقف هذا المبنى قد سقط قبل سنوات، ورغم هذا فهو واحد من أكبر المباني التي عثرت عليها وأقلها تداعيًا. ألم يتضمن تدريبك بعض الخبرة في بناء الأسقف؟".

قال ريل مبتسمًا: "بلى يا سيدي، هل لديك المواد اللازمة؟".

"هذا هو الجزء الصعب يا ريل، كل الخشب في إيلانتريس إما محطم وإما متعفن".

قال ريل معترفًا: "هذا مشكلة، ربما إن جففنا الحطب، ثم خلطناه بالطين...".

قال رايودن: "لن تكون هذه مهمة سهلة بالنسبة لك يا ريل وأنت يا ماري".

قالت له ماري مؤكدة: "سنبدل قصارى جهدنا يا سيدي".

قال رايودن وهو يومئ برأسه في استحسان: "عظيم". إن طريقته في الحديث بالإضافة إلى انعدام الأمان لديهم جعلهم يطيعونه على الفور، إلا أنه لم يكن ولاءً بعد. ولكنه يأمل أنه سيكتسب ثقتهم بمرور الوقت.

أكمل رايودن حديثه قائلاً: "والآن يا ماريش، من فضلك اشرح لأصدقائنا الجدد ما يعنيه أن يكون المرء إيلانترياً. لا أريد أن يسقط ريل من قمة مبنى قبل أن يدرك أن كسر عنقه لا يعني بالضرورة انتهاء الألم".

قال ماريش: "أمرك يا سيدي". كان ينظر إلى الطعام الموجود على جزء نظيف نسبيًا من الأرض، لقد بدأ الجوع يؤثر عليه بالفعل.

تخبر رايودن أشياء قليلة من بين القرابين ثم أوماً إلى البقية وقال: "قسموا هذا بينكم وكلوه. إن توفيره لن يفيدنا في شيء، سيبدأ الجوع على الفور، إذن ربما يجب أن تتخلصوا من هذا قبل أن يأتي وقت يجعلكم فيه تشعرون بالجشع".

أوماً الأربعة برؤوسهم ثم بدأ ماريش يشرح تفاصيل قيود الحياة في إيلانتريس وهو يقسم الطعام، راقبهم رايودن للحظة، ثم أشاح بنظره بعيداً وهو يفكر.

"كانت هاماتي<sup>٢٤</sup> لتحبك، لطالما اشتكت من أنني لا أمارس ما يكفي من الرياضة".

نظر رايودن إلى جالادون وهو يخطو دالفاً إلى الحجرة ثم قال مبتسماً: "مرحباً بعودتك يا صديقي، كنت على وشك أن أشعر بالقلق".

قال جالادون ساخراً: "لم أرك قلقاً عندما دفعني إلى تلك الباحة، لقد رأيت ديدان في صنارات صيد تُعامل بلطف أكثر، كولو؟".

قال رايودن: "أجل، ولكنك تُمثل طعمًا رائعًا، كما أن الأمر قد نجح، لقد حصلنا على الوافدين الجدد، ويبدو أنك خالٍ من الكدمات بشكل ملحوظ".

"هذا على الأرجح مصدر سخط كبير لكلاب شايفور".

سأله رايودن: "كيف هربت منهم؟". وهو يُعطيه رغيف الخبز الذي احتفظ به من أجله. نظر جالادون إلى الرغيف ثم قسمه إلى نصفين وقدم نصفًا منهما إلى رايودن الذي رفع يده رافضاً.

---

<sup>٢٤</sup> هاما: كلمة باللغة الدولادية تعني الجدة.

هز جالادون كتفيه كأنما يقول له "حسنًا، فلتضور جوعًا كما تشاء" ثم بدأ يقضم الرغيف قبل أن يقول: "لقد ركضت إلى مبنى به سلالم متداعية ثم خرجت من الباب الخلفي". كان يتحدث وهو يمضغ الطعام. "ثم ألقيت ببعض الحجارة على السطح عندما دخل رجال شايور، وبعد ما فعلته أنت بهم من قبل افترضوا أنني بالأعلى، وعلى الأرجح لا يزالون جالسين هناك في انتظارى".

قال رابودن: "كان هذا مأكراً".

"هناك شخص ما لم يترك لي خيارًا".

واصل جالادون تناول طعامه في صمت وهو يُصغي إلى الوافدين الجدد يتحدثون عن "واجباتهم المهمة"، قبل أن يسأل بصوت خافت: "هل ستخبرهم جميعًا بهذا؟".

"أخبر مَنْ بماذا؟".

"الوافدون الجدد يا سول، لقد جعلتهم جميعًا يعتقدون أن لهم أهمية حيوية، تمامًا مثل ماريش. إن الأحدثية لطيفة ولكنها ليست مسألة حياة أو موت".

هز رابودن كتفيه وقال: "يعمل الناس بإخلاص أكبر عندما يفترضون أنهم مهمون".

صمت جالادون للحظة قبل أن يتحدث مرة أخرى: "إنهم محقون".

"مَنْ؟".

"العصابات الأخرى، أنت تُنشئ عصابتك الخاصة".

هز رايودن رأسه وقال: "هذا مجرد جزء صغير من الأمر يا جالادون. لا أحد يحقق أي شيء في إيلانتريس. إنهم جميعاً إما منشغلون بالشجار على الطعام أو غارقون في بؤسهم، هذه المدينة بحاجة لأن توضع هدفاً نُصب عينها".

قال جالادون: "نحن موتى يا سول، أي هدف يُمكن أن نضعه نصب أعيننا سوى المعاناة؟".  
"هذه هي المشكلة بالضبط، الجميع مقتنعون بأن حياتهم قد انتهت فقط لأن قلوبهم توقفت عن النبض".

قال جالادون بسخرية لاذعة: "يكون هذا عادة مؤشراً جيداً يا سول".

"ليس في حالتنا يا صديقي، نحن بحاجة لإقناع أنفسنا بأن بإمكاننا المُضي قدماً. لا يتسبب الشايود في كل المعاناة هنا، لقد رأيت أناساً بالخارج يفقدون الأمل أيضاً، فنضمروا أرواحهم تماماً كأولئك التعساء البؤساء في الباحة. إن أعدنا ولو قليلاً من الأمل لهؤلاء الناس فستتحسن حياتهم كثيراً". شدد على كلمة حياتهم وهو ينظر إلى عيني جالادون مباشرة.

قال جالادون: "لن تكفي العصابات الأخرى بمراقبتك مكتوفة الأيدي وأنت تسرق كل قرابينهم يا سول، سُرعان ما سينفذ صبرهم".

قال رايودن: "إذن عليّ فقط أن أكون مستعداً لهم". ثم أوماً إلى المبنى الكبير المحيط بهم وقال: "سيشكل هذا قاعدة جيدة للعمليات، ألا ترى هذا؟ إن به هذه الحجرة المفتوحة في المنتصف مع كل هذه الحجرات الأصغر في الخلف".

ضيق جالادون عينيه وهو ينظر لأعلى قائلاً: "كان من الأفضل أن تختار مبنى مسقوفاً".

أجابه رايودن: "أجل أعرف، ولكن هذا المبنى يُناسب احتياجاتي. أتساءل ما الذي كان عليه في الماضي".

قال جالادون: "كنيسة كوراثية".

سأله رايودن في دهشة: "كيف عرفت هذا؟".

"المكان يوحي بهذا يا سول".

قال رايودن محتجاً: "لم قد توجد كنيسة كوراثية في إيلانتريس؟ كان الإيلانتيون آلهة أنفسهم".

"ولكنهم كانوا آلهة متسامحين للغاية. من المفترض وجود كنيسة كوراثية هنا في إيلانتريس، لقد بُنيت كتعبير عن الصداقة تجاه شعب تيود".

هز رايودن رأسه وقال: "هذا يبدو غريباً للغاية؛ أن يبني آلهة ديانة نصباً تذكاريًا لدومي".

"كما قلت، الإيلانتيون لم يُبالوا حقاً إن عبدتهم الناس أم لا، كانوا واثقين للغاية في ألوهيتهم، حتى جاء الريدود، كولو؟".

قال رايودن: "يبدو أنك تعرف الكثير يا جالادون".

قال جالادون ساخراً: "ومنذ متى كانت هذه خطيئة؟ لقد عشت طيلة حياتك في كاي يا سول، ربما بدلاً من أن تسأل لم أعرف هذه الأشياء يجب أن تسأل لم لا تعرفها أنت".

قال رايودن: "فهمت قصدك". ثم اختلس النظر إلى جانبه، كان ماريش لا يزال مستغرقاً في تفسيره لحياة الإيلانترين المحفوفة بالخطر. قال: "لن ينتهي من شرحه قريباً، هيا بنا، هناك شيء أريد أن أفعله".

قال جالادون بصوت متعب: "هل يتضمن الأمر الركض؟".

"فقط لو رأونا".

\*\*\*

تعرف رايودن على آندين. كان من الصعب التعرف عليه، فقد تسبب الشايود في تغييرات عميقة، ولكن كان لدى رايودن موهبة في التعرف على الوجوه. كان من يُسمي نفسه بارون إيلانتريس رجلاً قصيراً له كرش كبير، وشارب متدلّ من الواضح أنه مزيف. لم يبدُ آندين نبياً، ولكن بالطبع قلة من النبلاء الذين عرفهم رايودن كانوا يبدون أرسقراطيين بالفعل.

ولكن بغض النظر عن هذا لم يكن آندين باروناً. الرجل الذي ينظر إليه رايودن جالساً على عرش من الذهب مترأساً بلاطاً من الإيلانترين سقيمي الشكل كان يُدعى تان، كان واحداً من أفضل النحاتين في كاي قبل أن يصيبه الشايود، ولكنه لم يكن من دماء نبيلة، ولكن مع ذلك لم يكن والد رايودن أكثر من تاجر بسيط قبل أن تجعله الصدفة ملكاً، ويبدو أن تان قد انتهز فرصة مماثلة في إيلانتريس.

لم يكن مرور سنوات في إيلانتريس رحيماً به، كان الرجل يثرثر بشكل غير مفهوم أمام بلاطه من المنيوذين.

قال رايودن متسائلاً وهو رابض خارج النافذة التي يتجسسان منها على بلاط آندين: "هل هو مجنون؟".

قال جالادون هامساً: "كل واحد منا يتعامل مع الموت بطريقته يا سول، تقول الشائعات إن جنون آندين كان قراراً واعياً، يقولون إن بعد إلقائه إلى إيلانتريس تلفت حوله وقال "من المستحيل أن أواجه هذا وأنا عاقل"، وبعد هذا أعلن نفسه البارون آندين الإيلانترى، وبدأ يُصدر الأوامر".

"واتبعه الناس؟".

قال جالادون هامسًا: "اتبعه البعض". ثم هز كتفيه وقال: "قد يكون مجنونًا، ولكن بقية العالم كذلك، على الأقل في عيني من يلقى به هنا، كولو؟ إن آندين مصدر للسلطة، كما أنه ربما كان بارونًا بالخارج".

"لم يكن كذلك، بل كان نحائًا".

"هل كنت تعرفه؟".

أومأ رايودن برأسه وقال: "لقد التقيت به مرة". ثم نظر إلى جالادون بعينين متسائلتين وهو يقول: "أين سمعت الشائعات عنه؟".

قال جالادون في رجاء: "ألا يُمكننا العودة أولًا؟ لا أريد أن ينتهي بي المطاف في واحدة من محاكمات آندين الهزلية وإعداماته".

"هزلية؟".

"كل شيء هزلي، ولكن بفأس".

"آه، فكرة جيدة، لقد رأيت كل ما أحتاج إلى رؤيته".

تراجع الرجلان، وبعد أن صارا على بُعد بضعة شوارع من الجامعة أجاب جالادون عن سؤال رايودن قائلاً: "أنا أتحدث مع الناس يا سول، وهكذا أحصل على معلوماتي، صحيح أن غالبية سكان المدينة من الهويد<sup>٢٥</sup>، ولكن هناك ما يكفي من العقلاء في الأرجاء للحدوث معهم. إن فمي بالطبع هو ما جعلني أتورط في المتاعب معك، ربما إن أبقيته مغلقًا لكنت الآن لا أزال

---

<sup>٢٥</sup> الهويد: الإيلانثريون الذين فقدوا عقولهم واستسلموا للألم والمعاناة.

جالسًا على درجات السلم تلك، مستمتعًا بوقتي بدلًا من التجسس على واحد من أخطر الرجال في المدينة".

قال رايبودن: "ربما، ولكنك لم تكن لتحظى بنصف هذه المتعة، ولبقيت مقيدًا بالسلاسل إلى ضجرك".

"أنا ممتن لأنك حررتني يا سول".

"على الرحب والسعة".

بينما يمشيان كان رايبودن يحاول أن يفكر في خطة للتصرف في حال أن قرر آندين أن يسعى وراءه. لم يتطلب الأمر وقتًا طويل من رايبودن لكي يتكيف على المشي في شوارع إيلانتريس غير المستوية والمغطاة بالوحل، فقد كان إبهام قدمه الذي لا يزال يؤلمه حافزًا قويًا. لقد اعتاد الجدران ذات الألوان القاتمة والأوحال، وهذا الاعتياد أزعجه أكثر من قذارة المدينة.

وأخيرًا سأله جالادون: "لم أردت رؤية آندين يا سول؟ ليس من المعقول أنك كنت تعرف أنك ستتعرف عليه".

هز رايبودن رأسه وقال: "لو أن آندين كان بارونًا بالخارج لتعرفت عليه على الفور".

"هل أنت واثق؟".

أومأ رايبودن برأسه في شرود. صمت جالادون لبضعة شوارع أخرى، ثم تحدث بتفهم مفاجئ: "أنا لست بارعًا للغاية مع هذه الآيونات التي يعتز بها الأريليون كثيرًا، ولكن ما لم أكن مُخطئًا تمامًا فإن آيون "روح" هو رايبو".

قال رايبودن مترددًا: "أجل".



"أليس لدى ملك أريلون ابن يُدعى رايدون؟".

"هذا صحيح".

"وها أنت ذا يا سول تزعم أنك تعرف كل البارونات في أريلون. من الواضح أنك رجل تلقى تعليمًا جيدًا، كما أنك تُلقِي الأوامر بسهولة".

"يمكنك أن تقول هذا".

"وعلاوة على هذا فإنك تسمي نفسك "سيريت"، الأمر مثير للريبة، كولو؟".

تنهد رايدون وقال: "كان يجب أن أختار اسمًا مختلفًا، أليس كذلك؟".

"بحق الدولوكين يا فتى! أنت تقول لي إنك ولي عهد أريلون؟".

قال رايدون مصححًا: "كنت ولي عهد أريلون يا جالادون، لقد فقدت اللقب عندما مُت".

"لا عجب أنك تشعر بإحباط شديد. لقد قضيت حياتي برمتها أحاول أن أتفادى أصحاب الألقاب الملكية، وها أنا ذا ينتهي بي المطاف معك، بحق نيران الدولوكين!".

قال رايدون: "فلتخفف صوتك. ليس الأمر وكأنني ملكي حقًا، إن المُلْك في عائلتنا منذ أقل من جيل".

قال جالادون بوجوم: "هذا وقت طويل بما يكفي".

"لو أن هذا يهون عليك فإن أبي لم يعتقد أنني مناسب للحكم، لقد فعل كل ما بوسعه لكي يُبعدني عن الحكم".

قال جالادون ساخراً: "سأكون مرعوبًا لرؤية الرجل الذي يعتقد آيادون أنه مناسب للحكم. إن أباك أحمق، لا أقصد الإهانة".

"لم أشعر بالإهانة. وأنا أتق في أنك ستحافظ على سرية هويتي".

تنهد جالادون وقال: "إن كنت ترغب في هذا".

"أجل، إن كنت أريد أن أفعل أي خير في إيلانتريس فيجب أن أكسب الأتباع لأنهم يحبون ما أفعله لا لأنهم يشعرون بالتزام وطني".

أوما جالادون برأسه وقال: "كان بإمكانك إخباري أنا على الأقل يا سول".

"أنت من قال إنه لا يجب علينا أن نتحدث عن ماضينا".

"هذا صحيح".

صمت رايودن قليلاً ثم قال: "أنت تعرف ما يعنيه هذا بالطبع".

نظر إليه جالادون في ريبة وهو يقول: "ماذا تقصد؟".

"الآن أنت تعرف من أنا، والآن يجب عليك أن تُخبرني من تكون، هذا هو العدل".

تأخر رد جالادون كثيراً، وكادا أن يصلا إلى الكنيسة قبل أن يتحدث. أبطأ رايودن من سيره، فلم يرغب أن يقطع وصولهما إلى وجهتهما حديث صديقه. ولكنه لم يكن بحاجة إلى القلق فقد كان رد جالادون موجزًا ومباشرًا.

قال باقتضاب: "كنت مزارعًا".

"مزارع؟". كان رايودن يتوقع أكثر من هذا.

"وبستانيًا، لقد بعث حقولي واشترت مزرعة تفاح لأنني اعتقدت أن الأمر سيكون أسهل، لا يكون عليك إعادة زراعة الأشجار كل عام".

سأله رايبودن: "وهل كان الأمر كذلك؟ أعني أسهل؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "اعتقدت أنه كذلك، رغم أنني أعرف بعض مزارعي القمح الذين كانوا يتجادلون معي حتى غروب الشمس، كولو؟". نظر الرجل الأضخم حجمًا نظرة ثاقبة ثم قال: "أنت تعتقد أنني لا أقول الحقيقة بشأن حياتي الماضية، أليس كذلك؟".

ابتسم رايبودن وهو يبسط كفيه أمامه ويقول: "المعدرة يا جالادون ولكنك لا تبدو مزارعًا بالنسبة لي. لديك البنية لهذا، ولكنك تبدو...".

سأله جالادون: "ذكيًا؟ لقد عرفت مزارعين يقولون حادة للغاية حتى إنه يُمكنك استخدام رؤوسهم في حصاد القمح".

قال رايبودن: "لا أشك في هذا، ولكن أذكىء أو لا فإن هذه النوعية تميل لأن تكون غير متعلمة. أنت رجل مثقف يا جالادون".

"الكتب شيء رائع يا سول. يكون لدى المزارع الحكيم وقت للقراءة، هذا على افتراض أنه يعيش في بلد مثل دولادل حيث يكون الناس أحرارًا".

رفع رايبودن حاجبًا وهو يقول: "إذن فأنت مصر على قصة المزارع هذه".

قال جالادون: "هذه هي الحقيقة يا سول، لقد كنت مزارعًا قبل أن أصير إيلانترًا".

هز رايبودن كتفيه، ربما، كان جالادون قادرًا على التنبؤ بالمطر، بجانب القيام بالعديد من الأشياء العملية الأخرى، ومع ذلك يبدو أن هناك شيئًا آخر، شيئًا غير مستعد لمشاركته بعد.

قال رايبودن في تقدير: "حسنًا، أنا أصدقك".

أوماً جالادون برأسه إيماءة مقتضبة والتعبير المرتسم على وجهه يقول إنه ممتن لأن الأمر قد حُسم. أيًا كان ما يخفيه فإنه لن يُفصح عنه اليوم، لذا بدلاً من هذا انتهز رايدون الفرصة ليسأله سؤالاً كان يؤرقه منذ اليوم الأول الذي جاء فيه إلى إيلائتريس: "أين الأطفال يا جالادون؟".

"الأطفال يا سول؟".

"أجل، إن الشايود يضرب عشوائياً، ويُصيب الأطفال كما يُصيب الكبار".

أوماً جالادون برأسه وقال: "هذا صحيح، لقد رأيت رُضْعاً بالكاد يقدرّون على المشي يلقون عبر هذه البوابة".

"أين هم إذن؟ لا أرى سوى البالغين".

قال جالادون بمدوء وهما يخطوان عبر الباب إلى كنيسة رايدون المتداعية: "إيلائتريس مكان قاسٍ يا سول، لا ينجو الأطفال لوقت طويل هنا".

"أجل، ولكن...". بتر رايدون جملته عندما رأى شيئاً يلمع في ركن عينه والتفت في دهشة.

قال جالادون عندما لاحظ الكرة المتوهجة: "سيون".

قال رايدون: "أجل". وهو يشاهد السيون يخلق ببطء عبر السقف المفتوح ويعوم بتراخٍ في دائرة حول الرجلين. "من المخزن أنهم يتجولون في المدينة هكذا. أنا...". بتر جملته وهو يضيق عينيه محدقاً محاولاً معرفة الآيون المتوهج في قلب السيون الغريب الصامت.

سأله جالادون: "سول؟".

همس رايدون: "آيدوس دومي، إنه آين".

"هذا السيون؟ هل تعرفت عليه؟".

أوما رايبودن برأسه وهو يمد يده باسطاً كفه. حَلَّق السيون مقترباً من كفه الممدودة واستقر عليها للحظة ثم حَلَّق مبتعداً وحام في أرجاء الحجر كقفاشة لاهية.

قال رايبودن: "آين كان السيون الخاص بي قبل أن ألقى هنا". صار باستطاعته أن يرى آيون آين في المنتصف. بدا الحرف... ضعيفاً بشكل ما. كان يتوهج بشكل غير منتظم، وأجزاء من الحرف كانت خافتة للغاية مثل...

مثل البقع على بشرة الإيلانترين. أدرك رايبودن هذا وهو يراقب آين يطفو مبتعداً. توجه السيون ناحية جدار الكنيسة ومضى في طريقه حتى اصطدم به، وارتد من عليه. راحت كرة الضوء الصغيرة تطفو للحظة وهي تتأمل الجدار ثم دارت لتتحلق في اتجاه آخر. كان هناك ارتباك في حركة السيون، كأنها آين يُبقي نفسه بصعوبة في الهواء. كان ينتفض من آن لآخر، ويدور في حلقات بطيئة مثيرة للدوار.

<https://t.me/fantazynov>

انقبضت معدة رايبودن وهو ينظر إلى الحال التي صار عليها صديقه. كان يتحاشى التفكير في آين كثيراً خلال أيامه في إيلانترين. كان يعرف ما يحدث للسيونات عندما يصيب الشايود سادتهم. كان يفترض. أو ربما يأمل. أن الشايود قد دُمّر آين، كما تذكر الشائعات أنه يحدث في بعض الحالات.

هزّ رايبودن رأسه وقال: "كان آين حكيماً للغاية. لم أعرف مخلوقاً أكثر حكمة منه، سواء إنسان أو سيون".

قال جالادون بجدية: "أنا... آسف يا سول".

مد رايبودن يده مرة أخرى فاقترب السيون بإخلاص، تمامًا كما فعل أول مرة مع رايبودن عندما كان صبيّاً صغيراً، صبيّاً لم يتعلم بعد أن السيونات لهم قيمة كأصدقاء أكثر من كونهم خدماً.

تساءل رابودن وهو يُراقب السيون يترنح في الهواء أمامه: هل يعرفني؟ أم أنه لم يتعرف إلا على حركة اليد المألوفة؟

ربما لن يعرف رابودن أبداً، بعد أن حلَّق السيون فوق راحة يده لثانية فقد اهتمامه وحلَّق مبتعداً مرة أخرى.

همس رابودن: "آه يا صديقي العزيز، وأنا الذي ظننت أن الشايود كان قاسياً معي".

## الفصل الحادي عشر

لم يستجب لدعوة كين سوى خمسة رجال. نظر لوكل متجهماً إلى الإقبال الضعيف ثم قال التاجر الوسيم: "لم يكن يحضر اجتماعات رايودن قبل وفاته أقل من ثلاثين رجلاً. لم أتوقع حضورهم جميعاً، ولكن خمسة؟ هذا لا يكاد يستحق إضاعة وقتنا".

قال كين مفكراً وهو ينظر عبر باب المطبخ: "هذا عدد كافٍ يا بني. قد يكون عددهم قليلاً ولكننا حصلنا على الأفضل من بينهم. هؤلاء الخمسة هم من أقوى الرجال في الأمة، بجانب كونهم خمسة من أذكى الرجال. كان لدى رايودن طريقة لاستمالة الأذكى إلى جانبه".

ناداه أحد الرجال من غرفة تناول الطعام: "كين، أيها الدب العجوز". كان رجلاً مهيباً قد خط الشيب شعره بخيوط فضية، ويرتدي زيّاً عسكرياً أنيقاً. "هل ستطعمنا أم لا؟ دومي وحده يعلم أنني أتيت فقط لأنني سمعت أنك ستطهو بعضاً من الكيتاثوم المشوي الذي تبرع في طهوه".

أجابته كين: "الخنزير يدور على النار بينما نتحدث يا إيونديل، وقد حرصت على إعداد ضعف الكمية من أجلك، فلنتسيطر على معدتك لبعض الوقت".

ضحك الرجل بجرارة وهو يربت على بطنه التي كانت . حسبما ترى سارين . نحيفة ومشدودة، كبطن شاب أصغر منه بسنوات عديدة. سألت: "من يكون؟".

قال كين: "كونت مزرعة إيون. اذهب يا لوكال وتفحص لحم الخنزير بينما نتبادل أنا وابنة عمك النميمة حول الضيوف".

قال لوكل: "حسنًا يا أبي". وهو يأخذ منه الحراك، وينتقل إلى حجرة النيران في الجزء الخلفي من المطبخ.

قال كين: "إيونديل هو الرجل الوحيد عدا رايبودن الذي رأيته يعارض الملك علنًا وينجو بفعلته. إنه عبقرية عسكرية، ويمتلك جيشًا شخصيًا صغيرًا، لا يضم سوى بضعة مئات من الرجال ولكنهم على مستوى عالٍ من التدريب".

ثم أشار كين عبر الباب المفتوح قليلاً ناحية رجل ذي بشرة بنية داكنة وملامح دقيقة وهو يقول: "هذا الرجل الجالس بجانب إيونديل هو البارون شودن".

سألته سارين: "هل هو من الجيندو؟".

أومأ عمها برأسه وقال: "لقد استقرت عائلته في أريلون قبل قرن تقريبًا، وقد جمعت ثروة ضخمة بتوجيه مسارات تجارة الجيندو عبر البلد. عندما وصل آيادون إلى سُدّة الحكم منحهم البارونية للحفاظ على قوافلهم. توفي والد شودن قبل خمسة أعوام تقريبًا، والابن متمسك بالتقاليد أكثر مما كان أبوه. إنه يعتقد أن طريقة آيادون في الحكم تعارض مع جوهر الشو-كيسج، ولهذا كان مستعدًا لمقابلتنا".

نقرت سارين على وجنتها مفكرة وهي تتفحص شودن قبل أن تقول: "إن كان قلبه جيندوي مثل بشرته يا عمه فقد يكون حليفًا قويًا بالفعل".

قال كين: "هذا ما كان زوجك يعتقد".

زمت سارين شفيتها ثم قالت: "لم تشير إلى رايبودن باستمرار بكلمة زوجك؟ أنا أعرف أنني متزوجة، لا حاجة لتذكيري بالأمر طيلة الوقت".

قال كين بصوته العميق الأجش: "أنت تعرفين هذا ولكنك لا تصدقينه بعد".



إما أن كين لم ير السؤال المرتسم على وجهها وإما أنه قرر ببساطة أن يتجاهله، فقد واصل تعريفها بالحاشرين كأنما لم يُصدر حكمًا ظالمًا بشكل مثير للغضب.

قال كين وهو يومئ إلى أكبر الرجال سنًا في الحجرة: "الجالس بجانب شودن هو رويال، دوق مزرعة آيال. إن ممتلكاته تشمل ميناء آيالد، وهي المدينة التي تأتي في المرتبة الثانية بعد كاي من حيث الثروة. إنه أقوى رجل في هذه الحجرة وربما أكثرهم حكمة أيضًا. ولكنه يكره اتخاذ إجراء لمعارضة الملك. كان رويال وآيادون صديقين منذ ما قبل الربود."

رفعت سارين حاجبًا وهي تقول: "لم أتى إذن؟".

قال كين: "لويال رجل صالح، ورغم صداقته لآيادون يعرف أن حكمه لهذه الأمة فظيع، بالإضافة لهذا أشك أنه ربما جاء بسبب الملل".

سألته سارين في عدم تصديق: "أينخرط في اجتماع تأمري فقط لأنه يشعر بالملل؟".

هز عمها كتفيه وقال: "عندما تعيشين طويلًا مثل رويال ستجدين صعوبة في أن تعثري على أشياء تثير اهتمامك. السياسة تجري في دماء الدوق حتى إنه على الأرجح لا يستطيع النوم ليلاً ما لم يتورط في خمس مؤامرات جامحة على الأقل. لقد كان حاكم آيالد قبل الربود، وكان المسئول الوحيد ممن عينتهم إيلانتريس الذي يبقى في السلطة بعد الثورة. إنه ثري بشكل مذهل، والشيء الوحيد الذي يُبقي آيادون أكثر ثراءً منه هو أن أرباحه تتضمن عائدات الأمة من الضرائب".

تفحصت سارين الدوق بينما مجموعة الرجال يضحكون على واحد من تعليقات رويال. بدا مختلفًا عن غيره من السياسيين العجائز الذين التقت بهم من قبل. لم يكن رويال متحفظًا بل صახبًا، ويبدو عابثًا بدلًا من كونه وقورًا. ورغم هيئة الدوق الودية وجسمه الضئيل إلا أنه

أمسك بزمام المحادثة بينما خصلات شعره الخفيفة ذات اللون الأبيض الناصع تتطاير وهو يضحك. ولكن كان هناك رجل واحد لم يبذُ مفتونًا بصحبة الدوق.

"من هذا الرجل الجالس إلى جوار الدوق رويال؟".

"هذا الرجل المكتنز؟".

"مكتنز؟". كان الرجل مفرط السمنة حتى أن بطنه المنتفخ يتدلى على جانبي كرسيه.

قال كين مبتسمًا: "هكذا نصف نحن الرجال السمان أحدنا الآخر".

قالت سارين وهي تبتسم بلطف: "ولكن يا عماء أنت لست سمينًا، بل... متين البنية".

ضحك كين ضحكة متحشجة ثم قال: "حسنًا إذن، هذا السيد متين البنية الجالس بجانب رويال هو الكونت آهان، لن تعرفي هذا بمراقبتهما، ولكن هو والدوق صديقان مقربان للغاية، إما هذا أو أنهما عدوان قديمان للغاية، لا أستطيع تذكر إن كان هذا أم ذلك".

قالت سارين: "هناك اختلاف بعض الشيء بين الأمرين يا عماء".

"ليس حقًا، إضما يتشاجران ويتجادلان منذ زمن بعيد، حتى إن أيًا منهما لن يعرف ماذا سيفعل من دون الآخر. كان يجب عليك أن ترى وجهيهما حينما أدركا أن كليهما على الجانب نفسه في هذا الأمر بالتحديد. لقد ضحك رايبودن لأيام بعد ذلك الاجتماع الأول. من الواضح أنه قد ذهب لكل منهما على حدة ونال دعمه، وكلاهما جاء إلى هذا الاجتماع الأول معتقدًا أنه قد تفوق على الآخر".

"إذن لماذا يواصلان المحييء؟".

قال كين: "إن كليهما يتفق مع وجهة نظرنا، ناهيك بحقيقة أنهما يستمتعان حقاً بصحبة أحدهما الآخر. إما هذا وإما أن كل منهما يرغب في أن يُقَي عينيه على الآخر". ثم هز كتفيه وقال: "إنهما يساعداننا في كلتا الحالتين، لذا لا نشككي".

سألته سارين وهي تتفحص آخر شاغل طاولة: "وماذا عن الرجل الأخير؟". كان نحيلاً برأس أصلع وعينين عصبيتين. لم يسمح الآخرون لتوترهم بأن يبدو عليهم، وكانوا يضحكون ويتحدثون معاً كأنما هم مجتمعون لمناقشة مراقبة الطيور لا الحيانة. ولكن الرجل الأخير كان يتململ في كرسيه في توتر وعيناه في حركة مستمرة، كأنما يحاول أن يجدد أسهل طريق للهرب. قال كين وهو يمسح شفثيه: "إيدان، بارون مزرعة تي في الجنوب، لم أحبه قط، ولكنه على الأرجح واحد من أقوى داعمينا".

"لم هو متوتر للغاية؟".

"إن نظام حكومة آيادون يُفسح مجالاً كبيراً للجشع، فكلما كان أداء النبيل أفضل من الناحية المالية ازداد احتمال أن يُمنح لقباً أفضل. لذا فالنبلاء الصغار يتشاجرون كالأطفال وكل واحد منهم يحاول أن يجد طرقاً جديدة لحلب رعاياه وزيادة ممتلكاته.

كما أن النظام يشجع المقامرة المالية، إن ثروة إيدان لم تكن قط مثيرة للإعجاب، فممتلكاته على حدود الهاوية، والأراضي القريبة منه ليست خصبة للغاية. في محاولة لكسب مكانة أفضل قرر إيدان أن يقامر ببعض الاستثمارات المحفوفة بالخطر، ولكنه خسر المقامرة، الآن ليس لديه الثروة الكافية لتدعيم بُله".

"هل من المحتمل أن يخسر لقبه؟".

"الأمر ليس محتملاً، بل سيخسر لقبه مع مجيء فترة الضرائب التالية عندما يلاحظ آيادون مدى الفقر الذي صار عليه البارون. يجب على إيدان إما أن يكتشف منجم ذهب في فئانه

الخلفي، أو أن يطبخ بنظام آيادون الذي يمنح ألقاب النبالة قبل ذلك الحين". حك كين وجهه كأنما يبحث عن شعيرات ليجذبها وهو يفكر. ابتسمت سارين، ربما مر عشر سنوات منذ أن كان وجه الرجل قوي البنية يحمل لحية، ولكن من الصعب التخلص من العادات القديمة.

أكمل كين حديثه قائلاً: "إن إيدان يائس، واليائسون يفعلون أشياء أبعد ما تكون عن شخصياتهم. أنا لا أثق به، ولكنه من بين جميع الرجال في هذه الحجرة ربما يكون الأكثر حرصًا على نجاحنا".

سألته: "وما الذي يعنيه هذا؟ ما الذي يتوقع هؤلاء الرجال تحقيقه بالضبط؟".

هز كين كتفيه وقال: "يفعلون أي شيء للتخلص من هذا النظام السخيف الذي يتطلب منهم إثبات ثروتهم. هكذا هم النبلاء يا إين، دومًا ما يقلقون بشأن الحفاظ على مكانتهم في المجتمع".

انقطع النقاش عندما جاء صوت يُنادي من حجرة تناول الطعام: "كين". كان هذا هو الدوق رويال الذي قال بصراحة: "كان بمقدورنا تربية خنازيرنا وذبحها في هذا الوقت الذي تستغرقه لإعداد الطعام".

قال كين: "الوجبات الجيدة تستغرق وقتًا يا رويال". ثم زفر وهو يخرج رأسه من باب المطبخ قائلاً: "إن كنت تعتقد أن بمقدورك أن تطهو أفضل مني فأدعوك لكي تأتي وتطهو طعامك بنفسك".

أكد له الدوق أن هذا ليس ضروريًا، ولحسن الحظ لم يكن عليه أن ينتظر لوقت أطول. سرعان ما أعلن كين أن الخنزير قد نضج على أكمل وجه، وأمر لوكل بأن يبدأ في تقطيعه. وعلى الفور تلى هذا بقية الوجبة. كانت مأدبة عامرة حتى إنها كانت لتُشبع كايسي، لولا أن والدها قد أمرها هي والطفلين الآخرين بأن يذهبوا لزيارة خالتهم هذه الأمسية.

عاد كين إلى المطبخ ليحمل الطبق الأخير فسأل سارين: "هل ما زلتِ عازمة على الانضمام إلينا؟".

قالت سارين بحزم: أجل"

"ولكن هذه ليست تيود يا سارين، الرجال هنا... أكثر تمسكًا بالتقاليد. إنهم لا يشعرون أنه من اللائق أن تنخرط امرأة في السياسة".

سألته سارين: "أقول هذا رجل قد أعد طعام العشاء؟".

ابتسم كين وقال بصوته الأجلش: "نقطة وجيهة". سيكون عليها يومًا أن تعرف ما الذي حدث لخلقه.

قالت سارين: "يمكنني أن أتدبر أمري يا عماء، ليس رويال وحده من يجب تحديدًا جيدًا".

قال كين وهو يحمل صحن فاصولياء كبيرًا يتصاعد منه البخار: "هيا بنا". تقدمها كين عبر باب المطبخ، وبعد أن وضع الصحن على الطاولة أشار إلى سارين وقال: "أنا واثق من أنكم جميعًا قد التقيتم بابنة أخي سارين، أميرة من مملكتنا".

انحنى سارين للدوق رويال ثم أومأت إلى البقية قبل أن تجلس في مقعدها.

تمتم العجوز رويال قائلاً: "كنت أتساءل لمن هذا الكرسي الإضافي. ابنة أخيك يا كين؟ هل لك علاقة بعرش تيود؟".

ضحك آهان البدين بمرح وقال: "بحقك يا رجل! لا تقل لي إنك لا تعرف أن كين هو الأخ الأكبر لإيفيتتو؟ لقد أخبرني جواسيسي بهذا قبل سنوات".

قال رويال: "كان هذا من باب اللباقة يا آهان، ليس من اللائق أن تُفسد مفاجأة رجل مجرد أن جواسيسك يتمتعون بالكفاءة".

قال آهان: "ومن غير اللائق أيضًا أن تجلب دخيلاً إلى اجتماع من هذا النوع". كان صوته لا يزال مرحًا ولكن عينيه كانتا جادتين.

توجهت كل الأنظار ناحية كين ولكن سارين هي من أجابته قائلة: "قد يظن المرء أنه بعد هذا الانخفاض في أعداد داعميك يا سيدي ستكون ممتنًا لوجود دعم إضافي، بغض النظر عن كونه غير مألوف أو أنثويًا".

خيّم السكون على الطاولة بعد هذه الكلمات بينما عشر أعين تنظر إليها عبر البخار المتصاعد من أطباق كين الرائعة المتعددة. أحست سارين بنفسها تزداد توترًا مع نظراتهم غير المتقبلة. هؤلاء الرجال يعرفون تمامًا مدى السرعة التي يُمكن فيها لخطأ واحد أن يدمر عائلاتهم. لا يغمس المرء باستخفاف في خيانة بلد لم تنسَ بعد ذكرى الحرب الأهلية.

وأخيرًا ضحك الدوق رويال وتردد صدى ضحكاته من جسده الضئيل قبل أن يقول: "كنت أعرف هذا! لا يُمكن لأي شخص أن يكون غيبًا كما تظاهرت يا عزيزتي، حتى الملكة نفسها ليست خاوية العقل إلى هذا الحد".

خبّأت سارين توترها بابتسامة وهي تقول: "أعتقد أنك مخطئ بشأن الملكة إيشن يا مولاي، إنها ببساطة... مفعمة بالحياة".

قال آهان ساخراً: "إن كان هذا ما تريدين تسمية الأمر به". ثم عندما بدا أنه لا أحد غيره سيبدأ هز كتفيه وبدأ يتناول الطعام. ولكن رويال لم يحدّ حذو خصمه، فالمرح لم يمحّ مخاوفه، شبك يديه أمام وجهه وهو يتأمل سارين بنظرة متفرسة.

قال الدوق بينما آهان يمد يده أمامه ليجذب سلة من لفائف الطعام: "قد تكونين ممثلة بارعة يا عزيزتي، ولكني لا أفهم لمَ كان عليك أن تحضري هذا العشاء. على الرغم من أن هذا ليس خطأك، فأنت صغيرة وعديمة الخبرة. الأشياء التي سنقولها الليلة سيكون سماعها خطيراً وتذكرها أكثر خطورة. لن يُساعدنا وجود أذنين غير ضروريين، بغض النظر عن جمال الرأس المتصلبتين به".

ضيقت سارين عينيها وهي تحاول أن تقرر إذا ما كان الدوق يحاول استفزازها أم لا. كان من الصعب سبر أغوار رويال أكثر من أي رجل قد قابلته في حياتها. قالت: "لن تجدي عديمة الخبرة يا سيدي، فنحن في تيود لا نحجب نساءنا وراء ستار من الحياكة والتطريز، لقد أمضيت سنوات في العمل الدبلوماسي".

قال رويال: "ربما تكونين كذلك، ولكنك لستِ على اطلاع بالموقف السياسي المعقد في أريلون".

رفعت سارين حاجباً وقالت: "لطالما اعتقدت أن الرأي الجديد غير المتحيز هو أداة لا تقدر بثمن في أي نقاش".

قال إيدان الذي كان لا يزال متوتراً وهو يملأ طبقه: "لا تكوني سخيفة يا فتاة، لن أخطر بسلامتي لمجرد أنك تريدين إثبات طبيعتك المتحررة".

أسرعت العديد من الردود الساخرة إلى شفتي سارين، وبينما تقرر أيهم أكثر ذكاءً تدخل صوت جديد في النقاش.

قال الشاب الجيندوي شودن: "أتوسل إليكم أيها السادة". كانت كلماته رقيقة ولكنها واضحة. "أجيبوني عن سؤالي، هل كلمة فتاة هي لقب لائق لمن قد تصير ملكتنا إذا سارت الأمور على نحو مختلف؟".

توقفت الشوكات في طريقها إلى الأفواه، ومرة أخرى وجدت سارين نفسها محط الأنظار في الحجر، ولكن هذه المرة كانت النظرات أكثر تقديراً. أوماً كين برأسه ومنحها لوكل ابتسامة مشحجة.

أكمل شودن حديثه قائلاً: "أحذركم أيها السادة، فلتمنعوها أو تقبلوها كما تشاؤون، ولكن لا تعاملوها إلا باحترام. إن لقبها الأريلي ليس أقوى من ألقابنا ولا أضعف منه، إن تجاهلنا لقباً فسيكون علينا تجاهل كل الألقاب الأخرى".

تورد وجه سارين خجلاً وهي تؤنب نفسها، لقد غفلت عن أهم ميزة لديها؛ زوجها من رابودن. لقد كانت أميرة تيودية طيلة حياتها، وهذا المنصب قد شكّل حياتها. إن فكرتها عن ذاتها قد صارت عتيقة لسوء الحظ، إنها لم تعد سارين ابنة تيود فحسب، لقد صارت أيضاً سارين زوجة ولي عهد أريلون.

قالت: "أشيد بحدركم أيها السادة، ولديكم سبب وجيه لتوخي الحذر، لقد فقدتم راعيكم، الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يمنحكم قدرًا من الحماية، ولكن تذكروا أنني زوجته. أنا لست بديلة للأمير، ولكني ما زلت مرتبطة بالعرش، ليس هذا العرش فحسب، بل عرش تيود أيضاً".

قال رويال: "هذا كلام جميل يا سارين، ولكن الروابط والوعود لن تفيدنا كثيرًا في مواجهة غضب الملك".

أجابته سارين: "قد لا يكون مفيدًا كثيرًا، ولكن هذا لا يعني أنه غير مفيد على الإطلاق". ثم أكملت بصوت أكثر رقة وأقل مجادلة: "سيدي الدوق، لن أعرف أبدًا الرجل الذي أسميه الآن زوجي، كنتم جميعًا تحزمتون رابودن، حسبما قال عمي كنتم تحبونه أيضًا. ولكن أنا من كان يجب أن يجبه أكثر من أي شخص آخر، لن يُمكنني أبدًا أن ألتقي به شخصيًا. هذا العمل



الذي تنخرطون فيه كان حلمه، وأريد أن أكون جزءًا منه. إن كنت لا أقدر على معرفة رايبودن فعلى الأقل دعوني أشارككم أحلامه".

تفحصها رويال للحظة وأدركت أنه يقيم صدقها، لم يكن الدوق رجلاً يُمكن خداعه بالعاطفة الزائفة. في النهاية أوما برأسه وبدأ يقطع لنفسه قطعة من لحم الخنزير قبل أن يقول: "ليس لدي مشكلة في بقائها".

قال شودن: "ولا أنا".

نظرت سارين إلى البقية، كان لوكل يتسم بوضوح وهو يستمع إلى حديثها، أما اللورد إيونديل فكان على وشك البكاء وهو يقول: "أمنح موافقتي للسيدة".

قال آهان ضاحكًا: "حسنًا، إن كان رويال يُريد بقاءها فسيكون عليّ الاعتراض، ولكن يبدو لحسن الحظ أنني خسرت ضد تصويت الأغلبية". ثم غمز لها وقد اتسعت ابتسامته قبل أن يقول: "لقد مللت النظر إلى نفس الوجوه القديمة العابسة على أي حال".

قال إيدان متفاجئًا: "إذن ستبقى؟".

قال كين: "أجل ستبقى". لم يكن عمها قد مد يده إلى وجبه بعد، ولم يكن وحده، فلم يبدأ شودن أو إيونديل في تناول الطعام بعد. بمجرد أن انتهى النقاش أحنى شودن رأسه في صلاة قصيرة ثم راح يأكل. أما إيونديل فقد انتظر حتى تناول كين قضمته الأولى، وقد لاحظت سارين هذه الحقيقة باهتمام. على الرغم من أن رويال هو الأعلى مرتبة إلا أن الاجتماع كان في بيت كين، وحسب التقاليد القديمة يجب أن يكون أول من يتناول الطعام. ولكن لم ينتظر أحد سوى إيونديل، فيبدو أن الآخرين معتادون على كونهم الأشخاص الأكثر أهمية على طاولتهم الخاصة، حتى إنهم لم يفكروا في الانتظار قبل تناول الطعام.

بعد النقاش الحاد الذي يتعلق بوجود سارين من عدمه سارع اللوردات إلى تحويل مسار حديثهم إلى موضوع أقل إثارة للجدل.

قال رويال: "هذه أفضل وجبة تناولتها منذ عقود يا كين".

قال كين: "أخجلتم تواضعنا يا رويال". كان من الواضح أنه يتجنب مناداته الآخرين بالقابهم، ولكن الغريب هو أنه لم يبذُ على أي منهم أنه يُمنع هذا.

قال إيونديل: "اتفق مع اللورد رويال، لا يوجد طاهٍ في هذا البلد يُمكنه التفوق عليك".

قال كين: "أربلون مكان كبير يا إيونديل، كن حذرًا في المبالغة في الإطراء عليّ فقد تجد شخصًا أفضل مني وتخبب أمني".

قال إيونديل: "مستحيل".

قال آهان وهو يهز رأسه الكبير الممتلئ: "لا يُمكنني أن أصدق أنك أعددت كل هذا بنفسك. أنا واثق تمامًا أن لديك أسطولًا من الطهارة الجادورين مختبئًا في مطبخك".

قال رويال ساخرًا: "إن كونك بحاجة إلى جيش من الرجال لإطعامك يا آهان لا يعني أن طاهيًا واحدًا لا يُمكنه إشباع بقيتنا". ثم نظر إلى كين وأكمل حديثه قائلاً: "ومع ذلك فمن الغريب أنك تصر على فعل كل هذا بنفسك يا كين. ألا يُمكنك على الأقل أن تعين مساعدًا؟".

"أنا أستمتع بالأمر يا رويال، لم أترك شخصًا آخر يسرق مني؟".

قال لوكل: "كما أن الملك يكاد أن يُصاب بنوبة قلبية في كل مرة يسمع فيها أن رجلًا بمثل ثراء والدي يفعل شيئًا بسيطًا كالطهو يا سيدي".

قال آهان موافقًا: "هذا ماكر للغاية، أن يتمرد بينما يتظاهر بالخضوع".

رفع كين يديه ببراءة وهو يقول: "كل ما أعرفه أيها السادة هو أنه يُمكن لرجل أن يعتني بنفسه وعائلته بسهولة تامة دون أي مساعدة، وبغض النظر عن مدى ثرائه المقترض".

قال إيونديل ضاحكًا: "مفترض يا صديقي؟ إن القليل الذي تتركنا نراه كافٍ لأن يجلب لك لقب بارون على الأقل. من يعرف ربما إذا أخبرت الجميع بمدى ثرائك حقًا فلن يكون علينا أن نقلق بشأن آيادون، ستصير أنت الملك".

قال كين: "إن افتراضاتك مبالغ فيها بعض الشيء يا إيونديل. أنا مجرد رجل بسيط يجب الطبخ".

قال رويال مبتسمًا: "رجل بسيط يجب الطبخ، وأخوه ملك تيود، وابنة أخيه هي الآن ابنة ملكين، وزوجته سيدة نبيلة في بلاطنا".

قال كين: "لم أختَر أن يكون أفاري من الأناص المهمين، إن دومي الرحيم يمنحنا جميعًا ابتلاءات مختلفة".

قال إيونديل وهو ينظر إلى سارين: "بالحديث عن الابتلاءات هل قررت سيدتك النبيلة ما يجب أن تفعله بشأن ابتلائها بعد؟".

عقدت سارين حاجبيها وقالت في حيرة: "ابتلاء يا سيدي؟".

"أجل، أنت...". نظر الرجل الوقور إلى جانبه وقد بدا مُخرجًا بعض الشيء.

قال رويال: "إنه يتحدث عن ابتلاء الأرملة".

هز كين رأسه وقال: "لا تقل لي إنك تتوقع منها أن تفعل شيئًا كهذا يا رويال. إنَّها لم تلتقي رايبودن قط، من غير المعقول أن تتوقع منها أن تقضي فترة حداد ناهيك بابتلاء كهذا".

أحست سارين بانزعاج متزايد، فمهما ادعت أنها تُحب المفاجآت إلا أنها لم تحب الطريقة التي تجري بها هذه المحادثة. سألت بصوت حازم: "هل يمكن أن يشرح لي أحدكم بالضبط ما هو هذا الابتلاء؟".

قال شودن: "عندما تتزمل امرأة أريلية نبيلة فمن المتوقع منها أن تتعرض للابتلاء".

سألته سارين وهي تعقد حاجبيها: "ما المفترض أن يعنيه هذا؟". لم يعجبها الواجبات غير المنجزة الملقاة على عاتقها.

لوح آهان بيده وهو يقول بلا اكتراث: "لا أحد يتوقع منك أن تُبدي أي اهتمام حقيقي بهذا الأمر، إنه مجرد واحد من التقاليد القديمة التي قرر آيادون التمسك بها. عن نفسي لم تعجبني هذه العادة قط، من وجهة نظري لا يجب علينا أنا نشجع الناس على التطلع إلى موتنا. حقيقة أن شعبية أي أرسقراطي تكون في ذروتها بعد وفاته مباشرة هو أمر لا يُبشر بالخير".

قال إيونديل: "أعتقد أنه تقليد جميل يا لورد آهان".

ضحك آهان وقال: "هذا متوقع منك يا إيونديل، فأنت رجل محافظ للغاية، حتى أن جواربك ستكون أكثر تمسكًا بالتقاليد من بقيتنا".

قالت سارين وهي لا تزال منزعجة: "لا أصدق أن أحدًا لم يُخبرني بهذا الأمر قط".

قال آهان: "حسنًا، ربما كان ليُخبرك شخص بهذا لو لم تقض كل وقتك في القصر أو في بيت كين".

"وفي أي مكان آخر يُفترض أن أكون؟".

قال إيونديل: "إن أريلون بها بلاط رائع أيتها الأميرة، أعتقد أنه كان هناك حفلان راقصان منذ مجيئك، وأعتقد أن هناك حفلًا آخر يجري الآن بينما نتحدث".

سألته: "لماذا لم يدعوني أي شخص إذن؟".

قال رويال مفسراً: "لأنك في حالة حداد، كما أن الدعوات لا توجه إلا للرجال، الذين يُحضرون بدورهم أحواتهم وزوجاتهم".

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "إنكم رجعيون للغاية".

قال آهان: "لسنا رجعيين يا سمو الأميرة، بل تقليديين فحسب. إن كنتِ تشائين فيمكنني أن أرتب دعوة لك من رجل ما".

سألته سارين: "ألن يبدو الأمر سيئاً؟ أنا أرملة منذ أقل من أسبوع، وأذهب في صحبة شاب عازب إلى حفلة".

قال كين: "لديها وجهة نظر معتبرة".

سألته سارين: "لم لا تأخذوني جميعاً إلى الحفل؟".

سألها رويال: "نحن؟".

قالت: "أجل، أنتم. فإنكم أيها السادة كبار في السن بما يكفي حتى إن الناس لن يتحدثوا كثيراً عن الأمر، إنكم فقط تعرفون صديقة شابة على مباحج حياة البلاط".

قال شودن: "معظم هؤلاء الرجال متزوجون يا سمو الأميرة".

قالت سارين مبتسمة: "يا لها من صدفة، وكذلك أنا".

قال رويال: "لا تقلق بشأن شرفنا يا شودن، سأحرص على أن تكون نوايا الأميرة معروفة، وما دامت لا تذهب مع أي منا كثيراً فلن يستتبط أحد الكثير من الأمر".

قالت سارين مبتسمة: "لقد حسنا المسألة إذن، أتوقع أن أتلقى رسالة من كل واحد منكم أيها السادة. من الضروري أن أذهب إلى هذه الحفلات، إن كنت سأنسجم في أربلون فسيكون عليّ أن أعترف على الطبقة الأرستقراطية".

كان هناك موافقة عامة، ثم تحولت المحادثة إلى مواضيع أخرى، مثل خسوف القمر القادم. بينما يتحدثون أدركت سارين أن سؤالها حول هذا الابتلاء المبهم لم يُسفر عن الكثير من المعلومات، ستضطر لمحاورة كين لاحقاً".

رجل واحد لم يستمتع بالمحادثة، ولم يبدو عليه حتى أنه مستمتع بالوجبة. لقد ملأ اللورد إيدان طبقه، ولكنه بالكاد تناول بضع قضمات، وبدلاً من هذا كان يكثر طعامه بالشوكة في استياء وهو يخلط محتويات الأطباق في كومة لا تكاد تُشبه الأطعمة الشهية التي أعدها كين.

وأخيراً قال إيدان بحدة: "ظننت أننا قد اتفقنا على ألا نجتمع مرة أخرى".

شق التعليق طريقه إلى المحادثة كأيل ضل طريقه إلى منتصف قطع من الذئاب. صمت الآخرون والتفتوا ناحية إيدان.

قال إيونديل: "لقد قررنا ألا نجتمع لفترة من الوقت يا لورد إيدان، لم نقرر قط أن نتوقف عن الاجتماع تماماً".

قال آهان وهو يلوح بشوكة مغروسة في قطعة من لحم الخنزير: "ظننت أنك ستكون سعيداً يا إيدان، فأنت من بين جميع الناس يجب أن تكون حريصاً على استمرار هذه الاجتماعات، ما هي المدة التي تفصلنا عن الفترة الضريبية التالية؟".

قال إيونديل متعاونًا: "أعتقد أنه يوم الأول من إيوستيك<sup>٢٦</sup> يا لورد آهان، وهو ما يفصلنا عنه أقل من ثلاثة أشهر".

قال آهان مبتسمًا: "شكرًا لك يا إيونديل، لطالما كنت رجلًا مفيدًا. دومًا ما تعرف الأشياء الصحيحة وما إلى ذلك. على أي حال، ثلاثة أشهر يا إيدان. كيف حال خزائنك؟ أنت تعرف مدى انتقائية مراجعي الحسابات لدى الملك".

تلوى وجه إيدان أكثر أمام سخرية الكونت القاسية، يبدو أنه مدرك تمامًا لضيق الوقت المتاحة له، وفي الوقت ذاته بدا أنه يحاول نسيان متاعبه على أمل أن تختفي. كان الصراع واضحًا على وجهه، ومن الواضح أن آهان كان مستمتعًا كثيرًا بمراقبته.

قال كين: "نحن لسنا هنا للشجار أيها السادة المحترمون، تذكروا أن الإصلاح سيجلب لنا الكثير من المكاسب، بما في ذلك استقرار بلدنا وحرية شعبنا".

قال رويال وهو يتكى إلى الورا في كرسیه: "هذا البارون الطيب يُعرب عن قلق وحيه، فرغم وعد هذه السيدة الشابة بالمساعدة نحن عرضة تمامًا للخطر من دون رايودن. كان الناس يجبون الأمير، وحتى لو اكتشف آيادون اجتماعاتنا فلم يكن ليتخذ أي إجراء ضد رايودن".

أومأ آهان برأسه وقال: "لم يعد لدينا القوة لمعارضة الملك، كنا نكتسب القوة من قبل، ربما لم يكن ليمضي وقت طويل قبل أن نستميل إلى صفنا ما يكفي من النبلاء لكي نتصرف علانية، ولكننا الآن لا نملك شيئًا".

قالت سارين بحدوء: "لا يزال لديكم الحلم يا سيدي، وهذا يعد شيئًا".

<sup>٢٦</sup> إيوستيك: الشهر السادس من السنة الأيونية.

قال آهان ضاحكًا: "خلم؟ كان هذا حلم رابودن يا سيدتي، لقد رافقناه فقط لنرى إلى أين سيأخذنا".

قالت سارين عاقدة حاجبيها: "لا يُمكنني تصديق هذا يا لورد آهان".

قال شودن بنبرة متسائلة لا مُجادلة: "ربما يُمكن لسمو الأميرة أن نخبرنا ما هو هذا الحلم".

أجابته سارين: "أنتم رجال أذكىء أيها السادة الأعزاء، لديكم من العقل والخبرة ما يكفي لمعرفة أن أي بلد لا يُمكنه أن يتحمل الضغط الذي يضعه آيادون على عاتقه. إن أريلون ليس عملاً تجاريًا يُمكن إدارته بقبضة من حديد، إنه أكبر بكثير من مجرد إنتاج مطروح منه التكاليف. الحلم أيها السادة هو أريلون التي يتعاون شعبها مع ملكه بدلاً من معارضته".

قال رويال: "هذه ملحوظة جيدة أيها الأميرة". ولكن نبرته كانت غير مكترثة. التفت إلى الآخرين فواصلوا الحديث وكل واحد منهم يتجاهل سارين بلباقة. لقد سمحوا لها بحضور الاجتماع، ولكن من الواضح أنهم لم يقصدوا السماح لها بالمشاركة في المناقشة. مالت إلى الوراء في النزاع.

كان رويال يقول: "... تحديد الهدف لا يعني امتلاك سُبُل تحقيقه، أعتقد أن علينا الانتظار، وأن نترك صديقي القديم يُحكم الخناق حول نفسه قبل أن نتحرك للمساعدة".

قال لوكل معترضًا: "ولكن آيادون سيدمر أريلون أثناء هذا يا مولاي، كلما منحناه وقتًا أطول كان التعافي أكثر صعوبة".

قال رويال: "لا أرى خيارًا آخر، لا يُمكننا أن نواصل العمل ضد الملك كما كنا نفعل من قبل".



جفل إيدان قليلاً لهذا التصريح، بينما قطرات العرق تتشكل على جبينه، لقد أدرك أخيراً أن الاستمرار في الاجتماع، سواء كان خطيراً أم لا، هو خيار أفضل من الانتظار حتى يجرده آيادون من لقبه.

اعترف آهان على مضض: "أنت محق يا رويال، لم يعد من الممكن أن تنجح خطة الأمير الأصلية. لن نكون قادرين على الضغط على الملك ما لم يكن في صفنا نصف النبلاء بالإضافة إلى ثرواتهم".

قال إيونديل متردداً: "هناك سبيل آخر أيها السادة".

سأله الدوق: "ما هو يا إيونديل؟".

"سيستغرق الأمر مني أقل من أسبوعين لجمع الفيالق من مراكزهم في طرق البلاد الرئيسية. القوة المالية ليست هي النوع الوحيد من القوة".

قال آهان ساخراً: "لا يُمكن لمرتقتك أن يقفوا في وجه جيوش أربلون، ربما تكون قوة آيادون العسكرية صغيرة مقارنة ببعض الممالك الأخرى، ولكنها أكبر بكثير من مئات الرجال الذين هم تحت إمرتك. خاصة إن طلب الملك الدعم من حرس مدينة إيلانتريس".

وافقه إيونديل قائلاً: "أجل، أنت محق يا لورد آهان، ولكن إن ضربنا بسرعة بينما آيادون لا يزال يجهل نوايانا فربما يتمكن فيلقي من اقتحام القصر وأسر الملك".

قال شودن: "سيكون على رجالك أن يشقوا طريقهم بالسيف حتى جناح الملك، وستولد حكومتك الجديدة من دماء القديمة، تماماً كما وُلد حكم آيادون من موت إيلانتريس. ستتكرر الدورة مرة أخرى، وسيأتي سقوط آخر يا لورد إيونديل. ما إن تحقق أي ثورة أهدافها حتى يبدأ التخطيط لثورة جديدة. الدم والموت والانقلابات العسكرية لا يؤدون سوى لمزيد من الفوضى. يجب أن يكون هناك طريقة لإقناع آيادون دون اللجوء للفوضى".

قالت سارين: "هناك طريقة". فالتفتت الأعين المنزعجة إليها. لا يزالون يفترضون أنها هنا للاستماع فحسب، من المفترض أن يكونوا أكثر فطنة من هذا.

قال رويال وهو يُبعد عينيه عن سارين: "أوافقك الرأي، وهذه الطريقة هي الانتظار".

قالت سارين محتجة: "لا يا سيدي، المعذرة، ولكن هذا ليس هو الجواب. لقد رأيت شعب أريلون، وبينما لا يزال هناك أمل في أعينهم إلا أنه يزداد ضعفًا. إن منحتم آيادون الوقت فسيخلق طبقة الفلاحين القانطين التي يُريدها".

عبس رويال، على الأرجح كان يفترض أنه سيكون في مركز السلطة بعد رحيل رايودن. أخفت سارين ابتسامتها المليئة بالرضا. كان رويال هو أول من سمح لها بالانضمام إلى الاجتماع، وبالتالي سيكون عليه أن يتركها تتحدث، إن رفض الاستماع إليها الآن سيُظهر أنه كان مُخطئًا بمنحها دعمه.

قال الرجل العجوز في تحفظ: "تحدثي أيتها الأميرة".

قالت سارين بصراحة: "لقد كنتم أيها السادة تحاولون أن تجدوا طريقة للإطاحة بنظام حُكم آيادون، وهو نظام يساوي ما بين الثروة والقدرة على القيادة، أنتم تزعمون أنه أمر غير عملي وغير عادل، وأن حماقة هذا النظام تعذب شعب أريلون".

قال رويال باقتضاب: "هذا صحيح، ومن ثم؟".

"حسنًا، إن كان نظام آيادون سيئًا للغاية فلم تشغلوا بالكم كثيرًا بشأن الإطاحة به؟ لم لا تتكون النظام يُطرح بنفسه؟".

سألها إيونديل: "ما الذي تعنيه يا سيده سارين؟".

"اقلبوا ما صنعه آيادون ضده، وأجبروه على الاعتراف بمثالبه، حينها نأمل أن تتمكنوا من إيجاد طريقة أكثر استقرارًا وأكثر إرضاءً".

هز آهان رأسه السمين وقال: "هذا أمر مثير للاهتمام ولكنه مستحيل، ربما كان بمقدور رايدون أن يفعل هذا، ولكن عددنا قليل للغاية".

قالت سارين وهي تقف من كرسيها وتخطو حول الطاولة: "لا، إن عددكم مثالي. ما نريد أن نفعله أيها السادة هو أن نجعل الأرستقراطيين الآخرين يشعرون بالغيرة، هذا لن ينجح إن كان الكثيرون في صفنا".

قال إيونديل: "هايتي ما عندك".

سألتهم سارين: "ما هي أكبر مشكلة في نظام أريلون".

قال إيونديل: "أنه يشجع اللوردات على معاملة رعاياهم بوحشية، الملك آيادون يهدد النبلاء ويسحب الألقاب من هؤلاء الذين لا يجلبون عائدًا. وبالتالي يزداد اللوردات يأسًا، ويضعون عبئًا إضافيًا على رعاياهم".

وافقته شودن قائلاً: "إنه نظام غير عقلائي، قائم على الجشع والخوف بدلاً من الولاء".

قالت سارين وهي تواصل الالتفاف حول الطاولة: "هل اطلع أي منكم على مخططات إنتاج أريلون طيلة السنوات العشرة الماضية؟".

سألها آهان: "هل هناك شيء كهذا؟".

أومأت سارين برأسها وقالت: "إننا نحفظ بما في تيود. هل ستندهبشون أيها السادة لمعرفة أن مستوى إنتاج أريلون قد انخفض كثيرًا منذ أن تولى آيادون زمام الحكم؟".

قال آهان: "لا على الإطلاق، لقد مر علينا عقد من الشقاء".

قالت سارين وهي تلوح بيدها بحزم: "الملوك يصنعون شقاءهم يا لورد آهان، أكثر شيء حزين في نظام آيادون ليس ما يفعله بالناس، ولا حقيقة أنه يُدمر معنويات الدولة، بل الأكثر إثارة للشفقة هو أنه يفعل الأمرين دون أن يجعل النبلاء أكثر ثراءً. ليس لدينا عبيد في تيود أيها السادة، ونحن على ما يرام. في الواقع لم تعد فيوردن تستخدم نظامًا مبنياً على الرق، لقد وجدوا شيئاً أفضل، اكتشفوا أن المرء يعمل بشكل أكثر إنتاجية عندما يعمل لصالح نفسه".

صمتت سارين للحظة لتتركهم يفكرون في كلماتها، ثم قال رويال أخيراً مفكراً: "فلتكلمي".

قالت سارين: "لقد اقترب موسم الزراعة أيها السادة، أريد منكم أن تقسموا أراضيكم بين فلاحيكم، أن تمنحوا كل واحد منهم جزءاً من حقل، وأن تجربوهم أن بإمكانهم الاحتفاظ بعشرة في المئة مما تنتجه هذه الأرض، أخبروهم أنكم ستسمحون لهم حتى بشراء البيوت والأراضي التي يشغلونها".

قال رويال: "سيكون فعل هذا صعباً للغاية أيتها الأميرة الصغيرة".

قالت سارين: "لم أنته من كلامي بعد، أريد منكم أن تطعموا رعاياكم جيداً أيها السادة، أن تمنحوهم الملابس والمؤون".

قال آهان: "نحن لسنا وحوشاً يا سارين، بعض اللوردات يعاملون فلاحيتهم معاملة سيئة، ولكننا لا نقبل مثل هذا على رعايانا، إن الناس في أراضينا لديهم طعام يأكلونه وملابس لتبقيهم دافئين".

قالت سارين: "قد يكون هذا صحيحاً يا سيدي، ولكن يجب أن يشعر الناس أنكم تحبوهم، لا تتاجرون بهم مع النبلاء الآخرين أو تتشاجرون عليهم. إن جعلتم الفلاحين يشعرون أنكم

تجوبهم فسيمنحونكم جهم وكدهم. لا يجب أن يقتصر الازدهار على نسبة صغيرة من السكان".

وصلت سارين إلى مقعدها فوقفت وراءه، كان اللوردات يفكرون، وهو أمر جيد، ولكنهم كانوا خائفين أيضًا.

قال شودن: "سيكون الأمر محفوفًا بالخطر".

"هل هو بخطورة مهاجمة آيادون بجيش اللورد إيونديل؟ إن لم ينجح هذا فلن نخسروا إلا قليلاً من المال وبعض الكبرياء، وإن لم تنجح خطة الجنرال الموقر فستخسرون رؤوسكم". وافقها آهان قائلاً: "إنها محقة".

قال إيونديل: "فكرة رائعة". كان هناك ارتياح في عينيه، سواء كان جنديًا أم لا فإنه لا يُريد مهاجمة أبناء بلده. "سأفعل هذا".

قال إيدان وهو يتململ في كرسية: "من السهل عليك قول هذا يا إيونديل، فيمكنك دومًا أن تطلب من فيلقك العمل في المزارع عندما يتكاسل الفلاحون".

زفر إيونديل وقال: "رجالي يحفظون الأمن في طرق البلاد الرئيسية، إن خدمتهم هناك لا تقدر بثمن".

قال إيدان بجدّة: "وأنت تتلقى مكافأة سخية نظير هذا. ليس لدي أي دخل سوى مزارعي، وبينما تبدو أراضي كبيرة إلا أنه هناك ذلك الصدع اللعين الذي يشقها من المنتصف. ليس لدي أي مجال للتكاسل، إن لم تُزرع البطاطا وتُزال الأعشاب الضارة فسأخسر لقي".

قال آهان مبتسمًا: "على الأرجح ستخسره في كل الأحوال".

قال رويال أمرًا: "يكفي هذا يا آهان، إيدان لديه وجهة نظر، كيف يُمكن أن نتيقن من أن الفلاحين سينتجون أكثر إن أعطيناهم هذا القدر من الحرية؟".

أومًا إيدان برأسه وقال: "لطالما وجدت الفلاحين الأريبيين كسالى وغير منتجين، السبيل الوحيد الذي يُمكن من خلاله أن أحصل منهم على ما يكفي من العمل هو عن طريق القوة".

قالت سارين: "إنهم ليسوا كسالى يا سيدي، بل غاضبين، عشر سنوات ليست وقتًا طويلًا بما يكفي، وهؤلاء الناس يُمكنهم أن يتذكروا ما يعنيه أن يكون المرء سيد نفسه. امنحهم الوعد بالحرية وسيعملون بجد لكي ينالوا هذا. ستندهبشون من ضخامة إنتاجية الرجل الحر مقارنة بالعبد الذي لا يفكر في شيء أكثر من وجبته التالية. على أي حال، أي موقف سيجعل المرء أكثر ميلًا لأن يصير منتجًا؟".

فكر النبلاء في كلماتها.

قال شودن: "معظم ما تقولينه يبدو منطقيًا".

قال رويال: "ولكن أدلة السيدة سارين مبهمة. كانت الأحوال مختلفة قبل الريدود، الإيلانتيون يوفرون الطعام ويُمكن للأرض أن تزدهر بدون طبقة الفلاحين. لم يعد لدينا هذه الرفاهية".

قالت سارين: "إذن فلتساعدني كي أجد الدليل يا سيدي، امنحني بضعة أشهر وسنصنع الدليل بأنفسنا".

قال رويال: "نحن... سنفكر في كلماتك".

قالت سارين: "لا يا لورد رويال، ستحسمون قراركم، فبغض النظر عن أي شيء آخر أعتقد أنك رجل وطني. أنت تعرف ما هو الصواب، وهذا هو كل شيء. لا تقل لي إنك لم تشعر قط بأي ذنب تجاه ما فعلته بهذا البلد".

تأملت سارين رويال وهي تُخفي قلقها في أعماقها. لقد أثار الدوق العجوز إعجابها، ولكنها ليست متيقنة من أنه يشعر بالخجل من أجل أربيلون، وعليها الاعتماد على حدسها بأنه رجل صالح في أعماقه، وأنه في حياته الطويلة قد رأى وفهم إلى أي مدى قد انحدر بلده. كان انخيار إيلانتريس أحد العوامل، ولكن جشع النبلاء كان العامل الأكبر وراء دمار هذه الأمة التي كانت يوماً ما أمة عظيمة.

قال شودن بصوت رقيق: "جميعنا أعمتنا في وقت أو آخر وعود آيادون بالثروة. سأفعل ما تطلبه سمو الأميرة". ثم التفت إلى رويال وأوماً بعينيه. إن موافقته قد منحت الدوق فرصة لأن يوافق دون أن يخسر الكثير من كبريائه.

تنهد الدوق العجوز وقال: "حسنًا، أنت رجل حكيم يا لورد شودن، إن كنت ترى أن هذه الخطة لها وجهتها فسأوافق عليها بدوري".

قال إيدان: "أفترض أنه لم يعد لدينا خيار".

قال إيونديل: "هذا أفضل من الانتظار يا لورد إيدان".

"هذا صحيح، أنا موافق بدوري".

قال آهان في إدراك مفاجئ: "لم يتبقَّ سواي. رباه، ماذا عليَّ أن أفعل؟".

قالت سارين: "لم يوافق اللورد رويال إلا على مضض يا سيدي، لا تقل لي إنك ستفعل مثله؟".

انفجر آهان في الضحك فارتج جسمه كله، ثم قال: "يا لك من فتاة مبهجة! حسنًا إذن، أعتقد أنني سأوافق من أعماق قلبي، بينما أذكركم أنني كنت أعتقد أنها محقة طيلة الوقت. والآن من فضلك يا كين قل لي إنك لم تنسَ التحلية، لقد سمعت الكثير من الأشياء الرائعة عن حلولياتك".

قال عمها بصوت أجش: "أنسى التحلية؟ لقد جرحتنى يا آهان". ثم ابتسم وهو ينهض من كرسيه ويتوجه ناحية المطبخ.

\*\*\*

"إنها بارعة في هذا يا كين، ربما أفضل مني". كان هذا صوت الدوق رويال. تجمدت سارين في موضعها، كانت قد ذهبت لتبحث عن الحمام بعد أن ودعت الجميع، وقد توقعت أنهم رحلوا بحلول هذا الوقت.

وافق كين قائلاً: "إنها شابة مميزة للغاية". كان حديثهما قادمًا من المطبخ. تسلمت سارين إلى الأمام في صمت واسترقت السمع خارج الباب.

"لقد سلبت مني الإمساك بزمام الأمور، وما زلت حتى الآن لا أعرف موطن خطئي. كان عليك أن تحذرنى".

قال كين ضاحكًا: "وأدعك تفلت يا رويال؟ لقد مضى وقت طويل منذ أن تمكن أي شخص . بما في ذلك آهان . من التغلب عليك. من المفيد للمرء أن يدرك أن بإمكانه أن يؤخذ على حين غرة من آن لآخر".

قال رويال: "ولكنها كادت أن تخسر قرب النهاية. لا أحب أن يحصرني أحد في الزاوية يا كين".  
قالت سارين وهي تدفع الباب وتدلف إلى الداخل: "كانت مقامرة محسوبة يا سيدي".

لم يجعل ظهورها الدوق يتردد ولو للحظة واحدة. قال: "أنت لم تفعلي شيئًا سوى تهديدي يا سارين، وهذه ليست طريقة لاكتساب حليف، وخصوصًا رجلًا عجوزًا حاد الطباع مثلي".



كان الدوق وكين يتبادلان زجاجة من النبيذ الفيوردي على طاولة المطبخ، وقد صارا أكثر استرخاءً مما كانا عليه أثناء العشاء. "بضعة أيام لن تضعف موقفنا، وكنت سامنحك دعمي بالتأكيد، فأنا أرى أن الوعد المدروس أكثر فائدة من المشاعر الزائفة".

أومات سارين برأسها وهي تُمسك بكأس من على أحد أرفف كين، ثم صبّت لنفسها بعضاً من النبيذ، قبل أن تجلس وتقول: "أنا أفهم يا رويال". إن كان بمقدوره أن يتخلى عن الرسميات فيمكنها هذا أيضاً. "ولكن الآخرين يتطلعون إليك، إنهم يتقنون في حكمك، كنت بحاجة إلى ما هو أكثر من دعمك. وهو ما كنت أعرف أنك ستمنحه لي. كنت بحاجة إلى دعمك الصريح. كان على الآخرين أن يروا أنك قد قبلت الخطة قبل أن يوافقوا عليها. لن يكون للأمر نفس التأثير بعد بضعة أيام".

قال رويال: "ربما، ولكن هناك شيئاً واحداً أكيداً يا سارين، لقد منحنا الأمل مرة أخرى، كان رايدون هو من يوحدنا من قبل، ولم أستطع أنا أو كين فعل هذا. لقد رفض كين النبالة لوقت طويل، وبغض النظر عما يقوله الناس فإنهم ما زالوا يريدون قائدًا يحمل لقبًا. وأنا... جميعهم يعلمون أنني ساعدت آيادون في تأسيس هذا النظام الوحشي الذي يقتل بلدنا ببطء".

قال كين وهو يُمسك بكتف الدوق العجوز: "كان هذا قبل وقت طويل يا رويال".

هز رويال رأسه وقال: "لا، كما قالت الأميرة الجميلة، عشر سنوات ليست وقتاً طويلاً في عمر الأمم، لقد ارتكبت خطأً جسيماً".

قال كين: "سنعيد الأمور إلى نصابها الصحيح يا رويال، هذه الخطة جيدة، وربما أفضل حتى من خطة رايدون".

قال رويال مبتسماً: "كانت لتصير زوجة رائعة له يا كين".

أوما كين برأسه وقال: "رائعة بالفعل، وربما حتى ملكة أفضل. أحيانًا ما تبدو مشيئة دومي غريبة بالنسبة لعقولنا البشرية".

قالت سارين وهي تتناول نبيذها: "لست مقتنعة بأن إرادة دومي هي ما أخذته منا يا عماء. ألم يتساءل أحدكم يومًا أنه ربما هناك من له يد في موت الأمير؟".

قال كين محذرًا: "إن الإجابة عن هذا السؤال أقرب إلى الخيانة".

"أكثر من الأشياء الأخرى التي قيلت الليلة؟".

قال رويال: "نحن لم نتهم الملك إلا بالجشع يا سارين. إن قتل ابنه هو أمر مختلف تمامًا".

قالت سارين وهي تلوح بيدها في إيماءة واسعة حتى كادت أن تسكب نبيذها: "فلتفكرا في الأمر، كان الأمير يتخذ موقفًا معارضًا لكل ما يفعله أبوه، وكان يسخر من آيادون في البلاط، ويحفظ من وراء ظهر الملك، وكان لديه حب الناس، والأهم من ذلك أن كل ما قاله عن آيادون كان صحيحًا. هل هذا شخص يُمكن لأي ملك أن يتحمل بقاءه حرًا طليقًا؟".

قال رويال وهو يهز رأسه في عدم تصديق: "أجل، ولكن ابنه؟".

قال كين: "لن تكون هذه المرة الأولى التي يحدث فيها شيئًا كهذا".

قال رويال: "هذا صحيح، ولكنني لست واثقًا إن كان الأمير يمثل مشكلة كبيرة لآيادون كما تفترضان. كان رايبودن ناقدًا أكثر من كونه متمرّدًا، لم يقل يومًا إن آيادون لا يجب أن يكون ملكًا، بل كان يقول ببساطة إن حكومة أربيلون في ورطة، وهذه هي الحقيقة".

سألتهما سارين: "ألم يشعر أي منكما بقليل من الريبة عندما سمع بموت الأمير؟". ثم ارتشفت نبيذها وهي تفكر. "لقد جاء موته في وقت ملائم تمامًا، سينتفع آيادون بالتحالف مع تيود، ولكنه لم يعد بحاجة للقلق بشأن إنجاب رايبودن لأي ورثة".

نظر رويال إلى كين الذي هز كتفيه وقال: "أعتقد أن علينا على الأقل أخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار يا رويال".

أوما رويال برأسه في أسف وقال: "إذن ماذا نفعل؟ نحاول أن نجد دليلاً على أن آيادون قد أعدم ابنه؟".

قالت سارين ببساطة: "المعرفة ستمنحنا القوة".

قال كين: "أتفق معك، ولكن أنت وحدك من بيننا من يتمتع بحرية دخول القصر".

"سأفتش في الأرجاء لأرى ما يمكنني اكتشافه".

قال رويال متسائلاً: "هل من المحتمل أنه لم يمت؟ سيكون من السهل العثور على شبيه له ليوضع في النعش، إن مرض رعشات السعال يؤدي إلى تشوهات شديدة".

قالت سارين في شك: "هذا محتمل".

"ولكنك لا تصدقين هذا".

هزّت سارين رأسها وقالت: "عندما يقرر ملك أن يدمر خصمًا فإنه عادة ما يفعل هذا بطريقة نهائية. هناك العديد من الحكايات عن أولياء عهد مفقودين يظهرون من جديد بعد عشرين سنة في البرية ليطلبوا بحقهم الشرعي في العرش".

قال رويال: "ومع ذلك ربما آيادون ليس وحشيًا كما تفترضين، لقد كان رجلاً أفضل ذات يوم، لم يكن ما يُمكن أن أسميه رجلاً صالحًا، ولكنه لم يكن رجلاً سيئًا أيضًا، بل جشعًا فحسب. شيء ما قد حدث له أثناء السنوات القليلة الماضية، شيء قد... غيره. ومع ذلك أعتقد أنه ما زال هناك ما يكفي من الرأفة بداخل آيادون لكي يمنعه من قتل ابنه".

قالت سارين: "حسنًا، سأرسل آش ليفتش الزنازين الملكية، إنه دقيق للغاية حتى أنه لن يرضى قبل أن يعرف اسم كل فأر في المكان".

قال رويال: "سيونك؟ أين هو؟".

"أرسلته إلى إيلانتريس".

سألها كين: "إيلانتريس؟".

قالت سارين: "الجيورن الفيوردي يُبدي اهتمامًا بإيلانتريس لسبب ما، وأنا أحرص على ألا أجهل شيئًا يجده أي جيورن مثيرًا للاهتمام".

قال كين: "يبدو لي أنك تقلقين إلى حد كبير بشأن كاهن واحد يا إين".

قالت سارين مُصححة: "ليس كاهنًا يا عماه، بل جيورن".

"لا يزال رجلًا واحدًا، ما مقدار الضرر الذي يُمكن أن يتسبب فيه؟".

قالت سارين: "فلتسأل الجمهورية الدولادية، أعتقد أنه نفس الجيورن الذي كان متورطًا في تلك الكارثة".

قال رويال: "لا يوجد أي دليل أكيد على أن فيوردن كانت وراء الاختيار".

"هناك دليل أكيد في تيود، ولكن لا أحد يُصدقه. فلتصدقني عندما أقول لك إن هذا الجيورن الواحد يُمكن أن يكون أكثر خطرًا من آيادون".

ساد الصمت بعد هذا التعليق، ومر الوقت بينما النبلاء الثلاثة يشربون نبيذهم وهم غارقون في التفكير، حتى دلف لوكل الذي كان قد ذهب لإحضار أمه وأخته. أوما برأسه إلى سارين ثم انحنى للدوق قبل أن يصب لنفسه كأسًا من النبيذ.

قال لوكل مخاطبًا سارين وهو يجلس: "ها أنتِ ذا، عضو راسخ في نادي الرجال".

قال رويال: "التعبير الأكثر دقة هو أنها رئيس النادي".

سأله كين: "أين أمك؟".

قال لوكل: "إنها في الطريق إلى هنا. لم يكونوا قد انتهوا، وأنت تعرف أمي جيدًا، يجب أن يجري كل شيء على النحو الصحيح، غير مسموح بأي تسرع".

وأما كين وهو يصب آخر كأس من النبيذ ثم قال: "إذن من الأفضل أن نبدأ أنا وأنت في التنظيف قبل أن تعود، لا نريدها أن ترى مقدار الفوضى التي أحدثتها أصدقاؤنا النبلاء في حجرة الطعام".

تنهد لوكل ثم نظر إلى سارين نظرة تشي بأنه أحيانًا ما يتمنى لو كان يعيش في بيت تقليدي، بيت به خدم. أو على الأقل نسوة. لتولي مثل هذه الأمور. كان كين قد بدأ الحركة بالفعل، ولم يكن أمام ابنه خيار سوى أن يتبعه.

قال رويال وهو يراقبهما ينصرفان: "عائلة مثيرة للاهتمام".

"أجل، غريبة بعض الشيء حتى بالنسبة لمقاييس تيود".

قال الدوق: "لقد عاش كين زمانًا طويلًا بمفرده، مما جعله يعتاد فعل الأشياء بنفسه. سمعت أنه استأجر طاهية ذات يوم، ولكنه ضاق ذرعًا بأساليب المرأة. أتذكر أنها استقالت قبل أن يمتلك الشجاعة الكافية ليطردها، زعمت أنها لا تستطيع العمل تحت ضغط الكثير من المتطلبات".

ضحكت سارين وقالت: "لا أستبعد هذا عنه".

ابتسم رويال ولكنه أكمل حديثه بنبرة جادة: "نحن محظوظون حقًا يا سارين، قد تكونين فرصتنا الأخيرة لإنقاذ أربيلون".

قالت سارين وقد توردت وجنتاها رغبًا عنها: "شكرًا لك يا مولاي".

"لن تصمد هذه الدولة أكثر من هذا، ربما بضعة أشهر، نصف عام إن كنا محظوظين".

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "ظننت أنك أردت الانتظار، أو على الأقل هذا ما قلته للآخرين".

لوح رويال بيده بلا اكتراث وهو يقول: "لقد أقنعت نفسي بأننا لن نجني الكثير من مساعدتهم لنا؛ إيدان وآهان متناقضان للغاية، أما شودن وإيونديل فكلاهما قليل الخبرة. كنت أرغب في تهدئتهم بينما نقرر أنا وكين ما يجب فعله. كنت أخشى أن تتمحور خططنا حول المزيد من... الأساليب الخطيرة".

ولكن الآن على أي حال هناك فرصة أخرى، إن نجحت خطتك. على الرغم من أنني ما زلت غير مقتنع من نجاحها. فرما نكون قادرين على تأجيل الاختيار لوقت أطول. أنا لست واثقًا، إن عشر سنوات من حكم آيادون قد صنعت قوة دفع، سيكون من الصعب تغييرها في غضون بضعة أشهر فحسب".

قالت سارين: "أعتقد أن بإمكاننا فعلها يا رويال".

قال رويال وهو يتأملها: "فقط احرصي على ألا تتسرعي يا سيدتي الصغيرة، لا تجري إن لم يكن لديك سوى القوة للمشي، ولا تضيعي وقتك في دفع الجدران التي لن تتزحزح عن موضعها، والأهم من ذلك كله هو ألا تضربي عندما يكون التريت كافيًا، لقد حاصرتني في الزاوية اليوم، ما زلت رجلاً عجوزًا معتزًا بنفسه، إن لم ينقذي شودن فلا يُمكنني بصراحة أن أقول إنني كنت لأتواضع بما فيه الكفاية لأعترف بخطئي أمام كل هؤلاء الرجال".

قالت سارين وقد احمر وجهها الآن لسبب آخر: "أنا آسفة". كان هناك شيء حيال هذا الدوق القوي. الذي يبدو كجد طيب. قد جعلها تشعر بحاجة ماسة لأن تنال احترامه.

قال رويال: "فقط كوني حذرة، إن كان هذا الجيورن خطيراً كما تزعمين فهناك بعض القوى العاتية التي تتصارع في كاي، لا تتركي أربلون تنسحق فيما بينها".

أومأت سارين برأسها فمال الدوق إلى الوراء وهو يصب آخر النبيذ في كأسه.

## الفصل الثاني عشر

في بداية مسيرته المهنية وجد هرائث أنه من الصعب قبول اللغات الأخرى، كانت الفيوردية هي لغة جادث المختارة، إنها لغة مقدسة، بينما اللغات الأخرى دنسة. كيف يُمكن للمرء إذن أن يدعو إلى الدين أولئك الذين لا يتحدثون الفيوردية؟ هل على المرء أن يتحدث معهم بلغتهم، أم يجبر جميع المتضرعين على تعلم الفيوردية أولاً؟

لقد بدا من الحماسة أن تطلب من أمة كاملة أن تتعلم لغة جديدة قبل السماح لها بالسماع عن إمبراطورية جادث. لذا عندما أُجبر هرائث على حسم اختياره، ما بين الدنس أو تأجيل الدعوة إلى الأبد، اختار الدنس. لقد تعلم الحديث باللغة الأيونية والدولادية، بل وحتى تعلم القليل من الجيندوية. عندما يدعو إلى الدين فإنه يدعو الناس بلغتهم، ولكنه يعترف أن الأمر ما زال يزعجه، ماذا لو لم يعتقد الناس الدين؟ ماذا لو جعلتهم أفعاله يعتقدون أنهم لا يحتاجون إلى اللغة الفيوردية طالما بإمكانهم أن يؤمنوا بجادث بلغتهم الأصلية؟

هذه الأفكار والعديد مثلها قد جالت بخاطر هرائث بينما هو يدعو أهل كاي إلى الدين. لا يعني هذا أنه يفتقر إلى التركيز أو التفاني، ولكنه ببساطة قد ألقى نفس الخطب مرات عديدة، حتى حفظها عن ظهر قلب. كان يتحدث بشكل غير واعٍ تقريباً، فيرفع صوته ويخفضه مع إيقاع الخطبة مؤدياً الفن القديم الذي كان ابناً هجيناً للصلوات والمسرح.

عندما يخطب يجيبونه بالهتاف، وعندما يستنكر كانوا ينظرون إلى بعضهم بعضاً. عندما يرفع صوته يركزون انتباههم، وعندما يخفضه إلى مجرد همس كان بأسرهم أكثر. بدا الأمر كما لو أنه يتحكم في أمواج المحيط نفسها، بينما العاطفة تندفق عبر الحشد كمد مغطى بالزبد.



أنهى خطبته بموعظة مدهشة لخدمة مملكة جادث، أن يقسموا على أنفسهم أن يصير كل منهم أوديقاً أو كرونندت لواحد من الكهنة في كاي، ومن ثم يصير جزءاً من السلسلة التي تربطهم مباشرة بالرب جادث. إن عامة الناس يخدمون الأرائنة والدورفين، والأرائنة والدورفين يخدمون الجرادورات، والجرادورات يخدمون الراجناتات، والراجناتات يخدمون الجيورنات، والجيورنات يخدمون الويرن، والويرن يخدم جادث. وحدهم الجراجداتات . قادة الأديرة . لا يكونون في السلسلة مباشرة. إنه نظام متقن، كل واحد يعرف من يجب عليه أن يخدم، ومعظمهم ليس بحاجة للقلق بشأن أوامر جادث، التي غالباً ما تفوق فهمهم. كل ما عليهم فعله هو اتباع آرائتهم وخدمتهم قدر المستطاع، وسيكون جادث مسروراً بهم.

خطا هرائن هابطاً من على المنصة وهو يشعر بالرضا، إنه لا يُبشر في كاي إلا منذ بضعة أيام، ومع هذا كانت الكنيسة مكتظة بالفعل، حتى إن الناس اضطروا للاصطفاف في الخلف بمجرد أن امتلأت المقاعد. كان عدد قليل من الوافدين الجدد مهتماً باعتناق الدين، أما معظمهم فقد جاء لأن وجود هرائن أمر غير معتاد فحسب، ومع ذلك فإنهم سيعودون، يُمكنهم أن يقولوا لأنفسهم إنهم يشعرون بالفضول فحسب، وإن اهتمامهم ليس له علاقة بهذا الدين، ولكنهم سيعودون.

مع زيادة شعبية الشو-ديريث في كاي سيشر الأشخاص الذين يحضرون هذه الاجتماعات بأنهم مهمومون بالتبعية، سيتفخرون بأنهم اكتشفوا الشو-ديريث قبل جيرانهم بوقت طويل، ونتيجة لذلك سيتعين عليهم المواظبة على الحضور. إن فخرهم . ممتزجاً بخطب هرائن القوية . سيتغلب على شكوكهم، وسرعان ما سيجدون أنفسهم يقسمون بالخدمة أمام واحد من الأرائنة.

سيكون على هرائن أن يعين كبير أرائنة جديد وبسرعة. لقد أجل القرار لوقت طويل وهو ينتظر ليرى كيف يؤدي الكهنة المتبقون في الكنيسة مهامهم، ولكن الوقت ينفد، وسرعان ما

سيصير معتنقو الديانة المحليون كثيرين للغاية على أن يتذكرهم هراثن وينظمهم بنفسه، وخصوصاً مع كل التخطيط والتبشير الذي يجب عليه فعله.

كان الناس في الخلف قد بدأوا يتقاطرون إلى خارج الكنيسة، ولكن صوتاً مفاجئاً أوقفهم. نظر هراثن إلى المنصة في دهشة. كان من المفترض أن ينفذ الاجتماع بانتهاء خطبته، ولكن شخصاً ما راودته فكرة مختلفة، لقد قرر ديلاف أن يتكلم.

كان الأربلي القصير يصرخ بكلماته بحماس متقد، وفي غضون بضعة ثوانٍ صمت الحشد وعاد معظم الناس إلى مقاعدهم. لقد رأوا ديلاف يتبع هراثن، ومعظمهم على الأرجح يعرف أنه أرتيث، ورغم أن ديلاف لم يخاطبهم من قبل إلا أن ما فعله الآن جعل من المستحيل عليهم أن يتجاهلوه.

لقد خالف كل قواعد الخطابة، لم يبدل ما بين ارتفاع نبرة صوته وانخفاضها، ولم ينظر إلى أي واحد من الحشد في عينيه، ولم يتخذ وضعية وقوف منتصبه مهيبة تشي بأنه يسيطر على زمام الأمور. بدلاً من هذا راح يتقافز على المنصة جيئة وذهاباً بحوية، وهو يلوح بيديه بحماس. كان وجهه مغطى بالعرق وعيناه متسعتان ومخيفتان.

وقد أصغوا إليه.

لقد أصغوا إليه باهتمام أكثر مما أولوه هراثن. كانوا يتبعون قفزات ديلاف المجنونة بأعينهم وقد أثارهم حركاته غير التقليدية. كانت خطبة ديلاف تدور حول موضوع واحد؛ كراهية إيلانتريس. كان باستطاعة هراثن أن يشعر بتزايد الحماس الديني لدى الجمهور. كان شغف ديلاف محفزاً لهم، كالعفن الذي ينتشر بشكل خارج عن السيطرة بمجرد أن يجد مكاناً رطباً لينمو فيه.

راقبه هراثن باهتمام، وورعاً عنه أحس بالغيرة، فديلاف لم يتدرب في أعظم المدارس في الشرق مثل هراثن، ومع ذلك كان الكاهن القصير يمتلك شيئاً يفتقد إليه هراثن؛ الشغف.

لطالما كان هراثن رجلاً يحسب لكل شيء حسابه، إنه منظم وحريص ويولي التفاصيل اهتماماً كبيراً، وهي الأشياء التي تميز الشو-ديريث، كان هذا ما جذبته أولاً إلى الكهنوت؛ أسلوبها المعياري المنظم في الحكم، إلى جانب فلسفتها المنطقية. لم ينتابه الشك في الكنيسة ولو للحظة واحدة، شيء كهذا منظم على أكمل وجه يجب بالتأكيد أن يكون على الحق.

على الرغم من ولاء هراثن لم يشعر قط بما يعبر عنه ديلاف في هذه اللحظة. لم يشعر هراثن قط بكراهية شديدة تجعله يبكي، أو بحب شديد يجعله يخاطر بكل شيء يملكه. لطالما آمن أنه التابع المثالي لجادث، إن ربه يحتاج إلى العقلانية أكثر من حاجته إلى الحماسة الجامحة، ولكنه في هذه اللحظة بدأ يتساءل.

كان لديلاف نفوذ على هذا الجمهور أكثر من هراثن، ولم تكن كراهية ديلاف لإيلانتريس منطقية، بل كانت غير عقلانية وجامحة، ولكنهم لم يبالوا بهذا، يُمكن لهراثن أن يقضي سنوات يشرح لهم فوائد الشو-ديريث ولن يجني منهم رد فعل كهذا. جزء منه كان مستهزئاً، وهو يحاول أن يقنع نفسه أن قوة كلمات ديلاف لن تدوم، وأن شغف اللحظة سيضيع مع رتبة الحياة. ولكن الجزء الأكثر صدقاً منه كان ببساطة يشعر بالحسد. ما الخطأ الذي ارتكبه هراثن حتى إنه طيلة ثلاثين عاماً من خدمة مملكة جادث لم يشعر ولو لمرة واحدة بما يبدو أن ديلاف يشعر به في كل لحظة؟

وأخيراً صمت الأرتيث، فظلت القاعة صامتة تماماً لوقت طويل بعد انتهاء خطبة ديلاف، ثم اندلعت النقاشات وهم يتحدثون بحماس بينما يتقاطرون خارجين من الكنيسة. ترحل ديلاف من على المنصة بخطوات متعثرة، ثم انهار على أحد المقاعد بالقرب من مقدمة القاعة.

جاء صوت من وراء هراثن يقول: "كان هذا عملاً بارعاً". كان الدوق تيلري يراقب الخطبتين من مقصورة خاصة في جانب الكنيسة. "إن جعل الرجل القصير يتحدث بعدك كانت حركة

ماكراً يا هراثن. لقد انتابني القلق عندما رأيت الناس يشعرون بالملل، لقد أعاد الكاهن الشاب جذب انتباه الجميع".

أخفى هراثن انزعاجه من استخدام تيلري اسمه بدلاً من لقبه، سيكون هناك وقت آخر لفرض الاحترام لاحقاً. كما أنه منع نفسه من التعليق على افتراضه أن الجمهور أحس بالملل أثناء خطبته.

بدلاً من هذا قال هراثن: "إن ديلاف شاب نادر. هناك جانبان لكل حجة يا لورد تيلري، المنطقي والعاطفي، علينا أن نشن هجومنا من كل الجانبين إن أردنا الانتصار".  
أوماً تيلري برأسه.

"إذن هل فكرت في عرضي؟".

تردد تيلري للحظة ثم أوماً برأسه مرة أخرى وقال: "إنه عرض مغرٍ يا هراثن، مغرٍ للغاية، لا أعتقد أن هناك رجلاً في أربلون يمكنه أن يرفضه، ولا حتى أنا".

"رائع، سأتواصل مع فيوردن، يجب أن نكون قادرين على البدء في غضون أسبوع".

أوماً تيلري برأسه فبدت الوحمة على عنقه في الظلال كأنها كدمة كبيرة. ثم أشار الدوق إلى خدمه الكثيرين وشق طريقه خارجاً من باب الكنيسة الجانبي، قبل أن يخفي في الشفق. راقب هراثن الباب ينغلق ثم اقترب من ديلاف الذي كان لا يزال متكوماً على المقعد.

قال: "كان هذا غير متوقع أيها الأرتيث، كان عليك أن تستشيرني أولاً".

قال ديلاف: "لم أخطط لهذا يا سيدي، لقد أحسست فجأة بالحاجة إلى الحديث، لم أفعل هذا إلا لخدمتك يا سيدي المهرودن".

قال هراثن باستياء: "بالطبع". كان تيلري محقًا، فقد كانت إضافة ديلاف قيمة، أراد هراثن أن يوبخ الأرتيث، ولكنه لم يقدر على توبيخه. إن فعل هذا فسيكون مهملاً في خدمته للويرن بألا يستخدم كل أداة تحت إمرته لتبديل دين الشعب الأريلي، وقد أثبت ديلاف أنه أداة مفيدة للغاية. سيحتاج هراثن إلى أن يتحدث الأرتيث في الاجتماعات التالية، مرة أخرى لم يترك له ديلاف اختيارًا.

قال هراثن بلا مبالاة محسوبة: "حسنًا، ما حدث قد حدث، ويبدو أن الناس قد أحبوا هذا، ربما سأسمح لك بالحديث مرة أخرى في وقت آخر. ولكن يجب ألا تنسى مرتبتك أيها الأرتيث، أنت أوديفي، ويجب ألا تتصرف ما لم أمرك بهذا على وجه التحديد، هل هذا مفهوم؟".

"مفهوم تمامًا يا سيدي هراثن".

\*\*\*

أغلق هراثن باب حجرتة الشخصية بجدوء. لم يكن ديلاف هناك، لا يُمكن أن يسمح له هراثن برؤية ما على وشك أن يحدث. لا يزال هراثن يشعر بأنه يتفوق على الكاهن الأريلي الشاب في هذا الأمر. لن يتمكن ديلاف أبدًا من أن يترقى إلى أعلى مراتب الكهنوت، لذا لن يتمكن أبدًا من رؤية ما يوشك هراثن على فعله؛ شيء لا يعرفه سوى الجيورنات والويرن.

جلس هراثن في كرسية بجدوء، وهو يعد نفسه. بعد نصف ساعة فحسب من التأمل شعر بالسيطرة الكافية لكي يبدأ في التصرف. أخذ هراثن نفسًا محسوبًا ثم تحرك ناحية الصندوق الكبير في ركن حجرتة. كان يعلوه كومة من المفروشات المطوية ملفوفة بعناية لإخفاء شيء ما. حرك هراثن المفروشات بتوقير، ثم مد يده أسفل قميصه ليخرج السلسلة الذهبية التي تطوق عنقه، في نهاية السلسلة كان هناك مفتاح صغير، استخدمه لفتح الصندوق كاشفًا عن محتوياته؛ علبة معدنية صغيرة.

كانت اللعبة بحجم أربعة كتب متراسة، وكانت ثقيلة في يدي هرائن وهو يرفعها من الصندوق. كانت جوانبها مصنوعة من أفضل أنواع الفولاذ، وفي مقدمتها قرص صغير وعدة روافع دقيقة، لقد صمم هذه الآلية أفضل صانعي الأقفال في سقوردن، لا يعرف الطريقة الصحيحة من التدوير والنفي التي تفتح هذه اللعبة إلا هرائن والويرن.

أدار هرائن القرص وضغط الروافع في نمط قد حفظه بعد فترة قصيرة من تعيينه في منصب الجيورن. هذه الطريقة لم تُكتب قط، إن اكتشف أي شخص خارج دائرة الكهنوت الداخلية ما يوجد بداخل هذه اللعبة فسيكون هذا مصدر حرج شديد للشو-ديريث.

أصدر القفل تكة فجذب هرائن الجزء العلوي بيد ثابتة. كان هناك كرة متوهجة صغيرة تنتظر بصمت في الداخل.

سألت السيون بصوت أنثوي ناعم: "هل تحتاج إليّ يا سيدي؟".

قال هرائن أمرًا: "اصمتي! أنت تعرفين أنه لا يجب عليك أن تتحدثي".

تمايلت كرة الضوء في خضوع، لقد مرت أشهر منذ آخر مرة فتح فيها هرائن الصندوق، ولكن السيون لم تُظهر أي أمارات على التمرد. يبدو أن هذه المخلوقات - أيًا كانت طبيعتها - مطيعة بدون كلل أو ملل.

كانت السيونات هي أعظم صدمة لهرائن بعد تكريسه جيورنًا. هذا لا يعني أنه كان مندهشًا عندما اكتشف أن المخلوقات حقيقية، فرغم أن الكثيرين في الشرق يعدون السيونات أساطير آيونية، إلا أن هرائن قد تعلم بمرور الوقت أن هناك... أشياء في العالم لا يفهمها عامة الناس. لا تزال ذكريات تدريباته المبكرة في دير داخور تجعله يرتجف خوفًا.

لا، كانت دهشة هرائن هي اكتشاف أن الويرن يوافق على استخدام السحر الوثني لتعزيز إمبراطورية جادث. لقد شرح الويرن بنفسه ضرورة استخدام السيونات، ولكن هرائن احتاج

لسنوات حتى يتقبل الفكرة. في النهاية أقنعه المنطق، فمثلما كان من الضروري في بعض الأحيان أن يتحدث باللغات الوثنية لكي يبشر بإمبراطورية جادث، كان هناك حالات تثبت فيها فنون العدو قيمتها.

بالطبع أولئك فقط الذين يمتلكون أكبر قدر من ضبط النفس والقداسة يُمكنهم استخدام السيونات دون أن يتدنسوا. يستخدمها الجيورنات للاتصال بالويرن عندما يكونون في بلد بعيد، ويفعلون هذا على فترات متباعدة. كان الاتصال الفوري عبر هذه المسافات أداة تستحق ثمنها.

قال هراثن أمراً: "صليبي بالويرن".

امتثلت السيون وهي تطفو لأعلى قليلاً، مستخدمة قدراتها للبحث عن سيون الويرن المخفي، السيون الذي يُراقبه طيلة الوقت، خادم أخرس، واجبه المقدس الوحيد هو مراقبة المخلوق.

نظر هراثن إلى السيون وهو ينتظر. كانت السيون تطفو في صبر، لطالما بدت مطيعة، في الواقع لا يبدو أن الجيورنات الآخرين يشككون في ولاء هذه المخلوقات. يزعمون أن جزءاً من سحر السيونات هو أن يكونوا مخلصين لسادتهم حتى لو كان هؤلاء السادة يكرهونهم.

لم يكن هراثن واثقاً تماماً، يُمكن للسيونات أن يتواصلوا مع الآخرين من نوعهم، ويبدو أنهم لا يحتاجون إلى نفس القدر من النوم كالبشر. ما الذي يفعله السيونات بينما سادتهم نائمون؟ أي أسرار يناقشونها؟ في وقت من الأوقات كان معظم نبلاء دولادل وأربلون وتيود وحتى جيندو يحتفظون بالسيونات. كم عدد الأسرار الحكومية التي شاهدتها هذه الكرات الطافية الخاضعة في تلك الأيام، وربما تبادلت النميمة عنها؟

هز رأسه، من الجيد أن تلك الأيام قد ولت، لقد نفر الناس منها بسبب ارتباطها بإيلانتريس التي انهارت، وقد منع تكاثرها ضياع سحر إيلانتريس، لذا أصبحت السيونات أكثر ندرة بمرور

الوقت. يشك هراثن في أنه سيرى السينوات تحوم بحرية مرة أخرى بمجرد أن تغزو فيوردن الشرق.

تموج سيونه كالماء ثم تشكل على وجه الويرن، ثم راحت الملامح النبيلة الصارمة تتأمل هراثن. قال صوت الويرن عبر السيون: "أنا هنا يا بني".

قال هراثن وهو يحني رأسه: "مولاي العظيم وسيدي، نبي جادث، والإمبراطور المبارك بنوره".  
"تحدث يا أوديثي".

"لدي عرض يتعلق بواحد من سادة أريلون، سيد عظيم...".



## الفصل الثالث عشر

صاح رابودن: "ها هو ذا! تعال هنا يا جالادون".

رفع الرجل الدولادي الضخم حاجبيه ووضع كتابه جانبًا ثم اعتدل واقفًا في استرخاء ومشى متمهلًا ناحية رابودن وهو يقول: "ما الذي عثرت عليه يا سول؟".

أشار رابودن إلى الكتاب غير المغلف الموضوع أمامه. كان جالسًا في الكنيسة الكوراثية السابقة التي صارت مركز عملياتهم. كان جالادون لا يزال مصممًا على الحفاظ على سرية مكتبته الصغيرة المليئة بالكتب، لذا أصر على أن تُحمل الكتب المطلوبة إلى الكنيسة بدلًا من السماح لأي شخص بدخول ملاذه الشخصي.

قال جالادون محتمجًا وهو ينظر إلى الكتاب: "لا يُمكنني قراءة هذا يا سول، إنه مكتوب بالكامل بالأحرف الآيونية".

قال رابودن: "هذا ما يجعلني أشعر بالريبة".

سأله جالادون: "هل يمكنك قراءة؟".

قال رابودن مبتسمًا: "لا، ولكن لديّ هذا". ثم مد يده وجذب كتابًا مشابهاً غير مغلف، مغطاة صفحاته بلطخات وسخ إيلانتريس. "إنه قاموس للأحرف الآيونية".

تفحص جالادون الكتاب الأول بعين ناقدة ثم قال: "أنا لا أعرف حتى عُشر الأحرف الآيونية في هذه الصفحة يا سول. هل لديك أدنى فكرة عن الوقت الذي ستستغرقه ترجمتها؟".

هز رايبودن كتفيه وقال: "هذا أفضل من البحث عن دلائل في الكتب الأخرى. إن قرأت أي كلمة عن المناظر الطبيعية في فيوردن فسأصاب بالغثيان يا جالادون".

تنهد جالادون موافقًا، أيًا كان من امتلك هذه الكتب قبل اليبود فقد كان عالمًا في الجغرافيا، فنصف الكتب على الأقل تتناول هذا الموضوع.

سأل جالادون: "هل أنت واثق من أن هذا هو الكتاب الذي نحتاج إليه؟".

قال رايبودن وهو يشير إلى آيون على صفحة من صفحات الكتاب الأولى: "لقد تلقيت القليل من التدريب على قراءة النصوص الآيونية الخالصة. هذا يقول آيوندور".

أومأ جالادون برأسه وقال: "هذا صحيح يا سول، ولكنني لا أحسدك على هذه المهمة. كانت الحياة لتصبح أبسط بكثير إن لم يستغرق قومك وقتًا طويلًا لابتكار أبجدية، كولو؟".

قال رايبودن: "كانت الآيونات أبجدية، ولكنها أبجدية معقدة تمامًا، لن يستغرق هذا وقتًا طويلًا كما تظن، سأذكر ما تعلمته بعد وقت قصير".

"أحيانًا تكون متفائلًا إلى حد يثير الغثيان يا سول. أفترض أنه يجب علينا إعادة الكتب الأخرى إلى الموضوع الذي جلبناها منه؟". كان هناك شيء من القلق في صوت جالادون، فالكتب عزيزة عليه، وقد استغرق رايبودن ساعة كاملة من الجدال لكي يقنع الرجل الدولادي بأن يسمح له بانتزاع أغلفتها، ويُمكنه أن يرى كم أن الرجل الضخم منزوع من تعرض الكتب لأوساخ إيلانتريس وأتربتها.

قال رايبودن: "لا بأس بهذا". لم تكن أي من الكتب الأخرى متعلقة بالآيوندور، وبينما بعضها كان عبارة عن تأريخات أو سجلات أخرى يُمكنها أن تحمل بعض الأدلة، إلا أن رايبودن كان يشك أن أيًا منها سيكون مفيدًا مثل الكتاب الموضوع أمامه، بافتراض أنه سينجح في ترجمته.

أوماً جالادون برأسه وبدأ يجمع الكتب، ثم رفع رأسه لأعلى لينظر في تخوف عندما جاء صوت احتكاك من السقف. كانت جالادون مقتنعاً بأن المبنى كله سينهار عاجلاً أو آجلاً، ولا مفر من أن يسقط على رأسه الأسود اللامع.

قال رايدون: "لا تقلق كثيراً يا جالادون، إن ماري وريبل يعرفان ما يفعلانه".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "لا، لا يعرفان يا سول. أتذكر أن أيّاً منهما لم يكن لديه فكرة عما يجب أن يفعله قبل أن تجربهما على فعل الأمر".

قال رايدون: "بل أقصد أن لديهما الكفاءة". ثم نظر لأعلى في رضا، لقد اكتمل جزء كبير من السقف بعد ستة أيام من العمل. لقد ابتكر ماريش مزيجاً يُشبه الصلصال من الخشب وقصاصات الورق والتربة ووحل إيلانتريس الموجود في كل مكان. بإضافة هذا المزيج إلى عوارض الدعم المتداعية وبعض قصاصات القماش الأقل تعفنًا فإنه قد صنع مواد لصنع سقف، إن لم يكن أفضل شيء فإنه على الأقل شيء مناسب.

ابتسم رايدون، كان الألم والجوع موجودين دومًا، ولكن الأمور كانت تجري على ما يرام، حتى إنه كاد أن ينسى ألم كدماته وجروحه. كان باستطاعته أن يرى عبر النافذة الموجودة إلى يمينه أحدث الأفراد المنضمين إلى فرقته؛ لورين. كان الرجل يعمل في المنطقة الكبيرة المجاورة للكنيسة، التي على الأرجح كانت ذات يوم حديقة، كان الرجل يتحرك وفقًا لأوامر رايدون، ومزودًا بقفاص جلدي قد صُنع للتو، فينقل الأحجار ويزيح النفايات ليكشف عن التراب الناعم من تحتها.

تتبع جالادون نظرة رايدون عبر النافذة ثم سأله: "ما النفع الذي سيعود علينا من هذا؟".

قال رايدون بابتسامة متكتمة: "سترى".

زفر جالادون وهو يحمل كومة من الكتب بين ذراعيه قبل أن يُغادر الكنيسة. كان الرجل الدولادي مُحققًا في شيء واحد؛ ليسوا قادرين على الاعتماد على أن يُلقى بالإيلانترين الجدد إلى داخل المدينة بالسرعة التي توقعها رايبودن في بداية الأمر. قبل اليوم الذي وصل فيه لورين مرت خمسة أيام عصبية دون حتى أن ترتجف بوابة المدينة. كان رايبودن محظوظًا بالعثور على ماريش والآخرين في مثل هذه الفترة القصيرة.

قال صوت متردد: "لورد سيريت؟".

نظر رايبودن إلى مدخل الكنيسة ليجد رجلًا غير مألوف ينتظر أن يلاحظ رايبودن وجوده. كان نحيفًا وبظهرٍ منحنيٍ وتحيط به هالة من الاعتیاد على الخضوع. لم يكن رايبودن قادرًا على تحديد عمره على وجه اليقين، فالشايود يجعل المرء يبدو أكبر سنًا مما هو عليه في الواقع. ولكن كان لدى رايبودن شعور بأن العمر البادي على الرجل حقيقي، إن كان رأسه لا يزال محتفظًا بأي شعر لكان أبيض اللون، وكان جلده قد تغضن لوقت طويل قبل أن يُصيبه الشايود.

سأله رايبودن باهتمام: "أجل؟ ما الذي يُمكنني فعله من أجلك؟".

قال الرجل: "سيدي...".

قال رايبودن ليحثه على الحديث: "فلتتكلم".

"لقد سمعت بعض الأشياء يا مولاي، وكنت أتساءل إن كان بمقدوري الانضمام إليكم".

ابتسم رايبودن وهو يعتدل واقفًا ويسير ناحية الرجل قائلًا: "يُمكنك الانضمام إلينا بالتأكيد. ما الذي سمعته؟".

"حسنًا...". كان الإيلانترى العجوز يتململ في توتر. "بعض الناس في الشوارع يقولون إن هؤلاء الذين يتبعونك لا يعانون نفس القدر من الجوع، يقولون إن لديك سرًّا يجعل الألم يختفي.

لقد مضى عليّ في إيلانتريس ما يقرب من عام حتى الآن، ولا أكاد أتحمّل إصاباتي. فكّرت أنه ربما يمكنني أن أمنحك فرصة أو أن أذهب لأجد لنفسني بالوعة وأنضم للهويد".

أوما رايبودن برأسه وهو يرت على كتف الرجل. كان لا يزال يشعر بالألم الحارق في إبهام قدمه، لقد صار أكثر اعتيادًا على الألم، ولكنه لا يزال هناك، مصحوبًا بالجوع الذي ينهش معدته. "أنا مسرور لقدومك، ما اسمك؟".

"كاهار يا سيدي".

"حسنًا إذن يا كاهار، ما الذي كنت تفعله قبل أن يُصيبك الشايبود؟".

شردت عينا كاهار كأنه يعود بعقله إلى زمن بعيد. "كنت عامل نظافة يا سيدي، أعتقد أنني كنت أغسل الشوارع".

"ممتاز! كنت أنتظر شخصًا له مهارتك هذه. هل أنت هناك يا ماريش؟".

"أجل يا سيدي". أجابه الحرفي النحيل من إحدى الحجرات في المؤخرة، ثم برز رأسه بعدها بلحظة.

"هل تصادف وأن التقطت أي من المصائد التي نصبتها بعض أمطار الليلة الماضية؟".

قال ماريش باعتراز: "بالطبع يا سيدي".

"حسنًا، فلتر كاهار مكان الماء".

قال ماريش: "سمعًا وطاعة". ثم أشار إلى كاهار أن يلحق به.

سأله كاهار: "ما الذي أفعله بالماء يا سيدي؟".

قال رايودن: "لقد حان الوقت لكي نتوقف عن العيش في القذارة يا كاهار، هذا الوحل الذي يغطي إيلانتريس يُمكن تنظيفه. لقد رأيت مكانًا نُظِّف من الوحل. خذ وقتك ولا تُرهق نفسك، ولكن فلتنظف المبني من الداخل والخارج، اكشط كل بقعة من الوحل، واغسل كل أثر للأوساخ".

سأله كاهار في أمل: "وبعدها ستريني السر؟".

"ثق بي".

أومأ كاهار برأسه ثم لحق بماريش خارجًا من الحجرة. تلاشت ابتسامة رايودن مع رحيل الرجل، كان يرى أن أصعب جزء من القيادة هنا في إيلانتريس هو أن يُحافظ على مظهر التفاؤل الذي يسخر منه جالادون. هؤلاء الناس . حتى الوافدون الجدد. قد اقتربوا إلى حد خطير من فقدان الأمل. إنهم يظنون أنفسهم ملعونين ويفترضون أنه لا شيء لا يُمكن أن ينقذ أراوحهم من التعفن مثل إيلانتريس نفسها. كان على رايودن أن يتغلب على سنوات من التكيف مع قوى الألم والجوع الحاضرة دومًا.

لم يعتبر نفسه من قبل شخصًا مفرطًا في البهجة، ولكن هنا في إيلانتريس وجد رايودن نفسه يتفاعل مع جو اليأس بتفاؤل عنيد، وكلما ازدادت الأمور سوءًا ازداد عزمًا على أن يواجهها دون تذمر. ولكن إيجابار نفسه على البهجة قد أنهكه. كان بمقدوره أن يشعر أن الآخرين يعتمدون عليه، بما فيهم جالادون. كان رايودن وحده من بين كل الناس في إيلانتريس الذي لا يقدر على ترك أمله يظهر عليه. كان الجوع ينهش أحشاءه كحشد من الحشرات تحاول أن تحرب من الداخل، وألم عدة إصابات كان يضرب عزمته بلا هوادة.

لم يكن واثقًا إلى متى يُمكنه الصمود، بعد قرابة أسبوع ونصف في إيلانتريس كان يُعاني بالفعل من ألم شديد، حتى إنه أحيانًا ما يجد صعوبة في التركيز. إلى متى يُمكنه أن يصمد قبل أن يتهاوى

جسده؟ أو قبل أن ينحدر إلى مستوى رجال شايور الحيواني؟ كان هناك سؤال مخيف أكثر من البقية؛ كم عدد الناس الذين سيسقطون معه عندما يسقط؟

ومع ذلك كان عليه أن يتحمل هذا العبء، إن لم يقبل المسؤولية فلن يقبلها أي شخص آخر، وسيصير هؤلاء الناس عبيدًا، إما لآلامهم، وإما للمجرمين في الشوارع. إن إيلا تريس بحاجة إليه، وإن كان هذا سيستنزفه فليكن.

ناداه صوت محموم: "لورد سبيرت!".

نظر رايودن إلى سايولين وهو يندفع في قلق إلى الحجرة. كان المرتق ذو الأنف الخطافي قد صنع ربحًا من قطعة من خشب شبه متعفن وحجر حاد، وكان يُجري دوريات مراقبة في المنطقة الخيطة بالكنيسة. كان وجه الرجل الإيلان تري المشوه بالندوب قد تجعد بفعل القلق.

سأله رايودن في انتباه: "ما الأمر يا سايولين؟". كان الرجل جنديًا متمرسًا، وليس من السهل إصابته بالاضطراب.

"مجموعة من الرجال قادمون من هذا الطريق يا سيدي، لقد عدت اثني عشر منهم، وهم يحملون أسلحة فولاذية".

قال رايودن: "فولاذية؟ في إيلا تريس؟ لم أكن أدرك أن هناك أي فولاذ يُمكن العثور عليه".

قال سايولين: "إنهم قادمون بسرعة يا سيدي، ماذا نفعل؟ لقد أوشكوا على الوصول".

قال رايودن بينما مجموعة من الرجال يشقون طريقهم عبر مدخل الكنيسة المفتوح: "لقد وصلوا بالفعل". كان سايولين محققًا؛ العديد منهم يحملون أسلحة فولاذية، رغم أن النصال كانت متكسرة وصدئة. كانت وجوههم متجهمة وهيئتهم غير سارة، ويتقدمهم شخصية مألوفة، أو على الأقل مألوفة من بعيد.

قال رايودن: "كاراتا". كان من المفترض أن يكون لورين من نصيبها في ذلك اليوم، ولكن رايودن سرقه. يبدو أنها قد جاءت لتقدم شكوى، كان هذا سيحدث لا محالة إن عاجلاً أو آجلاً.

نظر رايودن ناحية سايولين الذي كان يتقدم ببطء للأمام كأنما هو متلهف لتجربة رمحه البدائي ثم قال آمراً: "اثبت في مكانك يا سايولين".

كانت كاراتا صلعاء تماماً، من أثر الشايود، وقد مكثت في المدينة لوقت طويل حتى إن بشرتها قد بدأت تتجدد، ومع ذلك كانت تشمخ بأنفها في كبرياء بعينين حازمتين، عيني شخص لم يستسلم للألم، ولن يستسلم في أي وقت قريب. كانت ترتدي ثوباً أسود مصنوعاً من جلد ممزق، كان جيد الصنع بالنسبة لإيلانتريس.

جالت كاراتا بنظرها في أرجاء الكنيسة، وتفحصت السقف الجديد، ثم أفراد فرقة رايودن الذي اجتمعوا خارج النافذة ليراقبوا الأمر في تخوف. كان ماريش وكاهار واقفين بلا حراك في مؤخرة الحجر، وأخيراً نظرت كاراتا إلى رايودن.

كان هناك لحظة من الصمت المتوتر، ثم التفتت إلى أحد رجالها وقالت: "دمروا المبنى واطردوهم منه وحطمو بعض العظام". ثم دارت على عقبيها لتفادر المكان.

قال رايودن بهدوء: "يُمكنني أن أدخلك إلى قصر آيادون".

تجمدت كاراتا في موضعها.

سألها رايودن: "هذا ما تريد، أليس كذلك؟ لقد أمسك بك حراس مدينة إيلانتريس في كاي، لن يتحملوك إلى الأبد، فهم يحرقون الإيلانترين الذين يهربون كثيراً. إن كنتِ حقاً تريدين دخول القصر فأتنا يُمكنني أن آخذكِ إلى هناك".



نظرت إليه كاراتا في شك ثم قالت: "لن نتمكن من الخروج من المدينة أبدًا، لقد ضاعفوا الحراسة مؤخرًا، شيء له علاقة بتحسين المظهر العام من أجل زفاف ملكي، لم أتمكن من الخروج منذ شهر".

وعدها رايودن قائلاً: "يُمكنني أن أُخرجك من إيلانتريس أيضًا".

ضيقت كاراتا عينيها وهي تنظر إليه في ريبة، لم يكن هناك أي مناقشة بشأن الثمن، كلاهما يعرف أن رايودن لا يُمكنه أن يطلب سوى شيء واحد؛ تركه وشأنه. وأخيرًا قالت: "أنت يائس".

"هذا صحيح، ولكني أيضًا شخص يجيد انتهاز الفرص".

أومأت كاراتا برأسها ببطء وقالت: "سأعود بحلول الليل، ستفي بما وعدت به أو سيكسر رجالي عظام كل شخص هنا ويتركوهم يتعفنون في عذابهم".

"فهمت".

\*\*\*

"سول، أنا...".

قال رايودن بابتسامة شاحبة: "أنت لا تعتقد أن هذه فكرة جيدة. أجل، أعرف هذا يا جالادون".

قال جالادون: "إيلانتريس مدينة كبيرة، هناك الكثير من الأماكن التي يمكننا الاختباء بها، ولن يعثر علينا أحد، حتى كاراتا. لا يُمكنها أن تنشر رجالها على نطاق واسع وإلا فسيهاجمها شايبور وآندين، كولو؟".

سأله رايودن: "أجل، ولكن ماذا بعد ذلك؟". كان يجرب قوة حبل قد صنعه ماريش من بعض قصاصات القماش، وبدا أنه سيتحمل وزنه. "لن تعثر علينا كاراتا، ولكن لن يعثر علينا أي شخص آخر، لقد بدأ الناس يدركون أخيراً أننا هنا، إن انتقلنا الآن فلن يزداد عددنا أبداً".

بدا جالادون حزيناً وهو يقول: "وهل يجب أن يزداد عددنا يا سول؟ هل يجب عليك أن تبدأ عصابة أخرى؟ ألا يكفيننا ثلاثة زعماء عصابات؟".

توقف رايودن ونظر إلى الدولادي الضخم في قلق وقال: "هل تعتقد أن هذا ما أفعله حقاً يا جالادون؟".

"لا أعرف يا سول".

قال رايودن بصراحة: "أنا لا أطمع في السلطة يا جالادون، أنا قلق بشأن الحياة وليس فقط النجاة. الحياة يا جالادون. هؤلاء الناس أموات لأنهم قد استسلموا، وليس لأن قلوبهم لم تعد تنبض، وأنا سأغير هذا".

"هذا مستحيل يا سول".

قال رايودن وهو يلف الحبل حول ذراعه: "وكذلك إدخال كاراتا إلى قصر آيادون. سأراك عندما أعود".

\*\*\*

سألت كاراتا في ريبة: "ما هذا؟".

قال رايودن وهو يطل من فوق الجدار الحجري الخفيض لبحر إيلانتريس الوحيدة: "مخرجنا". كانت البئر عميقة، ولكنه كان قادراً على سماع الماء يتحرك بالظلمة في الأسفل.

"هل تتوقع منا أن نسبح حتى نخرج من المدينة؟".

قال رابودن وهو يربط حبل ماريش بقضيب معدني صدئ يبرز من جانب البئر: "لا، سنترك التيار يحملنا معه، إنه أشبه بالطفو لا السباحة".

"هذا جنون، هذا النهر يجري تحت الأرض، سنغرق".

قال رابودن: "لا يمكننا أن نغرق، وكما يقول صديقي جالادون دومًا؛ نحن موتى بالفعل، كولو؟".

لم تبدُ كاراتا مقتنعة.

قال رابودن مفسرًا: "إن نهر أريديل يجري تحت إيلانتريس مباشرة، ويستمر حتى كاي، إنه يدور حول المدينة ويتجاوز القصر، كل ما علينا فعله هو أن نتركه يسحبنا معه. لقد حاولت بالفعل أن أكتم أنفاسي، وقد أمضيت نصف ساعة كاملة دون أن أشعر بالألم في رئتي، إن دماءنا لم تعد تتدفق، لذا فإن السبب الوحيد الذي نحتاج إلى الهواء من أجله هو أن نتكلم".

قالت كاراتا محذرة: "هذا قد يدمر كلينا".

هز رابودن كتفيه وقال: "الجوع سيدمر كلينا في غضون بضعة أشهر على أي حال".

ابتسمت كاراتا ابتسامة شاحبة وقالت: "حسنًا يا سيريت فلتذهب أولًا".

قال رابودن: "بكل سرور". ولكنه لم يكن مسرورًا على الإطلاق لفعل الأمر، ومع ذلك كانت هذه فكرته. هز رابودن رأسه في أسي، ثم قفز من فوق السور وبدأ يتدلى إلى الأسفل. انتهى الحبل قبل أن يلمس الماء، لذا أخذ نفسًا عميقًا. غير ذي جدوى. قبل أن يتخلى عن الحبل.

ارتطم جسده بماء النهر الذي كان شديد البرودة. هدد التيار بسحبه بعيدًا ولكنه تشبث على الفور بصخرة ليثبت نفسه في موضعه منتظرًا كاراتا، سرعان ما تردد صوتها في الظلمة أعلاه.

"سبيريت؟".

"أنا هنا، أنتِ على ارتفاع عشرة أقدام فوق الماء فحسب، سيكون عليك أن تتخلي عن الحبل لتسقطي في الماء".

"وماذا بعدها؟".

"وبعدها يستمر النهر تحت الأرض، يُمكنني أن أشعر به يجذبني الآن، فقط علينا أن نأمل أن يكون واسعًا بما يكفي طوال الطريق، وإلا فسينتهي بنا الأمر محشورين إلى الأبد تحت الأرض".

قالت كاراتا في توتر: "كان عليك أن تذكر هذا قبل أن أهبط إلى هنا". ومع ذلك سرعان ما سمع صوت ارتطام بالماء تلاه تأوه خافت، انتهى بغرغرة بينما شيء ما يندفع عبر التيار متجاوزًا رايودن.

تمتم رايودن بصلاة لدومي الرحيم، ثم تغلّى عن الصخرة وترك النهر يسحبه تحت سطحه غير المرئي.

\*\*\*

كان رايودن مضطربًا بالفعل للسباحة، كانت الفكرة هي أن يُبقي نفسه في منتصف النهر لكيلا يرتطم بجدران النفق الصخرية، بذل قصارى جهده وهو يتحرك عبر الظلمة مستخدمًا ذراعيه الممدودتين للمحافظة على موضعه، لحسن الحظ كانت الصخور قد صارت ناعمة بمرور الزمن، حتى إنّها كانت تصيبه بالرضوض لا الجروح.

مر دهر من الصمت في هذا العالم السفلي الصامت، فأحس كأنما يطفو عبر الظلمة ذاتها، غير قادر على أن يتحدث وهو يشعر بالوحدة تمامًا. ربما هذا ما يشعر به المرء عند موته، أن روحه تطفو عبر فراغ مظلم لا نهائي.

تغير التيار وصار يجذبه لأعلى، فحرّك ذراعيه مستعدًا للارتطام بالسقف الحجري، ولكن لم يكن هناك أي مقاومة، بعد لحظة وجيزة خرج رأسه إلى الهواء وصدفت الرياح الباردة وجهه. رمش بعينه في حيرة بينما يحاول تركيز بصره. كانت النجوم والمصابيح المتفرقة في الشارع تنمح ضوءًا خافتًا، ولكن هذا كان كافيًا لكي يستعيد إحساسه بالمكان، وربما حتى لاستعادة عقله.

راح يطفو بأدنى قدر من المجهود، وقد ازداد النهر اتساعًا بعدما صعد إلى السطح، وتباطأ التيار بوضوح. أحس بشيء يقترّب منه في الماء فحاول أن يتكلم، ولكن رثتيه كانتا مليئتين بالماء، فانفجر في نوبة عالية لا إرادية من السعال.

وُضعت يد على فمه فانكتم سعاله بصوت متحشج.

قالت كاراتا بحدة: "اصمت أيها الأحمق!"

أومأ رابودن برأسه وهو يبذل مجهودًا كبيرًا ليمنع نفسه من السعال. ربما كان عليه أن يركز أقل على التعبيرات المجازية اللاهوتية، وأن يركز أكثر على إبقاء فمه مغلقًا.

أبعدت كاراتا يدها عن فمه ولكنها ظلت متشبثة بكتفه، ليظلا معًا بينما هما ينحرفان عبر مدينة كاي. كانت المتاجر مغلقة أثناء الليل، ولكن من آن لآخر يظهر حارس يجوب الشوارع في دورية حراسة. واصل الاثنان الانحراف في صمت حتى وصلا إلى الحافة الشمالية الغربية للمدينة، حيث يبرز قصر آيادون في ظلمة الليل. وبعدها دون أن يتبادلا أدنى كلمة سبحا إلى الضفة المجاورة للقصر.

كان القصر صرخًا مظلمًا كثيرًا، تجسيدًا لنقطة الضعف الوحيدة لدى آيادون، لم يكن والد رايودن من النوع الذي يخاف كثيرًا، بل في الواقع عادة ما يكون جريئًا عندما يكون التخوف هو الحكمة. هذه الصفة قد أكسبته ثروة كرجل أعمال يُتاجر مع الفيوردين، ولكنها جلبت له الفشل كملك، كان آيادون مُصابًا بمجنون الارتياب تجاه شيء واحد، وهو النوم. كان الملك مرعوبًا من فكرة أن المغتالين قد يتسللون بطريقة ما ويقتلونه أثناء نومه. يتذكر رايودن جيدًا تمتات والده غير المنطقية بشأن هذا الموضوع كل ليلة قبل النوم. إن مخاوف الملك قد جعلت حالة آيادون تتفاقم، مما جعله يعزز بيته الذي يُشبه القلعة بكثبية من الحراس. يقطن الجنود بالقرب من جناح آيادون الخاص، لتسهيل سرعة الاستجابة لأي شيء.

همست كاراتا في ريبة وهي تراقب الحرس يقطعون الأسوار: "حسنًا، لقد أخرجتنا من المدينة، والآن عليك أن تدخلنا القصر".

أومأ رايودن برأسه محاولًا أن يجفف رثتيه في صمت قدر الإمكان، وهو الأمر الذي لم يتمكن من تحقيقه سوى بقدر كبير من القياء المكتوم.

نصحته كاراتا قائلة: "حاول ألا تسعل كثيرًا، ستهيج حلقك، وسيؤلمك صدرك، وبعدها ستقضي الأبدية وأنت تشعر كأنك مصاب بالبرد".

تأوه رايودن ثم وقف على قدميه وهو يقول بصوت مبوح: "علينا أن نتوجه إلى الجانب الغربي".

أومأت كاراتا برأسها ومشت بصمت وبسرعة كبيرة حتى إن رايودن لم يقدر على مجاراتها، كأنما هي معتادة على الخطر.

توقفت عدة مرات بينما ترفع يدها في تحذير لتمنع تقدمهما، قبل أن يظهر مجموعة من الحراس من الظلام. جعلتهما براعتهما يصلان إلى الجانب الغربي من قصر آيادون دون أن يقعا في المتاعب، على الرغم من افتقار رايودن إلى المهارة.

سألته في صوت خافت: "ماذا نفعل الآن؟".

توقف رايودن وقد خطر له سؤال؛ لماذا تريد كاراتا أن تدخل القصر؟ بحسب ما سمعه رايودن عنها فهي ليست من النوع الذي يسعى إلى الانتقام، إنها متوحشة ولكنها ليست انتقامية، لكن ماذا لو كان مخطئاً؟ ماذا لو كانت تريد قتل آيادون؟

سألته كاراتا: "ماذا؟".

قرر أنه لن يدعها تقتل والده، بغض النظر عن كونه ملكاً سيئاً، إلا أنه لن يسمح لها بهذا. "يجب عليك أن تبييني عن شيء ما أولاً".

سألته وقد بدت منزعجة بوضوح: "الآن؟".

أوما رايودن برأسه وقال: "أريد أن أعرف لماذا تريد دخول القصر؟".

عقدت حاجبها في الظلام وقالت: "لست في موضع يسمح لك بطرح الأسئلة".

قال رايودن: "وأنت لست في موقف يسمح لك برفض هذا، كل ما عليّ فعله هو أن أئبه الحراس وسيمسكون بنا".

انتظرت كاراتا في صمت في الظلمة، ومن الواضح أنها تحاول أن تتحقق إن كان سيفعل هذا أم لا.

قال رايودن: "اسمعي، أخبريني بشيء واحد؛ هل تنوين إيذاء الملك؟".

حدقت كاراتا إلى عينيه ثم هزّت رأسها وقالت: "مشكلتي ليست معه".

فكّر رايودن؛ هل يجب عليّ أن أصدقها أم لا؟ هل يجب عليّ الاختيار؟

مد يده وجذب رقعة من النباتات التي تغطي السور، ثم ألقى بثقله على أحد الأحجار. غاص الحجر في السور مع صوت احتكاك خافت، ثم انخفض قطاع من الأرض أمامهما.

رفعت كاراتا حاجبيها وقالت: "ممر سري؟ هذا تقليدي بشكل مفاجئ".

قال رايودن وهو يزحف عبر المساحة الصغيرة ما بين الأرض والسور: "إن آيادون مُصاب بجنون الارتباب تجاه النوم، وقد صنع هذا الممر ليمنحه سبيلاً أخيراً للهروب إذا ما هجم شخص ما على قصره".

قالت كاراتا بسخرية وهي تتبعه عبر الفجوة: "كنت أعتقد أن هذه الأشياء لا توجد إلا في حكايات الأطفال".

قال رايودن: "إن آيادون يجب هذه الحكايات كثيراً".

بعد قرابة عشرة أقدام اتسع الممر فبدأ رايودن يتحسس الجدار حتى عثر على مصباح بالإضافة إلى قذح وزناد. لم يفتح غطاء المصباح إلا قليلاً لكيلا يصدر عنه سوى خيط رفيع من الضوء، ولكنه كان كافياً لكشف الممر الضيق المليء بالغبار.

قالت كاراتا متأملة: "يبدو أن لديك معرفة واسعة بالقصر". لم يُجب رايودن على هذا وهو غير قادر على التفكير في إجابة لا تكشف هويته. لقد أراه والده الممر عندما كان على أعتاب المراهقة، وقد وجدته وهو وأصدقائه مصدر إغراء لا يقاوم. لطالما تجاهل رايودن التحذيرات بأن الممر مخصص فقط من أجل الحالات الطارئة، فكان يقضي ساعات بصحبة لوكل وهما يلعبان بداخله.



لقد بدا أصغر في هذه اللحظة بالطبع. وبالكاد توجد مساحة كافية لكي يتحرك رايودن وكاراتا بحرية. قال وهو يرفع المصباح ويتحرك ببطء: "تعالى". استغرقت الرحلة إلى جناح آيادون وقتًا أقل مما يتذكره، لم يكن في الحقيقة ممرًا كبيرًا رغم ما تزعمه ذاكرته. كان ينحني إلى الأعلى إلى الطابق الثاني بزواوية شديدة الانحدار نحو غرفة آيادون مباشرة.

عندما وصلا إلى النهاية قال رايودن: "ها هي ذا، غرفة النوم الملكية، يجب أن يكون آيادون في فراشه الآن، ورغم إصابته بجنون الارتباب إلا أن نومه عميق، ربما أحدهما يتسبب في الآخر". دفع الباب جانبًا ليفتحه وقد كان مغطى من الجانب الآخر بجدارية قماشية. كان سرير آيادون العملاق مظلّمًا وساكّنًا، رغم أن ضوء النجوم المتسلل عبر النافذة المفتوحة يُظهر أن الملك نائم في فراشه بالفعل.

أحس رايودن بالتوتر وهو ينظر إلى كاراتا، ولكن المرأة التزمت بكلمتها، فبالكاد ألفت نظرة عابرة على الملك النائم وهي تخرج من الغرفة إلى الردهة الخارجية. تنهد رايودن في ارتياح وهو يتبعها في تسلل أقل براعة.

كانت الردهة الخارجية المظلمة تربط جناح آيادون بجناح حراسه، الممر الأيمن يؤدي إلى ثكنات الحراس، والأيسر يؤدي إلى مركز الحراسة، ومن ثم إلى بقية القصر. تجاهلت كاراتا هذا الاختيار وأكملت السير عبر الردهة اليمنى إلى ملحق الثكنات، وقدماهما العاريتان لا تُصدران أدنى صوت على الأرضية الحجرية.

لحق بها رايودن إلى الثكنات وقد عاد إليه إحساسه بالتوتر. لقد قررت ألا تقتل أباه، ولكنها الآن تتسلل إلى أخطر جزء في القصر، صوت واحد غير محسوب سيوقظ عشرات الجنود.

لحسن الحظ لم يكن التسلل عبر ردهة حجرية يحتاج إلى الكثير من المهارة. كانت كاراتا تفتح أي باب في طريقهما بلا صوت بينما يتسلل رايودن من ورائها.

انتهت الردهة المظلمة بردهة أخرى تتراص الأبواب على جانبيها. كانت غرف الضباط الأقل رتبة بالإضافة إلى هؤلاء الحرس الذين يُمنحون عُرفاً من أجل عائلاتهم. انتقت كاراتا باباً ويدخله كانت غرفة وحيدة مخصصة لعائلة حارس متزوج. كان ضوء النجوم يُظهر فراشاً بجانب أحد الجدران وخزانة ملابس بجانب آخر.

تململ رايودن في قلق وهو يتساءل إن كانت كاراتا قد فعلت كل هذا لكي تستولي على أسلحة حارس نائم، إن كانت تفكر في هذا فإنها مجنونة. ولكن التسلسل إلى قصر ملك مُصاب بجنون الارتياب لم يكن علامة على الاستقرار العقلي بالطبع.

بينما كاراتا تدلف إلى الغرفة أدرك رايودن أنها لن تقدر على الاستيلاء على عتاد الحارس لأنه لم يكن هناك. كان السرير فارغاً، وملاءاته مكرمشة بفعل نوم شخص ما عليها. وقفت كاراتا بجانب شيء لم يلاحظه رايودن في البداية؛ مرتبة موضوعة على الأرض تشغلها كتلة صغيرة لا يمكن أن تكون إلا طفلاً نائماً لم يستطع رايودن أن يميز ملامحه أو جنسه في الظلمة. انحنى كاراتا بجانب الطفل وظلت ساكنة للحملة.

وعندما انتهت من الأمر أشارت إلى رايودن أن يتبعها إلى خارج الغرفة ثم أغلقت الباب وراءها. رفع رايودن حاجبيه في تساؤل، فأومأت كاراتا برأسها، إنهما مستعدان للرحيل.

اتبع هروبهما خطوات التسلسل عكسياً. تحرك رايودن أولاً متسللاً عبر الأبواب التي لا تزال مفتوحة، ولحقت به كاراتا وهي تُغلق الأبواب من ورائها. في الجمل كان رايودن يشعر بالارتياح، لأن الأمور تجري بسلاسة، أو على الأقل أحس بالارتياح حتى اللحظة التي تسلسل فيها عبر الباب المؤدي إلى الردهة الأخيرة خارج غرفة آيادون.

كان هناك رجل يقف على الجانب الآخر من الباب، وقد تجمدت يده في موضعها وهو يمدها إلى المقبض. كان ينظر إليهما بدهشة وفزع.

اندفعت كاراتا لتتجاوز رايبودن ومدت ذراعها لتحيط بما عنق الرجل، قبل أن تُغلق فمه بحركة سلسلة، ثم أمسكت بمعصمه بينما يمد يده إلى السيف المعلق عند خاصرته. ولكن الرجل كان أضخم وأقوى من كاراتا الضعيفة في هيئتها الإيلانترية، فخلص يده من قبضتها وصد ساقها بساقه عندما حاولت عرقلته.

قال رايبودن بجدة وبصوت خافت: "كفى!". بينما يمد يده أمامه مهددًا.

نظر إليه كلاهما في انزعاج، ولكنهما تجمدا في موضعيهما على الفور عندما رأيا ما يفعله.

كانت إصبع رايبودن تتحرك عبر الهواء ويظهر من ورائها خط مضيء، واصل رايبودن الكتابة في خطوط منحنية حتى أنهى حرفًا واحدًا؛ آيون شيو، رمز الموت.

قال رايبودن بصوت خافت: "إن تحركت ستموت".

اتسعت عينا الحارس في رعب، كان الآيون يتوهج فوق صدره منبعثًا منه ضوء قاسٍ عبر الحجرة المظلمة إلا من هذا الضوء، وملقياً بظلال على الجدران. توهج الحرف كما هو الحال دائمًا ثم اختفى، ومع هذا كان الضوء كافيًا لإظهار وجه رايبودن الإيلانترية ذي البقع السوداء.

"أنت تعرف من نحن".

همس الرجل: "بحق دومي الرحيم...".

قال رايبودن كاذبًا: "سيبقى الآيون طوال الساعة التالية، مُعلَقًا حيث رسمته بشكل غير مرئي، في انتظار أن تتحرك ولو قيد أنملة، إن فعلت هذا فسوف يُدمرك، هل تفهم؟".

لم يتحرك الرجل بينما وجهه المرتعب يتصبب عرقًا. مد رايبودن يده ليحل حزام السيف من على خصر الرجل، ثم ربطه حول خصره.

قال رايودن مخاطبًا كاراتا: "هيا بنا".

كانت المرأة لا تزال جائمة بجانب الجدار حيث دفعها الحارس، وهي تتأمل رايودن بنظرة غير مفهومة.

كرر رايودن بلحاح أكبر: "هيا بنا".

أومأت كاراتا برأسها وقد استعادت رباطة جأشها، ثم فتحت باب غرفة الملك قبل أن يختفي كلاهما عبر الطريق الذي جاء منه.

\*\*\*

قالت كاراتا لنفسها وقد بدت مندهشة وحزينة في الوقت ذاته: "إنه لم يعرفني".

سألها رايودن: "من؟".

كانا جالسين في مدخل متجر بالقرب من منتصف كاي ليستريحًا قليلًا قبل أن يكتملا طريق العودة إلى إيلانتريس.

"ذلك الحارس، لقد كان زوجي في حياة أخرى".

"زوجك؟".

أومأت كاراتا برأسها وقالت: "لقد عشنا معًا لاثني عشر عامًا، والآن قد نسيني".

بدأ يفهم كل شيء، فقال: "إذن فذلك الطفل في تلك الغرفة...".

قالت كاراتا: "كانت هذه ابنتي، أشك أن أي شخص قد أخبرها بما حدث لي. أردت فقط...

أن تعرف".

"تركت لها رسالة؟".

"رسالة وتذكارة". كان صوت كاراتا حزينًا، رغم أنها لم تذرف أي دموع من عينيها الإلانتريتين. "قلادتي. لقد تمكنت من تهريبها في غفلة من الكهنة قبل عام مضى، كنت أريدها أن تحصل عليها. كنت أنوي من البداية منحها لها، لقد أخذوني بسرعة كبيرة... لم أجد فرصة حتى لتوديعها".

قال رايودن وهو يضع ذراعه حول المرأة لطمأنتها: "أعرف هذا".

"لقد أخذهم منا جميعًا، أخذ كل شيء ولم يترك لنا شيئًا". صار صوتها مفعمًا بالحدة.

"هذه مشيئة دومي".

قالت بقسوة: "كيف يُمكنك أن تقول هذا؟ كيف يُمكنك أن تدعو باسمه بعد كل ما فعله بنا؟".

قال رايودن معترفًا وهو يشعر بالضعف: "لا أعرف، كل ما أعرفه هو أن علينا المضي قدمًا، كما يفعل الجميع. على الأقل تمكنت من رؤيتها مرة أخرى".

قالت كاراتا: "أجل، شكرًا لك، لقد أسديت لي معروفًا كبيرًا هذه الليلة يا سيدي الأمير".

تجمد رايودن.

"أجل، أنا أعرفك، لقد عشت في القصر لسنوات مع زوجي، أحمي أبك وعائلتك. لقد راقبتك منذ طفولتك أيها الأمير رايودن".

"كنت تعرفين هذا طيلة الوقت؟".

قالت كاراتا: "ليس طيلة الوقت، ولكن لما يكفي من الوقت. ما إن تيقنت من هويتك لم أستطع أن أقرر هل أكرهك لأنك قريب آيادون، أم أشعر بالرضا لأن العدالة قد نالت منك أيضًا".

"وما هو قرارك؟".

قالت كاراتا وهي تمسح دموعًا جافة لا إراديًا: "لا يهم، لقد أوفيت بجانبك من الصفقة بشكل يستحق الإعجاب، أنا وأتباعي سنتركك وشأنك".

قال رايودن وهو يعتدل واقفًا: "هذا ليس كافيًا يا كاراتا".

"هل ستطلب ما يتجاوز صفقتنا؟".

قال رايودن وهو يمد لها يده ليساعدها على الوقوف: "أنا لا أطلب شيئًا يا كاراتا، ولكنك تعرفين من أنا، ويمكنك تخمين ما أحاول فعله".

قالت كاراتا: "أنت مثل آندين، تريد أن تصير سيدًا على إيلانتريس كما يحكم والدك بقية هذه الأرض الملعونة".

قال رايودن بابتسامة ساخرة: "لا شك أن الناس يسارعون في الحكم عليّ هذا اليوم. لا يا كاراتا، لا أريد أن أكون سيدًا على إيلانتريس، بل أريد أن أساعدها. أنا أرى مدينة مليئة بأناس يشعرون بالأسف على أنفسهم، أناس قد استسلموا لرؤية أنفسهم كما يراهم بقية العالم، لا يجب أن تكون إيلانتريس الهاوية التي هي عليها".

سألته كاراتا: "كيف يُمكنك تغيير هذا، ما دام الطعام شحيحًا فسيفقاتل الناس ويدمرون لإشباع جوعهم".

قال رايودن: "إذن علينا أن نُشبعهم".

زفرت كاراتا في عدم اقتناع. مد رايودن يده إلى داخل جيب قد حاكه في ملابسه الرثة، ثم أخرج كيسًا قماشياً صغيراً وهو يقول: "هل تعرفين هذا يا كاراتا؟". كان فارغاً ولكنه يحتفظ به كشيء يذكره بمذنبه.

لمعت عينا كاراتا برغبة متقدة وهي تقول: "كان يحوي طعاماً".

"أي نوع؟".

قالت كاراتا: "إنه واحد من أكياس الذرة، جزء من الأضحية التي تُرسل مع كل إيلان تري جديد".

قال رايودن وهو يرفع إصبعه: "ليس ذرة فحسب، بل بذور ذرة. إن جزء من الطقوس هو أن تكون الحبوب صالحة للزراعة".

همست كاراتا: "بذور ذرة؟".

قال رايودن: "كنت أجمعها من الوافدين الجدد، بقية القرابين لا تثير اهتمامي، بل الذرة فحسب، يمكننا أن نزرع الحبوب يا كاراتا، لا يوجد الكثير من الناس في إيلان تري، ولن يكون من الصعب إطعامهم جميعاً، ولدينا ما يكفي من وقت الفراغ لزراعة حديقة أو اثنتين".

اتسعت عينا كاراتا وقالت في ذهول: "لم يجرب أحد أن يفعل هذا من قبل".

"هذا ما خمنت، الأمر يحتاج إلى بصيرة، وقاطنو إيلان تري مشغولون بجوعهم الملح على أن يفكروا في الغد، وأنا سأغير هذا".

رفعت كاراتا عينيها عن الكيس الصغير ونظرت إلى وجه رايودن وهي تقول: "مذهل".

أعاد رايودن الكيس إلى جيبه، ثم أخفى السيف المسروق تحت ثيابه وقال: "هيا بنا، كدنا نصل البوابة".

"كيف تنوي العودة إلى الداخل؟".

"راقبي فحسب".

بينما يمشيان توقفت كاراتا بجانب بيت مظلم.

سألها رايودن: "ماذا؟".

أشارت كاراتا بإصبعها، فجاناب النافذة، وبداخل الزجاج، كان هناك رغيف من الخبز.

أحس رايودن بطعنة من الجوع في أحشائه، لم يقدر على لومها، حتى في القصر كان يبحث عن أي شيء ليسرقه.

قال رايودن: "لا يمكننا أن نغامر بهذا يا كاراتا".

تنهدت كاراتا وقالت: "أعرف، ولكن فقط... نحن قريبان للغاية".

قال رايودن: "كل المتاجر مغلقة، وكل البيوت مغلقة، ولن نجد ما يكفي لكي يصنع فارقاً".

تنهدت كاراتا ثم بدأت تمشي مرة أخرى وهي تجر قدميها. انعطفا في طريقيهما واقتربا من بوابة إيلانتريس العريضة. كان هناك مبنى قصير بجانب البوابة والضوء يتدفق من نوافذه. كان العديد من الحراس مسترخين بالداخل، وكانت ملابسهم الرسمية التي تميز حرس مدينة إيلانتريس باللونين البني والأصفر تلمع في ضوء المصباح. اقترب رايودن من المبنى وطرق على إحدى النوافذ بقبضته.

قال بنبرة مهذبة: "المعدرة، ولكن هل يمكنكم أن تفتحوا لنا البوابة من فضلكم؟".



الحراس الذين كانوا يلعبون الورق قفزوا من كراسيهم في ذعر وهم يصرخون ويسبون عندما تعرفوا على الملامح الإيلانترية.

قال رايودن بلا اكتراث: "فلتسرعوا فأنا متعب".

بينما الرجال يسرعون إلى خارج المبنى سأله أحدهم، ويبدو أنه ضابط: "ما الذي فعله هنا؟". كان العديد منهم يصوبون أسلحتهم ناحية رايودن.

رفع أحد الحراس رمحه.

قال رايودن: "لا أنصحك بفعل هذا، ما لم تكن راغبًا في أن تفسر كيف قتلت إيلان تري خارج البوابة، من المفترض بكم أن تبقونا بالداخل، وسيكون من المخرج لو اكتشف الناس أننا نهرب من تحت أنوفكم".

سأله الضابط: "كيف تمكنت من الهرب؟".

قال رايودن: "سأخبرك لاحقًا، الآن يجب أن تعيدنا داخل المدينة قبل أن نوقظ الحي كله ونثير حالة من الذعر، كما لا أنصحك بالاقتراب مني، فالشايود مُعدٍ للغاية كما تعرف".

تراجع الحرس مع كلماته، فمراقبة الإيلانترين تختلف عن مواجهة جثة تتحدث. أمر الضابط بفتح البوابة فلم يكن يعرف ما الذي يُمكنه فعله عدا هذا.

ابتسم رايودن وقال: "شكرًا لك أيها الرجل الصالح، أنت تُبلي حسنًا في وظيفتك، سيكون علينا أن نرى إن كان بمقدورنا أن نجعلك تنال علاوة". ثم أمسك بيد كاراتا وخطا عبر البوابة إلى إيلانتريس كان الجنود خدمه الشخصيون وليسوا حراس سجن.

لم تستطع كاراتا منع نفسها من الضحك عندما انغلقت البوابة وراءها ثم قالت: "لقد جعلت الأمر يبدو وكأننا نرغب في أن نكون هنا، كان هذا امتياز".

"وهذا بالضبط ما يجب أن نشعر به، إن لم نكن قادرين على مغادرة إيلانتريس فرما من الأفضل أن نتصرف كأنها أعظم مكان في العالم".

ابتسمت كاراتا وقالت: "إن لديك قدرًا من التحدي يا سيدي الأمير، ويعجبني هذا".

"إن النبل يكون في تصرفات المرء بقدر ما هو في نسبه، إن تصرفنا كأنما نعيش هنا في نعمة فرما ننسى نظرتنا لأنفسنا بأننا مثيرون للشفقة، الآن أريد منك أن تفعل شيئًا من أجلي يا كاراتا".

رفعت حاجبًا فقال: "لا تخبري أي شخص من أنا، أريد أن يكون الولاء في إيلانتريس مبنياً على الاحترام وليس بناءً على لقي".

"كما تشاء".

"ثانيًا لا تخبري أي شخص بشأن الممر المؤدي إلى البلدة عبر النهر".

"لم لا؟".

قال رابودن: "إن الأمر خطير للغاية. أنا أعرف أبي، إن اكتشف الحراس الكثير من الإيلانترين في المدينة فسيأتي لتدميرنا. الطريقة الوحيدة لكي تزدهر إيلانتريس هو أن يصير لديها اكتفاء ذاتي، لا يُمكننا المخاطرة بالتسلل إلى المدينة لدعم أنفسنا".

كانت كاراتا تُصغي السمع ثم أومأت برأسها في تأكيد وقالت: "لا بأس". ثم صممت للحظة قبل أن تقول: "هناك شيء أريدك أن تراه أيها الأمير رابودن".

\*\*\*

كان الأطفال سعداء، رغم أن معظمهم كان نائمًا إلا أن بعضهم كان مستيقظًا، وكانوا يضحكون ويلعبون مع بعضهم بعضًا. كانوا جميعًا برؤوس صلعاء بالطبع، ويحملون علامات الشايود، ولكن لم يبدُ عليهم أحم يبالون بهذا.

قال رايودن باهتمام: "إذن فهذا هو المكان الذي يذهبون إليه".

اقتادته كاراتا ليتوغلا في الحجرة الموجودة في أعماق قصر إيلانتريس، ذات يوم كان هذا المبنى يضم القادة الذين ينتخبهم حكماء إيلانتريس، والآن صار حجرة لعب للأطفال.

كان العديد من الرجال يقفون لحراسة الأطفال وهم ينظرون إلى رايودن في ريبة، فنظرت إليه كاراتا وقالت: "عندما جئت إلى إيلانتريس في بادئ الأمر رأيت الأطفال متكومين في الظلال مرعوبين من كل شيء يمر، وفكرت في صغيرتي أوبائس. شيء بداخل قلبي تعافى عندما بدأت أساعدهم، جمعتهم ومنحتهم القليل من الحب فتعلقوا بي. كل واحد من الرجال والنساء الذين تراهم هنا قد ترك وراءه طفلاً صغيراً في الخارج".

صمتت كاراتا وهي تمسد رأس طفل إيلانترى بعطف ثم قالت: "الأطفال يوحدوننا ويمنعوننا من الاستسلام للألم، نحن نجتمع الطعام من أجلهم، وبطريقة ما يمكننا تحمل الجوع بشكل أفضل، لأن هذا الجوع سببه جزئيًا منح ما لدينا للأطفال".

بينما رايودن يراقب فتاتين تلعبان وهما تصفقان قال بصوت خافت: "لم أكن لأفكر...".

أنهت كاراتا جملته قائلة: "أهم سيكونون سعداء؟". أشارت لرايودن أن يلحق بها، فسارا عائدين مبتعدين عن مسمع الأطفال، ثم قالت: "نحن لا نفهم الأمر أيضًا يا سيدي الأمير، إنهم يتعاملون مع الجوع أفضل من بقيتنا".

"إن عقل الطفل قادر على التحمل بشكل لا يُصدق".

أكملت كاراتا حديثها قائلة: "ويبدو أنهم قادرون على تحمل قدرًا من الألم أيضًا، الكدمات والرضوض وما أشبهه، ولكنهم يנהارون في نهاية المطاف مثل الجميع، في لحظة يكون الطفل سعيدًا ولاهيا، وفي اللحظة التالية يسقط ويجرح نفسه مرات عديدة فيستسلم عقله. لدي حجرة أخرى بعيدة عن هؤلاء الصغار، مليئة بعشرات الأطفال الذين لا يفعلون شيئًا سوى النحيب طوال اليوم".

أومأ رايودن برأسه، وبعد لحظة سأله: "لماذا أردت أن أرى هذا؟".

ترددت كاراتا ثم قالت: "لأنني أريد الانضمام إليك، كنت أخدم أباك ذات يوم رغم رأيي فيه، والآن سأخدم ابنه بسبب رأيي فيه، هل تقبل ولائي؟".

"سيكون هذا شرفًا لي يا كاراتا".

أومأت برأسها وهي تلتفت إلى الأطفال ثم تنهدت وقالت هامسة: "لم يتبق بداخلي الكثير يا لورد رايودن، أخشى مما سيحدث لأطفالي عندما أضيع. إن حلمك هذا؛ فكرتك المجنونة عن إيلانتريس التي نزرع فيها الطعام ونتجاهل فيها ألمانا... أريد أن أراك تحاول تحقيق هذا. لا أعتقد أنك قادر على هذا، ولكني أعتقد أنك قادر على جعلنا أفضل في نهاية المطاف".

قال رايودن: "شكرًا لك". أدرك أنه قد قبل مسؤولية عظيمة، لقد عاشت كاراتا لعام تحت وطأة العبء الذي أحس به للتو. كانت متعبة، ويمكنه أن يرى هذا في عينيها، والآن حان الوقت لكي تستريح، لقد نقلت العبء إليه.

قالت كاراتا وهي تنظر إلى الأطفال: "شكرًا لك".

بعد لحظة من التفكير قال رايودن: "أخبريني يا كاراتا، هل كنت حقًا ستكسر عظام أتباعي؟".

لم تُجب كاراتا في البداية، ثم قالت: "فلتخبرني أنت أيها الأمير، ما الذي كنت ستفعله لو أنني حاولت قتل أبيك اليوم؟".

"من الأفضل ألا نجيب عن هذين السؤالين".

أومات كاراتا برأسها وفي عينيها المتعبتين كان هناك حكمة هادئة.

\*\*\*

ابتسم رايودن عندما تعرف على الرجل الضخم الواقف بجانب الكنيسة في انتظار عودته. كان وجه جالادون المرتسم عليه القلق مضاءً بالشعلة الصغيرة في مصباحه.

سأله رايودن وهو يقترب عبر الظلمة: "أهو ضوء ليرشدني إلى بيتي يا صديقي".

صاح جالادون: "بحق الدولوكين! أنت لست ميتًا يا سول؟".

ضحك رايودن وهو يضرب كتف صديقه ويقول: "أنا ميت بالطبع، جميعنا موتى، على الأقل هذا ما أنت مغرم بقوله كما يبدو لي".

ابتسم جالادون وقال: "أين المرأة؟".

قال رايودن: "أوصلتها إلى بيتها كما يفعل أي رجل شهيم". ثم دلف إلى الكنيسة فاعتدل ماريش والآخرون واقفين.

قال سايولين في حماس: "لقد عاد لورد سبيريت".

قال رايودن: "إليك هدية يا سايولين". ثم أخرج السيف من تحت ثيابه الرثة وألقى به إلى الجندي.

قال سايولين: "ما هذا يا سيدي؟".

قال رايودن: "إن هذا الرمح مذهل بالنظر إلى الإمكانيات المتاحة لديك، ولكنني ظننت أنه من الأفضل أن تحظى بشيء أكثر متانة إن كنت تنوي أن تخوض قتالاً حقيقياً".

جذب سايولين النصل من غمده، إن هذا السيف ليس شيئاً مميزاً في العالم الخارجي، ولكنه يعد تحفة فنية مذهلة داخل حدود إيلانتريس. قال سايولين في انبهار: "لا يوجد عليه أي بقعة صداً، ومحفور عليه رمز حرس آيادون الشخصي".

سأله ماريش في لهفة: "هل مات الملك إذن؟".

قال رايودن ناعياً: "لا شيء من هذا القبيل، كانت مهمتنا ذات طابع شخصي يا ماريش، ولم تتضمن القتل، ولكن الحارس الذي كان يمتلك هذا السيف على الأرجح غاضب إلى حد كبير".

قال جالادون ساخراً: "أراهن على هذا". ثم أضاف: "إذن لم يعد علينا القلق بشأن كاراتا".

ابتسم رايودن وقال: "لا، بل في الواقع ستنضم عصابتها إلينا".

كان هناك عدد من تمتمات الدهشة مع هذا التصريح، فصمت رايودن للحظة قبل أن يكمل: "غداً سنزور قطاع القصر، كاراتا لديها شيء أريد منكم أن تروه، شيء يجب أن يراه كل شخص في إيلانتريس".

سأله جالادون: "ما هذا الشيء يا سول؟".

"الدليل على أن الجوع يُمكن هزيمته".

## الفصل الرابع عشر

كانت موهبة سارين في التطريز بالإبرة قدر موهبتها في الرسم، ولكن هذا لم يمنعها من المحاولة، بغض النظر عما تبذله من مجهود لكي تصير جزءًا مما يعد من الناحية التقليدية أنشطة ذكورية، أحست سارين برغبة ملحة في أن تثبت أنها قادرة على أن تصير أنثوية وأن تتصرف كسيدة نبيلة، كأى امرأة أخرى. ولم يكن ذنبها أنها لم تكن باعرة في الأمر.

رفعت طوق التطريز، كان من المفترض أن يصور عصفورًا قرمزيًا صغيرًا يجلس على غصن ومنقاره مفتوح ليغني. لسوء الحظ رسمت النموذج بنفسها، مما يعني أنه لم يكن جيدًا في المقام الأول، هذا إلى جانب عدم قدرتها على تتبع الخطوات، مما أنتج شيئًا أشبه بثمرة طماطم مهروسة بدلًا من أن يكون طائرًا.

قالت إيشن: "جميلة للغاية يا عزيزتي". لا يمكن لشخص أن يقدم مثل هذا الإطراء دون سخيرية إلا الملكة ذات المرح الطاعغي.

تههدت سارين وهي تضع الطوق على حجرها ثم أمسكت ببعض الخيوط البنية من أجل الغصن.

قالت داورا: "لا تقلقي يا سارين، دومي يمنح الجميع مستويات مختلفة من الموهبة، ولكنه دومًا ما يكافئ المتأبرة، استمري في التدريب وسوف تتحسنين".

فكرت سارين وهي متجهمة في قرارة نفسها؛ تقولين هذا بمثل هذه البساطة. كان طوق داورا مليئًا بتخفة فنية تفصيلية من الكمال التطريزي. كان لديها سرب كامل من الطيور، وكل طائر

صغير ولكنه معقد، فيحوم ويدور من خلال أغصان شجرة بلوط فارهة. كانت زوجة كين تجسيدا للنبل الأرستقراطي.

لم تكن دايورا قمشي، بل تنساب على الأرض، وكل حركاتها سلسلة ورشيقة. كانت تضع مساحيق التجميل بشكل جذاب؛ شفتاها بلون أحمر زاهٍ، وعيناها غامضتان، وقد وُضعت مساحيق التجميل ببراعة وإتقان. كانت كبيرة في العمر بما يكفي لأن تكون مهيبة، وصغيرة بما يكفي لأن تُعرف بجماها اللافت للأنظار. باختصار كانت امرأة من النوع الذي تكرهه سارين عادة، هذا لو لم تكن أيضًا المرأة الألف والأكثر ذكاءً في البلاط.

بعد لحظات من الصمت بدأت إيشن تتحدث كالعادة، بدت الملكة خائفة من الصمت، وكانت تتحدث باستمرار أو تحت الآخرين على فعل هذا. كانت النسوة الأخريات في المجموعة راضيات بتزكها تقود زمام الأمور، وهذا لا يعني أن أي شخص قد يُصارع إيشن على إدارة دفعة المحادثة.

كانت مجموعة التطريز الخاصة بالملكة مكونة من قرابة عشر نساء، في البداية تجنبت سارين اجتماعاتهن، وبدلاً من هذا ركزت اهتمامها على البلاط السياسي. ولكنها سرعان ما أدركت أن النسوة لديهن نفس الأهمية في أي مسألة مدنية؛ النميمة والثروة العابرة تنشران أخباراً لا يُمكن مناقشتها في إطار رسمي، لم تكن سارين مستعدة لأن تكون خارج السلسلة ولكنها تمت وحسب لو لم تضطر لأن تكشف عن عدم كفاءتها بالاشتراك معهن.

قالت إيشن: "سمعت أن لورد وارين ابن بارون مزرعة كاي قد خاض تجربة دينية استثنائية، كنت أعرف أمه، كانت امرأة صالحة للغاية، بارعة حقاً في الحياكة، في العام المقبل عندما تأتي السترات الصوفية سأجبر آيادون على أن يرتدي واحدة، ليس من اللائق أن يبدو الملك فاقدًا لحس المووضة، إن شعره طويل للغاية".



قالت دايبورا وهي تجذب الإبرة بإحكام: "لقد سمعت شائعات عن وارين الصغير، يبدو من الغريب بالنسبة لي الآن بعد سنوات من كونه كوراثيًا مخلصًا أن يتحول فجأة إلى الشو-ديريث".

قالت آتارا بلا أكتراث: "إنها جميعها نفس الدين على أي حال". كانت زوجة الدوق تيلري امرأة ضئيلة الجسم حتى بالنسبة لكونها أريلية، وذات شعر كستنائي مجعد يصل إلى كتفها. كانت ملابسها وحليها الأعلى ثمنًا في الحجر، مما يتفق مع بذخ زوجها، ودومًا ما تكون أنماط حياكنتها متحفظة وعديمة الخيال.

قالت سيادين زوجة الكونت آهان محذرة: "لا تقولي أشياء كهذه بالقرب من الكهنة". كانت أضخم امرأة في الحجر، وتكاد أن تطابق زوجها بدانة. "إنهم يتصرفون كما لو أن روحك تعتمد على كونك تسمي الإله دومي أم جادث".

قالت سارين وهي تحاول أن تخبئ تطريزها المشوه عن أعين صاحباتها: "هناك اختلافات صارخة بين الاثنين".

قالت آتارا بضحكة خافتة كزقزقة العصافير: "ربما إن كنتِ كاهنة، ولكن هذه الأشياء لا تكاد تمثل أي فارق بالنسبة لنا".

قالت سارين: "بالطبع فنحن مجرد نسوة على أي حال". ثم رفعت عينيها عن إبرتها لتختلس النظر وهي تبتسم لرد الفعل الذي أثارته جملتها. ربما لم تكن نسوة أريلون خاضعات تمامًا كما يفترض رجالهن.

ساد الصمت لبضع لحظات قبل أن تتحدث إيشن مرة أخرى قائلة: "ما الذي تفعله النسوة في تبود لتمضية الوقت يا سارين؟".

نظرت سارين إليها في دهشة، لم تسمع الملكة من قبل تسأل مثل هذا السؤال المباشر. "ما الذي تقصدينه يا جلالة الملكة؟".

قالت إيشن مرة أخرى: "ما الذي يفعلنه؟ لقد سمعت أشياء كما تفهمين، كما سمعت عن فيوردن، حيث يقولون إن الجو يكون باردًا للغاية في الشتاء حتى إن الأشجار تتجمد أحيانًا وتفجر. أفترض أنها طريقة سهلة لصنع رقائق الخشب، أتساءل إن كن قادرات على جعل هذا يحدث متى شئن".

ابتسمت سارين وقالت: "نحن نجد أشياء لفعلها يا جلالة الملكة، بعض النسوة يجبن النظرين، وبعضهن يجدن أنشطة أخرى".

"مثل ماذا؟". سألتها تورينا ابنة لورد آهان غير المتزوجة، على الرغم من أن سارين لا تزال تجد صعوبة في تصديق أن شخصًا يمثل هذا الجسم الضئيل يُمكن أن يأتي من زوجين بدينين مثل آهان وسيادين. عادة ما تكون تورينا صامتة في مثل هذه الاجتماعات، وعيناها البنيتان الواسعتان تراقبان ما يحدث من حولها ببريق يشي بذكاء دفين.

"حسنًا إن بلاط الملك مفتوح للجميع على سبيل المثال". قالتها سارين بلا اكتراث، ومع هذا خفق قلبها، كانت هذه هي الفرصة التي تنتظرها.

سألتها تورينا: "هل كنت تذهبين للاستماع إلى القضايا؟". كان صوتها الهادئ الرفيع يحمل اهتمامًا متزايدًا.

قالت سارين: "غالبًا ما أفعل هذا، وبعدها كنت أتحدث عنها مع صديقاتي".

سألتها سيادين ممثلة الجسم بوجه متلهف: "هل تتصارعن إحداهن مع الأخرى بالسيف؟".

صمتت سارين وقد تفاجأت قليلاً، ثم رفعت عينيها لتجد أن كل رأس في الحجرة تقريباً تحديق إليها، فقالت: "ما الذي يجعلك تسألين هذا السؤال؟".

قالت دايوراً بمدوء: "هذا ما يقولونه عن نسوة تيود يا عزيزتي". كانت المرأة الوحيدة التي لا تزال تعمل على تطريزها.

قالت سيادين: "أجل، لطالما سمعنا هذا؛ يقولون إن نسوة تيود تقتلن إحداهن الأخرى لتسليّة الرجال".

ارتجف حاجب سارين وهي تقول: "نسميها المبارزة يا سيادة سيادين، ونحن نفعل هذا لتسليّة أنفسنا وليس لتسليّة رجالنا، وبالتأكيد لا تقتل إحدانا الأخرى. نحن نستخدم السيوف، ولكن أطرافها تكون مثلثة، ونرتدي ملابس سمّكة، ولم أسمع عن أي شخص قد عانى من إصابة أكثر من التواء كاحل".

قالت تورينا ضئيلة الجسم وهي تشهق في انبهار: "إذن فهذا حقيقي؟ أنتن تستخدمن السيوف حقاً".

قالت سارين: "بعضنا يفعلن هذا، أنا شخصياً أستمتع بالأمر، كانت المبارزة رياضيّة المفضلة".

لمعت أعين النسوة بتعطش خفيف للدماء، كأعين كلاب الصيد التي حُبست في غرفة صغيرة لفترة طويلة. كانت سارين تأمل أن تغرس قدرًا من الاهتمام السياسي في هؤلاء النسوة، أن تشجعهن على تولي دورًا نشطًا في إدارة البلاد، ولكن يبدو أن هذا كان نهمًا مستترًا أكثر من اللازم.

عرضت سارين قائلة: "يُمكنني أن أعلمكن إن أردتن".

سألتهن آتارا في دهشة: "القتال؟".

قالت سارين: "هذا صحيح، والأمر ليس صعبًا، ومن فضلك يا سيده آتارا نحن نسئها مبارزة، حتى أكثر الرجال تفهمًا سيُشعر بشيء من عدم الارتياح عندما يفكر في أن النساء تقاتل".

قالت إيشن: "نحن لن...".

قاطعتها سارين متسائلة: "لم لا؟".

قالت دايبورا مفسرة: "إن اللعب بالسيوف يثير استياء الملك يا عزيزتي، ربما لاحظت أنه لا أحد من النبلاء هنا يحمل سيفًا".

عقدت سارين حاجبها وقالت: "كنت على وشك أن أسأل عن هذا الأمر".

قالت إيشن: "يعتبر آيادون هذا أمرًا مبتدئًا للغاية، ويقول إن القتال شيء يفعله الفلاحون، لقد درسهم كثيرًا، إنه قائد بارع كما تعرفين، والقادة البارعون يكون عليهم أن يعرفوا الكثير عن كثير من الأشياء. إنه قادر على أن يخبرك بحال الطقس في سفوردن في أي وقت من العام، وسفنه هي الأقوى والأسرع في هذا المجال".

سألته سارين في دهشة: "إذن لا أحد من الرجال يُمكنه أن يقاتل؟".

قالت تورينا: "لا أحد باستثناء لورد إيونديل، وربما لورد شودن". ارتسم على وجهها نظرة حاملة عندما ذكرت اسم شودن، كان الشاب النبيل أسمر البشرة مفضلًا بين نساء البلاط، وكان بأسر حتى أكثر القلوب ثباتًا بملاحمه الرقيقة وسلوكه الذي لا تشوبه شائبة.

قالت آتارا: "لا تنسي الأمير رايبودن، أعتقد أنه جعل إيونديل يعلمه القتال فقط ليثير غيظ أبيه، لطالما فعل أشياء كهذه".

قالت سارين: "حسنًا هذا أفضل، إن لم يكن أي من الرجال يقاتل فلا يُمكن للملك آيادون أن يمانع تعلمنا".

سألته تورينا: "ما الذي تقصدينه؟".

قالت سارين: "حسنًا، إنه يقول إنه أسمى من الأمر، وإن كان هذا حقيقياً إذن فمن المفترض أن يكون مثاليًا بالنسبة لنا، فنحن على أي حال مجرد نسوة".

ابتسمت سارين في خبث ثم انتشر هذا التعبير على معظم الوجوه في الحجرة.

\*\*\*

قالت سارين وهي جاثية على ركبتيها بجانب السرير وتفتش تحته: "أين وضعتُ سيفي يا آش؟".  
"سيفك يا سيدتي؟".

"لا تهتم، سأجده لاحقًا. ما الذي اكتشفته؟".

نبض آش بوميض خافت كأنما يتساءل عن طبيعة المشكلة التي تواجهها، قبل أن يقول:  
"يوسفني أنه ليس لدي الكثير لأبلغك به يا سيدتي، إن إيلانتريس موضوع حساس للغاية، ولم أعرف إلا أقل القليل".

قالت سارين وهي تتوجه ناحية خزانة ملابسها: "يمكن لأي شيء أن يساعدنا". كان لديها حفلة راقصة لتحضرها هذه الليلة.

"حسنًا يا سيدتي، معظم الناس في كاي لا يرغبون في الحديث عن المدينة، والسيونات في كاي لا تعرف الكثير، والسيونات المجنونة داخل إيلانتريس لا تبدو قادرة على التفكير بما يكفي للإجابة عن أسئلتني. حتى إنني حاولت الاقتراب من الإيلانترين أنفسهم، ولكن بدا أن الكثيرين خائفون مني، والآخرين توسلوا من أجل الطعام فحسب، كأنما بمقدوري أن أحمله إليهم. في النهاية أدركت أن أفضل مصدر للمعلومات هو الجنود الذين يجرسون أسوار المدينة".

قالت سارين وهي تنظر إلى ملابسها: "لقد سمعت عنهم، من المفترض أن يكونوا نخبة المقاتلين في أريلون".

قال آش: "وسيتلهفون لإخبارك بهذا يا سيدتي، أشك أن العديد منهم سيعرفون ما الذي يفعلونه في معركة حقيقية، رغم أنهم يبدوون بارعين للغاية في الشرب ولعب الأوراق، ومع ذلك يميلون إلى الحفاظ على هندمة ملابسهم الرسمية".

قالت سارين: "هذا هو المتوقع من أي حرس شرقي". كانت تقلب في صف من الملابس السوداء وقد اقشعر بدنها مع فكرة ارتداء ثوب آخر يشع عديم اللون. فبقدر ما تحترم ذكرى رايدون لا تستطيع أن ترتدي ملابس سوداء مرة أخرى.

تمایل آش في الهواء مع تعليقها، ثم قال: "أخشى يا سيدتي أن نخبة مقاتلي أريلون هؤلاء بالكاد يمنحون البلد أدنى أفضلية، ومع ذلك هم أكثر الخبراء دراية فيما يتعلق بإيلانتريس".  
"وما الذي يقولونه؟"

حام آش مقتربًا من الخزانة وهو يراقبها تفرز الخيارات المتاحة لها، ثم قال: "ليس الكثير، الناس في أريلون لا يتحدثون إلى السيونات بنفس السرعة التي كانوا يتحدثون بها من قبل. بالكاد أتذكر زمانًا كان فيه الناس يحبونها، ولكنهم الآن... متحفظون، ويكادون أن يكونوا خائفين".

قالت سارين: "إنهم يريطون بينكم وبين إيلانتريس". كانت تنظر باشتياق إلى الفساتين التي جلبتها معها من تبود.

قال آش: "أعرف يا سيدتي، ولكن ليس لنا أدنى علاقة بسقوط المدينة، لا يوجد سبب للخوف من السيونات، أتنتي... حسنًا، هذا لا يهم الآن. لقد حصلت على بعض المعلومات رغم تحفظهم، يبدو أن الإيلانترين قد فقدوا ما هو أكثر من مظهرهم البشري عندما أصابهم الشايود. يبدو أن الحراس يعتقدون أن المرء ينسى تمامًا ما كان عليه ويصير شيئًا أقرب إلى

الحيوانات منه إلى البشر. يبدو أن هذا بالتأكيد هو حال السيونات الإيلانترية التي تحدث إليها".

ارتجفت سارين وقالت: "ولكن الإيلانترين يمكنهم أن يتحدثوا، بعضهم قد طلب منك الطعام". قال آش: "لقد فعلوا هذا، لم يبدو هؤلاء المساكين أشبه بالحيوانات، معظمهم كان يبكي أو يغمغم بطريقة ما، أميل إلى الاعتقاد بأنهم قد فقدوا عقولهم".

قالت سارين وهي تفكر في الأمر: "إذن فالشايود يصيب العقل كما يصيب الجسد".

"يبدو هذا يا سيدتي، لقد تحدث الحراس أيضًا عن العديد من السادة المستبدين الذين يحكمون المدينة، الطعام له قيمة كبيرة حتى إن الإيلانترين يهاجمون بحماس أي شخص يحمله".

عقدت سارين حاجبها وهي تقول: "كيف يُطعم الإيلانتريون؟".

"إنهم لا يُطعمون حسبما أعرف".

سألته سارين: "إذن كيف يتمكنون من البقاء على قيد الحياة؟".

"لا أعرف يا سيدتي، من المحتمل أن المدينة تعيش في حالة من الوحشية البدائية، يتغذى فيها القوي على الضعيف".

"لا يمكن لأي مجتمع أن يتمكن من البقاء على هذه الحالة".

قال آش: "لا أعتقد أنهم يشكلون مجتمعًا يا سيدتي، إنهم مجموعة من البؤساء الملعون الذين يبدو أن إنهم قد نسيهم، ويحاول بقية الناس في البلد أن يحدوا حدوه".

أومأت سارين برأسها وهي تفكر، ثم حسمت أمرها فانتزعت فستانها الأسود وراحت تفتش ما بين الثياب الموجودة في مؤخرة خزانها، وبعد بضع دقائق وقفت أمام آش منتظرة تقييمه.

سألته وهي تدور حول نفسها: "ما رأيك؟". كان الفستان منسوجًا من نسيج ذهبي سميك، يكاد أن يكون معدنيًا في لمعانه. كان مغطى بالدانتيل الأسود، وله ياقة عالية مفتوحة مثل ياقات الرجال، وقد صُنعت الياقة من مادة صلبة تُطابق سوارى الفستان. كان الكُمّان واسعين كالفستان نفسه الذي يمتد للخارج حتى يلمس الأرض محببًا قدميها. كان فستانًا من النوع الذي يجعل السيدة تشعر بأنها ملكية، وحتى الأميرة تحتاج إلى شيء يذكرها بهذا من آن لآخر. قال آش لينبها: "إنه ليس أسود يا سيدتي".

قالت سارين محتجة وهي تشير إلى الحرملة الطويلة على ظهرها: "هذا الجزء أسود". كانت الحرملة جزءًا من الفستان، منسوجة إلى العنق والكتفين بدقة شديدة حتى بدت كأنما تنبت من الدانتيل.

"لا أعتقد أن هذه الحرملة كافية لجعله فستان أرملة يا سيدتي".

قالت سارين وهي تتفحص نفسها في المرآة: "هذا سيفي بالغرض. إن ارتديت فستانًا آخر من تلك الفساتين التي أعطتها لي إيشن، فسيكون عليك أن تُلقني بي في إيلانتريس لأنني سأصاب بالجنون".

"هل أنتِ واثقة من أن الجزء الأمامي من الفستان... لائق؟".

سألته سارين: "ماذا تقصد؟".

"إنه مكشوف بعض الشيء يا سيدتي".

"لقد رأيت ما هو أسوأ، حتى هنا في أربلون".

"أجل يا سيدتي، ولكن هؤلاء كن نسوة غير متزوجات".



ابتسمت سارين، لطالما كان آش حساسًا للغاية، وخصوصًا فيما يتعلق بما. "عليّ أن أرتديه ولو مرة واحدة على الأقل، لم تُتَح لي الفرصة من قبل، لقد وصلني من دولادل قبل أن أغادر تيود بأسبوع واحد".

قال آش وهو ينبض قليلاً: "كما تشائين يا سيدتي، هل هناك أي شيء آخر تريدني مني أن أحاول معرفته؟".

"هل زرت السرايب؟".

قال آش: "لقد فعلت هذا يا سيدتي، ويؤسفني أنني لم أجد أي تجاوبف سرية تُخفي أميرًا يتضور جوعًا. إن كان آيادون قد حبس ابنه فسيكون من الغباء أن يفعل هذا في قصره".

تهتدت سارين وقالت: "حسنًا، كان الأمر يستحق إلقاء نظرة. لم أعتقد أنك ستجد شيئًا، ربما علينا بدلًا من هذا أن نبحث عن القاتل الذي استخدم السكين".

قال آش: "هذا صحيح، ربما يُمكنك أن تحاولي استخراج بعض المعلومات من الملكة؟ إن كان هناك دخيل قد قتل الأمير حقًا فرما تعرف شيئًا عن الأمر".

"لقد حاولت ولكن إيشن... حسنًا، من الصعب الحصول على المعلومات منها. إن جعلها تركز على موضوع واحد... بصراحة لا أعرف كيف انتهى المطاف بامرأة مثلها بالزواج من آيادون".

قال آش: "أعتقد يا سيدتي أن هذا الزواج كان مادياً أكثر منه اجتماعياً، إن جزءاً كبيراً من تمويل حكومة آيادون قد جاء من والد إيشن".

قالت سارين: "هذا يبدو منطقيًا". ثم ابتسمت ابتسامة شاحبة وهي تتساءل عن رأي آيادون الآن في هذه الصفقة. صحيح أنه قد حصل على المال، ولكن انتهى به المطاف أيضًا وهو

يقضي عقداً من الزمان منصتاً إلى ثرثرة إيشن، ربما هذا هو سبب إحساسه بالغضب من النساء عموماً.

قالت سارين: "على أي حال لا أعتقد أن الملكة تعرف أي شيء عن رابودن، ولكنني سأستمر في المحاولة".

تمايل آش ثم قال: "وماذا يجب أن أفعل؟".

"حسناً كنت أفكر في العم كين مؤخراً، لم يعد أي يذكرك، وكنت أتساءل... هل تعرف إن كان كين قد حُرِم من الميراث رسمياً؟".

قال آش: "لا أعرف يا سيدتي، ربما يعرف ديو، إنه يعمل بالقرب من والدك أكثر مني".

"فلتر إن كنت قادراً على جمع أي معلومات، ربما توجد بعض الشائعات هنا في أربيلون بشأن ما حدث، فإن كين على أي حال هو واحد من الأشخاص الأكثر نفوذاً في كاي".

"أمرك سيدتي، أي شيء آخر؟".

قالت سارين وهي تزر أنفها: "أجل، فلترسل شخصاً ليحمل هذه الفساتين السوداء بعيداً، لقد قررت أنني لن أحتاجها بعد الآن".

قال آش بنبرة تحمل عدم الرضا: "بالطبع يا سيدتي".

\*\*\*

نظرت سارين خارج نافذة العربة وهي تقترب من قصر الدوق تيلري. ذكرت التقارير أن تيلري متحرر للغاية في الدعوة إلى الحفلات الراقصة، وقد أكد المعلومة عدد العربات الموجودة على

الطريق هذا المساء. كانت المشاعل مصطفة على جانبي الممر بينما كانت أراضي القصر مضاءة بسطوع بمزيج من المصابيح والمشاعل وألسنة اللهب الملونة الغريبة.

قال شودن: "إن الدوق ينفق بسخاء".

قالت سارين وهي تومئ ناحية أحد ألسنة اللهب الساطعة الذي يحترق على قمة عمود معدني طويل: "ما هذه الأشياء يا لورد شودن؟".

"أحجار خاصة نستوردها من الجنوب".

"أحجار تحترق؟ مثل الفحم؟".

قال اللورد الجيندوي الشاب مفسراً: "إنها تحترق أسرع من الفحم كما أنها باهظة الثمن للغاية، لا شك أن اللورد تيلري قد دفع ثروة ليضيء هذا الممر". ثم عقد شودن حاجبيه وقال: "يبدو هذا إسرافاً حتى بالنسبة له".

قالت سارين وهي تتذكر محادثتها مع لوكل في قاعة عرش آيادون: "لقد ذكر لوكل أن الدوق مبدّر إلى حد ما".

أوماً شودن برأسه وقال: "ولكنه أكثر ذكاءً بكثير مما يعتقد معظم الناس. إن الدوق ينفق أمواله بسخاء ولكن عادة ما يكون هناك هدف من وراء هذا الإسراف". كان باستطاعة سارين أن ترى أن عقل البارون الشاب يموج بالأفكار بينما العربية تُبطئ حتى تتوقف كأنما يحاول أن يستتبط طبيعة الهدف الذي أشار إليه.

كان القصر ذاته مكتظاً بالناس، نسوة في فساتين زاهية يرافقن رجالاً في بدلات ذات معاطف مستقيمة كانت هي الموضة الرجالية في ذلك الوقت. بالكاد كان عدد الضيوف أكثر من عدد الخدم ذوي الملابس البيضاء الذين ينتقلون وسط الحشد حاملين الطعام أو الشراب أو يغيرون

زيت المصابيح. ساعد شودن سارين على النزول من العربة ثم اصطحبها إلى قاعة الرقص الرئيسية بمشية من اعتاد التنقل بين الحشود.

بينما يدلغان إلى القاعة أسرَّ لها شودن قائلاً: "لا يُمكنك أن تتخيلي مدى سعادتي بأنك عرضتِ الجيء معي". كان هناك فرقة موسيقية كبيرة تعزف في أحد طريقي الرواق، وكان الناس في أزواج يدورون حول منتصف القاعة في حركة راقصة، أو يقفون في أطراف الدائرة يتبادلون الحديث. كانت القاعة ساطعة بأضواء ملونة، والصحور التي قد رأياها بالخارج تحترق بشدة من موضعها أعلى الدرازينات والأعمدة. بل وكان هناك سلاسل من الشموع الصغيرة تلتف حول عدد كبير من الأعمدة، وهذه الآلات الغريبة ربما يجب إعادة تعبئتها كل نصف ساعة.

سألته سارين وهي تحدق إلى المشهد الملون: "ولم هذا يا سيدي؟". حتى وهي تعيش كأميرة لم ترَ قط مثل هذا الجمال والرفاهية، كان مزيجًا مسكرًا من الأضواء والأصوات والألوان.

نظر شودن إلى حيث تنظر دون أن يسمع سؤالها حقًا، ثم قال: "لا يُمكن لأحد أن يخمن أن هذا البلد يرقص على حافة الدمار".

دوت الجملة كناقوس موت كئيب. كان هناك سبب لعدم رؤية سارين لمثل هذا البذخ من قبل، رغم أنه مثير للعجب ولكنه أيضًا إسراف مبالغ فيه، إن والدها حاكم رشيد، ولن يسمح أبدًا بمثل هذا التبذير.

سألها شودن: "هذا هو الحال دائمًا، أليس كذلك؟ يبدو أن هؤلاء الذين لا يقدرّون على تحمل البذخ هم الأكثر تصميمًا على إنفاق آخر ما تبقى لديهم".

قالت سارين: "أنت رجل حكيم يا لورد شودن".

قال وهو يصطحبها إلى رواق جانبي للبحث عن المشروبات: "لا، بل رجل يحاول أن يرى جوهر الأمور".

"ما الذي كنت تقوله منذ قليل؟".

قال شودن: "ماذا؟ أوه، كنت أشرح كيف ستقذيني من الاكتئاب هذا المساء".

سألته بينما يناولها قَدْحًا من النبيذ: "ولم هذا؟".

ابتسم شودن وهو يرتشف رشفة من شرابه ثم قال: "هناك بعض ممن يعتبروني لسبب أو لآخر... مؤهلاً تمامًا. العديد منهم لا يعرفون من أنت، وسيبقون على مسافة بعيدة وهم يحاولون تقييم منافستهم الجديدة. قد أحظى الليلة ببعض الوقت لكي أستمتع بالحفل".

رفعت سارين حاجبًا وهي تقول: "هل الأمر بهذا السوء حقًا؟".

أجابها شودن وهو يمد ذراعه إليها: "عادة ما أصرفهم عني بالعصا".

ابتسمت سارين وهي تقبل ذراعه الممدودة ثم قالت: "قد يعتقد المرء أنك لا تنوي الزواج أبدًا يا سيدي".

ضحك شودن وقال: "لا، لا شيء من هذا القبيل يا سيدي، دعيني أؤكد لك أنني مهتم للغاية بمفهوم الزواج، أو على الأقل النظرية الكامنة وراءه. ولكن العنور على امرأة في هذا البلاط لا تصيبي بالغيثان بسبب ثرثرتها الحمقاء هو أمر مختلف تمامًا. تعالي معي، إن كنت محققًا فيجب أن نكون قادرين على إيجاد مكان أكثر إثارة للاهتمام من قاعة الرقص الرئيسية".

اصطحبها شودن عبر جموع الحاضرين، ورغم تعليقاته السابقة كان متحضرًا للغاية. بل وحتى لطيفًا. مع النسوة اللاتي بزغن من الحشد للترحيب به. كان شودن يعرف كل واحدة منهن بالاسم، وهو في حد ذاته شيء يدل على البراعة الدبلوماسية أو دماثة الخلق.

تنامي احترام سارين لشودن وهي تشاهد ردود أفعال هؤلاء الذين التقى بهم. لم يتجهم وجهه مع اقترابه، وقلة منهم قد منحوه تلك النظرات المتغرسة الشائعة فيما يسمى بالاجتماعات

الراقية. كان شودن محبوبًا للغاية، على الرغم من أنه لم يكن من الرجال المفعمين بالحوية. أحست أن شعبيته لم تنبع من قدرته على إمتاع الآخرين، بل من صراحته التي لم تعد شائعة في هذه الآونة. عندما يتحدث شودن يكون دومًا مهذبًا ومراعياً، ولكنه في الوقت ذاته صريحًا تمامًا. كما أن أصوله الأجنبية منحتة الحق في قول أشياء لا يستطيع الآخرون قولها.

في نهاية المطاف وصلا إلى غرفة صغيرة على قمة الدرج، فقال شودن وهو يصطحبها عبر الباب: "ها نحن ذا". بالداخل وجدا فرقة موسيقية أصغر ولكنها أكثر براعة وتعزف على آلات وترية. كانت الزخارف في هذه الغرفة أقل بمرجة، ولكن الخدم كانوا يحملون أطباقًا من الطعام بدت أكثر غرابة من تلك الموجودة بالأسفل. تعرفت سارين على العديد من الوجوه من البلاط، بما فيهم الوجه الأكثر أهمية.

قالت: "الملك". وقد لاحظت أن آيادون يقف بالقرب من الزاوية البعيدة، وإيشن إلى جانبه في فستان أخضر رقيق.

أومأ شودن برأسه وقال: "لن يفوت آيادون حفلًا كهذا، حتى إن كان صاحب الدعوة هو اللورد تيلري".

"أليسا على وفاق؟"

"بل هما على وفاق، الأمر وما فيه هو أنهما في مجال العمل ذاته. يدير آيادون أسطولًا تجاريًا، فتبحر سفنه عبر بحر فيوردن، مثل سفن تيلري، هذا يجعلهما متنافسين".

قالت سارين: "أعتقد أن وجوده هنا غريب على أي حال، لم يذهب أبي قط إلى مثل هذه الحفلات".

"هذا لأنه رجل ناضج يا سيده سارين. لا يزال آيادون مفتونًا بسلطته، وسيستغل كل فرصة للاستمتاع بما". تلفت شودن حوله بنظرة ثابتة ثم قال: "انظري إلى هذه الغرفة على سبيل المثال".

"هذه الغرفة؟".

أوما شودن برأسه وقال: "كلما أتى آيادون إلى حفل يختار غرفة بعيدة عن القاعة الرئيسية ويسمح للأشخاص المهمين بالانجذاب إليه. النبلاء معتادون على هذا، الرجل الذي يقيم الحفل الراقص عادة ما يستأجر فرقة موسيقية ثانية، ويعرف أن عليه إقامة حفل ثانٍ أكثر خصوصية منفصل عن الحفل الرئيسي. لقد حرص آيادون على أن يعرف الجميع أنه لا يريد أي صلة بالأشخاص الأدنى منه منزلة، هذا التجمع مخصص فقط للدوقات والكونتات المرموقين".

قالت سارين وهما يدلان إلى الغرفة: "ولكنك بارون".

ابتسم شودن وهو يرتشف النبيذ ثم قال: "أنا حالة استثنائية، فقد أجبرت عائلتي آيادون على منحنا اللقب، بينما نال البقية مراتبهم بالثروة والتوسل، يُمكنني أن أحظى بصلاحيات لا تُتاح لأي بارون آخر، لأنني وآيادون نعرف أنني قد تغلبت عليه ذات يوم. عادة ما يُمكنني أن أقضي وقتًا قصيرًا هنا في الغرفة الداخلية، ساعة على الأكثر، وإلا سينفد صبر الملك، ولكن الأمر يختلف بالطبع هذه الليلة".

"ولم هذا؟".

قال شودن: "لأنك معي، لا تنسي هذا يا سيده سارين، أنتِ تفوقين جميع من في هذه الغرفة مرتبة، باستثناء الملك والملكة".

أومات سارين برأسها، فرغم كونها معتادة على فكرة أنها مهمة . فهي رغم كل شيء ابنة ملك . لم تكن معتادة على ولع الأريليين بذكر مراتبهم .

قالت بصوت خافت عندما لاحظها الملك: "إن حضور آيادون يغير من الأمر". مرت عيناه على فستانها، ومن الواضح أنه لاحظ كونه غير أسود، فقد تجهم وجهه.

اعترفت سارين لنفسها بأن الفستان ربما لم يكن فكرة جيدة، ولكن سرعان ما جذب انتباهها شيء آخر. لاحظت هيئة ساطعة تقف كندبة حمراء بين الحاضرين فهمست: "ما الذي يفعله هنا؟".

نظر شودن إلى حيث تنظر ثم قال: "الجيورن؟ إنه يأتي إلى الحفلات الراقصة منذ اليوم الذي وصل فيه هنا. لقد ظهر في الحفلة الأولى دون أن يتلقى دعوة، وهو يحيط نفسه بحالة من الكبرياء، حتى إن أحداً لم يجرؤ على تجاهل دعوته منذ ذلك الحين".

كان هرائن يتحدث مع مجموعة صغيرة من الرجال، بينما درع صدره الأحمر وعباءته الحمراء تتناقضان بشكل صارخ مع ألوان ملابس النبلاء التي لم تكن زاوية بنفس القدر. كان الجيورن أطول من كل الحاضرين بمقدار رأس على الأقل، ودرعا كتفيه تبرزان مسافة قدم في كلا الاتجاهين. عموماً كان من الصعب ألا يلاحظه المرء.

ابتسم شودن وقال: "بغض النظر عن رأيك في هذا الرجل فأنا معجب بتقته في نفسه، لقد خطا ببساطة إلى حفل الملك الخاص في تلك الليلة الأولى وبدأ في الحديث إلى أحد الدوقات، وبالكاد أوما برأسه إلى الملك. من الواضح أن هرائن يعتبر أن لقب جيورن يُعادل أي لقب في هذه الغرفة".

قالت سارين: "الملوك ينحنون للجيورنات في الشرق، وتكاد جباههم أن تلمس الأرض عندما يزورهم الويرن".



قال شودن: "ومن بدأ كل هذا كان رجلاً جيندوياً عجوزاً". ثم صمت ليعيد ملء قذحيهما بالنبيذ من خادم يمر بجوارهما قبل أن يقول: "لطالما كنت مهتماً برؤية ما فعله قومك بتعاليم كيسيح".

سألته سارين: "قومي؟ أنا كوراثية، لا تضعني في سلة واحدة مع الجيرون".

رفع شودن يده وهو يقول: "أعتذر، لم أقصد الإهانة".

كان يتحدث اللغة الآيونية بطلاقة، ويعيش في أربلون، لذا افترضت سارين أنه كوراثي، ولكنها أساءت الحكم، لا يزال شودن جيندوي، إن عائلته تؤمن بالشو-كيسيح، الديانة الأم لكل من كوراث وديريث. قالت وهي تفكر بصوت عالٍ: "ولكن موطنك الأصلي يتبع الديانة الديريثية الآن".

تجهم وجه شودن وهو ينظر إلى الجيرون ثم قال: "أتساءل ما الذي فكر فيه السيد العظيم عندما رحل تلميذاه كوراث وديريث للتبشير بالدين في الأراضي الشمالية، كان كيسيح يدعو بتعاليمه إلى الوحدة، ولكن ما الذي كان يقصده؟ وحدة العقل كما يفترض قومي؟ أم وحدة الحب كما يزعم كهنتكم؟ أم هي وحدة الطاعة كما يؤمن الديريثيون؟ في النهاية لا يُمكنني إلا التفكير في كيفية تمكن الجنس البشري من تعقيد مثل هذا المفهوم البسيط".

صمت قليلاً ثم هز رأسه وقال: "على أي حال أجل يا سيدتي، إن جيندو يتبع الديانة الديريثية الآن. يسمح قومي للويرن بأن يفترض أن جيندو قد قبلت بتبديل دينها لأن هذا أفضل من القتال. ولكن الكثيرين يشككون في هذا القرار الآن، والأرائنة يبالغون في مطالبهم".

أومات سارين برأسها وقالت: "اتفق معك، يجب أن نوقف الشو-ديريث، إنها تحريف للحقيقة".

"لم أقل هذا يا سيدة سارين، إن روح الشو-كيسج هي القبول، هناك متسع لجميع التعاليم. يعتقد الديرثيون أنهم يفعلون ما هو صواب". نظر شودن إلى هرائن قبل أن يكمل: "ولكن هذا الرجل خطير على أي حال".

"لماذا هو وليس الآخرين؟".

قال شودن: "لقد حضرت واحدة من خطب هرائن، إنه لا يعظ من قلبه يا سيدة سارين، بل يعظ من عقله، يبحث عن الأرقام فيمن يعتقدون دينه، ولا يُبالي بإيمان تابعيه، هذا شيء خطير".

تفحص شودن أتباع هرائن، ثم أشار إلى رجل شعره أشقر للغاية حتى يكاد أن يكون أبيض وهو يقول: "هذا الرجل يزعجني أيضاً".

سألته سارين باهتمام: "من يكون؟".

قال شودن: "وارين؛ الابن الأول للبارون ديولين، لا ينبغي أن يكون هنا في هذه الغرفة، ولكن يبدو أنه يستغل علاقته الوثيقة بالجورن كأنها دعوة. كان وارين معتاداً على أن يكون كورائياً تقياً بوضوح، ولكنه يدعي أنه قد راودته رؤية من جادث يأمره فيها باعتناق الشو-ديرث".

قالت سارين وهي تتأمل وارين بعينها: "السيدات كن يتحدثن بشأن هذا باكراً، ألا تصدقه؟".

"لطالما شككت أن تقوى وارين هي مجرد استعراض، إنه رجل انتهازي، وهذا التفاني المنطرف في الدين قد أكسبه سمعة سيئة".

تفحصت سارين الرجل أبيض الشعر في قلق، إنه يافع للغاية، ولكنه يقف كرجل صاحب إنجازات ونفوذ. إن تبديله لدينه علامة خطيرة، كلما زاد عدد الناس الذين يجمعهم هرائن صار إيقافه أكثر صعوبة.

قالت: "لم يكن عليّ أن أنتظر طويلاً".

"تنتظرين ماذا؟".

"الجيء إلى هذه الحفلات، إن هراتن يسبقني بأسبوع".

قال شودن مبتسماً: "تتصرفين وكأن هناك صراعاً شخصياً بينكما".

أجابته سارين وقد أخذت تعليقه على محمل الجد: "صراع شخصي يُهدد الخطر فيه مصائر الأمم".

جاء صوت يقول: "شودن! أرى أنك تفتقر إلى دائرة المعجبين التي تحيط بك عادة".

قال شودن وهو ينحني مع اقتراب الرجل العجوز: "مساء الخير يا لورد رويال، أجل لقد كنت قادراً على تجنب معظم المعجبين هذه الليلة بسبب الرفقة التي حظيت بها".

قال رويال وهو يقبل يد سارين: "آها، الأميرة الجميلة سارين. أرى أن ولعك باللون الأسود قد تضائل".

قالت وهي تنحني له: "لم أكن مولعة به كثيراً من البداية".

قال رويال مبتسماً: "يمكنني أن أتخيل هذا". ثم أولى اهتمامه من جديد إلى شودن وقال: "كنت آمل أنك لم تُدرك بعد قيمة الكنز الذي معك يا شودن، ربما كنت لأسرق منك الأميرة وأبعد عن نفسي بعض المتطفلين".

نظرت سارين إلى الرجل العجوز في دهشة.

ضحك شودن وقال: "قد يكون اللورد رويال هو الأعزب الوحيد في أريلون الذي تطلب النساء وده أكثر مني. إن سيدي اللورد يصرف عني بعض الانتباه".

نظرت سارين إلى الرجل العجوز النحيل وقالت: "أنت؟ النساء يرغبن في الزواج منك؟". ثم تذكرت أصول اللياقة فتداركت قائلة: "يا سيدي". بينما وجهها محتقن بالدماء بسبب كلماتها غير اللائقة.

ضحك رويال وقال: "لا تقلقي كثيراً بشأن الإساءة إليّ يا صغيرتي سارين، لا يوجد رجل في مثل عمري يحظى بالمظهر الحسن. لقد ماتت عزيزتي إيولديس قبل عشرين عاماً، وليس لديّ أبناء، يجب أن تنتقل ثروتي إلى شخص ما، وكل فتاة غير متزوجة في المملكة تُدرك هذه الحقيقة، سيكون عليها فقط أن تُدللني لبضع سنوات ثم تدفني، وبعدها تجد شاباً مفعماً بالحياة ليساعدها على إنفاق أموالي".

قال شودن: "سيدي متشائم للغاية".

فقال رويال ساخراً: "بل واقعي للغاية. ولكني سأعترف أن فكرة إجبار واحدة من هؤلاء الفتيات الناعمات على معاشرتي مغرية للغاية. أعرف أنهن جميعاً يفترضن أنني عجوز للغاية على جعلهن يؤدين واجبهن كزوجات، ولكن افتراضهن خاطئ، وإن كنت سأسمح لمن بسرقة ثروتي فسأجعلهن يبذلن قصارى جهدهن من أجل هذا".

احمر وجه شودن خجلاً لهذا التعليق، ولكن سارين اكتفت بالضحك قبل أن تقول: "كنت أعرف هذا، أنت لست سوى رجل عجوز بذيء".

واقفها رويال مبتسماً وهو يقول: "أعترف بهذا". ثم نظر إلى هراتن وقال: "كيف حال صديقنا المدرع؟".

أجابته سارين: "إن مجرد حضوره يزعجني كثيراً يا سيدي".

قال رويال: "راقبيه جيداً يا سارين، لقد سمعت أن حظ تيلري السعيد المفاجئ ليس مجرد ضربة حظ".

ازدادت عينا شودن ربية وهو يقول: "لم يعلن الدوق تيلري أي ولاء للشو-ديريت".

واقفه رويال قائلًا: "ليس علانية، ولكن مصادري تقول إن هناك علاقة ما بين هذين الشخصين. هناك شيء واحد أكيد؛ نادرًا ما يكون هناك حفل كهذا في كاي، ولم يقم الدوق هذا الحفل بدون سبب واضح. الأمر يجعل المرء يتساءل ما الذي يُعلن عنه تيلري، ولماذا يرغب في أن نرى مدى ثرائه".

قالت سارين: "إنها فكرة مثيرة للاهتمام يا سيدي".

نادتها إيشن من الجانب الآخر للغرفة: "سارين؟ هلا أتيتِ إلى هنا يا عزيزتي؟".

قالت سارين وهي تنظر إلى الملكة التي تلوح لها كي تقترب: "أوه لا، برأيكما ما الذي تريده مني؟".

قال رويال وعيناه تلمعان: "أنا متشوق لمعرفة هذا".

أومأت سارين لإيشن، ثم اقتربت من الملكة وزوجها وانحنت لهما بتهذيب. تبعها شودن ورويال بشكل أكثر تحفظًا ووقفنا على مرمى السمع.

ابتسمت إيشن مع اقتراب سارين وقالت: "عزيزتي كنت أشرح لزوجي الفكرة التي توصلنا إليها هذا الصباح، تلك التي تتعلق بالتمارين الرياضية". ثم أومأت برأسها ناحية الملك في حماس.

قال الملك: "ما هذا الهراء يا سارين؟ نسوة يلعبن بالسيوف؟".

قالت سارين متظاهرة بالبراءة: "لا يريدنا جلالة الملك أن نسمن، أليس كذلك؟".

"بالطبع لا، ولكن يمكنكن فحسب أن تأكلن أقل".

"ولكني أحب التمارين الرياضية يا جلالة الملك".

أخذ آيادون نفسًا عميقًا في انزعاج ثم قال: "يجب أن يكون هناك شكل آخر من التمارين لكي تمارسها النساء".

رمشت سارين بعينيهما متظاهرة أنها على وشك البكاء وهي تقول: "ولكني أفعل هذا منذ طفولتي يا مولاي. لا شك أن الملك لا يعارض تسليية أنثوية حمقاء".

صمت الملك وهو يتأملها بنظرة، ربما بالغت في الأمر في المرة السابقة. كست سارين وجهها بأفضل مظهر من البلاهة اليانسة، ثم ابتسمت.

وأخيرًا هز رأسه وقال: "فلتفعلي ما تريدينه يا امرأة، لا أريد لشيء أن يُفسد أمسيتي".

قالت سارين وهي تنحني وتراجع للوراء: "مولاي الملك حكيم للغاية".

عندما انضمت إلى شودن مرة أخرى همس قائلاً: "لقد نسيت بشأن هذا، لا شك أن الحفاظ على هذا التظاهر يكون عبثًا".

قالت سارين: "إنه مفيد في بعض الأحيان". كانا على وشك الابتعاد عندما لاحظت سارين ساعياً يقترب من الملك. وضعت يدها على ذراع شودن مشيرة إلى أنها تريد الانتظار لدقيقة أخرى بينما يُمكنها سماع آيادون.

همس الرسول بشيء في أذن آيادون فانتسعت عينا الملك في غضب وهو يقول: "ماذا!!".

اقترب الرجل ليهمس مرة أخرى فدفعه الملك للوراء وهو يقول: "فلتقلها يا رجل، لا يمكنني تحمل كل هذا الهمس".

"لقد حدث هذا الأسبوع يا مولاي".

اقتربت سارين قليلاً.

"يا للغرابة". جاءهما صوت يحمل لكنة غريبة. كان هرائن يقف على مسافة قريبة، ولكنه لم يكن يراقبهما، بل يوجه صوته بطريقة ما ناحية الملك، كأنما يسمح لكلماته بأن تكون مسموعة عن عمد. "لم أكن أظن أن الملك يناقش الأمور المهمة حيث يُمكن لأصحاب العقول البليدة أن يسمعوه. بعض الناس تصيبيهم الأحداث العظيمة بالارتباك فلا يكون من مصلحتهم السماح لهم بمثل هذه الفرصة".

لم يبدُ على معظم الناس من حولها أنهم قد سمعوا تعليق الجيورن. نظر آيادون إلى سارين للحظة ثم أمسك بذراع الرسول وخطا مسرعًا إلى خارج الغرفة تاركًا إيشن وراءه وقد وقفت في دهشة. بينما سارين تراقب الملك وهو يغادر تحت عيني هرائن تنظران إلى عينيها وهو يبتسم ابتسامة باهتة قبل أن يولي اهتمامه من جديد إلى رفاقه.

قالت سارين وهي تشتعل غضبًا: "هل يمكنك أن تصدق هذا؟ إنه يفعل هذا عن عمد؟".

أوما شودن برأسه وقال: "كثيرًا ما ينقلب مكرنا علينا يا سيدي".

قال رويال: "إن الجيورن رجل حاذق، إن استغلال مظهر شخص ما لصالحك هو ضربة بارعة".

قال شودن: "عادة ما أجد الأمر على النقيض من هذا، من المفيد دومًا أن يكون المرء على طبيعته. كلما ازداد عدد الأقنعة التي ترتديها زاد الارتباك".

أوما رويال برأسه مبتسمًا وقال: "هذا صحيح، قد يكون مملاً، ولكنه صحيح".

لم تكن سارين منتبهة تمام الانتباه، كانت قد افترضت أنها من تتلاعب بمن حولها، ولكنها لم تُدرك قط ما خسرت بهذا التظاهر. قالت معترفة: "إن تظاهري بالسذاجة سيسبب لي المتاعب". ثم تنهدت ونظرت إلى شودن قائلة: "ولكني لا أقدر على التخلص منه، على الأقل أمام

الملك. ولكن بصراحة أشك أنه كان لينظر إليّ على أي نحو آخر بغض النظر عن الطريقة التي أتصرف بها".

قال شودن: "أنت محقة على الأرجح، إن الملك ضيق الأفق فيما يتعلق بالنساء".

عاد الملك بعد بضع لحظات بوجه متجههم، وكان من الواضح أن الأخبار التي تلقاها. أياً ما كانت. قد عكّرت مزاجه. هرب الساعي بنظرة ارتياح على وجهه، وبينما يغادر لمحت سارين شخصاً جديداً يدلّف إلى الغرفة. كان الدوق تيلري متفاخرًا كعادته وهو يرتدي ملابس زاهية حمراء وذهبية، وأصابه تلمع بالخواتم. راقبته سارين عن كثب ولكنه لم ينضم إلى الجيورن هراثن، بل وحتى لم يسلم عليه. في الواقع بدا أنه يتعمد تجاهل وجود الكاهن، وبدلاً من هذا تصرف بالتصرفات اللائقة التي يجب على المضيف أن يباشرها، بأن زار كل مجموعة من الضيوف على حدة.

وأخيراً قالت سارين: "أنت محق يا لورد رويال".

كان رويال منهمكاً في محادثة مع شودن فنظر إليها وقال: "ماذا؟".

قالت سارين وهي تومئ إلى الرجل: "الدوق تيلري، هناك شيء بينه وبين الجيورن".

قال رويال: "تيلري رجل مثير للمتعاب، لم أتمكن قط من معرفة دوافعه، في بعض الأحيان يبدو أنه لا يريد شيئاً سوى المال ليملاً به خزائنه، وفي أحيان أخرى...".

بتر جملة عندما التفت تيلري ناحية مجموعة سارين كأنما لاحظ أنهم يتفحصونه. ابتسم وهو يقترب منهم وآتارا إلى جانبه. "لورد رويال". كان صوته ناعماً ويكاد أن يكون غير مكترث. "مرحباً بك، ومرحباً بك يا سمو الأميرة. لا أعتقد أننا قد تعرفنا أحدنا على الآخر بالشكل اللائق".



قدمهما رويال بالشكل اللائق، فانحنت سارين بينما تيلري يرتشف نبيذه ويتبادل المجاملات مع رويال. كان هناك شيء من اللامبالاة حياله مثير للدهشة. في حين أن قلة من النبلاء يبالون كثيراً بالموضوعات التي يناقشونها ولكن معظمهم لديه على الأقل من اللياقة ما يجعله يبدو مهتماً. لم يبالِ تيلري حتى بالتظاهر بهذا. كانت نبرته فجأة ولكنها لم تصل مستوى الإهانة، وكان سلوكه يشي بعدم الاهتمام. وباستثناء المرة الأولى التي خاطب فيها سارين كان يتجاهلها تماماً، ومن الواضح أنه مقتنع أنها ليست ذات أهمية ملحوظة.

في نهاية المطاف تبخر الدوق مبتعداً وسارين تراقبه في انزعاج، إن كان هناك شيء واحد تمقتته فهو أن يتجاهلها أحد. وأخيراً تنهدت والتفتت إلى رفيقيها وهي تقول: "حسناً يا لورد شودن، أريد أن أختلط بالناس، إن هراثن يسبقني بأسرع، ولكن فليعني دومي إن كنت سأسمح له بالبقاء متقدماً عني".

\*\*\*

كان الوقت متأخراً، لقد أراد شودن أن ينصرف قبل ساعات، ولكن سارين كانت مصممة على المضي قدماً، أن تعرف على مئات الأشخاص، وأن تصنع علاقات بشكل غير عقلاني. جعلت شودن يعرفها على كل شخص يعرفه، وسرعان ما صارت الوجوه والأسماء ضبابية، ولكن التكرار سيجلب الألفة.

في نهاية المطاف سمحت لشودن أن يعيدها إلى القصر وهي تشعر بالرضا عن أحداث اليوم، تركها شودن وهو يودعها في تعب، وزعم أنه مسرور لأن آهان هو من عليه الدور في المرة القادمة لكي يصطحبها إلى حفلة راقصة. قال لها: "لقد استمتعت بصحبتك، ولكن لا يمكنني مجاراتك".

أحياناً ما تجد سارين أنه من الصعب عليها أن تجاري نفسها. لقد دلفت إلى القصر بخطوات متعثرة وهي تشعر بالدوار بفعل التعب والنبیذ، حتى إنها بالكاد تمكنت من إبقاء عينيها مفتوحتين.

تردد صدى صيحات عبر الردهة، عقدت سارين حاجبيها وهي تنعطف لتجد حراس الملك يسرعون في الأرجاء ويصبحون أحدهم في الآخر، فكانوا مزعجين إلى حد كبير.

سألت وهي تحاول أن تُبقي رأسها متزناً: "ما الذي يحدث؟".

قال أحد الحراس مفسراً: "شخص ما قد افتحم القصر الليلة، متسللاً عبر غرفة نوم الملك".

سألت سارين وقد أحست فجأة باليقظة: "هل تأذى أي شخص؟". لقد غادر آيادون وإيشن الحفل قبل مغادرتها هي وشودن بساعات.

قال الحارس: "حمدًا لدومي، لم يتأذى أي شخص؟". ثم التفت إلى اثنين من الجنود وقال أمراً: "خذوا الأميرة إلى غرفتها، وقفا أمام الباب لحراستها. طابت ليلتك يا سمو الأميرة، ولا تقلقي لقد رحل المقتحمون".

تنهدت سارين وهي تلاحظ صراخ الحراس وصخبهم ودروعهم وأسلحتهم التي تصدر قعقة وهم يركضون بمنهجية عبر الردهات. كانت تشك في أنها ستنال ليلة سعيدة مع مثل هذه الجليلة مهما حاولت.



## الفصل الخامس عشر

في الليل عندما تلاشى كل شيء في ظلمة لا متناهية كان هرائن قادرًا على أن يرى عظمة إيلانتريس. كانت المباني المتداعية قد تحولت إلى ظلال تحت ضوء النجوم وهي تُلقِي بعباءة من اليأس وذكريات الماضي، ذكريات مدينة صُنعت بمهارة وحرفة، مدينة كل حجر فيها يُمثل تحفة فنية عملية، ذكريات أبراج تمتد إلى السماء، كأصابع تداعب النجوم، وقباب تنتشر كتلال جليلة.

وكل هذا كان مجرد وهم، فتحت العظمة يكمن حطام من القذارة قد كُشِف عنه. كم من السهل التفاوضي عن المرطقات المطلية بالذهب، كم من السهل افتراض أن القوة الخارجية تشي بصلاح داخلي.

همس هرائن وهو يخطو فوق السور العظيم الذي يحيط بالمدينة: "فلتحملي يا إيلانتريس، فلتتذكري ما كنتِ عليه، وحاوِلي أن تُخفي خطاياكِ تحت غطاء من الظلام. غدًا ستُشرق الشمس وسينكشف كل شيء مرة أخرى".

"سيدي؟ هل قلت شيئًا؟".

التفت هرائن، وبالكاد لاحظ الحارس الذي يمر من جواره فوق السور. كان رمح الرجل الثقيل مستقرًا على كتفه، ومشمعله الخافت يكاد أن ينطفئ.

"لا، كنت أهمس لنفسي فحسب".

أوماً الحارس برأسه وهو يواصل جولاته. لقد صاروا معتادين على وجود هراثن، الذي قد زار إيلانتريس كل ليلة تقريباً طيلة هذا الأسبوع، فيقطع أسوارها وهو غارق في التفكير. رغم أنه عادة ما يكون لديه سبب إضافي لزيارة المدينة في هذا الوقت بالتحديد لكنه ببساطة يأتي إلى هنا ليختلي بنفسه وأفكاره. لم يكن واثقاً مما يجذبه إلى المدينة، جزء من الأمر كان الفضول، إنه لم يرَ إيلانتريس في أوج قوتها، ولم يستطع أن يفهم كيف يُمكن لشيء . حتى مدينة بهذه العظمة . أن يصمد بلا هواده أمام عظمة فيوردن، أولاً العسكرية، ثم الدينية.

كان يشعر بالمسئولية أيضاً تجاه البشر . أو أيّاً ما كانوا . الذين يعيشون بداخل إيلانتريس. إنه يستغلهم ويجعلهم عدوّاً يوحد به أتباعه. أحس بالذنب، لم يكن الإيلانتيون الذين رأهم شياطين، بل تعساء يعانون مرضاً شنيعاً. إنهم يستحقون الشفقة لا التحقير، ورغم ذلك سيجعلهم شياطينه لأنه يعرف أن هذه هي الطريقة الوحيدة الأسهل لتوحيد أربيلون دون تكبد الكثير من الخسائر. إن جعل الشعب ينقلب على حكومته كما فعل في دولادل فسيكون هناك موت، هذا الطريق يؤدي إلى سفك الدماء أيضاً، ولكنه يأمل أنها ستكون أقل بكثير.

قال هراثن لنفسه: يا له من عبء يجب عليّ أن أقبل به لخدمة إمبراطوريتك أيها الرب جادث. لا يهم إن كان يتصرف باسم الكنيسة، أو أنه قد أنقذ آلافاً وآلافاً من الأرواح. الدمار الذي تسبب فيه هراثن في دولادل يطحن روحه كحجر رحي. الناس الذين قد وثقوا فيه صاروا أمواتاً، ومجتمعات كاملة قد سقطت في الفوضى.

ولكن جادث يريد منا أن نضحى، ما قيمة ضمير رجل واحد عند مقارنته بمجد حُكم جادث؟ ما قيمة إحساس صغير بالذنب بينما الأمة تتوحد تحت عين جادث الحارسة؟ كان على هراثن أن يحمل ندوب ما فعله، ولكن من الأفضل أن يعاني رجل واحد على أن تستمر أمة بأسرها في المهرطقة.

أبعد هرائث عينيه عن إيلانتريس وبدلاً من هذا نظر ناحية أضواء كاي المتألثة. لقد منحه جادث فرصة أخرى، وهذه المرة سيفعل الأشياء على نحو مختلف. لن يكون هناك ثورة خطيرة، ولن يكون هناك مجزرة بسبب انقلاب طبقة اجتماعية على الأخرى. سيضغط هرائث بحذر حتى يتنحى آيادون ويحل محله رجل أكثر ملائمة. سيكون من السهل على نبلاء أريلون أن يعتنقوا الدين الصحيح، هؤلاء الذين سيعانون حقاً والذين سيكونون كبش الفداء في خطته هم الإيلانتريون.

كانت خطة جيدة، كان على يقين من أنه قادر على سحق النظام الأريلي الملكي دون أن يبذل جهداً كبيراً، فهو متصدع وضعيف بالفعل، الناس في أريلون يعانون اضطهاداً شديداً، حتى إنه سيتمكن من تشكيل حكومة جديدة بسرعة قبل حتى أن يتلقوا أبناء سقوط آيادون. لن يكون هناك ثورة، سيكون كل شيء سلساً وبدون إراقة دماء.

ما لم يرتكب خطأً، لقد زار المزارع والمدن المحيطة بكاي، وكان يعرف أن الناس يعانون ضغوطات تفوق قدرتهم على التحمل، إن منحهم فرصة كبيرة فسيثورون ويدبحون الطبقة النبيلة كلها، هذا الاحتمال جعله يشعر بالتوتر، وغالباً لأنه يعرف أنه إن حدث هذا فسيستفيد منه، إن الجيرون العقلاني بداخله سيمتطي الدمار كأنه حصان رائع، وسيستخدمه لجعل الأمة بأسرها تتبع الديانة الديرثية.

تهدد هرائث وهو يواصل سيره، كان الحراس يحافظون على هذا الجزء من ممشى السور نظيفاً، ولكنه إن ابتعد كثيراً في سيره سيصل إلى منطقة مغطاة بوسخ زيتي داكن. لم يكن يعرف على وجه اليقين ما الذي يتسبب في هذا الوسخ، ولكن بدا أنه يغطي السور بالكامل، بمجرد أن يبتعد عن منطقة البوابة المركزية.

ولكنه قبل أن يصل إلى الأوساخ لاحظ مجموعة من الرجال يقفون على ممشى السور. كانوا يرتدون عباءات رغم أن الليل لم يكن بارداً للغاية حتى يحتاج المرء إلى عباءة. ربما ظنوا أن هذه

الملابس ستجعل من الصعب تمييزهم، ولكن إن كان هذا هو الغرض فرمما كان من المفترض للدوق تيلري أن يختار ارتداء شيء مختلف عن عباءة خزامية فاخرة مرصعة بتطريز فضي.

هز هراثن رأسه مستاءً من هذه المادية. الرجال الذين يجب أن نعمل معهم من أجل تحقيق أهداف جادث...

لم يخفض الدوق تيلري غطاء رأسه ولم ينحن بالشكل اللائق مع اقتراب هراثن. ولكن هراثن لم يكن يتوقع منه أن يفعل هذا ولا ذاك بالطبع. ما فعله الدوق هو أن أوماً لحراسه لكي يبتعدوا بما يسمح لهما بالخصوصية.

خطا هراثن لكي يقف بجانب الدوق تيلري متكئاً إلى حاجز السور وهو يحدق إلى مدينة كاي. كانت الأضواء متألثة، الكثير من الناس في المدينة أثرياء حتى إن الشموع وزيت المصابيح متوفرة بغزارة. لقد زار هراثن بعض المدن الكبيرة التي تصير مظلمة مثل إبلانتريس عندما يحل الليل.

سأله تيلري: "ألن تسأل لم أردت أن ألتقي بك؟".

قال هراثن ببساطة: "أنت قد أعدت التفكير في خطتنا".

صمت تيلري وبدأ عليه أنه متفاجئ لأن هراثن قد فهمه بسهولة. ثم قال: "نعم، حسناً، إن كنت تعرف هذا بالفعل إذن فرمما أعدت التفكير بدورك".

قال هراثن: "لا، على الإطلاق، ولكن هذه الطريقة المتخفية التي أردت أن نلتقي بها قد كشفت ما تضمه".

عقد تيلري حاجبيه، كان هذا الرجل معتاداً على أن يكون مهيمناً في أي محادثة، هل هذا هو سبب تردده؟ هل أساء هراثن إليه؟ لا، بتفحص عيني تيلري أدرك هراثن أن الأمر ليس هكذا.

في البداية كان تيلري متلهفًا لأن يعقد صفقة مع فيوردن، وقد بدا بالتأكيد مستمتعًا بإقامة الحفل هذا المساء، فما الذي تغير؟

قال هرائن لنفسه: لا يُمكنني السماح بضياح هذه الفرصة. فقط لو كان لديه المزيد من الوقت، لقد تبقى أقل من ثمانين يومًا على نهاية مهلة الثلاثة أشهر. لو أنه مُنح ولو عامًا واحدًا لتمكن من العمل بمزيد من الدقة والإحكام، لسوء الحظ لم يكن لديه مثل هذه الرفاهية، وكان الهجوم الحاد باستخدام تيلري هو أفضل رهان لتغيير سلس في القيادة.

قال هرائن: "لم لا تخبرني بما يزعجك؟".

قال تيلري وهو يتخير كلماته بحرص: "أنا لست واثقًا من أنني أريد العمل مع فيوردن".

رفع هرائن حاجبًا وهو يقول: "لم تبدُ مترددًا من قبل".

نظر تيلري إلى هرائن من تحت غطاء رأسه وقد بدا في ضوء القمر الشاحب أن وحمته جزء من الظلال، وقد منحت ملامحه هالة مندرة بالخطر، أو على الأقل كانت لتمنحه هذا لو لم يفسد زيه الباهظ هذا التأثير.

قال تيلري عاقدًا حاجبيه: "لقد سمعت بعض الأشياء المثيرة للاهتمام في حفل هذا المساء أيها الجيرون، هل كنت حقًا الشخص المكلف في دولادل قبل اغتيالها؟".

قال هرائن لنفسه: آه، هذا هو الأمر إذن. قبل أن يقول: "كنتُ هناك".

قال تيلري: "وأنت هنا الآن. هل تتساءل لم قد يشعر أحد النبلاء بالقلق من هذه الأخبار؟ إن الطبقة الجمهورية الحاكمة في دولادل قد دُجحت بأسرها في تلك الثورة! وتزعم مصادري أن لك دورًا كبيرًا في هذا الأمر".

ربما هذا الرجل ليس أحق كما ظن هراثن، سيكون عليه أن يتحدث بدقة. أوماً ناحية حراس تيلري الواقفين على مسافة قصيرة عبر الممشى وسأله: "من أين حصلت على هؤلاء الجنود أيها اللورد؟".

صمت تيلري ثم قال: "ما علاقة هذا بأي شيء؟".

"فلتسايرني وحسب".

النفث تيلري لينظر إلى الجنود ثم قال: "لقد جندتم من بين حرس مدينة إيلانتريس، استأجرتهم ليكونوا حراسي الشخصيين".

أوماً هراثن برأسه وقال: "وكم عدد الحراس الذين توظفهم؟".

قال تيلري: "خمسة عشر".

"وما مقدار مهارتكم من وجهة نظرك؟".

هز تيلري كتفيه وقال: "أفترض أنها جيدة بما يكفي، لم أرهم بالفعل يقاتلون من قبل".

قال هراثن: "ربما هذا لأنهم لم يقاتلوا من قبل قط، لم يشهد أي من جنود أريلون هنا قتالاً حقيقياً من قبل".

سأله تيلري في غضب: "ما الذي ترمي إليه أيها الجيورن؟".

النفث هراثن وأوماً ناحية مركز حراسة مدينة إيلانتريس، المضاء في الأفق بمشاعل عند قاعدة السور، وقال: "كم عدد الحرس؟ خمسمئة جندي؟ ربما سبعمئة؟ إن ضمنت قوات الشرطة المحلية، والحراس الشخصيين مثل حراسك، فرما يكون هناك ألف جندي في مدينة كاي.



بالإضافة إلى فيلق اللورد إيونديل، فسيكون لديك أقل من ألف وخمسمئة جندي محترف في هذا النطاق".

سأله تيلري: "ومن ثم؟".

التفت إليه هراثن وقال: "هل تعتقد حقاً أن الويرن يحتاج إلى ثورة للسيطرة على أريلون؟".

قال تيلري: "الويرن لا يمتلك جيشاً، فيوردن لا تمتلك إلا قوات الدفاع الأساسية".

قال هراثن: "أنا لا أتحدث عن فيوردن، بل أتحدث عن الويرن، الوصي على كل الخلق، وقائد الشو-ديريث. بحقك يا لورد تيلري، دعنا نتحدث بصراحة، كم عدد الجنود في هروفل؟ في جادور؟ في سفوردن؟ في كل أمم الشرق الأخرى؟ هؤلاء الأشخاص الذين أقسموا بالولاء للديبانية الديرثية. ألا تعتقد أنهم سينتفضون تلبية لأمر من الويرن؟".

تردد تيلري.

أوما هراثن وقد رأى التفهم يتزايد في عيني الدوق، الرجل لا يعرف نصف الحقيقة، الحقيقة هي أن الويرن لم يكن بحاجة حتى إلى جيش من الأجانب لغزو أريلون، قلة من خارج الكهنوت الأعلى يُمكنهم أن يفهموا القوة الثانية التي يمتلكها الويرن تحت إمرته، ألا وهي الأديرة. لقرون كان الكهنوت الديرثي يدرّب كهنته على الحرب والاعتيال و... فنون أخرى. إن دفاعات أريلون ضعيفة للغاية حتى إن أفراد دير واحد يُمكنهم على الأرجح أن يغزوا هذا البلد. ارتجف هراثن مع فكرة أن... يتمكن الكهنة المتدربون داخل دير داخور من الوصول إلى أريلون العاجزة عن الدفاع عن نفسها. نظر إلى ذراعه، إلى المكان الذي يحمل فيه. تحت درعه المعدنية . علامات الوقت الذي قضاه هناك. ومع ذلك لم تكن هذه أشياء يُمكن أن يفسرها لتيلري.

قال هراثن بصراحة: "سيدي اللورد، أنا هنا في أريلون لأن الوبرن يُريد أن يمنح الناس فرصة الانتقال السلمي للشو-ديريث. إنه قادر على تحطيم هذا البلد إن أراد هذا، ولكنه بدلاً من هذا أرسلني إلى هنا، هدي في الوحيد هو أن أقنع شعب أريلون بالدين".

أوما تيلري برأسه ببطء.

قال هراثن: "الخطوة الأولى في إقناعهم بالدين هو الحرص على أن تكون الحكومة مؤيدة للديانة الديرينية، هذا سيتطلب تغييراً في القيادة، وسيتطلب وضع ملك جديد على العرش".

قال تيلري: "هل أعتبر هذا وعدًا منك؟".

قال هراثن: "سيكون العرش لك".

أوما تيلري برأسه، من الواضح أن هذا ما كان ينتظره، كانت وعود هراثن مبهمة من قبل، ولم يعد قادرًا على أن يتحمل هذه المراوغة. إن هذا التأكيد قد منح تيلري دليلاً شفهيًا على أن هراثن يحاول تقويض حكم آيادون، وهي مخاطرة محسوبة، ولكن هراثن بارع للغاية في مثل هذه الحسابات.

قال تيلري محذرًا: "سيكون هناك من يعارضونك".

"مثل من؟".

قال تيلري: "تلك المرأة سارين، من الواضح أنها تتظاهر بالسداجة. تقول مصادرني إنها تُبدي اهتمامًا كبيرًا بأنشطتك، وإنها كانت تسأل عنك في حفل هذه الليلة".

تفاجأ هراثن من فطنة تيلري، لقد بدا الرجل متغطرًا للغاية، وفجأً للغاية، ومع هذا كان من الواضح أن به قدرًا من الكفاءة، قد يكون هذا ميزة أو عيبًا.

قال هراثن: "لا تقلق بشأن الفتاة، فقط خذ الأموال التي نعرضها عليك وانتظر، ستحين فرصتك قريباً، هل سمعت بالأخبار التي تلقاها الملك الليلة؟".

صمت تيلري قليلاً ثم أوماً برأسه.

قال هراثن: "الأمر تسير على النحو الذي وعدتك به، الآن علينا فقط أن نتحلى بالصبر".

قال تيلري: "لا بأس". لا يزال لديه تحفظاته، ولكن منطلق هراثن بالإضافة إلى الوعد الصريح بالعرش كانا كافيين كما هو واضح. أوماً الدوق برأسه باحترام لهراثن على غير العادة، ثم لوح لحراسه وبدأ في السير مبتعداً.

قال هراثن وقد خطرت له فكرة: "دوق تيلري".

أبطأ تيلري من حركته وهو يلتفت وراءه. سأله هراثن: "هل لا يزال لدى جنودك أصدقاء من بين حرس مدينة إيلانتريس؟".

هز تيلري كتفيه وقال: "أفترض هذا".

قال له هراثن بصوت خافت لكيلا يسمعه حرس تيلري الشخصيون: "فلتضاعف أجر رجالك، وأثنِ على حرس مدينة إيلانتريس أمامهم، وامنحهم وقتاً لكي يقضوه مع رفاقهم القدامى. قد يكون... من المفيد لمستقبلك أن يكون معروفاً بين الحرس أنك رجل يكافئ هؤلاء الذين يمنحونه الولاء".

سأله تيلري بخذر: "هل ستوفر المال الإضافي الذي سأدفعه لرجالي؟".

بدا الانزعاج على هراثن، ولكنه قال: "لا بأس".

أوماً تيلري برأسه ثم مشى ليلتحق برجاله.

استدار هراثن واتكأ إلى السور لينظر من جديد إلى كاي. سيكون عليه أن ينتظر فترة قصيرة قبل أن يعود إلى السلم ويهبط. لا يزال تيلري قلقًا بشأن إعلان ولائه للديانة الديرية. ولم يكن يريد أن يراه الناس على الملأ وهو يجتمع مع هراثن. إن الرجل شديد القلق، ولكن ربما من الأفضل له أن يظهر بمظهر الرجل المتدين المحافظ في الوقت الحالي.

ما أزعج هراثن هو أن تيلري قد ذكر سارين، لسبب ما قررت الأميرة اليهودية المفعمة بالحيوية معارضة هراثن، رغم أنه لم يمنحها سببًا واضحًا لفعل هذا. كان هذا الأمر مفارقة غريبة، إنما لا تعرف هذا بعد، ولكن هراثن هو أعظم حلفائها وليس ألد أعدائها. إن شعها سيعتنق الدين بطريقة أو بأخرى، فإما أن يستجيبوا لدعوات هراثن الإنسانية، أو تسحقهم جيوش فيوردن.

يشك هراثن أنه سيكون قادرًا على إقناعها بهذه الحقيقة، لقد رأى في عينيها أنها لا تنفق فيه، وستفترض على الفور أن أيًا ما يقوله هو محض كذب. إنما تكرهه بشكل غير عقلائي، كما سيفعل أي شخص يعرف أن إيمانه أدنى منزلة. إن التعاليم الكوراثية كادت أن تُنسى في دول الشرق الكبرى، تمامًا كما سيحدث في أريلون وتيود. إن الشو-كورات ضعيفة للغاية وتفتقر إلى الحيوية، أما الشو-ديريث فتتمتع بالقوة والحيوية، كنبتين تتصارعان على نفس الأرض، الشو-ديريث ستخيق الشو-كورات.

هز هراثن رأسه وهو ينتظر فترة زمنية آمنة، وأخيرًا عاد ليمشي على طول السور باتجاه السلم الذي يهبط إلى كاي. عند وصوله سمع دويًا يتردد صدها بالأسفل، فتوقف في موضعه في دهشة، بدا الأمر وكأن بوابات المدينة قد أغلقت للتو.

أقرب هراثن من مجموعة الجنود الواقفين في حلقة من أضواء المشاعل وسألهم: "ماذا كان هذا؟"

هزّ الحراس أكتافهم ولكن أحدهم أشار إلى هيتين تمشيان عبر الباحة المظلمة بالأسفل وقال: "لا شك أنهم قد أمسكوا بشخص ما يحاول الهرب".

قطب هراثن جبينه وهو يقول: "هل يحدث هذا كثيرًا؟".

هزّ الحارس رأسه وقال: "معظمهم بلا عقل على أن يفكروا في محاولة الهرب، ولكن من وقت لآخر يحاول أحدهم أن يهرب بعيدًا، ولكننا دومًا ما نُمسك بهم".

قال هراثن: "شكرًا لكم". ثم ترك الحراس وراءه بينما يبدأ هبوطه الطويل إلى المدينة بالأسفل. عندما وصل إلى آخر الدرج وجد مبنى الحرس الرئيسي، كان قائد الحرس بالداخل، وعيناه ناعستان كأنما قد أيقظوه للتو.

سأله هراثن: "هل هناك مشكلة أيها القائد؟".

التفت قائد الحرس إليه في دهشة ثم قال: "أوه، إنه أنت أيها الجيرون. لا، لا مشكلة. إن أحد الملازمين قد فعل شيئًا لم يكن من المفترض أن يفعله".

سأله هراثن: "السماح لبعض الإيلانترين بالعودة إلى المدينة؟".

عقد قائد الحرس حاجبيه ولكنه أومأ برأسه. لقد التقى هراثن بالرجل مرات عديدة من قبل، وفي كل لقاء يُشبع جشع قائد الحرس ببعض العملات المعدنية. يكاد هذا الرجل أن يصير رجله.

قال هراثن وهو يمد يده إلى حزامه ويُخرج كيس نقوده: "يُمكّني أن أعرض عليك خيارًا مختلفًا في المرة القادمة أيها القائد".

لمعت عينا قائد الحرس عندما بدأ هراثن يُخرج الويرنيات<sup>٢٧</sup> الذهبية من كيسه، عملات معدنية محتومة برأس الويرن وولفدين.

قال هراثن وهو يضع كومة من العملات المعدنية على الطاولة: "لطالما أردت أن أدرس واحدًا من هؤلاء الإيلانترين عن كثب، لأسباب دينية. سأكون ممتنًا إن وجد الإيلان تري الذي ستقبضون عليه في المرة التالية طريقه إلى كنيسي قبل أن يُلقى من جديد إلى داخل المدينة".

قال قائد الحرس وهو يلتقط العملات المعدنية من على الطاولة بيد متلهفة: "يُمكن ترتيب هذا على الأرجح يا سيدي".

قال هراثن: "لا داعي لأن يعرف أحد بشأن الأمر بالطبع".

"بالطبع يا سيدي".

---

<sup>٢٧</sup> الويرنيات: العملة الذهبية الرسمية في فيوردن.

## الفصل السادس عشر

حاول رايبودن ذات مرة أن يُحرر آين، كان صبيًا صغيرًا في ذلك الوقت، عقله بسيط ولكن نيته نقية، كان قد تعلم عن الرق من أحد معلميه، وبشكل ما فكّر أن السيونات محتجزة رغم إرادتها. لقد ذهب إلى آين بعينين دامعتين في ذلك اليوم مطالبًا أن يقبل السيون حريته.

قال آين مجيبًا الصبي الباكي: "ولكنني حر أيها السيد الصغير".

قال رايبودن مجادلًا: "لا، لست كذلك، أنت عبد، أنت تفعل ما يأمرك الناس به".

"أنا أفعل هذا لأنني أريده يا رايبودن".

"لماذا؟ ألا تُريد أن تكون حرًا؟".

قال آين مفسرًا وهو ينبض بشكل مُطمئن: "أنا أريد أن أخدم أيها السيد الصغير، حريتي أن أكون هنا معك".

"لا أفهم".

قال السيون بصوته الحكيم المتسامح: "أنت تنظر إلى الأشياء كبشري أيها السيد الصغير، أنت ترى المرتبة والفرقة، وتحاول أن تنظم العالم لكي يكون كل شيء إما فوقك أو تحتك، بالنسبة للسيونات لا يوجد أعلى وأسفل، هناك فقط من نحبهم، ونحن نخدم من نحبهم".

أجابه رايبودن في سخط: "ولكنك لا تتلقى أجرًا!".

"بل أتلقى أجرًا أيها السيد الصغير، إن أجري هو فخر الأب وحب الأم، إن راتي هو الإحساس بالرضا وأنا أراك تكبر".

لم يفهم رايودن هذه الكلمات إلا بعد سنوات عديدة، لكنها لطالما بقيت في عقله. بينما رايودن يكبر ويتعلم ويُصغى إلى المواعظ الكورائية التي لا تُحصى حول قوة الحب الموحّدة، صار يرى السيونات بطريقة مختلفة، ليس كخدم أو حتى كأصدقاء، بل كشيء أعمق وأقوى. أحس كأن السيونات هي تعبير عن دومي نفسه، انعكاس لحبة الإله لشعبه. ورغم أنهم يخدمون كانوا أقرب إلى السماء مما يمكن أن يفهمه من يُفترض أنهم سادتهم.

ابتسم رايودن ابتسامة شاحبة بينما يُشاهد آين يطفو ويتمايل ثم قال: "أنت حر أخيرًا يا صديقي". منذ الشايود لم يعد قادرًا على أن ينال من السيون أكثر من بضيص يشي بأنه قد تعرف عليه، رغم أن آين بدا أنه يبقى عمومًا بالقرب من رايودن.

قال رايودن مخاطبًا جالادون الجالس على مقربة منه: "أعتقد أنني أعرف ما خطبه". كان على سطح مبنى على مسافة بضع مبانٍ من الكنيسة، بعد أن طردهما كاهار من مجلسهما المعتاد معتذرًا. كان الرجل العجوز ينظف بحماس في الأيام التي تلت وصوله، وقد جاء وقت الصقل النهائي. باكراً هذا الصباح ألقى بهم جميعًا إلى الخارج في أسف وإلحاح لكي يتمكن من إنهاء عمله.

رفع جالادون عينيه عن كتابه وقال: "من؟ السيون؟".

أوما رايودن برأسه مستلقيًا على بطنه بالقرب من حافة ما كان ذات يوم سور حديقة وهو يراقب آين قبل أن يقول: "إن آيونه ليس مكتملاً".

قال جالادون مفكرًا: "آين، هذا يعني الشفاء، كولو؟".



"هذا صحيح، باستثناء أن آيونه لم يعد مكتماً، هناك تكسرات صغيرة في خطوطه، ويقع باهتة في لونه".

تنهد جالادون ولكنه لم يقل شيئاً، فهو لم يكن مهتماً بالأيونات أو السيونات مثل رايودن. راح رايودن يُراقب آين للحظات أخرى، ثم عاد من جديد إلى دراسة كتاب الأيوندور. لم يقرأ منه جزءاً كبيراً قبل أن يطرح جالادون موضوعاً جديداً.

سأله الرجل الدولادي متأملاً: "ما أكثر شيء تفتقده يا سول؟".

"أكثر شيء أفتقده؟ أعني بالخارج؟".

قال جالادون: "كولو، ما هو الشيء الذي ستجلبه إلى إيلانتريس إن استطعت؟".

قال رايودن: "لا أعرف، سأحتاج إلى التفكير في الأمر، ماذا عنك؟".

قال جالادون وقد بدا غارقاً في ذكرياته: "بيتي، لقد بنيتُه بنفسِي يا سول، قطعت كل شجرة، وصنعت كل لوح، ودققت كل مسمار. لقد كان جميلاً، لا يمكن لقصر أو قلعة أن يضاهيا ما يصنعه المرء بيديه".

أوما رايودن برأسه وهو يتخيل البيت. ما الذي كان يمتلكه ويفتقده بشدة؟ كان ابن ملك، وبالتالي كان له الكثير من الممتلكات، ولكن الإجابة التي خطرت على باله فاجأته.

قال: "الخطابات، سأجلب كومة من الخطابات".

"الخطابات يا سول؟". كان من الواضح أنه لم يكن يتوقع هذه الإجابة. "من؟".

"من فتاة".

ضحك جالادون وقال: "امرأة يا سول، لم أكن أعتقد أنك من النوع الرومانسي".

"كوبي لا أتصرف بشكل درامي مثل شخصية من إحدى رواياتكم الدولادية الرومانسية فهذا لا يعني أنني لا أفكر في مثل هذه الأشياء".

رفع جالادون يديه وقال بنبرة دفاعية: "على رسلك يا سول، أنا مندهش فحسب. من كانت هذه الفتاة؟".

"كان من المفترض أن أتزوجها".

"لا شك أنها كانت امرأة استثنائية".

واقفه رايبودن قائلاً: "لا شك في هذا، أتمنى لو أنني التقيت بها".

"لم تلتقيا قط؟".

هز رايبودن رأسه وقال: "هذا هو سبب تبادلنا للخطابات يا صديقي. كانت تعيش في تيود، في الحقيقة كانت ابنة الملك. بدأت في إرسال الخطابات لي قبل عام تقريبًا. كانت تكتب ببراعة، تحيك كلما تمها بفطنة، حتى إنني لا أستطيع منع نفسي من الرد. لقد تبادلنا الخطابات لمدة خمسة أشهر قبل أن تعرض عليّ الزواج".

سأله جالادون: "هي من عرض عليك الزواج؟".

ابتسم رايبودن وقال: "بلا خجل، كان هناك دافع سياسي وراء الأمر بالطبع، أرادت سارين تحقيق اتحاد قوي بين تيود وأريلون".

"وأنت قبلت؟".

"كانت فرصة جيدة، فمنذ اليبود كانت تيود بمعزل عن أرييلون، كما أن هذه الخطابات كانت تجعلني أشعر بالنشوة. هذا العام الأخير كان... صعبًا. يبدو أن أبي مصمم على أن يودي

بأربيلون إلى الخراب، وهو رجل لا يتحلى بالصبر مع من يُخالفه الرأي. ولكن كلما بدا لي أن أعباتي أكبر من قدرتي على التحمل كنت أتلقى خطابًا من سارين. إن لديها سيون أيضًا، وبعد عقد الخطبة رسميًا بدأنا نتحدث بانتظام. كانت تتصل في المساء فينسب صوتها من آين ليأسري، أحيانًا ما كنا نترك الرابط متصلًا لساعات".

قال جالادون ساخرًا: "ما الذي قلته عن كونك لا تتصرف كشخصية من رواية رومانسية؟".

تنهد رايودن ثم أولى اهتمامه من جديد إلى كتابه وهو يقول: "ها قد أجبته، إن كان بمقدوري أن أنال أي شيء فأنا أريد هذه الخطابات. كنت متحمسًا حقًا لهذا الزواج، حتى لو كان هذا التحالف هو مجرد رد فعل على الغزو الديرشي لدولادل".

خيم الصمت.

وأخيرًا سأله جالادون بصوت خافت: "ما الذي قلته يا رايودن؟".

"ماذا؟ هل تقصد الخطابات؟".

"لا، أقصد دولادل".

صمت رايودن، لقد زعم جالادون أنه قد دخل إيلانتريس قبل بضعة أشهر، ولكن الدولادين معروفون أنهم لا يقدرون الأمور حق قدرها، لقد سقطت الجمهورية الدولية قبل أكثر من ستة أشهر مضت. قال رايودن: "لقد افترضت أنك تعرف".

سأله جالادون: "أعرف ماذا يا سول؟ افترضت أنني أعرف ماذا؟".

قال رايودن بصوت مليء بالتعاطف: "أنا آسف يا جالادون". ثم التفت وهو يعتدل في جلسته قبل أن يقول: "لقد انحارت الجمهورية الدولية".

شهب جالادون ثم قال بعينين متسعيتين: "مستحيل".

أومأ رايودن برأسه ثم قال: "كان هناك ثورة مثل تلك التي حدثت في أريلون قبل عشر سنوات، ولكنها كانت أكثر عنفًا، لقد دمرت الطبقة الجمهورية بالكامل وأقيمت الملكية".

"مستحيل، كانت الجمهورية قوية... كنا جميعًا نؤمن بما كثيرًا".

قال رايودن: "هناك أشياء قد تغيرت يا صديقي". ثم اعتدل واقفًا ومشى ليضع يده على كتف جالادون.

قال جالادون: "لا أصدق أن هذا قد حدث للجمهورية، كنا جميعًا نختار من يحكمنا يا سول، فلم يثورون في وجه هذا؟".

هز رايودن رأسه وقال: "لا أعرف، لم تصلنا الكثير من المعلومات، كان وقت من الفوضى في دولادل، ولهذا تمكن كهنة فيوردن من التدخل والاستيلاء على السلطة".

رفع جالادون عينيه وقال: "هذا يعني أن أريلون في ورطة، لقد كنا دومًا هناك لنُبقي الديرينيين بعيدًا عن حدودكم".

"أدرك هذا".

سأله: "ما الذي حدث للجسكرية؟ ديانتني، ما الذي حدث لها؟".

اكتفى رايودن بأن هز رأسه.

"لا شك أنك تعرف شيئًا ما!".

قال رايودن بصوت يملأه الأسف: "الشو-ديرث هي الديانة الرسمية في دولادل الآن".

أطرق جالادون بعينيه وهو يقول: "لقد ضاعت إذن".

قال رايودن في محاولة ضعيفة للمواساة: "لا يزال هناك الباطنية".

عقد جالادون حاجبيه وقال بعينين صارمتين: "الباطنية ليست هي ذاتها الجسكرية يا سول، إنها مجرد محاكاة ساخرة للأشياء المقدسة، مجرد تحريف، وحدهم الغرياء الذين لا يفهمون الدور<sup>٢٨</sup> حق فهمه يمارسون الباطنية".

رفع رايودن يده من على كتف الرجل الحزين وهو لا يعرف كيف يواسيه. قال مرة أخرى وهو يشعر بالعجز: "ظننت أنك تعرف".

أكتفى جالادون بأن تهده وهو يحدق بشرود بعينين يملأهما الأسى.

\*\*\*

ترك رايودن جالادون على السطح، فقد أراد الدولادي الضخم أن ينفرد بجذنه. لم يكن رايودن يعرف ما يجب أن يفعله فعاد إلى الكنيسة مشتتًا بأفكاره، ولكنه لم يبق على هذا الحال لوقت طويل.

صاح رايودن وهو يتلفت حوله في انبهار: "هذا جميل يا كاهار".

رفع العجوز عينيه عن الركن الذي ينظفه، وقد ارتسم على وجهه فخر عميق. كانت الكنيسة خاوية من الأوحال، وكل ما تبقى هو رخام نظيف بلون رمادي يميل للأبيض. كانت أشعة الشمس تندفق عبر النوافذ الغربية لتنعكس على الأرضية اللامعة وتضيء الكنيسة بأسرها بنور سماوي. كانت النقوش تغطي كل سطح تقريبًا، بعمق نصف بوصة فحسب، لذا كانت تفاصيل المنحوتات ضائعة في الوحل من قبل. مرر رايودن أصابعه على إحدى التحف الصغيرة، التعبيرات المرتمسة على وجوه الناس بتفاصيل دقيقة فبدت كأنها تنبض بالحياة.

---

<sup>٢٨</sup> الدور: مصدر كل الطاقة الروحانية في كوكب سيل.

همس قائلاً: "إنها مذهلة".

قال كاهار وهو يقف إلى جانب رابودن: "لم أكن أعرف حتى أنها موجودة يا سيدي، لم أرها حتى بدأت التنظيف، ثم اختفت في الظلال حتى انتهيت من الأرضية. الرخام أملس للغاية، حتى يكاد أن يكون مرآة، والنوافذ قد وضعت بشكل ملائم، بما يسمح بانعكاس الضوء".

"وهذه النقوش تمتد في القاعة بأسرها؟".

"أجل يا سيدي، وهذا ليس المبنى الوحيد الذي يحتوي على النقوش، سيقابلك جداراً أو قطعة أثاث مغطاة بالنقوش، هذا على الأرجح كان شأنًا في إيلانتريس قبل الريود".

أوما رابودن برأسه وقال: "كانت مدينة الآلهة يا كاهار".

ابتسم الرجل العجوز، كانت يده سوداوين بفعل الوحل، ويتدلى من حزامه بعض القطع القماشية المخصصة للتنظيف، ولكنه كان سعيداً.

سأله في لهفة: "ما الذي يجب عليّ أن أفعله بعد هذا يا سيدي؟".

فكّر رابودن في الأمر بسرعة، لقد هاجم كاهار أوساخ الكنيسة بنفس السخط المقدس الذي قد يستخدمه كاهن لحق خطيئة، ولأول مرة منذ أشهر، وربما منذ سنوات، يكون هناك حاجة لكاهار.

قال رابودن: "إن قومنا بدأوا العيش في المباني المجاورة يا كاهار. ما فائدة كل هذا التنظيف الذي نظفته هنا، إن كانوا سيجلبون الوحل في أعقابهم في كل مرة نلتقي فيها؟".

أوما كاهار برأسه مفكراً ثم تتمم: "إن أحجار الرصف هي المشكلة، إن هذا مشروع كبير يا سيدي". ولكن لم يكن هناك أي تهيب في عينيه.

واقفه را يودن قاتلاً: "أعرف، ولكنها حاجة ماسة، إن الناس الذين يعيشون في قدارة سي شعرون أنهم حثالة، إن كنا نريد أن نحسّن نظرتنا إلى أنفسنا فنحتاج إلى أن نكون نظيفين، هل يمكنك أن تفعل هذا؟".

"أجل يا سيدي".

"رائع، سأكلف بعض العمال بمساعدتك لتسريع وتيرة العمل". لقد نمت فرقة را يودن كثيراً على مدار الأيام القليلة الماضية، بعدما سمع سكان إيلانتريس باتحاد كاراتا معه. العديد من الإيلانترين العشوائيين الأشبه بالأشباح الذين يجوبون شوارع إيلانتريس بمفردهم بدأوا يشقون طريقهم إلى فرقة را يودن، باحثين عن الرفقة، كمحاولة أخيرة يائسة لتجنب الجنون.

استدار كاهار لكي يرحل، ووجهه المتغضن يتلفت ناظرًا إلى الكنيسة مرة أخيرة، وهو يشعر بالإعجاب والرضا.

ناداه را يودن: "كاهار".

"أجل يا سيدي؟".

"هل عرفت الآن ما هو السر؟".

ابتسم كاهار وقال: "لم أشعر بالجوع منذ أيام يا سيدي، هذا أفضل شعور في العالم، لم أعد حتى ألاحظ الألم".

أوما را يودن برأسه فغادر كاهار. لقد جاء الرجل يبحث عن حل سحري لمشكلاته، ولكنه وجد إجابة أبسط بكثير، لقد فقد الألم سطوته عندما صارت الأشياء الأخرى أكثر أهمية. لم يعد كاهار بحاجة إلى شراب سحري أو آيون لإنقاذه، إنه فقط بحاجة إلى شيء ليفعله.

خطا رايبودن عبر الحجره المتوهجه وهو يشعر بالإعجاب تجاه المنحوتات المختلفه، ولكنه توقف عندما وصل إلى نهاية نقش معين، كان الحجر فارغاً في قطاع صغير منه، وسطحه الأبيض قد صقلته يد كاهار بعناية. في الواقع كان نظيفاً للغاية حتى إن رايبودن استطاع رؤية انعكاس صورته.

أحس بالذهول، لم يكن قادراً على أن يتعرف على الوجه الذي يحدق إليه. لقد تساءل لم لم يتعرف عليه إلا قلة من الناس، لقد كان أمير أريلون ووجه معروف حتى في كثير من المزارع الخارجيه. لقد افترض أن الإيلانترين ببساطه لا يتوقعون أن يروا أميراً في إيلانتريس، لذا لم يفكروا في أن يربطوا بين سبيريت ورايبودن، ولكنه الآن بعد أن رأى التغييرات في وجهه أدرك أن هناك سبباً آخر لعدم تعرف الناس عليه.

كان هناك إشارات في ملامحه، دلائل على ما قد كان، ولكن التغييرات كانت جذريه. لم يمر سوى أسبوعين، ولكن شعره قد تساقط بالفعل. كان لديه البقع السوداء المعتاده التي تميز الإيلانترين، ولكن حتى الأجزاء التي كانت بلون الجلد قبل أسابيع قليلة قد تحولت إلى لون رمادي شاحب. كان جلده متفصلاً وخصوصاً من حول شفثيه، وقد بدأت عيناه تتخذان مظهرًا غائراً.

ذات يوم قبل تحوله هذا كان يتخيل الإيلانترين كجنث حيه، بلحم متعفن وممزق. لم تكن هذه هي الحقيقه، فالإيلانتريون يحتفظون بلحمهم، ومعظم هبتتهم، على الرغم من تفضن بشرتهم واكتساجها لونهاً داكناً. كانوا أشبه بقشور ذابله أكثر من كونهم جنثاً متحلله. لم يكن التحول جذرياً بالقدر الذي كان يتخيله ورغم هذا أحس بالصدمة لرؤيته في نفسه.

سأله جالادون من عند المدخل: "نحن أناس بانسون، أليس كذلك؟".



نظر إليه رايبودن ثم ابتسم مشجعاً وقال: "ليس بقدر السوء الذي يُمكننا أن نكون عليه يا صديقي، يمكنني أن أعتاد هذه التغيرات".

تنهد جالادون وهو يخطو إلى الكنيسة ثم قال: "إن عامل النظافة الذي وظفته قد أبلى حسناً يا سول، هذا المكان يكاد أن يبدو خاليًا من الريبود".

"الأجمل يا صديقي هو الطريقة التي تحرر بها الرجل وهو ينظف المكان".

أوماً جالادون برأسه وهو يقف إلى جانب رايبودن أمام الجدار ناظرًا إلى الطاقم الكبير من الأشخاص الذين ينظفون منطقة حديقة الكنيسة. "إنهم يأتون في جماعات، أليس كذلك يا سول؟".

"لقد سمعوا أننا نمنح شيئًا أفضل من الحياة في الأزقة، لم يعد علينا حتى أن نراقب البوابة، فكاراتا تجلب لنا كل من يمكنها إنقاذه".

سأله جالادون: "كيف تنوي أن تقيهم جميعًا مشغولين؟ هذه الحديقة كبيرة وتكاد أن تكون نظيفة تمامًا".

"إيلانتريس مدينة شاسعة يا صديقي، سنجد أشياء تقيهم مشغولين".

بنظرة مبهمة راقب جالادون الناس وهم يعملون، وبدا أنه قد تغلب على حزنه مؤقتًا على الأقل.

قال رايبودن: "بالحديث عن المهام لذي شيء أريد منك أن تفعله".

"شيء ليشغل عقلي عن الألم يا سول؟".

"يُمكنك أن تفكر في الأمر على هذا النحو، ولكن هذا المشروع أهم قليلاً من إزالة الأوحال".  
أشار رايودن جلالدون أن يلحق به وهو يمشي عائداً إلى ركن الحجر، قبل أن ينتزع حجراً من  
الجدار، ثم مد يده إلى الداخل وجذب دزينة من أكياس الذرة الصغيرة ثم قال: "من وجهة  
نظرك كمزارع، ما مدى جودة هذه البذور؟".

أمسك جلالدون حبة ذرة باهتمام، وقلّبها في يده بضع مرات مختبراً لوّما وصلابتها، ثم قال:  
"ليست سيئة، ليست أفضل ما رأيته ولكنها ليست سيئة".

"لقد اقترب موسم الزراعة، أليس كذلك؟".

"بالنظر إلى مدى دفء الطقس مؤخراً أقول إننا في موسم الزراعة بالفعل".

قال رايودن: "رائع، هذه الذرة لن تصمد طويلاً في هذه الفجوة، وأنا لا أتق في تركها بالعراء".  
هز جلالدون رأسه وقال: "هذا لن ينجح يا سول، الزراعة تستغرق وقتاً قبل أن نجني ثمارها،  
هؤلاء الناس سينتزعون أول براعم يروّنها ليأكلوها".

قال رايودن وهو يقلّب بعض حبّات الذرة في يده: "لا أعتقد هذا، لقد تغيرت عقولهم يا  
جلالدون، فهم يرون أنهم لم يعودوا مضطرين للعيش كالحوانات".

قال جلالدون مجادلاً: "لا توجد مساحة كافية من أجل محصول كافٍ، ستكون مساحة حديقة  
أو أكبر قليلاً".

"إنها مساحة كافية لزراعة هذه الكمية القليلة، في العام المقبل سيكون لدينا المزيد من الذرة،  
وبعدها يُمكننا أن نقلق بشأن المساحة. سمعت أن حدائق القصر كانت كبيرة إلى حد ما، ربما  
يُمكننا استغلالها".

هزّ جالادون رأسه وقال: "المشكلة في هذه الجملة هي الجزء المتعلق ب العام القادم، لن يكون هناك عام قادم، كولو؟ الناس في إيلانتريس لا يصمدون هذه الفترة الطويلة".

قال رابودن: "إيلانتريس ستتغير، وإن لم تتغير فإن هؤلاء الذين سيأتون هنا من بعدنا سيزرعون الموسم القادم".

"ما زلت أشك أن هذا سينجح".

قال رابودن مبتسمًا: "كنت لتشك أن الشمس ستشرق لو لم يثبت أنك مخطئ كل يوم، فلتمنح الأمر فرصة فحسب".

تنهد جالادون وقال: "حسنًا يا سول، أفترض أن الثلاثين يومًا التي منحتها لك لم تنته بعد".

ابتسم رابودن وهو يمرر الذرة إلى صديقه، قبل أن يضع يده على كتفه ويقول: "تذكر أن الماضي لا يجب أن يصير مستقبلاً أيضًا".

أوما جالادون برأسه وهو يعيد الذرة إلى مخبئها، ثم قال: "لن نحتاج إلى هذا لبضعة أيام أخرى، سأفكر في طريقة لحرث هذه الحديقة".

"لورد سيريت". ناداه صوت سايبولين بخفوت من الأعلى، حيث صنع لنفسه برج مراقبة مؤقتًا. "شخص ما قادم".

اعتدل رابودن واقفًا، وفي عجلة أعاد جالادون الحجر إلى موضعه. بعد لحظة اندفع أحد رجال كاراتا إلى الحجرة.

قال الرجل: "إن السيدة كاراتا ترجو حضورك على الفور يا سيدي".

\*\*\*

قالت كاراتا بمجدة: "هل أنت أحمق يا داش؟".

ولكن داش . الرجل الضخم مفتول العضلات الذي يليها في القيادة . استمر ببساطة في ربط أسلحته.

وقف رابودن وجالادون في حيرة مرتبكين عند مدخل القصر، فقد بدا أن ما لا يقل عن عشرة رجال عند المدخل . ثلثي أتباع كاراتا . يستعدون من أجل معركة.

أجابها داش بفظاظة: "يمكنك أن تواصلني الحلم مع صديقك الجديد يا كاراتا، ولكنني لن أنتظر أكثر من هذا، لا سيما وأن هذا الرجل يهدد الأطفال".

اقترب رابودن ببطء من المحادثة قبل أن يتوقف بجانب الرجل المتوتر نحيل الأطراف الذي يُدعى هورين. كان هورين من النوع الذي يتجنب الصراع، وحمّن رابودن أنه يقف على الحياد في هذا الجدل.

سأله رابودن بصوت خافت: "ما الذي حدث؟".

همس هورين وهو يراقب بحذر قائديه يتجادلان: "أحد مستطلي داش سمع آندين يُخطط للهجوم على القصر هذه الليلة، كان داش يُريد الهجوم على آندين طيلة الأشهر الماضية، وكانت هذه هي الذريعة التي يحتاج إليها".

قالت كاراتا محذرة: "أنت تقود رجالك إلى ما هو أسوأ من الموت يا داش، إن رجال آندين يفوقونكم عددًا".

أجابها داش وهو يغمد سيفًا صدأً: "ليس لديه أسلحة، لم تكن الجامعة تحتوي إلا على الكتب، وقد أكلها بالفعل".

قالت كاراتا: "فلتفكر فيما ستفعله".

التفت إليها داش وقد بدت الصراحة مرتسمة على وجهه العريض وهو يقول: "لقد فكرت يا كاراتا، آندين رجل مجنون، ولا يُمكننا أن نرتاح بينما يُشاركنا حدودنا، إن هجمنا بغتة فيمكننا حينها أن نوقفه إلى الأبد، وحينها فقط سيكون الأطفال آمنين".

وما إن قال داش هذا حتى التفت إلى مجموعته الواجمة ممن يُفترض بهم أن يصيروا جنودًا وأومأ برأسه. تحركت المجموعة خارجة من الباب بخطوات واثقة.

التفتت كاراتا إلى رايودن وعلى وجهها مزيج من الإحباط وألم الخيانة، ثم قالت: "هذا أسوأ من الانتحار يا سيريت".

قال رايودن: "أعرف، عددنا قليل للغاية ولا يُمكننا تحمل خسارة رجل واحد، ولا حتى هؤلاء الذين يتبعون آندين، يجب علينا أن نوقف هذا الأمر".

قالت كاراتا وهي تميل متكنة إلى الجدار: "لقد رحل بالفعل، أنا أعرف داش جيدًا، لا يوجد شيء يُمكنه أن يوقف هذا الأمر".

"أرفض أن أقبل هذا يا كاراتا".

\*\*\*

"ما الذي تخطط له بحق الدولوكين؟ إن كنت لا تُمانع سُؤالي يا سول".

كان رايودن يهرول إلى جانب جالادون وكاراتا وبالكاد يُمكنه مجاراتهما. قال معترفًا: "ليس لدي أدنى فكرة، ما زلت أعمل على هذا الجزء".

تمتم جالادون: "هذا ما تخمنته".

تساءل رايودن: "ما المسار الذي سيسلكه داش يا كاراتا؟".

"هناك مبنى يواجه الجامعة، إن جداره البعيد قد انهار منذ وقت طويل، وبعض الأحجار المتساقطة أحدثت ثقبًا في جدار الجامعة المتناخم له. أنا واثقة من أن داش سيحاول الدخول بهذه الطريقة وهو يفترض أن آندين لا يعرف شيئًا عن هذه الفجوة".

قال رابودن: "خذينا إلى هناك، ولكن اسلكي مسارًا مختلفًا، لا أريد أن أصطدم بداش".

أومات كاراتا برأسها وهي تقنادهما عبر شارع جانبي. كان المبنى الذي ذكرته بناءً خفيضًا من طابق واحد، كان أحد الجدران مبنياً على مقربة شديدة من الجامعة حتى إن رابودن كان في حيرة من أمره وهو يحاول أن يخمن ما الذي كان المهندس المعماري يفكر فيه. كان المبنى قد تداعى مع مرور السنوات رغم أنه لا يزال يمتلك سقفًا، ولكنه كان يتدلى بفضاعة. وقد بدا المبنى كله على حافة الانهيار.

اقتربوا في تخوف وأطلوا برؤوسهم عبر المدخل. كان المبنى من الداخل عبارة عن مساحة مفتوحة وقفوا بالقرب من مركز البناء المستطيل، والجدار المتداعي على مسافة قصيرة على يسارهم، ومدخل آخر على مسافة قصيرة إلى يمينهم.

سبَّ جالادون بصوت خافت وقال: "لا أتق في هذا المكان".

قال رابودن: "ولا أنا".

قال جالادون: "لا، الأمر أكثر من هذا يا سول، انظر". كان يشير إلى الدعامات الداخلية، وعندما أمعن رابودن النظر أدرك أن هناك آثار قطع حديثة العهد في الخشب المتهالك. "هناك من أفسد الدعامات عن عمد لكي ينهار هذا المكان بالكامل".

أوما رابودن برأسه وقال: "يبدو لي أن آندين أكثر اطلاعًا مما يفترض داش، ربما سيلاحظ داش الخطر ويستخدم مدخلًا مختلفًا".

هزّت كاراتا رأسها على الفور وقالت: "إن داش رجل صالح ولكنه ضيق الأفق، سيُسرع مباشرة عبر هذا المبنى دون أن يُبالي بالنظر لأعلى".

سبّ رابودن ثم جثا على ركبتيه بالقرب من إطار الباب ليفكر. سرعان ما نفذ منه الوقت عندما سمع أصواتًا تقترب، وبعد لحظة ظهر داش عند المدخل على الجانب البعيد إلى يمين رابودن.

كان رابودن في منتصف الطريق ما بين داش والجدار المنهار، فأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يصيح: "توقف يا داش! إنه فخ، هذا المبنى على وشك أن ينهار بفعل فاعل!".

توقف داش، وقد دلف نصف رجاله إلى المبنى بالفعل. كان هناك صرخة تحذير من جانب القاعة ناحية الجامعة، ثم ظهر مجموعة رجال من وراء الأتقاض، وأحدهم يحمل وجه آندين المألوف ذا الشارب، ممسكًا بفأس بالية في يديه. قفز آندين إلى القاعة وهو يصرخ في تحدٍّ ثم رفع الفأس ناحية عمود الدعامة.

صرخ رابودن: "توقف يا تان!".

تجمدت يدا آندين وهو يلوح بالفأس مصدومًا لسماع اسمه الحقيقي. كان نصف شاربه المزيف متدليًا ويهدد بسقوطه.

قال داش محذرًا وهو يتراجع برجاله إلى خارج القاعة: "لا تحاول التفاهم معه، إنه مجنون".

قال رابودن وهو يتفحص عيني آندين: "لا، لا أعتقد هذا، هذا الرجل ليس مجنونًا، إنه مرتبك فحسب".

رمش آندين بعينيه بضع مرات وبيده تزدادان توترًا على مقبض الفأس. راح رابودن يبحث عن حل في يأس حتى وقعت عيناه على بقايا الطاولة الحجرية الكبيرة بالقرب من منتصف القاعة.

جزءاً را يودن على أسنانه وهو يتمم بصلاة صامتة إلى دومي، ثم اعتدل واقفاً ومشى إلى داخل المبنى.

من ورائه شهقت كاراتا وسب جالادون، بينما السقف يئن أنيئاً يُنذر بالخطر.

نظر را يودن إلى آندين الذي يقف بفأسه مستعداً للتلويح به. تتبععت عيناه را يودن حتى منتصف القاعة.

"أنا محق، أليس كذلك؟ أنت لست مجنوناً. لقد سمعت أنك تهذي بجنون في بلاطك ولكن يُمكن لأي شخص أن يهذي. إن المجنون لن يفكر في غلي الأوراق من أجل الطعام، والمجنون لا يمتلك البصيرة الكافية لأن يخطط لنصب فخ".

وأخيراً قال آندين: "أنا لست تان، أنا آندين بارون إيلانتريس!".

قال را يودن: "كما تشاء". ثم أمسك ببقايا كُمه ومسح سطح الطاولة المتداعية قبل أن يقول: "رغم أنني لا أستطيع أن أتخيل لم تُفضل أن تكون آندين على أن تكون تان، فهذه إيلانتريس على كل حال".

قال آندين بحدة: "أعرف هذا!".

بغض النظر عما قاله را يودن فهذا الرجل لم يكن متزناً تماماً، قد تهوي الفأس في أي لحظة.

سأله را يودن: "هل تعرف حقاً؟ هل تفهم ما يعنيه العيش في إيلانتريس مدينة الآلهة؟". التفت إلى الطاولة وهو لا يزال يمسخها، قبل أن يعود بنظره إلى آندين ويقول: "إيلانتريس، مدينة الجمال، مدينة الفن... ومدينة النحت". تراجع ليكشف عن الطاولة التي صارت نظيفة، كانت مغطاة بنقوش معقدة كجدران الكنيسة.

فتح آندين عينيه على اتساعهما وهو يخفض يده بالفأس.



قال رايبودن: "هذه المدينة هي حلم أي نحات يا تان. كم عدد الفنانين الذين سمعتمهم يتدمرون بالخارج عن جمال إيلانتريس المفقود؟ هذه المباني هي آثار مدهشة لفن النحت. أريد أن أعرف من الذي ستقابله هذه الفرصة ويختار أن يكون آندين البارون بدلاً من تان النحات؟".

أصدرت الفأس قعقة وهي ترتطم بالأرض وقد ارتسم الدهول على وجه آندين.

قال رايبودن بصوت خافت: "انظر إلى الجدار المجاور لك يا تان".

التفت الرجل ومرر أصابعه على النقش المخفي في الوحل، رفع كُمّه وارتجفت ذراعه وهو يزيل الوحل، قبل أن يهمس: "بحق دومي الرحيم، إنه جميل".

قال رايبودن: "فلفكر في هذه الفرصة يا تان، أنت وحدك من بين كل النحاتين في العالم من يمكنه أن يرى إيلانتريس، أنت وحدك من يمكنه أن يختبر جمالها ويتعلم من سادتها، أنت أكثر الرجال حظاً في أوبيلون".

انتزع شاربه بيد مرتجفة وقتم قائلاً: "وأنا من كنت سأدمره، كنت سأهدمه...".

ما إن قال آندين هذا حتى أحنى رأسه وانهار متكوماً على الأرض وهو يبكي. تنفس رايبودن الصعداء، ثم لاحظ أن الخطر لم ينته بعد. كانت فرقة آندين مسلحة بالأحجار والقضبان الفولاذية. دلف داش ورجاله إلى القاعة مرة أخرى مقتنعين أنها لن تنهار عليهم في أي وقت قريب.

وقف رايبودن بين المجموعتين مباشرة ثم قال أمراً وهو يرفع ذراعاً تجاه كل مجموعة: "توقفوا!". فتوقفوا ولكن في حذر.

سأهم رايبودن: "ما الذي تفعلونه أيها القوم؟ ألم تتعلموا شيئاً مما أدركه تان؟".

قال داش محذراً وهو يُشهر سيفه: "تنحّ جانباً يا سبيريت".

قال رايودن: "لن أفعل! لقد طرحت عليكم سؤالاً، ألم تتعلموا شيئاً مما حدث للتو؟".

قال داش: "نحن لسنا نحأتين".

أجابه رايودن: "ليس هذا هو المهم، هل تفهم الفرصة التي يمنحها لك عيشك في إيلانتريس؟ لدينا فرصة هنا لا يُمكن أن يحظى بها أي شخص بالخارج، نحن أحرار".

قال أحد الرجال من مجموعة آندين ساخرًا: "أحرار؟".

قال رايودن: "أجل أحرار، لطالما كافح الإنسان لكي يملأ فمه فحسب، الغذاء هو المسعى اليائس للمرء، الفكرة الأولى والأخيرة في العقول المادية. قبل أن يحلم الإنسان يجب أن يأكل، وقبل أن يجب أن يملأ معدته، ولكننا مختلفون، مقابل القليل من الجوع يُمكننا أن نتحرر من الروابط التي تقيد جميع الأحياء منذ بداية الزمان".

انخفضت الأسلحة قليلاً، لكن رايودن لم يكن متيقناً إن كانوا يفكرون في كلماته أم يشعرون بالارتباك حيالها.

سأهم رايودن: "لم نقاتل؟ لم نقلق بشأن القتل؟ بالخارج يتقاتلون من أجل الثروة؛ الثروة التي تُستخدم في النهاية لشراء الطعام، يتقاتلون من أجل الأرض؛ الأرض لزراعة الطعام، الأكل هو مصدر كل صراع، ولكننا ليس لدينا أي احتياجات، أجسامنا باردة وبالكداح نحتاج إلى أي ثياب أو مأوى لتدفئتنا، ويُمكنها المواصلة دون حتى أن نتناول طعاماً. هذا مذهش!". كانت كل مجموعة لا تزال تنظر إلى الأخرى بجد، إن الجدال الفلسفي لا يُضاهي رؤية أعدائهم.

قال رايودن: "هذه الأسلحة في أيديكم، إنما تنتمي إلى العالم الخارجي، ليس لها أي غرض في إيلانتريس، إن الألقاب والطبقات أفكار تنتمي إلى مكان آخر.

أنصتوا إليّ! إن عددنا قليل للغاية، فلا يُمكننا تحمل خسارة واحد منكم، هل الأمر يستحق هذا؟ أبدية من الألم نظير بضع لحظات من التنفيث عن الكراهية؟".

تردد صدى كلمات رايودن عبر القاعة الصامتة، وأخيراً كسر صوت ما التوتر.

قال تان وهو يعتدل واقفاً على قدميه: "سأنضم إليك". كان صوته مرتجفاً ولكن وجهه حازم. "ظننت أن عليّ أن أكون مجنوناً لكي أعيش في إيلانتريس، ولكن الجنون هو ما معني من رؤية الجمال، ضعوا أسلحتكم جانباً يا رجال".

امتنعوا عن تنفيذ الأمر.

ازداد صوت تان حزماً، وبدت هيئته القصيرة البدينة آمرة فجأة وهو يقول: "قلت ضعوها جانباً، ما زلت القائد هنا".

قال أحد الرجال: "البارون آندين يحكمنا".

تنهد تان وقال: "كان آندين أحق، وكذلك كل من كان يتبعه. إن هناك نبلاً في منطقته أكثر مما كان في بلاطي المزعوم".

قال رايودن متوسلاً: "تخلوا عن غضبكم، ودعوني أمتحكم الأمل بدلاً منه".

تردد صوت قعقة من ورائه، لقد سقط سيف داش على الحجر، قال حاسماً أمره: "لا أستطيع أن أقتل اليوم". ثم استدار على عقبيه ليُغادر. نظر رجاله إلى مجموعة آندين للحظة ثم انضموا إلى قائدهم. بينما استقر السيف مهجوراً في منتصف القاعة.

آندين . تان . ابتسم إلى رايودن وقال: "أياً من كنت فشكراً لك".

قال رايودن: "تعالَ معي يا تان، هناك مبنى يجب أن تراه".

## الفصل السابع عشر

خطت سارين إلى قاعة الرقص بالقصر، وعلى كتفها حقيبة سوداء طويلة، فتعالت عدة شهقات من النسوة بالداخل.

سألت: "ما الأمر؟".

أجابتها دايورا أخيراً: "إنما ملابسك يا عزيزتي، هؤلاء النسوة لسن معتادات على مثل هذه الملابس".

صاحت سياديين ورقبتها السمينة تهتز في استياء: "إنما تبدو كملابس الرجال".

نظرت سارين إلى بدلة التدريب الرمادية التي ترتديها، ثم نظرت إلى النسوة المجتمعات وقالت: "أنتم لا تتوقعن حقاً أن نقاتل ونحن نرتدي الفساتين، أليس كذلك؟". ولكن بعد أن تفحصت وجوه النسوة أدركت أن هذا بالضبط ما كن يتوقعنه.

"إن أمامك شوطاً كبيراً لتقطعيه يا ابنة العم". قالها لوكل محذراً بصوت خفيض وهو يدلّف من ورائها، قبل أن يجلس على مقعد على الجانب الآخر من القاعة.

تساءلت سارين: "لوكل؟ ما الذي تفعله هنا؟".

قال وهو يضعج إلى الوراء في كرسيه ويضع يديه وراء رأسه: "أتوقع تماماً أن تكون هذه أكثر تجربة ممتعة لهذا الأسبوع، لن أدع الأمر يفوتني، ولو عُرض عليّ كل الذهب الذي في خزائن الويرن".

جاء صوت كايسي وهي تقول: "ولا أنا". اندفعت الفتاة الصغيرة متجاوزة سارين وأسرعت ناحية الكراسي، ولكن دايورن اندفع من على جانبها وقفز إلى المقعد الذي اختارته كايسي. ضربت كايسي الأرض بقدمها في غيظ، ثم أدركت أن كل كرسي على طول الجدار يُماثل الكرسي الذي اختارته تمامًا.

هزُّ لوكل كتفيه في حرج وقال: "أعتذر، أنا لا يُمكنني التخلص منهما".

قالت دايورنا موبخة: "كن لطيفًا مع أخويك يا عزيزي".

أجابها لوكل على الفور: "حسنًا يا أماه".

تفاجأت سارين بهذا الجمهور غير المتوقع فالتفتت إلى من سيصرون متدربات لديها. جاءت كل امرأة من مجموعة التطريز، حتى الملكة إيشن مشتة الدهن. ربما تُشعرهن ملابس سارين وتصرفاتها بالحرج، ولكن تعطشهن للاستقلالية كان أعظم من استيائهن.

أنزلت سارين الحقيبة من على كتفها وأمسكتها بيديها ثم فتحتها وأخرجت منها سيفين تستخدمهما للتدريب. أصدر السيف الطويل الرفيع صوت احتكاك معدني عندما جذبته من الحقيبة فتراجعت النسوة إلى الوراء في خوف.

ضربت سارين بالسيف بضغ ضربات في الهواء ثم قالت: "هذا ساير، يُطلق عليه أيضًا اسم كمبر أو جيدافير، بحسب البلد الذي توجد فيه. لقد صُنِع هذا السيف في جادور كسلاح خفيف من أجل الكشافة، ولكنه صار غير صالح للاستخدام بعد بضعة عقود فحسب. ولكن النبلاء الجادوريين اعتمدوا هذا السيف لاحقًا وقد فضلوه بسبب هيئته الرقيقة والدقيقة. إن

المبارزات شائعة في جادور، وأسلوب المبارزة السريع والدقيق باستخدام السابر<sup>٢٩</sup> يتطلب قدرًا كبيرًا من البراعة".

ختمت جملتها ببعض من الضربات والتلويحات، معظمها حركات لا تُستخدم في القتال الحقيقي، ولكنها تبدو بارعة، مما أثار انبهار النساء.

أكملت سارين: "كان الدولاديون هم أول من حوّل المبارزة إلى رياضة بدلاً من كونها طريقة لقتل رجل قد قرر أن يتودد إلى نفس المرأة التي تتودد إليها. إنهم يضعون نتوءًا في طرف النصل ويلبسون حافته. سرعان ما صارت الرياضة مشهورة بين الجمهوريين، إن وجود دولادل على الحياض قد أبقاها بعيدة عن الحرب، ومن ثم أثار أعجابهم شكل من أشكال القتال ليس له استخدام عسكري. إلى جانب النصل الثلم وضعوا قواعد تمنع ضرب أجزاء معينة من الجسم.

لم تصل المبارزة إلى أربيلون فقد كان الإيلانتيون يستهجنون أي شيء يُشبه القتال، ولكنها كانت موضع احتفاء في تيود، مع تغيير ملحوظ واحد؛ لقد صارت رياضة نسائية، يُفضل الرجال التيوديون المسابقات الجسدية، مثل المجاول والمصارعة بالسيوف العريضة. أما بالنسبة للنساء فقد كان السابر مثاليًا، إن نصله الخفيف يسمح لنا باستخدام كامل رشافتنا". ثم أضافت وهي تنظر إلى لوكل وتبتسم: "ويسمح لنا باستخدام ذكائنا الفائق".

ما إن قالت سارين هذا حتى أخرجت السيف الثاني وألقت به إلى الشابة توريينا التي تقف في مقدمة المجموعة. أمسكت الفتاة ذات الشعر الأحمر الذهبي بالسيف بنظرة مرتبكة.

قالت سارين محذرة: "فلتدافعي عن نفسك". ثم رفعت سيفها وهي تتخذ وقفة هجومية.

أشهرت توريينا السابر بشكل أخرق في محاولة لتقليد وقفة سارين، ولكن بمجرد أن بدأت سارين هجومها تخلت توريينا عن وقفها وصرخت في دهشة مُلَوِّحة بالسابر لتلويحات جامحة

<sup>٢٩</sup> السابر: الكلمة الفيوردية التي تعني سيف المبارزة.

وهي تمسكه بكلتا يديها. تمكنت سارين بسهولة من صد سيف الفتاة وإبعاده قبل أن توجه ضربة مباشرة في صدرها.

أخبرتها سارين: "أنت ممتة، إن المبارزة لا تعتمد على القوة، بل تتطلب مهارة ودقة، لا تستخدمني إلا يداً واحدة، فبهذا تتمكنين من التحكم في السيف وتوجيهه بشكل أفضل. فلتقفي وقفة جانبية بعض الشيء، هذا سيمنحك قدرة على الاندفاع لمسافة أكبر، كما سيجعل إصابتك أكثر صعوبة".

بينما سارين تتحدث أخرجت حزمة من العصي الرفيعة كانت قد أعددتها مسبقاً، إنها بالطبع بديل سيئ للسيف الحقيقي، ولكنها ستفي بالغرض حتى ينتهي الحداد من صنع سيوف التدريب. بعد أن تلقت كل امرأة سلاحاً بدأت سارين في تعليمهم كيفية الانقضاض.

كان عملاً شاقاً، أكثر صعوبة مما توقعت سارين، كانت تعد نفسها مبارزة رائعة، ولكن لم يخطر على بالها من قبل أن امتلاك المعرفة يختلف تماماً عن شرح هذه المعرفة للآخرين. بدا أن النسوة يجدن طرقاً للإمساك بالأسلحة كانت سارين تظن من قبل أنها مستحيلة من الناحية الجسدية. إنهن يلوحن بجموح ويشعرن بالرعب من انقضاض النصل عليهن ويتعثرن في فساتينهن.

في النهاية تركتهن سارين ليتدربن على الطعنات، لم تكن لتثق في تركهن يتبارزن واحدة مع الأخرى حتى يكون لديهن أقنعة الوجه والملابس المناسبة. ثم جلست بجوار لوكل وهي تتنهد.

سألها: "هل هو عمل مرهق يا ابنة العم؟". كان من الواضح أنه يستمتع بمشهد أمه وهي تحاول أن تقا تل بسيف بينما ترتدي فستاناً.

قالت سارين وهي تمسح العرق من على جبينها: "ليس لديك أدنى فكرة. هل أنت واثق من أنك لا تريد تجربة الأمر؟".

رفع لوكل يديه وقال: "قد أكون متهورًا في بعض الأحيان يا ابنة العم، ولكني لست غيبًا، الملك آيادون سيضع أي رجل يشارك في مثل هذا النشاط المهين. كما هو مفترض. في قائمة سوداء. قد لا يُبالي المرء بأن ينال سخط الملك إن كان مثل إيونديل، ولكني مجرد تاجر بسيط، ولا يمكنني أن أتحمّل استياء الملك".

قالت سارين: "أنا واثقة من هذا". ثم نظرت إلى النسوة وهن يحاولن إتقان ضرباتهن وقالت: "لا أعتقد أنني قد علمتهن جيدًا".

هز لوكل كتفيه وقال: "لم أكن لأفعل ما هو أفضل".

قالت كايسي وهي جالسة على مقعدها: "كان بمقدوري أن أفعل ما هو أفضل". كان من الواضح أن الفتاة الصغيرة تشعر بملل متزايد مع القتال الرتيب.

سأها لوكل بسخرية: "حقًا؟".

"بالطبع، إنهما لم تعلمهن بشأن إعادة التوجيه أو النموذج الصحيح، بل لم تُبالِ حتى بأن تخبرهن بقواعد البطولات التنافسية".

رفعت سارين حاجبًا وهي تقول: "أنتِ تعرفين بشأن المبارزة؟".

قالت كايسي بابتهاج: "لقد قرأت كتابًا عن الأمر". ثم مدت يدها لتصفع يد دايبورن الذي كان يحاول أن يكزها بعضا قد أخذها من كومة سارين.

تنهد لوكل وهو يقول: "الأمر المحزن هو أنها على الأرجح قد فعلت هذا فقط لكي تحاول أن تثير إعجابك".

اعترفت سارين قائلة: "أعتقد أن كايسي هي أذكى فتاة صغيرة التقيت بها في حياتي".



هز لوكل كتفيه وقال: "إنها ذكية ولكن لا تدعيها تثير إعجابك أكثر من اللازم، إنها لا تزال مجرد طفلة. قد تكون قادرة على الاستيعاب مثل النساء، ولكنها لا تزال تتصرف كالفتيات الصغيرات".

قالت سارين وهي تراقب الطفلين يلعبان: "ما زلت أرى أنها مدهشة".

وافقها لوكل قائلاً: "إنها مدهشة بالفعل، إن كايسي لا تحتاج سوى لوضع ساعات لكي تلتهم كتابًا، وقد رتتها على تعلم اللغات لا تُصدق. أحيانًا ما أشعر بالأسف تجاه دايرن، إنه يبذل قصارى جهده ولكني أعتقد أنه يشعر بالتقصير. يُمكن لكاييسي أن تكون متسلطة إن لم تكوني قد لاحظت هذا، ولكنهما سواء كانا ذكيين أو لا فإنهما لا يزالان طفلين، ولا يزال الاعتناء بهما أمرًا مرهقًا".

راقبت سارين الطفلين يلعبان، كانت كايسي قد سرقت العصا من أخيها وراحت تطارده في أرجاء القاعة وهي تضرب وتلوح في محاكاة ساخرة للأساليب التي شرحتها سارين. ثم وقعت عينها على الباب، كان مفتوحًا وهناك شخصان واقفان يراقبان تدريبات النسوة.

لاذت السيدات بالصمت عندما دلف إيونديل وشودن إلى القاعة وقد أدركا أن هناك من لاحظ وجودهما. يُقال إن الرجلين رغم تباين عمريهما كانا صديقين حميمين. فكل منهما يعد غريبًا في أربلون، شودن أجنبي ببشرة داكنة، وإيونديل جندي سابق ويبدو أن حضوره في حد ذاته يثير الارتباك.

إن كان وجود إيونديل قد أثار استياء النساء فإن وجود شودن قد عوّض هذا وأكثر. فقد مرت موجة من حُمة الخجل على وجوه المبارزات عندما أدركن أن اللورد الجيندوي الوسيم يراقبهن. العديد من الشابات أمسكن بأذرع صديقاتهن من أجل الدعم وهن يهمنس في حماس. احمر وجه شودن نفسه مع هذا الانتباه.

ولكن إيونديل تجاهل ردود فعل النسوة، ومشى بين المبارزات بعينين متأملتين. وأخيراً أمسك بقطعة من الخشب واتخذ وضع المبارزة وبدأ في سلسلة من الضربات والطعنات. بعد أن جرّب السلاح هزّ رأسه ووضعها جانباً ثم تحرك مقترباً من إحدى النساء.

وجّهها وهو يشير بأصابعه: "أمسكي بالعصا هكذا، كنتِ تمسكينها بإحكام شديد حتى فقدتِ مرونتك. الآن ضعي إبهامك على الجزء العلوي من المقبض لثبتيه موجّهاً في الاتجاه الصحيح. خذي خطوة للوراء واطعني".

امتثلت المرأة. آتارا. لأمره وهي تشعر بالارتباك لأن إيونديل قد تجرّأ على لمس معصمها. كانت طعناتها مستقيمة بشكل مذهل وموجهة جيداً، وهي الحقيقة التي لم تُدهش أحداً أكثر من آتارا نفسها.

تحرك إيونديل بين المجموعة وهو يصحح الوقفات والمسكات والوضيعات، كان يولي اهتمامه لكل امرأة على حدة، وهو يقدم لكل واحدة نصائح مناسبة لمعالجة مشكلاتها الخاصة. بعد دقائق قصيرة من توجيهاته صارت هجمات النساء أكثر تركيزاً ودقة مما كانت سارين تظن أنه ممكن.

تراجع إيونديل مبتعداً عن النسوة بنظرة راضية ثم قال: "آمل أنك لم تنزعجي من تدخلتي يا سمو الأميرة".

قالت سارين في تأكيد: "لا، على الإطلاق يا سيدي". رغم أنها كانت تشعر بطعنة من الغيرة. قالت لنفسها إن عليها أن تتحلى بالشجاعة الكافية لكي تعترف بالمهارة الفائقة حينما تراها.

قال الرجل الأكبر سناً: "من الواضح أنك بارعة، ولكن يبدو أن لديك القليل من الخبرة في تدريب الآخرين".

أومات سارين برأسها فيونديل قائد عسكري وعلى الأرجح قد أمضى عقودًا يعلم المبتدئين أساسيات القتال. قالت: "أنت تعرف الكثير عن المبارزة يا سيدي".

قال إيونديل: "إن الأمر يثير اهتمامي، وقد زرت دولادل مرات عديدة. لا يعترف الدولاديون بقدرة الرجل القتالية ما لم يبارز، مهما كان عدد المعارك التي انتصر فيها".

اعتدلت سارين وأخرجت سيفي التدريب، ثم سألته ببساطة وهي تجرب أحد النصلين على يدها: "هل يُمكنك المناوشة إذن يا سيدي؟".

بدا إيونديل مندهشًا، قال: "أنا... لم أناوش امرأة من قبل يا سمو الأميرة. لا أعتقد أن الأمر سيكون لائقًا".

قالت وهي تلقي إليه بالسيف: "هراء، فلتدافع عن نفسك".

ودون أن تمنحه فرصة للاعتراض انقضت عليه. تعثر إيونديل في البداية وقد فاجأه هجومها غير المتوقع، ولكن سرعان ما أمسك تدريبه العسكري بزمام الأمور، وبدأ يصد هجمات سارين بمهارة مذهلة. لقد افترضت سارين مما قاله أن معرفته بالمبارزة ستكون سطحية، ولكنها كانت مخطئة.

كان إيونديل يبارز بعزيمة وسيفه يشق الهواء بسرعة كبيرة، حتى إن متابعته كانت ضربًا من المستحيل، ولم تتمكن سارين من صد ضرباته إلا بفضل سنوات من التدريبات والمناوشات. تعالَى في القاعة صليل ارتطام المعدن بالمعدن، فتوقفت النساء ليحدقن ببلاهة إلى معلميهما وهما يتحركان في أرجاء القاعة مشتبهين في معركة ضارية.

لم تكن سارين معتادة على المناوشة مع شخص يمثل براعة إيونديل، لم يقتصر الأمر على كونه يمثل طولها مما يحرمها من أي ميزة في الوصول إلى نطاق أبعد، ولكن كان لديه ردود أفعال وتدريبات رجل قضى حياته كلها في القتال. كان كل منهما يندفع ما بين الحشد مستخدمًا

النساء والكراسي والأشياء العشوائية الأخرى لإحباط هجوم الآخر. كان سيفها يُصدران صوت فرقة وحفيف مع الانقضاض إلى الأمام ثم التراجع إلى الوراء لصد الهجمات.

كان إيونديل بارعًا للغاية بالنسبة لها، يُمكنها أن تصد ضرباته، ولكنها كانت مشغولة للغاية بالدفاع فلم يكن لديها وقت للهجوم. مع تدفق العرق على وجهها أدركت سارين أن جميع من بالقاعة يراقبونها.

في تلك اللحظة تغير شيء في إيونديل، صارت وقفته القتالية أضعف قليلاً، فهاجمته سارين برد فعل غريزي. اخترقت حافة النصل الدائرية دفاعاته لتصل إلى رقبته، فابتسم إيونديل.

قال: "ليس لدي خيار سوى الاستسلام يا سيدتي".

أحست سارين بالخجل لأنها وضعت إيونديل في موقف جعله مضطراً بوضوح لأن يسمح لها بالانتصار لكيلا يجعلها تبدو سيئة أمام الأخريات. انحنى إيونديل بينما أحست سارين بالحماقة.

مشيا عائدين إلى جانب القاعة، ثم قبل الكوبين اللذين عرضهما عليهما لوكل، وهو يُثني على أدائهما. بينما سارين ترتشف الشراب أدركت شيئاً ما، إنها تتعامل مع بقائها في أريلون على أنه مسابقة، كما تفعل مع معظم مساعيها السياسية، لعبة معقدة ولكنها ممتعة.

ولكن إيونديل تركها تنتصر لأنه أراد أن يحمي صورتها، الأمر ليس لعبة بالنسبة له، أريلون هي أمته، شعبه، وسيقدم أي تضحيات في سبيل حمايتها.

هذه المرة الأمر مختلف يا سارين، إن فشلت فلن تخسري عقد تجارة أو حقوق ميني، ستخسرين أرواحاً، أرواح أشخاص حقيقيين. جعلتها هذه الفكرة تشعر باليقظة.

نظر إيونديل إلى كوبه ورفع حاجبيه في تساؤل ثم نظر إلى سارين وقال: "هل هذا مجرد ماء؟".

"الماء مفيد لصحتك يا سيدي".

قال إيونديل: "لست واثقًا من هذا، من أين حصلتِ عليه؟".

قالت: "كان عليّ أن أعلّيه ثم أصبه ما بين دلوين لأستعيد مذاقه. لم أكن لأسمح للنسوة بأن تتعثر إحداهن في الأخرى في حالة من السُّكْر بينما يحاولن أن يتدربن".

قال لوكل: "إن النبيذ الأريلي ليس بهذه القوة يا ابنة العم".

أجابته سارين: "إنه قوي بما يكفي. فلتشرب يا لورد إيونديل، لا نريدك أن تصاب بالجفاف".

امتلل إيونديل لأمرها رغم أن عدم الرضا كان بادياً على وجهه.

أولت سارين اهتمامها من جديد إلى طالباتها، وكانت على وشك أن توجه إليهن الأوامر الخاصة بتدريباتهن، ولكن شيئاً آخر كان يجذب انتباههن. كان اللورد شودن يقف بالقرب من نهاية القاعة، عيناه مغلقتان وهو يتحرك في مجموعة من الحركات الدقيقة. كانت عضلاته مشدودة بينما تدوران في حلقات منضبطة وجسده يتدفق في استجابة لها. رغم أن الحركات كانت بطيئة ودقيقة إلا أن العرق كان يلمع على بشرته.

كان الأمر أشبه برقصة، يقطع شودن خطوات طويلة ثم يرفع ساقيه عاليًا في الهواء وتصير أصابع قدميه مدببة قبل أن يضعها مرة أخرى على الأرض. لم تتوقف ذراعه عن الحركة، وعضلاته مشدودة كأنه يصارع قوة غير مرئية. ببطء كانت وتيرة حركة شودن تتسارع. راح يتحرك أسرع وأسرع كأنها يزداد استغراقاً في الأمر. وقد صارت خطواته قفزات وذراعه يشقان الهواء.

كانت النساء يراقبنه في صمت بأعين متسعة، وأكثر من واحدة منهن كانت فاغرة فاهًا. وكان الصوت الوحيد هو حفيف الهواء مع حركات شودن وضربات قدميه على الأرض.

فجأة توقف بعد أن استقر من القفرة الأخيرة لتضرب قدماه الأرض في انسجام تام مع ذراعيه الممدودتين وكفيه المنبسطين. طوى ذراعيه كجوابة ثقيلة تُغلق مصراعيها، ثم أحنى رأسه وزفر بعمق.

صمتت سارين للحظة قبل أن تتمتم: "بحق دومي الرحيم، الآن لن أتمكن من جعلهن يركزن مطلقًا".

ضحك إيونديل بصوت خافت وقال: "إن شودن ولد مثير للاهتمام، إنه يشتكي مرارًا وتكرارًا من ملاحقة النساء له، ولكنه لا يستطيع مقاومة رغبته في الاستعراض. ورغم كل هذا لا يزال رجلاً، ولا يزال شابًا إلى حد ما".

أومأت سارين برأسها بينما شودن يُنهي طقوسه قبل أن يلتفت ببراءة ليدرك قدر الاهتمام الذي جذبته. شق طريقه بسرعة عبر النسوة مطرقًا بعينيه لينضم إلى سارين وإيونديل.

قالت سارين بينما شودن يقبل كوبًا من الماء من لوكل: "كان هذا... غير متوقع".

قال من بين جرعات الماء: "أعتذر يا سيدة سارين، إن مناوشتكما جعلتني أرغب في ممارسة بعض التمارين، ظننت أن الجميع سيكونون مشغولين بالتدريبات فلن يلاحظني أحد".

قال إيونديل وهو يهز رأسه الذي خطّه الشيب: "دومًا ما تلاحظك النساء يا صديقي، في المرة التالية التي تشتكي فيها من تعرضك للملاحقة من المعجبات فسأذكرك بهذه المهزلة الصغيرة".

أحنى شودن رأسه في قبول وقد احمر وجهه خجلًا مرة أخرى.

سألته سارين: "ماذا كان هذا التمرين؟ لم أر شيئًا كهذا من قبل".

قال شودن مفسراً: "نحن نُسميه تشايشان، إنه نوع من الإحماء، طريقة لتركيز عقلك وجسدك عندما تستعد للمعركة".

قال لوكل: "إنه مثير للإعجاب".

قال شودن وقد أحنى رأسه في تواضع: "أنا مجرد هاوٍ، وأفتقد للسرعة والتركيز، هناك رجال في جيندو يُمكنهم الحركة بسرعة كبيرة، حتى إنك ستشعر بالدوار لمراقبتهم".

قالت سارين وهي تلتفت إلى النسوة اللاتي لا يزال معظمهن يحدق إلى شودن: "حسناً أيها السيدات، فلتشكرن اللورد شودن على استعراضه لاحقاً، في الوقت الحالي لديكن بعض الهجمات للتدرب عليها. لا تفكرن أنني سأسمح لكن بالرحيل بعد بضع دقائق من العمل فحسب".

كان هناك عدد كبير من هجمات التذمر، بينما سارين تُمسك بسيفها وتستأنف جلسة التدريب.

\*\*\*

قالت سارين مبتسمة: "سيشعرن جميعاً بألم شديد في عضلاتهن في الغد".

قال آش وهو ينبض قليلاً: "تقولين هذا بحماس يا سيدتي، حتى إن المرء ليظن أنك تستمتعين بهذا الاحتمال".

قالت سارين: "سيكون هذا مفيداً بالنسبة لهن، معظم هؤلاء النسوة مدلالات حتى إنهن لم يشعرن بأي شيء أخطر من وخزة إبرة خياطة".

قال آش: "يؤسفني أن فاتني هذا التدريب، فأنا لم أرَ تمرين تشايشان منذ عقود".

"هل شاهدت واحدًا من قبل؟".

أجابها آش: "لقد رأيت أشياء عديدة يا عزيزتي، إن حياة السيون طويلة للغاية".

أومات سارين برأسها، كانا يمشيان عبر شارع في كاي، وسور إيلانتريس الهائل يطل في الخلفية، عشرات من الباعة الجائلين يعرضون بضاعتهم في لُفة أثناء مرورها، وقد تعرفوا عليها من الفستان الذي يشي بأنها من البلاط الملكي. لقد وُجدت كاي لدعم الطبقة النبيلة في أريلون وتلبية ذوقها الرفيع. كانت الأكواب المطلية بالذهب والتوابل العجيبة والملابس الباهظة تتنافس على جذب انتباهها، ولكن معظم هذه الأشياء جعلتها تشعر بالغيثان.

حسبما فهمتُ فإن هؤلاء التجار كانوا الطبقة الوسطى الحقيقية الوحيدة المتبقية في أريلون، إنهم يتنافسون في كاي لنيل رضا الملك آيادون، ويطمعون في نيل لقب، عادة ما يكون هذا على حساب منافسيهم وكرامتهم وعدد قليل من الفلاحين. سرعان ما صارت أريلون أمة ذات نزعة تجارية محمومة، بل وحتى مخيفة، لم يعد النجاح يجلب الثروة فحسب، ولم يعد الفشل يجلب الفقر فحسب. إن دخل المرء هو الذي يحدد مدى قربه من بيعه كعبد حتى لو لم يكن عبدًا رسميًا.

كانت سارين تلوح للتجار لبيتعدوا عنها، ولكن جهودها لم تنبسط من عزيمتهم إلا قليلًا. أحست بالارتياح عندما انعطفت أخيرًا عند إحدى النواصي ورأت الكنيسة الكوراثية. قاومت رغبتها في أن تركز المسافة المتبقية وحافظت على ثبات وتيرتها حتى وصلت إلى بوابة المبنى العريض وتسللت إلى الداخل.

وضعت بعض العملات المعدنية - تقريبًا آخر ما تبقى من النقود التي جلبتها من تيود - في صندوق التبرعات، ثم ذهبت لتبحث عن الكاهن. بدت الكنيسة مريحة بالنسبة لسارين. كانت الكنائس الكوراثية مريحة أكثر، على عكس الكنائس الديرثية، التي كانت صارمة ورسمية ومزينة



بالدروع والرماح والقليل من الجداريات القماشية. كان هناك بعض الألفة معلقة على الجدران، على الأرجح تبرعات من بعض مرادي الكنيسة العجائز، ومن تحتها تصطف الزهور والنباتات التي تفتحت براعمها في طقس الربيع. كان السقف خفيفًا وغير محدد، ولكن النوافذ كانت عريضة وواسعة بما يكفي لكيلا يبدو المبنى ضيقًا وخانقًا.

قال صوت من جانب الحجرة: "مرحبًا يا بني". كان الكاهن أومين يقف بجانب واحدة من النوافذ البعيدة وهو ينظر إلى المدينة.

قالت سارين وهي تنحني: "مرحبًا أيها الأب أومين، آمل أنني لا أزعجك".

قال أومين وهو يلوح لها بيده لكي تقترب: "بالطبع لا يا ابنتي، تعالي، كيف حالك؟ لقد افتقدتك في عظة الليلة الماضية".

قالت سارين وقد احمر وجهها خجلًا: "المعذرة أيها الأب أومين، كنت مضطرة لحضور حفلة راقصة".

"لا تخجلي يا بني، إن التواصل الاجتماعي شيء لا يُستهان به، وخصوصًا عندما يكون المرء وافيًا جديدًا على البلدة".

ابتسمت سارين وهي تمشي ما بين مجموعة من المقاعد لتنضم إلى الكاهن القصير بجانب النافذة. لم تكن هيئته الصغيرة ملحوظة عادة، فقد بنى أومين منبرًا في مقدمة الكنيسة يتناسب مع حجمه، ويكون من الصعب تمييز طوله أثناء إلقاءه للخطب. ولكن عندما وقفت سارين إلى جانب الرجل لم تستطع منع نفسها من الإحساس بأنها تفوقه طولًا بكثير. كان قصيرًا للغاية حتى بالنسبة لرجل من أرييلون، فبالكاد يصل أعلى رأسه إلى صدرها.

سألها أومين: "هل هناك ما يزعجك يا بنيتي؟". كان أصلع الرأس إلى حد كبير، ويرتدي ثوبًا فضفاضًا معقودًا عند خصره بزئار أبيض. وباستثناء عينيه الزرقاوين اللالفتين للنظر كان اللون الوحيد على جسده هو قلادة كوراثية من اليشم على عنقه على هيئة آيون أومي.

كان رجلًا صالحًا، وهو شيء لا يمكن لسارين أن تصف به الجميع، ولا حتى الكهنة. كان هناك العديد من الكهنة في تيود الذين يثيرون غضبها، ولكن أومين كان رجلًا حصبًا وطيب القلب. رغم أن لديه عادة مزعجة تتمثل في أن أفكاره تشرذ أحيانًا. أحيانًا ما يتشتت انتباهه حتى إن دقائق ستمر دون أن يُدرك أن شخصًا ما ينتظر منه أن يتحدث.

قالت سارين: "لا أعرف شخصًا سواك يُمكنني أن أسأله عن الأمر أيها الأب، ولكني بحاجة إلى أن أخوض ابتلاء الأرملة، ولكن لم يشرح لي أحد الأمر".

أومًا أومين برأسه وقال: "أجل، هذا أمر سيثير حيرة أي وافد جديد".

"لماذا لا يريد أحد أن يشرح لي الأمر؟".

قال أومين: "إنها شعيرة شبه دينية، تبتت من أيام حُكم الإيلانترين، أي شيء متعلق بالمدينة يعد موضوعًا محظورًا في أربيلون، وخصوصًا بالنسبة للمؤمنين".

قالت سارين في سخط: "كيف سأعرف إذن ما يتوقعون مني أن أفعله؟".

قال أومين بنبرة ملطفة: "لا تغضبي يا بنيتي، إنه من المحرمات ولكن بدافع من التقاليد وليس بدافع من العقيدة الدينية. لا أعتقد أن دومي سيعارض إشباعي لفضولك".

قالت سارين وهي تتنفس الصعداء: "شكرًا أيها الأب".

قال أومين: "منذ موت زوجك يتوقعون منك أن تُظهري حزنك علانية، وإلا سيعتقد الناس أنك لم تُحبيه".

"ولكني لم أكن أحبه... ليس بالضبط، فأنا لم أعرفه حقًا".

"ومع ذلك سيكون من اللائق أن تخوضي الابتلاء، إن قسوة ابتلاء الأرملة هو تعبير عن مدى أهمية ارتباطها بزوجها من وجهة نظرها، وكم كانت تحترمه، إن عدم خوصك للابتلاء. حتى لو كنت أجنبية. سيكون مؤثرًا سيئًا".

"ولكن ألم تكن هذه طقوسًا وثنية؟".

هرّ أومين رأسه وقال: "ليس بالضبط، لقد بدأها الإيلانتريون، ولكن لا علاقة لها بدينهم. لقد كان ببساطة تصرفًا لطيفًا تحول إلى تقليد طيب وقيم".

رفعت سارين حاجبها وقالت: "لأصدقك القول أنا مندهشة لسماحك تتحدث بهذه الطريقة عن الإيلانترين أيها الأب".

لمعت عينا أومين وقال: "إن كراهية الأرائفة الديرثيين للإيلانترين لا تعني أن دومي يكرههم يا بنيتي. لا أعتقد أنهم كانوا آلهة، والعديد منهم كانوا يبالغون في رأيهم عن عظمتهم الخاصة، ولكن كان لدي عدد من أصدقائي من بينهم، لقد أصاب الشايود الأخيار والأشرار على حد سواء، المتكبرين والمتواضعين، لقد عاش في هذه المدينة بعض من أنبل الرجال الذين عرفتهم، وقد شعرت بالأسى الشديد لمعرفة ما حدث لهم".

ترددت سارين ثم قالت: "هل كان دومي هو من لعنهم كما يُقال أيها الأب؟".

أجابها أومين: "كل شيء يحدث بحسب مشيئة دومي، ولكن لا أعتقد أن لعنهم هي الكلمة الصحيحة، في بعض الأحيان يرى دومي أنه من المناسب أن يُرسل الكوراث إلى العالم، في أوقات أخرى سيصيب أكثر الأطفال براءة بمرض مميت. لا توجد لعنة تفوق ما حدث لإيلانتريس، ولكن هذه هي سنة الحياة ببساطة، كل الأشياء تتقدم، ولكن التقدم لا يكون دومًا صعبودًا ثابتًا، في بعض الأحيان يجب أن نسقط، وفي بعض الأحيان يجب أن نهض. يجب

أن يتأذى بعضنا وينعم بعضنا الآخر، فهذه هي الطريقة الوحيدة لكي نتعلم الاعتماد على بعضنا بعضاً. عندما يتنعم المرء يكون واجبه أن يساعد هؤلاء الذين يشقون في الحياة، غالباً ما يولد الاتحاد من رحم المعاناة يا بنيّتي".

فكرت سارين في الأمر ثم قالت: "هل تعتقد أن الإيلانترين . أو ما تبقى منهم . شياطين؟".

سألها أومين بنبرة ساخرة: "سفراكيس كما يُسميهم الفيورديون؟ لا، رغم أنني سمعت أن هذا ما يدعو إليه الجيرون الجديد. أخشى أن ما يقوله لن يجلب إلا الكراهية".

نقرت سارين على وجنتها مفكرة ثم قالت: "قد يكون هذا هو ما يريده".

"أي هدف يُمكن أن يحققه هذا؟".

اعترفت سارين قائلة: "لا أعرف".

هز أومين رأسه وقال: "لا يُمكنني أن أصدق أن واحداً من أتباع الرب . حتى لو كان جيورناً . سيفعل شيئاً كهذا". ثم بدا عليه الشرود كأنما يفكر في هذا الاحتمال وقد تجهم وجهه بعض الشيء.

سألته سارين: "أيها الأب؟ أيها الأب؟".

مع النداء الثاني هز أومين رأسه كأنما جفل عندما أدرك أنها لا تزال هناك، ثم قال: "المعدرة يا بنيّتي، ما الذي كنا نتناقش فيه؟".

قالت لتذكره كما يضطر المرء في كثير من الأحيان عندما يتحدث مع الكاهن القصير: "أنت لم تنته من إخباري عم يكون ابتلاء الأرملة".

"آه، ابتلاء الأرملة، الأمر ببساطة يا بني، هو أنه من المتوقع منك أن تقدمي بعض الخدمات للبلد، وكلما ازداد حبك لزوجك وازدادت مكانتك سمواً صار من المتوقع أن يكون ابتلاؤك أكثر إسرافاً، معظم النساء يقدمن الطعام أو الملابس للفلاحين. كلما كانت مشاركتك شخصية أكثر صار الانطباع الذي تمنحينه أفضل، إن الابتلاء طريقة لتقديم الخدمة، لجعل رفيع المنزلة يتواضع".

"ولكن من أين سأحصل على المال؟". لم تكن قد قررت كيف تطلب من أبيها الجديد راتباً.

سألها أومين في دهشة: "المال؟ ولكنك واحدة من أغنى الناس في أربيلون، ألا تعرفين هذا؟".

"ماذا؟".

قال أومين: "لقد ورثت ثروة الأمير رابودن يا بني، لقد كان رجلاً ثرياً للغاية، وقد حرص أبوه على هذا، ففي ظل حكومة الملك آيادون لن يكون من اللائق أن يكون ولي العهد أقل ثراءً من أي دوق، وعلى نفس المنوال سيكون من المخرج كثيراً بالنسبة له ألا تكون زوجة ابنه ثرية بشكل لا يُصدق. كل ما عليك فعله هو أن تتحدثي إلى أمين الخزانة الملكية، وأنا واثق من أنه سيعتني بك".

منحت سارين الرجل القصير عناقاً ممتناً وهي تقول: "شكراً لك أيها الأب، لدي عمل يجب إنجازه".

قال أومين وهو ينظر إلى المدينة بعينين متأملتين: "سرت بمحببتك يا بني، هذا ما أنا هنا من أجله". ولكنها بعد فترة وجيزة من قوله لهذا أحست أنه قد نسي وجودها وبدأ في الترحال من جديد عبر الطرق الطويلة الموجودة بداخل عقله.

\*\*\*

كان آش في انتظارها بالخارج، يحوم بجانب الباب بصبره المعتاد.

قالت له سارين: "لا أفهم سبب قلقك الشديد، أومين يُحب إيلانتريس، ولن يُمانع دخولك كنيسته".

نبض آش قليلاً، لم يدخل كنيسة منذ ذلك اليوم الذي طرده فيه سينلان بطريك الشو-كوراث من إحدى الكنائس قبل عدة سنوات.

قال آش: "لا بأس يا سيدي، بغض النظر عما قد يقوله الكهنة أشعر أن كلينا سيكون أكثر سعادة إن بقي بعيداً عن نظر الآخر".

قالت سارين: "لا أتفق معك، ولكني لا أريد أن أجادل في الأمر، هل سمعت أي شيء من محادثتنا؟".

"إن السيونات لها آذان جيدة يا سيدي".

قالت سارين: "ليس لديكم أي آذان على الإطلاق. ما رأيك في الأمر؟".

"يبدو أنها طريقة جيدة لكي تنال سيدي بعض الشهرة في المدينة".

"هذا ما فكرت فيه بالضبط".

"هناك شيء آخر يا سيدي، أنتم الاثنان تحدثتما عن الجيرون الديرثي وإيلانتريس. في الليلة السابقة عندما كنت أتفحص المدينة لاحظت أن الجيرون هراثن يمشي على السور، لقد ذهبت إلى المدينة مرات عديدة حتى الآن، وقد عثرت عليه هناك بضع مرات، يبدو أنه قد تقرب من قائد حرس مدينة إيلانتريس".

قالت سارين في إحباط: "ما الذي يحاول فعله بهذه المدينة؟".

"الأمر يثير حيرتي أيضًا يا سيدتي".

عقدت سارين حاجبيها وهي تحاول التوفيق بين ما تعرفه عن تصرفات الجيرون وإيلانتريس، لم تستطع أن ترى رابطًا، ولكن بينما تفكر في الأمر خطر على بالها شيء آخر، ربما يُمكنها أن تحل واحدة من مشكلاتهما الأخرى وتثير بعض المتاعب للجيرون في الوقت ذاته.

قالت: "ربما لسنا بحاجة لمعرفة ما يفعله لكي نعترض طريقه".

"ولكن المعرفة ستساعدنا بالتأكيد يا سيدتي".

"ليس لدي هذه الرفاهية، ولكننا نعرف هذا، إن كان الجيرون يُريد أن يكره الناس الإيلانترين، إذن فهمتي هي أن أحرص على أن يحدث العكس".

صمت آس قليلاً ثم قال: "ما الذي تخططين له يا سيدتي؟".

ابتسمت وقالت: "سترى، دعنا أولاً نعود إلى غرفتي. فأنا أرغب في الحديث مع أبي منذ وقت طويل".

\*\*\*

"إين؟ أنا مسرور باتصالك. كنت أشعر بالقلق عليك". كان رأس إيفينتيو المتوهج يطفو أمامها.

قالت سارين: "كان بمقدورك أن تُرسل في طلبي في أي وقت يا أبي".

"لم أرغب في مقاطعتك يا عزيزتي، أعرف كم تعزين باستقلاليتك".

"الاستقلالية تأتي في المرتبة الثانية بعد الواجب يا أبي، الأمة تتداعى، ليس لدينا وقت للقلق بشأن مشاعر بعضنا بعضًا".

قال أبوها ضاحكًا: "أعترف بخطئي".

"ما الذي يحدث في تيود يا أبي؟".

قال إيفينتيو مُخَذَّرًا بصوت كتيب على غير العادة: "الوضع ليس جيدًا، إنَّها أوقات عصيبة، كان عليَّ أن أضع حدًّا لطائفة أخرى من الطوائف العسكرية الباطنية، يبدو أن هذه الطوائف تنبثق للوجود كلما كان هناك خسوف قريب".

ارتجفت سارين، كانت الطوائف الباطنية مجموعة غريبة الأطوار، ولا يجب أبوها أن يتعامل معها. ولكن كان هناك تحفظ في صوته، هناك شيء آخر يُزعجه. "هناك المزيد، أليس كذلك؟".

اعترف أبوها قائلًا: "هذا صحيح للأسف، شيء أسوأ بكثير".

"ما هو؟".

"هل تعرفين أشجرس، السفير الفيوردي؟".

عقدت سارين حاجبيها وهي تقول: "أجل، ما الذي فعله؟ هل ندد بك علانية؟".

بدا أبوها مضطربًا وهو يقول: "لا، لقد فعل ما هو أسوأ، لقد رحل".

"رحل؟ عن البلدة؟ بعد كل العناء الذي تكبدته فيوردن لكي نسمح بعودة ممثلها؟".

قال إيفينتيو: "هذا صحيح يا إين، لقد أخذ معه جميع حاشيته، وألقى خطابًا أخيرًا عند رصيف الميناء قبل أن يتركنا ويرحل، كان هناك جو مخيف من الحتمية مخيم على هذا الحدث".

وافقته سارين قائلة: "هذا ليس جيدًا". لطالما كانت فيوردن متمتة بشأن الحفاظ على وجودها في تيود، إن رحل أشجرس فقد فعل هذا بناءً على أمر شخصي من الويرن، يبدو أنهم قد فقدوا الأمل في تيود نهائيًا.



"أنا مرعوب يا إين". أصابتها الكلمات بالقشعريرة أكثر من أي شيء آخر في حياتها، فقد كان أبوها أقسى رجل تعرفه.

"لا يجب أن تقول شيئاً كهذا".

قال إيثنتيو: "لا أقول هذا إلا لك يا إين، أريد منك أن تفهمي خطورة الموقف".

قالت سارين: "أنا أعرف، وأفهم، يوجد جيورن هنا في كاي".

تمتم أبوها ببعض السبات التي لم تسمعه يقولها من قبل.

قالت سارين على الفور: "أعتقد أن بإمكانني التعامل معه يا أي، إننا نُبقي أعيننا أحداً على الآخر".

"أي جيورن هو؟".

"اسمه هراتن".

سب أبوها مرة أخرى، وهذه المرة بحدة أكبر، ثم قال: "آيدوس دومي! هل تعرفين من هذا يا سارين؟ كان هراتن هو الجيورن الذي أرسل إلى دولادل قبل انهيارها بستة أشهر".

"خُمت أنه هو".

قال إيثنتيو: "أريدك أن ترجعي من هذا المكان يا سارين، هذا الرجل خطير، هل تعرفين عدد الناس الذين ماتوا في الثورة الدولادية؟ لقد سقط عشرات الآلاف من الضحايا".

"أعرف يا أي".

"سأرسل سفينة من أجلك، وسنقيم دفاعاتنا هنا، حيث لا يحظى أي جيورن بالترحاب".

قالت سارين في حزم: "لن أغادر يا أبي".

"فلتكوبي عقلانية يا سارين". اكتسى صوت إيفينتيو بالنبرة الهادئة الملحة التي يستخدمها معها كلما أراد منها أن تفعل شيئاً، وعادة ما ينجح في هذا، فقد كان من القلة الذين يعرفون كيف يؤثرون عليها. "الجميع يعرفون أن حكومة أريلون في حالة من الفوضى، إن كان هذا الجيرون قد أسقط دولادل فلن يجد صعوبة في أن يفعل المثل بأريلون. لا يُمكنك أن تأملي إيقافه بينما البلد كله ضدك".

"يجب عليّ البقاء يا أبي، بغض النظر عن خطورة الموقف".

قال إيفينتيو متوسلاً: "أي ولاء تدينين به إليهم يا سارين؟ زوج لم تعرفه من قبل؟ قوم ليسوا هم قومك؟".

"أنا ابنة ملكهم".

"أنتِ ابنة ملك هنا أيضاً، ما الفارق؟ هنا الناس يعرفونك ويحترمونك".

"إنهم يعرفونني أجل، أمّا يحترموني...". مالت سارين إلى الوراء وقد بدأت تشعر بالغثيان، بدأت المشاعر القديمة تعود إليها، المشاعر التي جعلتها عازمة على أن تُغادر وطنها في المقام الأول، أن تهجر كل شيء تعرفه من أجل أرض غريبة.

قال أبوها بصوت متألم: "لا أفهمك يا إين".

تهددت سارين وهي تُغمض عينيها ثم قالت: "لم يكن بمقدورك رؤية الأمر يا أبي، بالنسبة لك كنت ابنتك الذكية الجميلة المبهجة، لن يجرؤ أحد على أن يخبرك بما يعتقدُه عني".

سأها وقد اكتسى صوته بنبرة الملك: "ما الذي تتحدثين عنه؟".

قالت سارين: "أنا في الخامسة والعشرين من عمري يا أبي، وأنا جريئة ومنخرطة في المؤامرات السياسية وأحيانًا ما أكون عدوانية. لا شك أنك لاحظت أنه لم يطلب أحد يدي منك".

صمت أبوها لبعض الوقت، وأخيرًا قال معترفًا: "لقد فكرت في الأمر".

قالت سارين وهي تحاول دون جدوى أن تُبعد المرارة عن صوتها: "لقد كنت ابنة الملك العانس، سليطة اللسان التي لا يُريد أحد أن يلمسها، يسخر مني الرجال وراء ظهري، ولن يجرؤ أحد على أن يتقرب مني بنوايا رومانسية، فمن المعروف أن من يفعل هذا سيسخر منه أقرانه".

"ظننت فقط أنك لم تعتري أن أيًا منهم يستحق وقتك".

ضحكت سارين وقالت بسخرية: "أنت تحبني يا أبي، ولا يوجد أب يُريد أن يعترف بأن ابنته غير جذابة، حقيقة الأمر هي أنه لا يوجد رجل يُريد امرأة ذكية".

قال أبوها محتجًا على الفور: "هذا ليس صحيحًا، إن أمك ذكية".

"أنت استثناء يا أبي، ولهذا لا يمكنك أن ترى الأمر، لا أحد يسعى وراء المرأة القوية في هذا العالم، ولا حتى في تيود، التي أزعج دومًا أنها الأكثر تقدمًا في القارة. الأمر ليس مختلفًا يا أبي، يقولون إنهم يمنحون نساءهم المزيد من الحرية، ولكن لا يزال هناك انطباع بأن الحرية كانت ملكهم من الأساس لكي يمنحوها.

أنا ابنة غير متزوجة في تيود، هنا في أريلون أنا أرملة، هناك فارق شاسع، بقدر ما أحب تيود سيكون عليّ أن أعيش وأنا أعرف دومًا أنه لا أحد يريدني، هنا على الأقل يُمكنني أن أحاول إقناع نفسي بأن هناك من يشعر بالرغبة تجاهي، حتى لو كان هذا لأسباب سياسية".

"يمكننا أن نجد لك شخصًا آخر".

هزّت سارين رأسها وهي تتكىء إلى الوراء في كرسيها ثم قالت: "لا أعتقد هذا يا أبي. الآن وقد صار لدى تيورن أبناء فلن يجلس أي شخص أتزوجه على العرش، وهو السبب الوحيد الذي قد يجعل أي شخص في تيود يفكر في الزواج مني. ولن يفكر أي شخص تحت السيطرة الديرية في الزواج من تيودية. وبهذا لا يتبقى سوى أريلون، حيث يمنعني عقد الزواج من أن أتزوج مرة أخرى. هل يجب أن أطارد شائعات عن أراضٍ وراء الجبال الحصينة شمال تيود؟ لا، لم يعد هناك أحد لي يا أبي، أفضل ما يمكنني فعله هو أن أستغل موقعي هنا، على الأقل يُمكنني أن أحظى بقدر كبير من الاحترام في أريلون دون أن أقلق بشأن تأثير تصرفاتي على فرصتي في الزواج مستقبلاً".

قال أبوها: "فهمت". كانت قادرة على سماع الاستياء في صوته.

"هل أنا بحاجة إلى أن أذكرك بالأ تقلق عليّ يا أبي، لدينا مشكلات أكبر بكثير لكي نتعامل معها".

"لا يُمكنني منع نفسي من القلق عليك يا عصا الرما، أنتِ ابنتي الوحيدة".

هزّت سارين رأسها وقررت أن تغير الموضوع قبل أن تبدأ في البكاء. فجأة أحست بالخجل لتدميرها صورتها المثالية في مخيلته، فراحت تبحث عن أي شيء يُمكنها أن تقوله لتغيير مسار المحادثة، قبل أن تقول: "العم كين هنا في كاي".

نُجحت في الأمر، سمعته يتنفس طويلاً على الجانب الآخر من رابط السيون، قبل أن يقول: "لا تذكرني هذا الاسم أمامي يا إين".

"ولكن...".

"لا".

تنهدت سارين ثم قالت: "حسنًا، أخبرني بشأن فيوردن بدلًا من هذا، ما الذي تعتقد أن الويرن يخطط له؟".

قال إيفينتيو وقد سمح لها بتغيير الموضوع: "هذه المرة ليس لديّ أدنى فكرة حقًا، لا شك أنه شيء هائل، الحدود تُغلق في وجه تجارة تيود في الشمال والجنوب، وقد بدأ سفراؤنا يَخْتَفون، أو شك أن أستدعي السفراء إلى الوطن".

"وماذا عن جواسيسك؟".

قال أبوها: "إنهم يَخْتَفون بنفس السرعة تقريبًا، لم أقدر على إرسال أي شخص إلى فيلدينج منذ أكثر من شهر، ودومي وحده يعرف ما الذي يخطط له الويرن وجيورناته هناك. إن إرسال الجواسيس إلى فيوردن هذه الأيام يكاد يكون أشبه بإرسالهم إلى الموت".

قالت سارين بصوت خافت وقد فهمت مصدر الألم في صوت أبيها: "ولكنك تفعل هذا على أي حال".

"أنا مضطر لهذا، ما سنعرفه قد يُنقذ الآلاف، ولكن هذا لا يجعل الأمر أسهل عليّ، أتمنى فقط لو استطعت أن أرسل شخصًا ما إلى داخور".

"الدير؟".

قال إيفينتيو: "أجل، نحن نعرف ما تفعله الأديرة الأخرى، راثبور يُدرب المغتالين، وفيلدور يدرّب الجواسيس، ومعظم الأديرة الأخرى تدرّب المحاربين، ولكن داخور هو ما يثير قلقي، لقد سمعت بعض الحكايات الشنيعة عن هذا الدير، ولا يمكنني أن أستوعب لم قد يفعل أي شخص حتى الديرثيون. مثل هذه الأشياء".

"هل ترى أن فيوردن تحشد للحرب؟".

"لا يُمكنني الجرم، الأمر لا يبدو هكذا، ولكن من يعرف؟ يُمكن للويرن أن يُرسل جيشًا متعدد الأعراق دون سابق إنذار. عزائي الصغير الوحيد هو أنني لا أعتقد أنه يعرف أننا نفهم هذه الحقيقة، ولكن لسوء الحظ فإن هذه المعرفة تضعني في موقف حرج".

"ما الذي تعنيه؟".

تردد أبوها ثم قال: "إن أعلن الويرن الحرب المقدسة علينا فإن هذا سيعني نهاية تيود، لا يمكننا أن نقف في وجه قوة دول الشرق الموحدة يا إين، لن أجلس مكتوف الأيدي وأنا أشاهد شعبي يُذبح".

سألته سارين وهي تشعر بالغضب وعدم التصديق يتسللان إلى صوتها: "هل تفكر في الاستسلام؟".

"إن واجب الملك هو أن يحمي شعبه، عندما يكون عليّ أن أختار ما بين تبديل الدين أو ترك شعبي يتدمر فأعتقد أنني سأختار تبديل الدين".

"ستكون جبانًا مثل الجيندو؟".

قال أبوها وصوته يزداد حزمًا: "الجيندو شعب حكيم يا سارين، لقد فعلوا ما يجب عليه فعلهم من أجل النجاة".

"ولكن هذا سيعني الاستسلام!".

قال أبوها: "سيعني أن نفعل ما يجب علينا فعله. لن أفعل شيئًا في الوقت الحالي، ما دام هناك أمتان متبقيتان فهناك أمل. ولكن إن سقطت أريلون فسأكون مجبرًا على الاستسلام، لا يمكننا أن نحارب العالم بأسره يا إين إلا مثلما يمكن لحبة رمال أن تحارب وحدها المحيط بأسره".

قالت سارين: "ولكن...". ثم تلاشى صوتها. كان باستطاعتها أن تفهم مأزق والدها، إن مقاتلة فيودرن في ساحة المعركة ستكون محاولة يائسة تمامًا. تبديل الدين أو الموت، كلا الخيارين شنيع، ولكن تبديل الدين سيكون الخيار الأكثر منطقية. ولكن صوتًا خافتًا بداخلها كان يجادل بأن الأمر يستحق الموت، إن كان الموت سيثبت أن الحقيقة أقوى من القوة المادية.

يجب أن تحرص على ألا يواجه أبوها هذا الخيار، إن تمكنت من إيقاف هرائن فقد تتمكن من إيقاف الويرن، مؤقتًا على الأقل.

قالت: "سأبقى بالتأكيد يا أبي".

"أعرف يا إين. سيكون الأمر خطيرًا".

"أفهم هذا، ولكن إن سقطت أريلون فعلى الأرجح سأفضل أن أكون ميتة على أن أرى ما سيحدث لتيود".

"كوبي حذرة، وأبقى عينك على هذا الجيرون. أوه، بالمناسبة، إن عرفتِ لم يُغرق الويرن سُفن آيادون فأخبريني".

سألته سارين في صدمة: "ماذا؟".

"ألم تعرفي؟".

سألته سارين: "أعرف ماذا؟".

"لقد فقد الملك آيادون كل أسطوله التجاري تقريبًا. تزعم التقارير الرسمية أن القراصنة هم من أغرقوا السفن، بعض من بقايا أسطول دريوك كاسر الحناجر، ولكن مصادري تربط غرق السفن بفيودرن".

"إذن هذا هو الأمر!".

"ماذا؟".

قالت سارين مفسرة: "قبل أربعة أيام كنت في حفلة وجاء خادم برسالة إلى الملك، وأياً ما كان فحوها فقد أزعج الملك كثيراً".

قال أبوها: "على الأرجح هذا هو توقيت حدوث الأمر، فلم أعرفه بنفسى إلا قبل يومين".

تساءلت سارين: "لم قد يُفرك الويرن السفن التجارية؟ ما لم... آيدوس دومى! إن خسر الملك مصدر دخله فسيكون مُهدداً بخسارة عرشه".

"إذن فكل هذا الهراء بشأن ارتباط المرتبة الاجتماعية بالمال صحيح؟".

قالت سارين: "صحيح بشكل جنوني، إن آيادون ينتزع لقب العائلة إن لم يتمكنوا من الحفاظ على دخلهم. إن خسر مصدر ثروته فسيهدم أساس حكمه. يُمكن لهرائن أن يستبدل به شخصاً آخر، رجلاً أكثر استعداداً لقبول الشو-ديريث، دون أن يكلف نفسه عناء إشعال ثورة".

"يبدو هذا معقولاً، لقد جلب آيادون هذا على نفسه باختلاق مثل هذا الأساس غير المستقر للحكم".

قالت سارين: "إنه على الأرجح تيلري، لهذا أنفق الكثير من المال على تلك الحفلة الراقصة، يُريد الدوق أن يظهر أنه فاحش الثراء. سأكون مندهشة للغاية إن لم يكن هناك جبل من ذهب فيورردن يمول نفقاته".

"ما الذي ستفعلينه؟".



"سأوقفه، رغم أن هذا يؤلمني، فأنا حقًا لا أحب آيادون يا أبي".

"للأسف يبدو أن هراثن قد اختار لنا حلفاءنا".

أومات سارين برأسها وقالت: "لقد جعلني أتحالف مع إيلانتريس وآيادون، وهو موقف لا أحسد عليه".

"نحن جميعًا نفعل ما بوسعنا بحسب ما يمنحه لنا دومي".

"تتكلم وكأنك كاهن".

"لقد وجدت مؤخرًا سببًا لأصير متدينًا للغاية".

فكرت سارين للحظة قبل أن تجيب وهي تنقر على وجنتها بينما تنتقي كلماتها: "اختيار حكيم يا أبي، إن كان دومي سيساعدنا يومًا فسيكون الآن، إن نهاية تيود تعني نهاية الشو-كوراث".

قال أبوها: "ربما لبعض الوقت، الحقيقة لا يُمكن أن تنهزم يا سارين، حتى لو نسيها الناس من آن لآخر".

كانت سارين في الفراش، والأضواء مُطفأة، بينما آش يحوم في الجانب الآخر من الغرفة، وضوؤه خافت للغاية حتى إنه بالكاد يمكن تمييز ظل الآيون آش.

كانت المحادثة مع أبيها قد انتهت قبل ساعة مضت، ولكن ما يترتب عليها على الأرجح سيستحوذ على تفكيرها لأشهر عديدة. لم تفكر من قبل في اختيار الاستسلام، ولكنه بدا الآن حتميًا إلى حد كبير. كان هذا الاحتمال يقلقها، إنها تعرف أنه من غير المرجح أن يترك الويرن أباهما في الحكم حتى لو بدّل دينه، وتعرف أيضًا أن إيفينتيو سيتخلى عن حياته عن طيب خاطر إن كان هذا سيعني نجاة شعبه.

فكّرت بشأن حياتها ومشاعرها المختلطة تجاه تيود، تحوي المملكة أكثر الأشياء التي تحبها؛ أباها وأخاها وأمها. كانت تحمل ذكريات عزيزة على قلبها تجاه الغابات المحيطة بمدينة تيوراس الساحلية، العاصمة. تذكّرت كيف يغلف الثلج الأراضي. ذات صباح استيقظت لتجد كل شيء بالخارج مغطى بطبقة جميلة من الثلج، وبدأت الأشجار مجوهرات تتلألأ في ضوء النهار. ومع ذلك تذكّرها تيود أيضاً بالألم والوحدة، إنّما تمثل لها إقصاءها عن المجتمع وذلكها أمام الرجال. لقد أثبتت في بداية حياتها أن لديها ذكاءً حاداً ولساناً أكثر حدة، كلا الأمرين ميزها عن النساء الأخريات، وهذا لا يعني أن الكثير منهن لم يكن ذكيات، بل كن يرين أنه من الحكمة إخفاء ذكائهن حتى يتزوجن.

لا يريد كل الرجال زوجة غبية، ولكن لم يكن هناك الكثير من الرجال الذين يشعرون بالراحة تجاه امرأة يفترضون أنّها تفوقهم عقلاً. بحلول الوقت الذي أدركت فيه سارين ما تفعله بنفسها وجدت أن العدد القليل من الرجال الذين قد يقبلون بها متزوجون بالفعل. في محاولة يائسة راحت تجمع آراء الذكور عنها في البلاط، وقد أحست بالخزي عندما أدركت كم يسخرون منها. بعد هذا لم يزدد الأمر إلا سوءاً بينما تتقدم في العمر. في أرضٍ تكون فيها كل امرأة في سن الثامنة عشرة مخطوبة على الأقل، كانت هي عذراء عجوز في سن الخامسة والعشرين، عذراء عجوز وطويلة وضخمة وكثيرة الجدال.

جاء ضجيج ليقاطع جلدها لذاتها، لم يأت من الردهة أو النافذة، بل من داخل غرفتها. انتفضت جالسة وهي تحبس أنفاسها بينما تستعد للهرب، حينها فقط أدركت أن الصوت لا يأتي من غرفتها، بل من الجدار المجاور لغرفتها. عقدت حاجبها في حيرة، لم يكن هناك أي غرف على الجانب الآخر، بل الجدار الخارجي للقصر. كان لديها نافذة تطل على المدينة.

لم يتكرر الضجيج، وكانت سارين عازمة على أن تنال قسطاً من النوم رغم مخاوفها، وقالت لنفسها إن الأمر ببساطة هو أن المبنى يستقر في موضعه.

## الفصل الثامن عشر



خطا ديلاف عبر الباب وهو يبدو شاردًا بعض الشيء، ثم رأى الإيلان تري يرتجف في الكرسي أمام مكتب هراثن.

ابتسم هراثن وهو يراقب ديلاف يشهق بصوت مسموع بينما عيناه تزدادان اتساعًا ووجهه يجتفن بالدماء ويكتسي بلون أحمر كدروع هراثن. لم يستطع ديلاف منع نفسه من أن يصرخ بالسبة الفيوردية: "هروجات جا!".

رفع هراثن حاجبيه مع سماع هذه السبة البذيئة، ليس لأنها قد أزعجته، بل لأنه اندهش لتلفظ ديلاف بما يمثل هذه السهولة. لقد غمس الأريث نفسه عميقًا في ثقافة فيوردن بالفعل.

قال هراثن وهو يشير إلى الإيلان تري ذي الوجه الأسود الرمادي: "فلترحب بدابيرين أيها الأريث، ورجاءً فلتمنع نفسك من استخدام اسم الرب جادث في السباب، إنها إحدى العادات الفيوردية التي كنت أفضل ألا تكتسبها".  
"إيلان تري!"

قال هراثن: "أجل، أحسنت أيها الأريث، ولا، لا يُمكنك أن تشعل النار فيه".

اضجع هراثن في كرسيه إلى الورا وهو يتسم بينما ديلاف يمدق إلى الإيلان تري، لقد استدعى ديلاف إلى الحجرة وهو يعرف تمام المعرفة أن هذا هو رد الفعل الذي سيحصل عليه، وقد أحس أنه تصرف طفولي بعض الشيء، ومع ذلك لم يمنعه هذا من الاستمتاع باللحظة.

وأخيراً نظر ديلاف إلى هرائث نظرة كراهية، ولكنه سرعان ما غلفها بنظرة خضوع بالكاد يمكنه الحفاظ عليها. "ما الذي يفعله هنا يا سيدي الهروودن؟".

قال هرائث: "فكرت أنه سيكون من المفيد معرفة وجه عدونا أيها الأرتيث". ثم اعتدل واقفاً ومشى مقترّباً من الإيلان تري. كان الكاهنان يتحدثان باللغة الفيوردية بالطبع، وكانت الحيرة بادية في عيني الإيلان تري، بالإضافة إلى خوف مسعور.

جلس هرائث القرفصاء إلى جانب الرجل ليتفحص شيطانه، ثم سأل باهتمام: "هل كلهم ضلّع يا ديلاف؟".

أجابته الأرتيث بوجوم: "ليس في البداية، عادة لا يكون شعرهم قد بدأ في التساقط عندما يعدمهم الكلاب الكوراثيون من أجل إرسالهم إلى المدينة، وتكون بشرتهم بلون فاتح أيضاً".

مد هرائث يده ليتحسس وجه الرجل، كان الجلد خشناً وقاسياً. راقبه الإيلان تري بعينين متوجستين. "هذه البقع السوداء، هل هي ما يميز الإيلان تريين؟".

قال ديلاف: "إنها العلامة الأولى يا سيدي الهروودن". كانت حدته قد هدأت، إما أنه قد اعتاد على وجود الإيلان تري، أو أنه ببساطة قد تغلب على الكراهية المتأججة الأولى وانتقل إلى الاشمزاز الذي يحترق ببطء وصر أكثر. "عادة ما يحدث هذا ما بين عشية وضحاها، عندما يستيقظ الملعون تكون البقع السوداء قد ظهرت في أنحاء جسده، أما بقية جلدهم فيتحول إلى اللون البني المائل للرمادي. مثل هذا الشخص. مع مرور الوقت".

قال هرائث: "كجلد جثة محنطة". كان قد زار جامعة سفوردن بضع مرات وعرف بشأن الجثث التي يحتفظون بها هناك من أجل الدراسة.

واقفه ديلاف بصوت خافت: "شبيهة للغاية، ولكن الجلد ليس العلامة الوحيدة يا سيدي الهروودن، فأحشاؤهم تتعفن أيضاً".

"كيف تعرف هذا؟".

قال ديلاف: "إن قلوبهم لا تحفق، وعقولهم لا تفكر، هناك حكايات من الأيام الأولى قبل عشر سنوات قبل أن يُسجنوا جميعًا بداخل المدينة. في غضون بضعة أشهر يُصابون بغيوبة وبالكد يمكنهم أن يتحركوا إلا للتأوه من الآلامهم".

"آلامهم؟".

قال ديلاف: "آلام أرواحهم وهي تحترق في نيران الرب جادث، إنها تتعاطم بداخلهم حتى تستهلك وعيهم، هذا هو عقابهم".

أوما هرائن برأسه وهو يبتعد عن الإيلان تري.

قال ديلاف: "لم يكن من المفترض بك أن تلمسه يا سيدي الهروذن".

قال هرائن: "ظننت أنك قلت إن الرب جادث يحمي عبده المؤمن، ما الذي يجب أن أحشاه؟".

"لقد دعوت الشر إلى الكنيسة يا سيدي الهروذن".

قال هرائن بسخرية: "لا يوجد شيء مقدس بشأن هذا المبني يا ديلاف كما تعرف، لا يمكن تكريس أي أرض مقدسة في بلد لم تُعلن ولاءها للشو-ديريث بعد".

قال ديلاف: "بالطبع". وقد ازدادت عيناه تلهفًا لسبب ما.

هذه النظرة في عيني ديلاف جعلت هرائن يشعر بعدم الارتياح، ربما سيكون من الأفضل تقليص الوقت الذي سيقضيه الأرتيث في نفس الحجرة مع الإيلان تري.

قال هراثن: "لقد استدعيتك لأنني أريد منك أن تُشرف على الاستعدادات من أجل خطبة المساء، لا يُمكنني أن أشرف عليها بنفسي، فأنا أريد أن أقضي بعض الوقت في استجواب هذا الإيلان تري".

قال ديلاف وهو لا يزال ينظر إلى الإيلان تري: "كما تأمر يا سيدي الهرودن".

قال هراثن بصرامة: "فلتنصرف أيها الأرتيث".

غمغم ديلاف بصوت خافت، ثم أسرع خارجًا من الحجر ليلبي أمر هراثن.

أولى هراثن اهتمامه من جديد إلى الإيلان تري. لم يبذُ المخلوق "بلا عقل" كما وصفه ديلاف، إن قائد الحرس الذي جلب الإيلان تري قد ذكر أن للمخلوق اسمًا، وهذا يعني بالتبعية أنه بمقدوره أن يتحدث.

سأله هراثن باللغة الآيونية: "هل يمكنك أن تفهمني أيها الإيلان تري؟".

تردد دايرين ثم أومأ برأسه.

قال هراثن: "هذا مغير للاهتمام".

سأله الإيلان تري: "ما الذي تريده مني؟".

قال هراثن: "أريد أن أسألك بعض الأسئلة فحسب". خطأ عائدًا إلى مكتبته وجلس مرة أخرى، ثم راح يتفحص المخلوق بفضول، لم يسبق له أن رأى مرضًا كهذا في كل أسفاره.

سأله الإيلان تري: "هل لديك... أي طعام؟". كان هناك شيء من الوحشية في عينيه مع ذكر كلمة "طعام".

"إذا أجيبت عن أسئلتني فأعدك أنني سأعيدك إلى إيلان تري بسلة مليئة بالخبز والجن".

جذب هذا انتباه المخلوق فأوماً برأسه في حماس .

فكّر هرائن في فضول؛ يتصور جوعاً! وما الذي قاله ديلاف؟ لا تحقق قلوبكم؟ ربما المرض يؤثر في عملية التمثيل الغذائي، فيجعل القلب يخفق بسرعة كبيرة فتصعب ملاحظته، وهذا يزيد من شهيتهم بطريقة ما؟

سأله هرائن: "ما الذي كنت تفعله قبل إقائك في المدينة يا دايرين؟".

"كنت فلاحاً يا سيدي، أعمل في حقول مزرعة آيور".

"وكم مضى عليك من الوقت في إيلائتريس؟".

قال دايرين: "لقد ألقى بي في المدينة أثناء الخريف، قبل سبعة أشهر؟ ثمانية؟ لقد فقدت الإحساس بالوقت...".

إذن فالأمر الآخر الذي أكّد عليه ديلاف بأن الإيلائتين يسقطون في "غيبوبة" في غضون بضعة أشهر غير صحيح. جلس هرائن مفكراً وهو يحاول أن يقرر أي نوع من المعلومات يمتلكها هذا المخلوق قد تكون مفيدة له.

سأله هرائن: "كيف هي الحياة في إيلائتريس؟".

قال دايرين وهو يطرق بعينه: "إنها... مريعة يا سيدي. هناك عصابات، وإن ذهبت إلى المكان الخطأ سيلاحقونك أو يؤذونك. لا أحد يخبر الوافدين الجدد عن أي شيء، لذا إن لم تكن حريصاً فقد تمشي إلى السوق... هذا ليس جيداً. وهناك عصابة جديدة الآن، أو هذا ما يقوله بعض الإيلائتين الذين أعرفهم في الشوارع، عصابة رابعة أقوى من العصابات الأخرى".

عصابات! هذا يشي بمستوى أولي من البناء المجتمعي على الأقل. عقد هرائن حاجبيه وهو يفكر، إن كانت العصابات قاسية كما يُشير دايرين فربما يُمكن استخدامها كمثال على كوضم

سفراكيس أمام أتباعه. ولكن بعد حديثه مع دايرين الخانع بدأ هرائن يفكر أنه ربما يجب أن يواصل إدانته لهم من بعيد، إن كانت أي نسبة من الإيلانترين مسالمة مثل هذا الرجل إذن فعلى الأرجح لن ينظر الناس في كاي إلى الإيلانترين على أنهم "شياطين".

مع استمرار الاستجواب أدرك هرائن أن دايرين لا يعرف الكثير مما قد يكون مفيداً، لا يمكن لهذا الإيلانترى أن يفسر ما هو الشايود، لقد حدث هذا أثناء نومه، إنه يزعم أنه ميت، أيًا كان ما يعنيه هذا، وأن جروحهم لم تعد تلتئم، حتى إنه أظهر هرائن جرحًا في جلده، لم يكن الجرح ينزف لذا شك هرائن أن قطعة من الجلد لم تلتئم بالشكل الصحيح أثناء التعافي.

لم يكن دايرين يعرف شيئًا عن "سحر" إيلانتريس، يزعم أنه قد رأى آخرين يرسمون أشياء سحرية في الهواء، ولكن دايرين لا يعرف كيف يفعل هذا بنفسه، إنه يعرف فقط أنه جائع، يتصور جوعًا، وقد كرر هذه الفكرة عدة مرات، كما ذكر مرتين أخريين أنه يخاف من العصابات.

أحس هرائن بالرضا لأنه اكتشف ما يريد أن يعرفه، إن إيلانتريس مكان وحشي، ولكنها وحشية إنسانية بشكل مخيب للآمال. وهكذا أرسل في طلب قائد الحرس الذي جلب دايرين.

دلف قائد الحرس إلى الحجرة في خضوع، كان يرتدي قفازًا سميكًا وقد حث الإيلانترى على الوقوف من كرسيه بعضا طويلة. في لهفة قبل قائد الحرس كيس النقود من هرائن، ثم أوما برأسه عندما جعله هرائن يقسم بأنه سيشتري لدايرين سلة من الطعام. بينما قائد الحرس يُجر سجينه على الخروج من الحجرة ظهر ديلاف عند الباب. نظر الأرتيث بخيبة أمل إلى فريسته وهي تغادر.

سأله هرائن: "هل كل شيء جاهز؟".

قال ديلاف: "أجل يا سيدي الهروذن، لقد بدأ الناس يتوافدون بالفعل من أجل القداس".



قال هراثن وهو يضحج إلى الراء في كرسية ويشبك أصابعه مفكرًا: "جيد".

"هل هناك ما يشغلك يا سيدي الهروذن؟".

هز هراثن رأسه وقال: "أنا فقط أخطط من أجل خطبة المساء، أعتقد أن الوقت قد حان لكي نتقل إلى الخطوة الثانية في خطتنا".

"خطتنا يا سيدي؟".

أومأ هراثن برأسه وقال: "أعتقد أننا قد نجحنا في تحديد موقفنا تجاه إيلانتريس، العوام دومًا ما يسارعون في الحكم على غيرهم بأنهم شياطين ما دمت تمنحهم الذريعة المناسبة".

"أجل يا سيدي".

قال هراثن: "لا تنسَ أيها الأرتيث أن هناك مغزى وراء كراهيتنا".

"إنها توحد أتباعنا، بأن تمنحهم عددًا مشتركًا".

قال هراثن وهو يريح ذراعيه على المكتب: "هذا صحيح، ولكن هناك غرض آخر، وبنفس القدر من الأهمية، الآن وقد منحنا الناس شخصًا ليكرهوه نحتاج لأن نصنع رابطًا ما بين إيلانتريس وأعدائنا".

قال ديلاف بابتسامة خبيثة: "الشو-كوراث".

"صحيح مرة أخرى، إن الكهنة الكوراثيين هم من يجهزون الإيلانترين الجدد، إنهم الدافع وراء الرحمة التي يُبديها هذا البلد تجاه آلهته الذين سقطوا. إن قلنا ضمنا إن تسامح الديانة الكوراثية يجعل كهنتها متعاطفين فإن كراهية الناس ستتحوّل من إيلانتريس إلى الشو-كوراث. إن كهنتهم سيواجهون خيارين، إما أن يقبلوا ما ندينهم به، أو سيتحالفون معنا في وجه إيلانتريس، إن

اختاروا الاختيار الأول فسينقلب الناس ضدهم، وإن اختاروا الاختيار الثاني فإن هذا سيجعلهم تحت سيطرتنا اللاهوتية. وبعد هذا ستكون بضعة أمور محرجة بسيطة كافية لجعلهم يبدوون عاجزين وبلا أهمية".

قال ديلاف: "هذا مثالي، ولكن هل سيحدث بسرعة كافية؟ ليس لدينا متسع من الوقت".

جفل هراثن وهو ينظر إلى الأرتيث الذي لا يزال مبتسماً. كيف عرف هذا الرجل بشأن الموعد النهائي؟ مستحيل أن يعرف، لا شك أنه يخمن.

قال هراثن: "سينجح الأمر، مع زعزعة نظامهم الملكي وتذبذب دينهم فسيبحث الناس عن مصدر جديد للقيادة. ستكون الشو-ديريث صخرة راسخة وسط رمال متحركة".

"تشبيه ممتاز يا سيدي الهروذن".

لم يعرف هراثن إن كان ديلاف يسخر منه بهذا القول أم لا. "لدي مهمة من أجلك أيها الأرتيث، أريد منك أن تصنع هذا الرابط في خطبتك الليلية، فلتؤلب الناس ضد الشو-كوراث".

"ألن يلقي سيدي الهروذن الخطبة بنفسه؟".

"سأتحدث بعدك، وستتبنى خطبتي التفكير المنطقي، ولكن أنت أكثر شغفاً، ويجب أن ينبع نفورهم من الشو-كوراث من أعماق قلوبهم".

أوماً ديلاف وهو يحي رأسه في إشارة إلى أنه قد قبل الأمر.

لوح هراثن بيده مشيراً إلى أن المحادثة قد انتهت، فراجع الأرتيث قبل أن يُغلق الباب وراءه.

\*\*\*

كان ديلاف يتحدث بحماسة الديني المعتاد، واقفًا خارج الكنيسة، على منصة قد أمر هرائن ببنائها بمجرد أن صار الحشد كبيرًا على أن يسعه المبنى. كانت ليالي الربيع الدافئة مواتية لمثل هذه الاجتماعات، وضوء غروب الشمس الشاحب مع ضوء المشاعل قد صنعا مزيجًا ملائمًا من الرؤية والظلال.

كان الناس يراقبون ديلاف في نشوة، رغم أن معظم ما يقوله كان مكررًا. لقد أمضى هرائن ساعات يعد هذه الخطب، وهو يحرص على أن يجمع ما بين التكرار من أجل التعزيز والأصالة من أجل توفير الحماس. كان ديلاف يتحدث فحسب، لا يهم إن كان يسهب بنفس التنديدات تجاه إيلانتريس أو نفس المديح المتكرر تجاه إمبراطورية جادث، فالناس يصفون إليه على أي حال. بعد أسبوع من سماع حديث الأريث تعلم هرائن أن يتجاهل حسده، إلى حد ما على الأقل، واستبدل به الفخر.

بينما يُصغي السمع هنا هرائن نفسه على براعة الأريث. إن ديلاف يفعل ما يأمره به هرائن، فيبدأ بشطحاته المعتادة عن إيلانتريس، ثم ينتقل بجرأة إلى اتهام الشو-كورات بوضوح. كان الحشد يتفاعلون معه، ويسمحون له بتوجيه مشاعرهم. كان الأمر كما خطط له هرائن، لذا لم يكن هناك سبب لأن يشعر بالحسد تجاه ديلاف. كان غضب الرجل كنهر يوجهه هرائن بنفسه ناحية الحشد. ربما يمتلك ديلاف الموهبة الخام، ولكن هرائن هو من صقلها ببراعة.

قال هذا لنفسه في اللحظة التي فاجأه فيها ديلاف، لقد استمرت الخطبة على أكمل وجه، وغضب ديلاف يملأ الحشد بكرامية تجاه كل شيء كورائي، ولكن حينها تغير اتجاه التيار، عندما أعاد ديلاف انتباهه مرة أخرى إلى إيلانتريس. في البداية لم يُبالِ هرائن كثيرًا بالأمر، فقد كان ديلاف معتادًا على أن يتشعب في الحديث أثناء خطبه.

قال ديلاف أمرًا: "والآن انظروا! انظروا إلى السفراكيس! انظروا إليه في عينيه لتعرفوا هيئة ما تكرهونه! فلتأججوا غضب جادث الذي يشتعل بداخلكم جميعًا!".

أحس هرائن بقشعريرة باردة، كان ديلاف يشير إلى جانب المنصة حيث اشتعلت النيران فجأة في مشعلين. كان دايرين الإيلان تري يقف مقيماً إلى عمود وقد أحنى رأسه. كان هناك جروح في وجهه لم تكن موجودة من قبل.

صرخ ديلاف: "انظروا إلى العدو! انظروا إليه! إنه لا ينزف! لا دم يتدفق في عروقه ولا قلب نابض في صدره. ألم يقل الفيلسوف جروندكست إنه بإمكانك أن تحكم بالمساواة بين كل البشر من خلال وحدة دمائهم المشتركة؟ ولكن ماذا عن الذي ليس له دماء؟ ما الذي يُمكن أن نسميه؟".

صرخ واحد من الحشد: "شيطان!".

"ملعون!".

صرخ ديلاف: "سفراكيس!".

ثارت تائرة الحشد وكل واحد منهم يصرخ باتجاهه تجاه الهدف البائس. كان الإيلان تري نفسه يصرخ من أعماقه بوحشية مسعورة. شيء ما قد تغير في هذا الرجل، عندما تحدث هرائن معه كانت إجابات الإيلان تري فاترة ولكنها واعية، لكن الآن لم يعد هناك شيء من العقل في عينيه، بل الألم فحسب. وصل صوت المخلوق إلى أذني هرائن من فوق غضب المحتشدين.

صرخ الإيلان تري متوسلاً: "دمروني! أهلكوا ألمي! دمروني!".

هذا الصوت جعل هرائن يفتق من ذهوله، لقد أدرك شيئاً على الفور، لا يُمكن أن يسمح لديلاف بأن يقتل هذا الإيلان تري أمام العامة. ومضت في عقل هرائن رؤى عن جموع ديلاف وهم يتحولون إلى حشد غوغائي يحرق الإيلان تريين في نوبة من الغضب الجماعي. هذا سيُفسد كل شيء. لن يقبل آيادون بشيء بالغ العنف مثل هذا الإعدام العلني، حتى لو كان الضحية إيلان ترياً. اشتم رائحة فوضى بلغت عقداً من الزمان، فوضى قد أطاحت بحكومة.

خطا هرائن إلى جانب المنصة بين مجموعة من الكهنة، كان هناك حشد من الناس يتزاحمون أمام المنصة وديلاف يقف أمامهم مباشرة بذراعين ممدودتين وهو يتحدث.

صرخ ديلاف: "يجب إبادتهم! إبادة كل واحد منهم! تطهيرهم بالنيران المقدسة!".

قفز هرائن أعلى المنصة وصرخ مقاطعًا الأرتيث: "يجب أن يتطهروا حقًا!".

صمت ديلاف للحظة ثم التفت إلى الجانب وأوما ناحية كاهن أدنى مرتبة يُمسك بمشعل مضاء. على الأرجح افترض أنه لا يوجد شيء يُمكن أن يفعله هرائن لوقف الإعدام، أو على الأقل لا يمكنه أن يفعل شيئًا يقوض مصداقيته أمام الحشد.

قال هرائن لنفسه: ليس هذه المرة أيها الأرتيث، لن أدعك تفعل ما يجلو لك. لا يُمكنه أن يعارض ديلاف دون أن يبدو أن هناك انقسامًا في صفوف الدريثيين.

ولكن يُمكنه أن يلوي كلمات ديلاف، وكانت هذه القدرة الصوتية أحد تخصصات هرائن.

صاح هرائن وهو يكافح ليعلو بصوته فوق الحشد الصاخب: "ولكن ما فائدة هذا؟".

كانوا يتدفقون للأمام في انتظار الإعدام وهم يلعنون الإيلان تري.

جزَّ هرائن على أسنانه وهو يشق طريقه متجاوزًا ديلاف ليأخذ الشعلة من يد الكاهن المار. سمع هرائن ديلاف يُصدر فحيحًا منزعجًا ولكنه تجاهل الأرتيث. إن لم يسيطر على الحشد فإنهم ببساطة سيندفعون للأمام ويهاجمون الإيلان تري بأنفسهم.

رفع هرائن الشعلة لأعلى مرارًا وتكرارًا فتعالى صراخ الحشد في ابتهاج، ليخلق نوعًا من الهتاف المتناعم.

كان هناك صمت يتخلل إيقاع الهتاف.

صرخ هراثن عندما صمت الحشد مستعدًا لفتاف آخر: "أسألکم مرة أخرى أيها الناس! ما الفائدة من قتل هذا المخلوق؟".

صرخ رجل من الحشد: "إنه شيطان!".

قال هراثن: "أجل! ولكنه يتعذب بالفعل، لقد منح جادث بنفسه هذا الشيطان لعنته، انصتوا إليه وهو يتوسل من أجل الموت! هل هذا ما تريدون فعله؟ أن تمنحوا هذا المخلوق ما يريد؟".

انتظر هراثن في توتر، بينما صرخ البعض من بين الحشد كما اعتادوا: "أجل". بينما صمت الآخرون. ظهر الارتباك وتلاشى قليل من التوتر.

قال هراثن: "السفراكيس هم أعداؤنا". كان يتحدث بمزيد من السيطرة، وقد صار صوته حازمًا بدلاً من كونه متحمسًا، فهذأت كلماته الناس أكثر. "ولكن ليس دورنا أن نعاقبهم، هذا ما يفعله جادث بكل سرور! أماننا نحن مهمة أخرى.

هذا المخلوق، هذا الشيطان، هو الشيء الذي يريدكم الكهنة الكوراثيون أن تشفقوا عليه، أنتم تتساءلون لم أربلون فقيرة مقارنة بأمم الشرق؟ هذا لأنكم تدفعون ثمن حماقة الكوراثيين. لهذا تفتقرون إلى الثروات والنعم الموجودة في أمم مثل جيندو وسفوردن. الكوراثيون متساهلون للغاية، قد لا تكون مهمتنا أن ندمر هذه المخلوقات، ولكن ليس مهمتنا أيضاً أن نعني بهم! وبالتأكيد لا يجب أن نُشقق عليهم أو نتحمل عيشتهم في مدينة عظيمة وثرية مثل إيلانتريس".

أطفأ هراثن المشعل ثم أشار إلى الكاهن أن يُطفأ المشاعل التي تضيء الإيلانترى المسكين. مع انطفاء المشاعل اختفى الإيلانترى عن الأنظار وبدأ الحشد في الاستقرار.

قال هراثن: "تذكروا أن الكوراثيين هم من يعتنون بالإيلانترين، وحتى هذا اليوم لا يزالون يتملصون من الإجابة عندما يسألهم أحد إن كان الإيلانتريون شياطين. الكوراثيون يخشون أن

تعود المدينة إلى مجدها، ولكننا لسنا بمثل سذاجتهم، نحن نعرف أن جادث قد أنزل عليهم لعنته، وليس هناك رحمة من أجل الملعونين!

الشو- كوراث هم سبب شقائكم، إنهم من يدعم إيلانتريس ويحميها، لن تتخلصوا من اللعنة الإيلانترية ما دام الكهنة الكوراثيون يسيطون نفوذهم على أربلون. لذا أقول لكم اذهبوا! أخبروا أصدقاءكم بما تعلمتموه، عليكم أن تنبذوا المرطقات الكوراثية!".

كان هناك صمت، ثم بدأ الناس يهتفون بالموافقة، وقد تحول اتجاه استيائهم بنجاح. راقبهم هرائن بحرص وهم يصرخون بالتأييد، وأخيراً بدأوا يتفرون، وقد تلاشى معظم كراهيتهم الانتقامية. تنفس هرائن الصعداء، لن تكون هناك أي هجمات في منتصف الليل على الكهنة الكوراثيين أو معابدهم. كانت خطبة ديلاف عابرة وسريعة للغاية، فلم يحدث أي ضرر لا يمكن إصلاحه، لقد تمكن هرائن من أن يتفادى الكارثة بنجاح.

التفت هرائن ليتفحص ديلاف بعينه، كان الأرتيث قد غادر المنصة بعد أن تولى هرائن زمام الأمور، وكان يقف وهو يشاهد الحشد يتفرق بنظرة غاضبة عدوانية.

قال هرائن لنفسه: *يُريد أن يحوهم جميعاً إلى نسخ منه متعصبه دينياً*. ولكن حماسهم سرعان ما سيحترق، بمجرد أن تمر اللحظة، إنهم بحاجة إلى المزيد، إنهم بحاجة إلى المعرفة وليس الهوس الديني فحسب.

قال هرائن بحزم وهو يلفت انتباه ديلاف: "يجب أن نتحدث أيها الأرتيث".

واصل الأرتيث التحديق بمحدة ثم أوماً برأسه. كان الإيلانتري لا يزال يصرخ طالباً الموت، فالتفت هرائن إلى أرتيثين آخرين وقال مشيراً إلى الإيلانتري: "خذنا المخلوق وانتظراني في الحديقة".

التفت هراثن إلى ديلاف ثم أوماً باقتضاب ناحية بوابة الكنيسة الخلفية. أطاع ديلاف الأمر وتمرك متجهًا ناحية الحديقة، لحق به هراثن وفي الطريق مر من أمام قائد حرس مدينة إيلانتريس المرتبك.

سأله الرجل: "سيدي؟ لقد لحق بي الكاهن الشاب قبل أن أعود إلى المدينة وأخبرني أنك تريد المخلوق مرة أخرى، هل ارتكبتُ خطأ؟".

قال هراثن باقتضاب: "لا بأس، فلتعد إلى موقعك، سنتعامل مع الإيلان تري".

\*\*\*

بدا الإيلان تري مُرحبًا بألسنة اللهب، رغم الألم الفظيع الذي ستسببه بلا شك. تنحى ديلاف جانبًا وهو يراقب بتلهف، رغم أن يد هراثن . وليس ديلاف . هي التي ألقى المشعل على الإيلان تري المغمور في الزيت. راقب هراثن المخلوق المسكين وهو يحترق، حتى أخذت النيران المتأججة صرخات الألم أخيرًا. بدا أن جسد المخلوق يحترق بسهولة . بسهولة شديدة . بداخل ألسنة اللهب اللافحة.

أحس هراثن بوخزة من الألم لأنه كان دايرين، ولكن هذا كان شعورًا أحرق، فقد لا يكون الإيلان تري شيطانًا حقيقيًا، ولكنه بالتأكيد مخلوق قد لعنه جادث. لا يدين هراثن للمخلوق بأي شيء.

ورغم هذا أحس بالأسف لأنه اضطر لحرق المخلوق، لسوء الحظ من الواضح أن الجروح التي أحدثها ديلاف قد أصابت الإيلان تري بالجنون، وكان من المستحيل إعادته إلى المدينة بحالته هذه، فكانت النيران هي الخيار الوحيد.

راقب هراثن عيني الرجل المثير للشفقة، حتى التهمته ألسنة اللهب تمامًا.



همس ديلاف مقتبسا من الدو-ديريث: "ونيران غضب جادث المتأججة ستطهرهم".

"الحكم من اختصاص جادث وحده، ولا ينفذه إلا خادمه الوحيد الويرن". قالها هراثن مقتبسا فقرة أخرى من الكتاب. "لم يكن عليك أن تضطريني إلى قتل هذا المخلوق".

قال ديلاف: "لم يكن هناك مفر من هذا، في النهاية يجب أن تنحني كل الأشياء أمام مشيئة جادث، ومشيئته هي أن تحترق إيلائنتريس بأسرها. أنا فقط أنفذ القدر".

قال هراثن بجدة: "لقد كدت أن تفقد سيطرتك على الحشد بشطحاتك هذه أيها الأرتيث، يجب أن نخطط للشورة بجذر وأن ننفذها بجذر، وإلا فمن المرجح أن تنقلب على صانعيها كما تنقلب على أعدائها".

قال ديلاف: "أنا فقط... تحمست بعض الشيء، ولكن قتل الإيلائنتري لم يكن ليجعلهم يثورون".

"أنت لا تعرف هذا، وأيضًا ماذا عن آيادون؟".

قال ديلاف: "كيف يُمكنه أن يعترض، إن أوامره أنه يُمكن حرق الإيلائنترين الهارين. إنه لم يقف في صف إيلائنتريس مُطلقًا".

قال هراثن: "ولكن يُمكنه أن يقف في وجهنا! كنت مخطئًا بجلب هذا المخلوق إلى الاجتماع".  
"يستحق الناس أن يروا ما يجب أن يكرهوه".

قال هراثن بقسوة: "الناس ليسوا مستعدين لهذا بعد، نريد أن نُبقي كراهيتهم مهمة، إن بدأوا في تمزيق المدينة فسيضع آيادون حدًا لتبشيرنا بالدين".

ضيق ديلاف عينيه وقال: "تبدو وكأنك تحاول تفادي ما لا مفر منه يا سيدي الهروذن. أنت من أحج هذه الكراهية ولكنك غير مستعد لتحمل مسؤولية القتلى الذين ستتسبب هذه الكراهية في سقوطهم؟ لا يمكن للكراهية والبغض أن يظلا مبهمين لوقت طويل، ولكن سيجدان متنفساً في النهاية".

قال هراثن بصراحة: "ولكن هذا المتنفس سيأتي عندما أقرر أنا هذا، أنا على دراية بالمسؤولية التي تقع على عاتقي أيها الأرتيث، ولكني أشك أنك تفهمها. لقد قلت للتو إن قتل هذا الإيلان تري كان قدراً، وأنت ببساطة تنفذ قدر جادث بحملي على فعل هذا. هل سيكون القتلى الذين ستسقطهم الثورة من صنيعي أم ببساطة هي مشيئة الرب؟ كيف يُمكنك أن تكون خادماً بريئاً بينما يجب عليّ أن أقبل المسؤولية الكاملة لمصير قاطني هذه المدينة؟".

زفر ديلاف في حدة، ولكنه يعترف بجزيمته عندما يُهزم. انحنى باقتضاب ثم استدار على عقبه ودلف إلى الكنيسة.

راقب هراثن الأرتيث وهو يختفي بينما الغضب مشتعل في أعماقه. كانت تصرفات ديلاف الليلية حمقاء ومتهورة. ولكن هل يحاول تقويض سلطة هراثن أم أنه ببساطة يتصرف بدافع من الحماس الديني؟ إن كانت الثانية فستكون الثورة الوشيكة خطأ هراثن، فقد كان يشعر بالفخر لاستخدامه ديلاف كأداة فعّالة.

هزّ هراثن رأسه وهو يأخذ نفساً عميقاً ليمالك أعصابه. لقد هزم ديلاف هذه الليلة، ولكن التوتر يتصاعد بينهما، لا يمكنه أن يتجادل معه علانية، فأى شائعات عن وجود خلاف في صفوف الديريثيين ستقوض مصداقيته.

يجب عليّ أن أفعل شيئاً حيال هذا الأرتيث. حسم هراثن قراره، إن ديلاف يتحول إلى عقبة كبيرة.

ما إن حسم هراثن قراره حتى استدار على عقبه ليغادر، ولكنه بينما يفعل هذا وقعت عيناه مرة أخرى على بقايا الإيلان تري المتفحمة فارتجف جسده رغمًا عنه. إن قبول هذا الرجل طواعية للإعدام حرقًا جلب ذكريات إلى ذهن هراثن، ذكريات يحاول منذ زمن طويل أن ينحيتها عن عقله، صورًا عن الألم والتضحية والموت.

ذكريات من دير داخور.

أدار ظهره إلى العظام المتفحمة ومشى ناحية الكنيسة، لا يزال أمامه مهمة أخرى لينهيها هذه الليلة.

\*\*\*

حلقت السيون من الصندوق استجابة لأمر هراثن. ويخ هراثن نفسه، فقد كانت هذه هي المرة الثانية خلال عشرة أيام التي يستخدم فيها هذا المخلوق، إن الاعتماد على السيون أمر يجب عليه أن يتجنبه، ولكن لم يستطع هراثن أن يفكر في طريقة أخرى ليحقق بما هدف. إن ديلاف محق، لم يعد هناك متسع من الوقت. لقد مر أربعة عشر يومًا بالفعل منذ وصوله إلى أريلون، وقد أمضى قبل هذا أسبوعًا في السفر. لم يتبق إلا سبعون يومًا من مهلته الأصلية، ورغم العدد الكبير للمصلين هذه الليلة لم يقنع هراثن إلا جزءًا ضئيلًا من أريلون بالدين الصحيح.

هناك حقيقة واحدة قد منحته أملاً، إن الغالبية العظمى من نبلاء أريلون موجودون في كاي، إن البعد عن بلاط آيادون يعد انتحارًا سياسيًا، فالملك يمنح الألقاب ويسحبها كما يشاء، وكان من الضروري أن يكون المرء بارزًا لضمان مكانة راسخة في الطبقة الأرستقراطية. لا يُبالي الويرن إن تمكن هراثن من إقناع العامة بالدين أم لا، فالبلد سيُعيد ديريثيًا ما دام النبلاء يمنون رؤوسهم.

لذا فإن هرائن لديه فرصة، ولكن لا يزال أمامه الكثير من العمل، وجزء مهم منه يكمن في الرجل الذي كان هرائن على وشك الاتصال به. لم يكن الرجل الذي سيتصل به جيورنًا، وهو ما جعل استخدام هرائن للسيون مُخالفًا لبعض الشيء لتعاليم الدين القويم. ولكن الويرن لم يأمره مباشرة بألا يتصل بالآخرين باستخدام السيون، لذا كان هرائن قادرًا على تبرير استخدامه له.

استجاب السيون على الفور، وسُرعان ما ظهر في الضوء وجه فورتون كبير الأذنين الأشبه بالفأر.

سأل باللهجة الفيوردية الفظة التي يتحدثون بها في ريف هروفل: "من هذا؟".

"هذا أنا يا فورتون".

سأله فورتون في دهشة: "سيدي هرائن؟ لقد مضى وقت طويل يا سيدي".

"أعرف يا فورتون، أتمنى أنك بخير".

ضحك الرجل في سعادة وسرعان ما تحولت ضحكته إلى سعال. كان فورتون يعاني سعالًا مزمنًا، وكان هرائن متيقنًا من أن هذا بسبب المواد المختلفة المولع بتدخينها.

قال فورتون من بين سعاله: "بالطبع يا سيدي، ومتى لم أكن بخير؟". كان فورتون قانعًا تمامًا بحياته، وهذه الحالة التي سببها أيضًا المواد المختلفة المولع بتدخينها. "ما الذي يُمكنني أن أفعله من أجلك؟".

قال هرائن: "أنا بحاجة إلى أكسير من أكاسيرك يا فورتون".

"بالطبع، بالطبع، ما الذي يجب أن يفعله؟".

ابتسم هراثن، كان فورتون عبقرياً لا يُضاهى، ولهذا يتحمل هراثن غرابة أطواره. إن الرجل لا يحتفظ بسيون فحسب، ولكنه أيضاً من أتباع الباطنية المخلصين، نسخة منحطة من الديانة الجسكورية الشائعة في المناطق الريفية. رغم أن هروفل أمة تتبع الديانة الديرثية رسمياً إلا أن جزءاً كبيراً منها هو مناطق ريفية متناثرة مزدحمة بالسكان، لذا من الصعب الإشراف عليها. الكثير من الفلاحين يحضرون القداس الديرثي بإخلاص شديد، ثم يشاركون في طقوس الباطنية في منتصف الليل بنفس الإخلاص. فورتون نفسه كان يُعد باطنياً إلى حد ما في بلده، ولكنه لا يُظهر إلا الدين الديرثي القويم عندما يتحدث مع هراثن.

شرح له هراثن ما يريده فكره فورتون عليه. رغم أن فورتون يكون تحت تأثير المخدر في كثير من الأحيان إلا أنه كان بارعاً للغاية في خلط العقاقير والسموم والأكاسير. لم يقابل هراثن أي رجل في سيكلا يُمكنه أن يُضاهي مهارة فورتون، كانت واحدة من تراكيب الرجل غريب الأطوار قد أعادت لهراثن عافيته بعد أن سمّه عدو سياسي، وقد قيل إنه لا يوجد أي ترياق للمادة بطيئة المفعول.

قال فورتون بلهجته الثقيلة: "لن يكون هناك أي مشكلة يا سيدي". لم يعد هراثن يواجه صعوبة في فهم الرجل الهروفي بعد سنوات من التعامل معه. كان على يقين من أن معظمهم لا يعرف حتى أن هناك نسخة نقية وصحيحة من لغتهم في فيوردن.

قال هراثن: "رائع".

قال فورتون: "أجل، كل ما أحتاج إلى فعله هو أن أمزج مركبين أمتلكهما بالفعل. ما القدر الذي تريده؟".

"جرعتان على الأقل، سأدفع لك الثمن المعتاد".

قال الرجل بشيء من التقوى: "إن أجري الحقيقي هو معرفتي بأنني قد خدمت الرب جاداً".

قاوم هرائن رغبته في الضحك، إنه يعرف مقدار ما تملكه الباطنية من سطوة على شعب هروفل، إنه شكل مقيت من العبادة، مزيج متنافر من عشرات الأديان المختلفة مع بعض التحريفات، مثل الأضحيات الطقوسية، وطقوس الخصوبة، التي أُضيفت إليها لتجعلها أكثر إغراءً. ولكنه سيتولى أمر هروفل في يوم آخر. الناس يفعلون ما يأمرهم به الويرن، وليس لهم أي قيمة سياسية يُمكن أن تُسبب متاعب لفيوردن. إن أرواحهم في خطر كبير بالطبع، فليس من المعروف عن جادث أنه يتساهل مع الجاهل.

قال هرائن لنفسه: في يوم آخر.

سأله الرجل: "متى سيحتاج سيدي هذا العقار؟".

"هذا هو بيت القصيد يا فورتون، أنا أحتاجه على الفور".

"أين أنت؟".

قال هرائن: "في أريلون".

قال فورتون: "أوه رائع، لقد قرر سيدي أخيراً أن يُدخل هؤلاء الوثنيين في الدين الصحيح".

قال هرائن بابتسامة شاحبة: "أجل، لقد تحلينا نحن الديرثيون بالصبر مع الأريلين طويلاً بما يكفي".

قال فورتون: "حسناً، لم يكن باستطاعتك يا سيدي أن تختار مكاناً أبعد، فحتى لو أنهيت العقار هذه الليلة وأرسلته في الصباح فلن يصل قبل أسبوعين على الأقل".

أحس هرائن بالسخط من هذا التأخير، ولكن لم يكن هناك خيار آخر. "حسناً، فلتفعلها إذن يا فورتون وسأعوضك عن تعجلي الشديد في الأمر".

"أي تابع مخلص لجادث سيفعل ما بوسعه لإقامة إمبراطوريته يا سيدي".

قال هراثن في قرارة نفسه: *على الأقل يعرف مذهبه الديرثي.*

سأله فورتون وهو يسعل قليلاً: "هل هناك شيء آخر يا سيدي؟".

"لا، فلتبأشر العمل، ولترسل العقار في أسرع وقت ممكن".

"بالطبع يا سيدي، سأبدأ على الفور. فلتصل من أجلي في أي وقت تحتاج إليّ فيه".

عقد هراثن حاجبيه، لقد نسي بشأن هذا الخطأ الصغير، يبدو أن فورتون لم يتقن عقيدته الديرثية رغم كل شيء. لا يعرف فورتون أن هراثن لديه سيون، لذا افترض ببساطة أن أي جيورن يمكنه أن يصلي إلى جادث وأن الرب سيوجه كلماته عبر السيونات، كأن الرب جادث ساعي بريد.

قال هراثن دون أن يظهر الاستياء في نبرة صوته: "طابت ليلتك يا فورتون". إن فورتون مدمن على المخدرات ومهرطق ومنافق، ولكنه لا يزال مصدرًا لفائدة جمّة. لقد قرر هراثن منذ وقت طويل أنه إن كان جادث سيسمح للجيورنات بالتواصل باستخدام السيونات فمن المؤكد أنه سيسمح لهراثن باستخدام رجال مثل فورتون.

فعلى أي حال جادث قد خلق كل البشر، بمن فيهم المهرطقين.

## الفصل التاسع عشر

كانت مدينة إيلانتريس في غاية التألق، الأحجار ذاتها مضيئة كأنما هناك نيران مشتعلة بداخلها، والقباب المتداعية قد ترممت، وازدهرت أسطحها الملساء على طول المشهد، والأبراج الرفيعة تعلق في الهواء كخطوط من الضوء. لم يعد السور حاجزًا فبوابته قد تركت مفتوحة بشكل دائم، إنه موجود لا للحماية بل من أجل الترابط. كان السور جزءًا من المدينة بطريقة ما، وعنصرًا جوهريًا من الكل، فمن دونه لن تكتمل إيلانتريس.

وبين هذا الجمال والبهاء كان الإيلانتيون، أجسامهم تتألق بنفس الضوء الذي يضيء المدينة، وجلودهم بلون فضي ساطع، لم يكن لونًا معدنيًا ولكنه... لون نقي. كان شعرهم أبيض، ولكنه ليس ذلك الرمادي الباهت أو الأصفر كشعر العجائز، بل لون أبيض متوهج كأنما هو فولاذ قد تعرض لدرجة حرارة قصوى، لون خالٍ من الشوائب، لون أبيض ناصع البياض.

كانت تحيط بهم هالة مذهلة بنفس القدر، فيتحرك الإيلانتيون عبر المدينة بحينة توحى بالسلطة النامة. كان الرجال يتحلون بالوسامة والطول، حتى قصار القامة منهم. وتتحلى النساء بجمال لا تخطفه عين، حتى أقلهن اهتمامًا بمظهرهن. كانوا يمشون على مهل، ويمجئون أولئك الذين يلاقوهم بابتسامات تلقائية، ولكن كان هناك قوة فيهم، تشع من أعينهم وتنبدى في حركاتهم. كان من السهل أن تفهم لمَ قد يُعبدون كألهة.

ولم تكن العين ليفوتها الآيونات أيضًا، كانت الحروف القديمة تُغطي المدينة، محفورة في الجدران ومرسومة على الأبواب ومكتوبة على اللافتات. معظمها كانت علامات بسيطة خاملة، بدلًا من أن تكون طلاس ذات غرض سحري. وكان هناك حروف أخرى من الواضح أنها تحوي طاقة، ففي جميع أرجاء المدينة كان هناك لوحات معدنية نُقش عليها آيون تيا، وفي بعض



الأحيان يقترب إيلان تري من المكان ويضع يده . أو يدها . في منتصف الحرف، حينها يومض جسد الإيلان تري قبل أن يختفي في دوامة منفجرة من الضوء، فينتقل جسده على الفور إلى قسم آخر من المدينة.

ووسط هذا البهاء كان هناك أسرة صغيرة من قاطني كاي، كانت ثيابهم فاخرة وأنيقة، وكلماتهم تشي بالثقافة، ولكن بشرتهم لم تكن تتوهج. كان هناك أناس آخرون عاديون في المدينة، عددهم لا يُضاهي الإيلان تريين ولكنه يظل عددًا كبيرًا. هذا أراح الصبي ومنحه إحساسًا بالألفة.

كان الأب يحمل ابنه الصغير بإحكام وهو يتلفت حوله في ريبة، لم يكن الجميع معجبين بالإيلان تريين، فبعضهم يرتاب منهم. كانت أم الفتى تُمسك بذراع زوجها بأصابع متوترة. لم تدخل إيلان تريس من قبل، رغم أنها تعيش في كاي منذ أكثر من عشر سنوات. على عكس والد الصبي كانت متوترة أكثر من كونها مرتابة. كانت قلقة بشأن جرح ابنها، مهمومة كأبي أم يحتضر طفلها.

فجأة أحس الصبي بالألم في ساقه، كان ألمًا حارقًا وشديدًا، ناجمًا عن الجرح المتقيح، وكسر في عظمة الفخذ. لقد سقط من مكانٍ عالٍ وانكسرت ساقه بشدة حتى إن العظام المتكسرة قد مزّقت الجلد لتبرز من تحته.

لقد استأجر أبوه أفضل الجراحين والأطباء، ولكنهم لم يقدرُوا على علاج تلوث الجرح. لقد أعادوا العظمة إلى موضعها قدر الإمكان، بالأخذ في الاعتبار أنها قد تكسرت في عشرة أماكن على الأقل. حتى من دون تلوث الجرح فإن الطفل سيمشي أعرج لبقية حياته. أما مع التلوث... كان البتر هو الحل الوحيد؛ بل كان الأطباء يخشون في قرارة أنفسهم أن الأوان قد فات على هذا الحل، فالجرح قد حدث في أعلى الساق، وربما انتشرت العدوى لتصل إلى الجذع. لقد طلب منهم الأب أن يخبروه بالحقيقة، كان يعرف أن ابنه يحتضر ولهذا جاء إلى إيلان تريس، رغم أنه لم يثق في آهنتها طيلة حياته.

لقد أخذ الصبي إلى مبنى تعلوه قبة، وكاد الصبي أن ينسى ألمه عندما انفتح الباب من تلقاء نفسه وانزلق إلى الداخل بدون صوت. أما أبوه فقد توقف فجأة أمام الباب وكأنما يعيد النظر في تصرفاته، ولكن الأم جذبت ذراع الرجل في إصرار. أوماً الأب ثم أحنى رأسه وهو يدلّف إلى الداخل.

كان الضوء يشع من الآيونات المتوهجة على الجدران، اقتربت منهم امرأة بشعر أبيض طويل وكثيف، وعلى وجهها الفضي ابتسامة مشجعة. تجاهلت ريبة الأب بينما تنظر إلى الصبي بعينين متعاطفتين، قبل أن تأخذه من بين ذراعيه المتردتين. وضعتة بعناية على بساط ناعم، ثم رفعت يدها في الهواء من فوقه وسبابتها تشير إلى الفراغ.

حرّكت الإيلانترية يدها ببطء فبدأ الهواء يتوهج. كان هناك أثر من الضوء يتبع إصبعها، خط يشع بحدة وعمق كأنما يشق الهواء. بدا كأنه نمر من الضوء يحاول أن يشق طريقه عبر صدع صغير. كان الفتى قادراً على الإحساس بالقوة، الإحساس بما تتأجج وهي تحاول أن تتحرر، ولكن لم يُسمح بالهرب إلا لهذا القدر الصغير. وحتى هذا القدر كان ساطعاً للغاية، حتى إنه بالكاد كان قادراً على أن يرى.

راحت المرأة تحرك إصبعها بعناية حتى أكملت آيون آين، ولكنه لم يكن آيون آين فحسب، بل كان شيئاً أكثر تعقيداً. كان الجوهر هو آيون الشفاء المألوف، ولكن كان هناك عشرات الخطوط والمنحنيات على جوانبه. قطّب الصبي جبينه، لقد تعلم الآيونات على يد معلميه، وبدا غريباً أن تُغير المرأة هذه الآيون جذرياً.

وضعت الإيلانترية الجميلة علامة أخيرة على جانب بنائها المعقد فبدأ الآيون يتوهج بشكل أكثر حدة. أحس الفتى بألم حارق في ساقه، ثم ألم حارق بالأعلى في جذعه، بدأ يصرخ ولكن سرعان ما تلاشى الضوء. فتح الصبي عينيه بدهشة، بينما لا تزال صورة الآيون مطبوعة في بصره. رمش بعينيه وهو ينظر لأسفل، كان الجرح قد تلاشى، ولم يتبقّ منه حتى ولو ندبة.

ولكنه كان لا يزال قادرًا على الإحساس بالألم، يحرقه ويمزقه ويجعل روحه ترتجف، كان من المفترض أن يتلاشى ولكنه لم يتلاش.

قالت الإيلانترية بصوت دافئ وهي تدفعه إلى الورا: "فلتسترح الآن يا صغيري".

كانت أمه تبكي في بحجة وحتى أبوه بدا راضيًا. أراد الفتى أن يصرخ في وجهيهما بأن هناك شيئًا خاطئًا، لم تُشفَ ساقه، لا يزال الألم موجودًا.

حاول أن يقول: لا! هناك شيء خاطئ! ولكنه لم يستطع. لم يستطع أن يتحدث...

\*\*\*

صرخ رابودن وهو ينتفض جالسًا: "لا!". رمش بعينيه بضع مرات فاقدا الإحساس بالاتجاهات في الظلمة، وأخيرًا أخذ نفسًا عميقًا ووضع يده على رأسه، كان الألم لا يزال موجودًا ويزداد قوة حتى إنه صار يتسلل إلى أحلامه. لقد صار لديه عشرات من الجروح والكدمات الصغيرة، رغم أنه لم يمضِ عليه في إيلانتريس سوى ثلاثة أسابيع. كان قادرًا على أن يشعر بكل جرح وكدمة على حدة، لتُشكل معًا هجومًا متحدثًا على عقلانيته.

تأوه رابودن وهو يميل إلى الأمام ويُمسك بساقيه كأنما ليُصارع الألم، لم يعد جسده يعرق، ولكنه أحس به يرتجف. جزَّ على أسنانه في مواجهة تدفق من العذاب. ببطء وبمشقة استعاد سيطرته على جسده. كبح جماح الألم هذًا جسده المعذب، حتى استطاع أخيرًا أن يترك ساقيه ويعتدل واقفًا.

كان الأمر يزداد سوءًا، وكان يعرف أنه لا يجب أن يكون بهذا السوء بعد، كان يعرف أيضًا أن الألم من المفترض أن يكون ثابتًا، أو هكذا يقول الجميع، ولكن بالنسبة له بدا أن الألم يأتي في موجات. كان الألم موجودًا دومًا، ومستعدًا دومًا للانقضاض عليه في لحظة ضعف.

تهند رايبودن ودفع الباب المؤدي إلى حجرته. لا يزال يجد أنه من الغريب أن الإيلانترين بحاجة إلى النوم، إن قلوبهم لم تعد تنبض، ولم يعودوا بحاجة إلى التنفس، فلم يحتاجون إلى النوم؟ لم يستطع الآخرون أن يمنحوه إجابة، فالخبراء الحقيقيون قد ماتوا قبل عشر سنوات.

وهكذا ينام رايبودن، ومع هذا النوم تأتي الأحلام. كان في الثامنة من عمره عندما كسر ساقه، وقد كره أبوه أن يجلبه إلى المدينة. لطالما شعر آيادون بالريبة تجاه إيلانتريس، حتى قبل الريدو، ولكن أم رايبودن. التي ماتت قبل اثني عشر عامًا. أصرت على الأمر.

لم يفهم الطفل رايبودن مدى اقترابه من الموت، غير أنه شعر بالألم، والسكينة التي تلت إزالته. إنه يتذكر جمال كل من المدينة وقاطنيها. لقد تحدث آيادون بكلمات قاسية عن إيلانتريس وهم يغادرون، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتذكر فيها رايبودن أنه قد عارض كلمات أبيه بشدة. كانت المرة الأولى التي يتذكر فيها رايبودن أنه قد اتخذ موقفًا ضد أبيه، وبعدها كان هناك مرات أخرى عديدة.

عندما دلف رايبودن إلى الكنيسة الرئيسية ترك سايولين موضعه بجانب حجرة رايبودن وبدأ يمشي بجواره. طيلة الأسبوع الماضي كان الجندي قد جمع مجموعة من المتطوعين وشكل منهم فرقة من الحراس.

قال رايبودن: "تعرف أنني سعيد باهتمامك يا سايولين، ولكن هل هذا ضروري حقًا؟".

قال سايولين: "إن أي لورد يحتاج إلى حرس شرطي يا لورد سبيريت. لن يكون من اللائق أن تذهب وتجيء بمفردك".

قال رايبودن: "أنا لست لورد يا سايولين، بل مجرد قائد، فليس هناك أي طبقة نبيلة في إيلانتريس".

أوما سايولين ثم قال: "أفهم يا سيدي اللورد". دون أن يدرك التناقض الواضح في كلماته. "ولكن المدينة لا تزال مكانًا خطيرًا".

قال رايودن: "كما تشاء، ما أخبار الزراعة؟".

قال سايولين: "لقد انتهى جالادون من الحرث، وقد نظم بالفعل فرق الزراعة".

نظر رايودن من نافذة الكنيسة ليلاحظ مدى ارتفاع الشمس في السماء فقال: "لم يكن من المفترض أن أنام طويلاً". غادر المبنى وسايولين في عقبه، ثم قطع الممر الحجري النظيف المؤدي إلى الحدائق. كان كاهار وطاقمه قد نظفوا الأحجار، وبعدها استخدم داهاد. أحد أتباع تان. مهارته في الأعمال الحجرية لإعادة ضبطها.

كانت أعمال الزراعة تجري على قدم وساق، جالادون يُشرف على العمل بنظرة حريصة، ولسانه اللفظ يُسرّع للإشارة إلى أي أخطاء. ولكن كان هناك شيء من السكينة يكتنف الدولادي. بعض الرجال قد صاروا مزارعين لأنه لم يكن لديهم خيار آخر، ولكن يبدو أن جالادون يجد متعة حقيقية في هذا العمل.

كان رايودن يتذكر بوضوح ذلك اليوم الأول الذي أغرى فيه جالادون بقطعة من اللحم المجفف، بالكاد كان ألم صديقه تحت السيطرة في ذلك الوقت، فقد أحس رايودن بالخوف من الدولادي عدة مرات في تلك الأيام الأولى، الآن لم يتبقَّ شيء من هذا، كان رايودن قادرًا على أن يرى هذا في عيني جالادون وتصرفاته. لقد عثر على "السر" كما أسماه كاهار. لقد استعاد جالادون سيطرته على نفسه مرة أخرى. والآن لم يعد هناك أحد يخشاه رايودن إلا نفسه.

كانت نظريته تعمل بشكل أفضل مما توقع، ولكن يبدو أنها تعمل على كل شخص عداه، لقد جلب السكينة والغاية للعشرات الذين قد تبعوه، ولكنه لا يستطيع أن يفعل الشيء ذاته لنفسه، لا يزال الألم يحرقه، إنه يهدده كل صباح عندما يستيقظ، ويبقى معه في كل لحظة يكون

فيها واعيًا. لقد كان أكثر عزماً من أي شخص آخر، وأكثر إصراراً على نجاح إيلانتريس. لقد جعل نفسه مشغولاً طوال اليوم، فلم يترك أي لحظات فراغ تجعله يتفكر في معاناته. ولكن لم ينجح أي من هذا، لا يزال الألم يتعاضم.

صاح سايولين: "فلتحترس يا سيدي!".

قفز رابودن وهو يلتفت بينما إيلان تري عاري الصدر يخرج راکضاً من زقاق مظلم وهو ينقض عليه مزججاً. بالكاد وجد رابودن وقتاً لكي يتراجع للوراء، بينما الرجل الوحشي يرفع قضيباً حديدياً صدناً ويهوي به مباشرة على وجهه.

لمع فولاذ بشكل مفاجئ بينما سيف سايولين يصد الضربة. توقف الوافد الوحشي الجديد وهو يعيد توجيه نفسه ناحية العدو الجديد. كان يتحرك ببطء شديد، فوجهت يد سايولين ضربة متمرسية اخترقت بطن الرجل المجنون مباشرة. ولكن سايولين أدرك أن هذه الضربة لن توقف إيلان ترياً، فلوح بسيفه في ضربة قوية فصلت رأس المجنون عن جسده، ولم يكن هناك أي دماء.

تماوت الجنة على الأرض، فلوح سايولين لرابودن بسيفه في تحية وهو يتسم ابتسامة مطمئنة كشفت عن فجوة في أسنانه. ثم دار على عقبه ليووجه مجموعة من الرجال الوحشيين ينقضون نحوها من شارع قريب.

تعثر رابودن إلى الوراء في دهول وهو يقول: "لا يا سايولين! هناك الكثير منهم!".

لحسن الحظ كان رجال سايولين قد سمعوا الجلبة، وفي غضون ثوانٍ كان خمسة منهم. سايولين وداش وثلاثة جنود آخرون. يصلدون الهجوم، قاتلوا ببراعة وقد سدوا الطريق إلى بقية الحداثق أمام العدو، يقاتلون بتناسق جنود متمرسين.

كان عدد رجال شايور كبيراً، ولكن غضبهم لم يكن ليضاهي الكفاءة القتالية. كانوا يهاجمون فرادى، وقد أعماهم اندفاعهم. وفي غضون لحظات كانت المعركة قد انتهت، بينما العدد القليل المتبقي من المهاجمين يلوذ بالفرار.

نظف سايولن سيفه بكفاءة، ثم استدار مع الآخرين ليحيوا رابودن في تناسق.

لقد حدثت المعركة كلها بسرعة كبيرة على أن يلاحق رابودن ما يحدث، ولكنه أخيراً تمكن من أن يقول: "أحسنتم صنعاً".

جاء صوت تنهد من جانبه، حيث كان جالادون جاثياً بجانب جثة الرجل الأول مقطوعة الرأس، ثم تتمم قائلاً: "لا شك أنهم قد عرفوا أن لدينا ذرة، يا للولوس المساكين".

أوما رابودن برأسه في وجوم وهو يتأمل الرجال الوحشيين المهزومين. كان أربعة منهم مستقلقين على الأرض، ممسكين بإصابات مختلفة. كانت جميعها لتؤدي إلى موته لو لم يكونوا إيلانترين، ولهذا لم يكن باستطاعتهم إلا التأوه أماً. أحس رابودن أن الأمر مألوف، إنه يعرف هذا الشعور بالألم.

قال بصوت خافت: "لا يمكن لهذا أن يستمر".

أجابه جالادون وهو يقف إلى جانبه: "لا أرى كيف يُمكنك أن توقف هذا يا سول، إهم رجال شايور، وحتى هو لا يسيطر عليهم تماماً".

هز رابودن رأسه وقال: "لن أنقذ شعب إيلانتريس ثم أتركهم يتقاتلون طيلة حياتهم. لن أبنى مجتمعاً على جثث الضحايا، ربما نسي أتباع شايور أنهم بشر، ولكنني لن أنسى".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "كان هناك احتمال أن تُفنع كاراتا وآندين، حتى وإن كان احتمالاً ضئيلاً، ولكن شايور مختلف تماماً، لم يعد هناك أدنى ذرة من البشرية في هؤلاء الرجال، لا يمكنك أن تفاهم معهم".

قال رابودن: "إذن فسوف أعيد إليهم عقلمهم".

"وكيف تنوي فعل هذا يا سول؟".

"سأجد طريقة".

جنا رابودن على ركبتيه بجانب الرجل المجنون الذي سقط أرضاً، وكان هناك شيء في أعماق عقله يخبره أنه قد التقى بهذا الرجل قبل وقت ليس ببعيد. لم يكن رابودن متيقناً، ولكنه ظن أن الرجل كان أحد أتباع تان، واحداً من الرجال الذين واجههم رابودن أثناء محاولة داش للإغارة عليهم.

قال رابودن لنفسه: *إذن فالأمر حقيقي*. أحس بمعدته تنقبض. العديد من أتباع تان قد جاؤوا للانضمام إلى رابودن، ولكن الغالبية العظمى منهم لم يأتوا، وكان هناك همسات بأن العديد منهم قد شقوا طريقهم إلى قطاع التجار في إيلانتريس، للانضمام إلى رجال شايور الوحشيين. لم يكن الأمر مستبعداً، فهؤلاء الرجال كانوا مستعدين لأن يتبعوا رجلاً يبدو مختلفاً مثل آندين. كانت عصاية شايور هي الخطوة التالية فحسب.

سأله ساويلين في تردد: "ما الذي يجب أن نفعله بهم يا لورد سيريت؟".

نظر رابودن إليهم بعينين مشفقتين ثم قال: "إنهم لا يشكلون أي خطر علينا الآن يا ساويلين، فلتضعوهم مع الآخرين".

\*\*\*



بعد نجاح رايبودن مع عصابة آندين وما تلا هذا من الازدياد الكبير في أعداد جماعته فعل شيئاً كان يريد أن يفعله منذ البداية؛ بدأ في جمع المبتلين في إيلانتريس، هؤلاء الذين سقطوا تحت وطأة الآمهم.

جمعهم من الشوارع والمجاريب، وفشش عنهم في جميع المباني، ما انهار منها وما لا يزال قائماً، محاولاً أن يجد كل رجل وامرأة وطفل في إيلانتريس قد استسلم لآلامه. كانت المدينة ضخمة، وأعداد رجال رايبودن محدودة، ولكنه تمكن من جمع المئات منهم، وأمر بوضعهم في ثاني مبنى قد نطقه كاهار، مبنى ضخم مفتوح كان ينوي في البداية أن يستخدمه كمكان للاجتماع. لن تنتهي معاناة الهويد، ولكن على الأقل يمكنهم أن يحتفظوا بشيء من كرامتهم.

ولن يواصلوا المعاناة في وحدة، لقد أمر رايبودن أتباعه بزيارة الهويد. عادة ما يكون بعض الإيلانترين يمشون بينهم ويتحدثون بكلمات لطيفة ويحاولون أن يجعلهم مرتاحين قدر الإمكان بأخذ ظروفهم بعين الاعتبار. لم يكن هذا بالكثير، ولم يكن أحد قادراً على تحمل قضاء وقت طويل بين الهويد، ولكن رايبودن قد أفتع نفسه بشكل ما أن هذا يساعدهم. كان يفعل بنفسه ما يأمر به أتباعه، فيزور قاعة المبتلين على الأقل مرة كل يوم، وبدا له أنهم يتحسنون. كان الهويد لا يزالون يتأوهون ويتمتمون ويحدقون إلى الخواء. ولكن أصحاب الأصوات الأعلى من بينهم قد بدوا أكثر هدوءاً، والقاعة التي كانت ذات يوم مكاناً للصرخات والأصدااء المخيفة قد صارت مكاناً من التتمتات الخافتة واليأس الصامت.

تحرك رايبودن فيما بينهم بحزن، وهو يساعد في حمل أحد المبتلين الجاهمين. لم يكن هناك سوى أربعة منهم، وقد أمر بدفن الرجل الخامس الذي قطع سايولين رأسه. فحسبما يمكن هم القول، فإن أي إيلانترى يموت عندما يُقطع رأسه تماماً، على الأقل لا تتحرك عيناه ولا تحاول شفتاه أن تتحدثا إن كان الرأس منفصلاً تماماً عن الجسد.

بينما رايبودن يمشي بين الهويد كان يسمع تتمتاتهم الخافتة.

"جميلة، كنت ذات يوم جميلة للغاية..."

"الحياة، الحياة، الحياة، الحياة، الحياة..."

"يا دومي، أين أنت؟ متى سينتهي الأمر؟ يا دومي..."

عادة ما يكون مضطربًا لتجاهل الكلمات بعد فترة من الوقت خشية أن تدفعه إلى الجنون، أو ما هو أسوأ؛ أن توقظ الألم بداخل جسده. كان آين هناك، يطفو حول الرؤوس الشاردة والأجسام الساقطة، كان السيون يقضي الكثير من الوقت في القاعة، وبدا بشكل غريب أنه ينتمي إلى المكان.

سرعان ما تركت المجموعة الواجمة القاعة في صمت وكل منهم يحتفظ بأفكاره لنفسه. عندما لا حظ رابودن التمزق في روب سايولين قال له: "لقد جُرحت!"

قال سايولين بلا اكتراث: "إنه جرح طفيف يا سيدي".

قال: "هذا التواضع يكون محمودًا بالخارج يا سايولين، ولكن ليس هنا، يجب أن تقبل اعتذاري".

قال سايولين بجدية: "إن كوين إيلانترًا يجعلني أكثر فخرًا بإصابتي بهذا الجرح، لقد أصبت وأنا أحمي شعبنا".

نظر رابودن وراءه إلى القاعة في ألم وقال: "إنه فقط يقربك خطوة أخرى..."

"لا يا سيدي، لا أعتقد هذا، هؤلاء الناس استسلموا لآلامهم لأنهم لا يجدون غاية، إن عذابهم بلا معنى، وعندما لا يجد المرء سببًا للحياة فإنه عادة ما يستسلم. هذا الجرح سيؤلمني، ولكن كل طعنة ألم ستذكركني أنني نلته بشرف. وأعتقد أن هذا ليس شيئًا سيئًا".

تأمل رايبودن الجندي العجوز بنظرة احترام، ربما في العالم الخارجي كان على وشك أن يتقاعد، ولكن في إيلانتريس، مع إصابة الجميع بالشايود، بدا وكأنه في نفس عمر أي شخص آخر، لا يمكن للمرء تمييز العمر بناءً على المظهر، ولكن يمكن تمييزه من خلال الحكمة.

قال رايبودن: "أنت تتحدث بفتنة يا صديقي، ويشرفني أن أقبل تضحيتك".

قاطع المحادثة صوت أقدام تضرب أحجار الرصف، وبعد لحظات ظهرت كاراتا أمامهما وقدماهما متسختان بالوحل من خارج منطقة الكنيسة. سيكون كاهار غاضبًا، لقد نسيت أن تمسح قدميها، والآن تترك أثرًا من الوحل على الأحجار النظيفة.

من الواضح أن كاراتا لم تكن تبالي بشأن الوحل في هذه اللحظة. فقد راحت تتفحص المجموعة بسرعة لتتقن من أن الجميع موجودون، ثم قالت: "سمعت أن شايور قد هجم، هل كان هناك أي ضحايا؟".

"خمسة، ولكنهم جميعًا من المهاجمين".

سبّت قبل أن تقول: "كان من المفترض أن أكون هنا". كانت تشرف على نقل أتباعها إلى منطقة الكنيسة طيلة الأيام القليلة الماضية، وقد وافقت على أن المجموعة المركزية الموحدة ستكون أكثر قوة، وأن منطقة الكنيسة مكان أنظف. الغريب هو أن فكرة تنظيف القصر لم تختر ببالها، فمعظم الإيلانترين كانوا يقبلون أن الوحل جزء لا يتجزأ من الحياة.

قال رايبودن: "إن لديك ما يشغلك من مهام، ولم يكن بمقدورك أن تتوقعي هجوم شايور".

لم تجبه كاراتا، ولكنها وقفت إلى جانبه دون مزيد من الشكوى.

قال جالادون مبتسمًا: "فلنتظر إليه يا سول، لم أكن أظن أن هذا ممكن".

نظر رايودن إلى حيث ينظر الدولادي، كان تان جائيًا على ركبته بجانب الطريق يتفحص النقوش على جدار قصير بانبهار طفولي. كان البارون السابق قصير القامة قد قضى الأسبوع كله يصنف كل نحت أو نقش أو زخرفة في منطقة الكنيسة، لقد اكتشف بالفعل "ما لا يقل عن اثني عشر أسلوبًا جديدًا" بحسب كلماته. كانت التغيرات التي طرأت على تان مدهشة وكذلك فقدانه المفاجئ للولع بالقيادة. حافظت كاراتا على قدر من النفوذ في المجموعة، فقد قبلت أن يكون رايودن هو صاحب الكلمة الأخيرة، ولكنها احتفظت بمعظم سلطتها، بعكس تان الذي لم يعد يكثر حتى بإصدار الأوامر، فقد كان منشغلًا للغاية بدراسة النقوش.

لم يبدو أن أتباعه. أو هؤلاء الذي قرروا منهم أن ينضموا لرايودن. يمانعون الأمر. كان تان يقدر أن قرابة ثلاثين بالمتة من بلاطه قد التحقوا برايودن متقاطرين في مجموعات صغيرة. كان رايودن يأمل أن من لم يأتوا قد اختاروا العزلة، فقد كانت فكرة انضمام سبعين بالمتة من أتباع عصابة تان الضخمة إلى شايبور مقلقة للغاية. لقد انضم إلى رايودن كل أتباع كاراتا، ولكن عصابتها كانت دومًا الأصغر من بين الثلاثة وإن كانت أكثرهم كفاءة. لطالما كانت عصابة شايبور هي الأكبر، ولطالما افتقر أفرادها إلى التنظيم وإلى الدافع لمهاجمة العصابتين الآخرين. الوافدون الجدد الذين يكونون من نصيب رجال شايبور من آن لآخر يُشبعون تعطشهم للدماء.

ولكن هذا قد توقف، لن يقبل رايودن بأي شكل من الأشكال أن يقتسم الوافدين الجدد مع هؤلاء المجانين، أو أن يسمح لهم بتعذيب الأبرياء. كاراتا وسايولين يتلقيان كل من يُلقى إلى داخل المدينة ويحلبانه إلى الأمان في فرقة رايودن. حتى الآن لم يكن رد فعل رجال شايبور جيدًا. وكان رايودن يخشى أن الأمر سيزداد سوءًا.

قال لنفسه: سيكون عليّ أن أفعل شيئًا حيالهم. ولكن كان عليه أن يهتم بهذه المشكلة في يوم آخر، فقد كان لديه كتاب يجب عليه إنهاء قراءته في الوقت الراهن. ما إن وصلوا إلى الكنيسة

حتى عاد جالادون إلى الزراعة، وتفرق رجال سايولين في دوريات الحراسة، وقررت كاراتا . رغم احتجاجاتها السابقة . أن تعود إلى القصر، وسرعان ما تبقى رابودن وسايولين وحدهما .

بعد المعركة والنوم لوقت متأخر كان رابودن قد أضع نصف ضوء النهار بالفعل، فعكف على الكتاب بعزيمة . وبينما كان جالادون منشغلاً بالزراعة، وكاراتا تُغلي القصر، كان الواجب الذي كلف رابودن نفسه به هو أن يحل رموز الآيوندور قدر الإمكان . لقد ازدادت قناعته كثيراً أن الأحرف السحرية القديمة تُخفي سر سقوط إيلانتريس .

مد يده من خلال إحدى نوافذ الكنيسة، وجذب كتاب الآيوندور السميك الموضوع على الطاولة بالداخل . حتى الآن لم يكن الكتاب مفيداً كما يأمل، لم يكن دليلاً إرشادياً، بل مجموعة من دراسات الحالات، التي تفسر الحوادث الغريبة والمثيرة للاهتمام، المحيطة بالآيوندور . لسوء الحظ كان الكتاب متقدماً للغاية، فكان يمنح أمثلة لما لا يفترض أن يحدث، لذا احتاج رابودن إلى استخدام التفكير العكسي، ليفك شفرة منطق الآيوندور .

لم يقدر حتى الآن إلا على فهم القليل، صار من الواضح أن الآيونات هي مجرد نقاط بداية، الأشكال البسيطة الأولية التي يُمكن للمرء رسمها لإحداث تأثير . تماماً مثل آيون الشفاء واسع النطاق الذي كان في حلمه، فإن الآيوندور المتطور يتكون من رسم آيون أولي ثم الشروع في رسم أشكال أخرى من حوله، أحياناً تكون مجرد نقاط وخطوط . كانت هذه النقاط والخطوط عبارة عن حواجز تُضيق نطاق تركيز القوة الموسعة . يُمكن على سبيل المثال من خلال رسم دقيق أن يحدد المعالج الطرف الذي سيُعالجه، وما الذي يجب فعله بالضبط، وكيف يُمكن تطهير التلوث .

كلما قرأ رابودن أكثر قلت نظرتة إلى الآيونات على أنها رموز سحرية، وبدت بالنسبة له أشبه بالحسابات الرياضية . فبينما يُمكن لأي إيلان تري أن يرسم الآيونات . فكل ما يتطلبه الأمر هو يد ثابتة ومعرفة أساسية بكيفية كتابة الحروف . كان سادة الآيوندور هم من يمكنهم أن يرسموا

بسرعة ودقة عشرات التعديلات الصغيرة حول الآيون المركزي. لسوء الحظ يفترض الكاتب أن القارئ لديه معرفة شاملة بالآيوندور، فيتخطى معظم المبادئ الأساسية. كانت الرسومات التوضيحية القليلة معقدة للغاية، حتى إن رابودن لم يستطع أن يميز حرف الآيون الأساسي دون الاستعانة بالنص.

صاح رابودن: "فقط لو أنه يشرح ما الذي يعنيه تسخير الدور!". أعاد قراءة هذا المقطع المزعج الذي يواصل استخدام هذه الجملة مرارًا وتكرارًا.

التفت جالادون إليه تاركًا ما يزرعه وهو يقول: "الدور يا سول؟ يبدو أنه مصطلح دولادي".

اعتدل رابودن في جلسته، فقد كان الحرف المستخدم في الكتاب للإشارة إلى كلمة "دور" حرفًا غير مألوف، في الحقيقة لم يكن حرفًا آيونيًا على الإطلاق، بل ببساطة مجرد تمثيل صوتي، كأن الكلمة قد تُرجمت عن لغة أخرى.

قال رابودن: "أنت محق يا جالادون، إنه ليس مصطلحًا آيونيًا على الإطلاق".

"إنه ليس كذلك بالطبع، لا يمكن أن يكون آيونًا، فليس به إلا حركة صوتية واحدة".

"هذه طريقة مبسطة لوصف الأمر يا صديقي".

"لكنها صحيحة، كولو؟".

قال رابودن: "أجل، أفترض هذا. ولكن هذا لا يهم الآن، المهم هو دور؛ ما الذي تعنيه؟".

"حسنًا، إن كانت الكلمة التي أعرفها فهي تشير إلى شيء في الديانة الجسكية".

سأله رابودن في ريبة: "ما علاقة الباطنية بهذا الأمر؟".

قال جالادون بمنق: "بحق الدولوكين يا سول! لقد قلت لك، إن العسكرية والباطنية ليستا الشيء ذاته! إن ما تسميه أويبولون الباطنية العسكرية لا ينتمي إلى الدولادية إلا بقدر انتمائه إلى الشو-كيسج".

قال رابودن وهو يرفع يديه: "فهمت وجهة نظرك. والآن أخبرني بشأن الدور".

قال جالادون وهو يتكى على فأس صنعها كيفما اتفق من عصا وصخرة مدبية: "من الصعب تفسير الأمر يا سول، الدور هو قوة غير مرئية، إنه في كل شيء ولكن لا يمكن لمسه. لا يؤثر على شيء، ولكنه يتحكم في كل شيء. لماذا تتدفق الأثمار؟".

"لأن الماء يتجذب للأسفل مثل أي شيء آخر، يذوب الثلج على الجبال، ويجب أن يكون هناك مكان يذهب إليه الماء".

قال جالادون: "هذا صحيح ولكن إليك سؤال آخر، ما الذي يجعل الماء يرغب في التدفق؟".

"لم أكن أدرك أنه بحاجة إلى أن يرغب في هذا".

قال جالادون: "بل يحتاج إلى هذا، تعلمنا العسكرية أن البشر وحدهم من لديهم قدرة . أو لعنة . عدم إدراك الدور. هل تعرف أنك إن أخذت طائرًا بعيدًا عن أبويه وربيتة في بيتك فإنه سيتعلم الطيران رغم هذا؟".

هزّ رابودن كتفيه.

"كيف تعلم هذا يا سول؟ من علمه الطيران؟".

قال رابودن في تردد: "الدور؟".

"هذا صحيح".

ابتسم رايودن، فقد كان هذا تفسيرًا دينيًا غامضًا أكثر من اللازم على أن يكون مفيدًا. ولكنه حينها فُكّر في حلمه، ذكريات ما قد حدث منذ زمن بعيد، عندما رسمت المعالجة الإيلانترية الآيون بدا الأمر وكأنه شق يظهر في الهواء وراء إصبعها. لا يزال رايودن قادرًا على أن يشعر بالقوة الفوضوية المتأججة وراء الشق، القوة الهائلة التي تحاول أن تشق طريقها عبر الآيون لتصل إليه. كانت تسعى إلى أن تجتاحه، أن تحطمه حتى يصير جزءًا منها، ولكن المعالجة قد رسمت الآيون بجرص لتضع مسارًا محدودًا للقوة، لتصير قوة نافعة، فعاجت ساق رايودن بدلًا من تدميره.

هذه القوة . أيا ما كانت . حقيقية، إنها هناك وراء الآيونات الضعيفة التي يرسمها. "لا شك أنهما... لهذا لا نزال أحياء يا جالادون!"

أبعد جالادون انتباهه عن عمله ونظر إليه في صبر قائلًا: "ما الذي تثرثر بشأنه يا سول؟"

قال رايودن في حماس: "لهذا السبب لا نزال أحياء رغم أن أجسادنا توقفت عن العمل! ألا ترى؟ نحن لا نأكل ومع هذا نحصل على الطاقة اللازمة لمواصلة الحركة. لا شك أن هناك رابطًا ما بين الإيلانترين والدور، إنه يغذي أجسادنا، ويمنحنا الطاقة التي نحتاج إليها للنجاة".

سأله جالادون في عدم اقتناع: "ولماذا لا تمنحنا ما يكفي من الطاقة لجعل قلوبنا تنبض، ولمنع جلودنا من التحول إلى اللون الرمادي؟"

قال رايودن: "لأننا لا نتلقى إلا ما يكفي بالكاد. لم يعد الآيوندور يعمل، القوة التي كانت تغذي المدينة ذات يوم قد تقلصت إلى حد هزيل. الشيء المهم هو أننا لم نتلاش، لا نزال قادرين على رسم الآيونات، حتى لو كانت ضعيفة ولا تفعل شيئًا، وعقولنا لا تزال حية حتى لو استسلمت أجسادنا، نحن بحاجة فقط إلى أن نجد طريقة لاستعادة قوتها الكاملة".

سأله جالادون: "أهذا كل شيء؟ هل تقصد أننا بحاجة إلى إصلاح ما هو معطوب؟"



قال رايودن: "أعتقد هذا، الشيء المهم هو أننا أدركنا وجود رابط بيننا وبين الدور. ليس هذا فحسب، بل لا شك أن هناك رابطاً يربط ما بين هذه الأرض والدور".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "لم تقول هذا؟".

قال رايودن: "لأن الآيوندور قد نشأ في أريلون وليس في أي مكان آخر، يقول النص إنه كلما ابتعدت عن إيلانتريس ضعفت قوة الآيوندور، بالإضافة إلى هذا فإن الشايود لا يُصيب إلا الأريليين، ويمكنه أن يصيب التيوديين أيضاً في حال أنهم يعيشون في أريلون في ذلك الوقت، كما أنه قد يُصيب واحداً من دولادل من آن لآخر".

"لم ألاحظ هذا".

قال رايودن: "هناك رابط ما بين هذه الأرض والأريليين والدور يا جالادون. لم أسمع عن فيوردي قد أصابه الشايود، مهما طال بقاؤهم في أريلون، والدولاديون شعب خليط؛ نصف جيندوي ونصف آيوي. أين تقع مزرعتك في دولادل؟".

عقد جالادون حاجبيه وقال: "في الشمال يا سول".

قال رايودن بانتصار: "الجزء الذي يقع على حدود أريلون، إنه شيء له علاقة بهذه الأرض وبدماننا الآيونية".

هز جالادون كتفيه وقال: "يبدو الأمر منطقياً يا سول، ولكني مجرد مزارع بسيط، ولا أعرف شيئاً عن هذه الأمور".

تجاهل رايودن هذا التعليق الساخر وقال: "ولكن لماذا؟ ما هو الرابط؟ ربما الفيورديون محقون، ربما أريلون ملعونة".

قال جالادون وهو يولي اهتمامه من جديد إلى عمله: "فلتضع فرضياتك بعيداً عني، ولكني لا أرى لها أي فائدة إمبريقية"<sup>٣٠</sup>.

"حسنًا، سأتوقف عن وضع النظريات بمجرد أن تخبرني من أين عرف مزارع بسيط كلمة إمبريقية".

لم يُجب جالادون ولكن حُيِّل إلى رابودن أنه سمع الدولادي يضحك بصوت خافت.

---

<sup>٣٠</sup> الإمبريقية أو التجريبية: توجه فلسفي يؤمن بأن كل المعرفة الإنسانية تتبع بشكل أساسي عن الحواس والخبرة.

## الفصل العشرون

قال آهان وهو يرفع إصبعه البدين: "دعيني أرى إن كنت أفهمك أيتها الأميرة العزيرة، أنتِ تريدين منا أن نساعد آيادون؟ يا لي من أحق، كنت أظن أننا لا نحب هذا الرجل".

وافقته سارين قائلة: "نحن لا نحبه، ولكن مساعدة الملك من الناحية المالية ليس لها علاقة بمشاعرنا الشخصية".

قال رويال وهو يسطر يديه: "أنا أتفق مع آهان أيتها الأميرة، ما سبب التغير المفاجئ؟ ما النفع الذي ستجلبه علينا مساعدة الملك آيادون؟".

جرت سارين على أسناتها في انزعاج، ولكن عندها لفت انتباهها وميض في عيني الدوق العجوز، إنه يعرف بالأمر. يُقال إن الدوق لديه شبكة تجسس واسعة مثل معظم الملوك، لقد أدرك ما يسعى هراثن لفعله. لم يطرح هذا السؤال لكي يستفزها، بل لكي يمنحها فرصة لأن تشرح الأمر. ببطء أخذت سارين نفسًا عميقًا، وقد أحست بالامتنان لفتنة الدوق.

قالت سارين: "شخص ما قد أغرق سفن الملك، والتفكير المنطقي يؤكد ما يقوله جواسيس أبي، لا يُمكن لأساطيل دريوك كاسر الحناجر أن تُغرق السفن، فقد تدمرت معظم سفن دريوك قبل خمسة عشر عامًا عندما حاول أن يستولي على عرش تيود، وأي بقايا قد اختفت منذ ذلك الحين. لا شك أن الويرن هو من أغرق السفن".

قال آهان: "حسنًا، نحن نقبل هذا القدر".

أكملت سارين قائلة: "فيوردن أيضًا تمنح الدعم المالي للدوق تيلري".

قال إيونديل ليذكرها: "ليس لديك أي دليل على هذا يا سمو الأميرة".

قالت سارين معترفة: "لا، ليس لدي". كانت تتحرك جيئة وذهابًا بين كراسي الرجال على أرض لينة مع عشب الربيع الجديد. لقد قرروا عقد اجتماعهم في حدائق كنيسة كاي الكوراثية، لذا لم يكن هناك أي طاولة لكي تدور من حولها. تمكنت سارين من البقاء جالسة في النصف الأول من الاجتماع، ولكنها وقفت في النهاية، فهي تجد أنه من الأسهل أن تخاطب الآخرين عندما تكون واقفة. كانت تعرف أنها تفعل هذا عادة عندما تكون متوترة، ولكنها تعرف أيضًا أن طوها يمنحها هالة من السلطة.

قالت: "ولكن لديّ تخمينًا منطقيًا". سيستجيب إيونديل لأي شيء يتبع كلمة منطقي. "لقد حضرنا جميعًا حفل تيلري الأسبوع الماضي، لا شك أنه أنفق في هذا الحفل أكثر مما قد يجنيه معظم الرجال في عام".

قال شودن: "الإسراف ليس دائمًا علامة على الثراء، لقد رأيت رجالًا فقراء كالفلاحين يقدمون عروضًا مبهرًا ليحافظوا على وهم الأمان في مواجهة الانهيار". كانت كلمات شودن حقيقية لأن رجلًا في اجتماعهم. البارون إيدان. يفعل بالضبط ما وصفه شودن.

عقدت سارين حاجبيها وقالت: "لقد استقصيت الأمر، فقد كان لديّ الكثير من وقت الفراغ طيلة الأسبوع الماضي، لأن أياً منكم لم يتمكن من عقد هذا الاجتماع رغم ضرورته الملحة". لم يستطع أي من النبلاء أن ينظر إليها في عينيها بعد هذا التعليق. لقد تمكنت أخيرًا من جعلهم يجتمعون، ولكن لسوء الحظ لم يقدر كين ولوكل على الحضور بسبب وجود ارتباط مسبق. "على أي حال تقول الشائعات إن ثروة تيلري قد تضحمت كثيرًا طيلة الأسبوعين الماضيين، وإن شحناته التي أرسلها إلى فيوردن قد دُرّت عليه أرباحًا رائعة، بغض النظر إن كان ما يُرسله هو أجود أنواع التوابل أم روث الأبقار".

قال إيونديل: "ولكن الحقيقة تظل أن الدوق لم ينحاز إلى الشو-ديريث، إنه لا يزال يحضر الخطب الكوراثية بإخلاص ديني".

عقدت سارين ذراعها وهي تنقر على وجنتها مفكرة ثم قالت: "إن تحالف تيلري علانية مع فيوردن فإن أرباحه ستكون مثيرة للريبة. إن هراتن مكر للغاية على أن يتصرف بلا مواربة. سيكون من الأذكي أن تظل فيوردن منفصلة عن تيلري، مما يسمح للدوق بأن يبدو رجلاً متدينًا محافطًا. ورغم التطورات الأخيرة التي حققها هراتن، سيكون من الأسهل بكثير أن يغتصب العرش كوراثي متدين وليس رجلاً ديريثيًا".

وافقها رويال قائلاً: "سيستولي على العرش، وبعدها سيفي باتفاقه مع الويرن".

قالت سارين: "ولهذا يجب أن نحصر على أن يبدأ آيادون في كسب المال من جديد. إن موارد هذه الأمة قد بدأت تنضب، ومن المحتمل إلى حد كبير أن في فترة الجرد التالية سيكون تيلري قد كسب أكثر مما كسبه آيادون، حتى بإضافة الضرائب. أشك أن الملك سيتنازل عن العرش، ولكن إن كان تيلري يُخطط لانقلاب فقد ينضم إليه النبلاء الآخرون".

"ما رأيك في هذا يا إيدان؟". وجّه آهان سؤاله للبارون المتوتر وهو يضحك من قلبه. "قد لا تكون الشخص الوحيد الذي سيفقد لقبه في غضون بضعة أشهر، قد ينضم إليك آيادون العجوز بنفسه".

قالت سارين: "من فضلك يا كونت آهان، إن واجبنا أن نحصر على ألا يحدث هذا".

سألها إيدان في توتر: "ما الذي تريد من فعله؟ أن تُرسل هدايا إلى الملك؟ لم يعد لدي أي مال فائض عن حاجتي".

قال آهان وهو يضع يديه على بطنه الممتلي: "ولا أي واحد منا يا إيدان، فإن كان المال فائضًا فلن يكون مفيدًا، أليس كذلك؟".

قال رويال موبخًا: "أنت تعرف ما يقصده يا آهان، وأشك أن الهدايا هي ما تفكر فيه الأميرة".

قالت سارين وهي تبسط يديها: "في الواقع أنا أريد سماع اقتراحاتكم أيها السادة، أنا سياسية ولست تاجرة، وأعترف أنني هاوية في أمور كسب المال".

قال شودن وهو يشبك يديه أمام ذقنه مفكرًا: "لن تنفع الهدايا، الملك رجل معتز بنفسه، وقد جنى ثروته بالعمل والكد والتخطيط، ولن يقبل الصدقات حتى لإنقاذ عرشه، كما أن التجار مشهورون بالريبة تجاه الهدايا".

قالت سارين: "يُمكننا أن نخبره بالحقيقة، ربما حينها سيقبل مساعدتنا".

هزَّ رويال رأسه وقال: "لن يصدقنا، الملك رجل واقعي يا سارين، أكثر حتى من عزيزنا اللورد إيونديل، يجب على القادة العسكريين أن يفكروا بتجرد للتغلب على خصومهم. ولكني أشك أن آيادون قد راودته فكرة مجردة واحدة في حياته. الملوك يقبلون الأشياء كما تبدو، وخصوصًا إن كانوا يعتقدون أن هذا ما يجب أن تبدو عليه".

وافق شودن قائلاً: "ولهذا استطاعت السيدة سارين أن تخدع جلالة الملكة بمظهر السداجة، لقد توقع أن تكون حقاء، ولهذا عندما بدت مناسبة تمامًا لتوقعاته لم يُبالٍ بالتفكير كثيرًا فيما تفعله، حتى لو كانت تتصرف بطريقة مبالغ فيها".

تجاهلت سارين هذه الملاحظة الأخيرة.

قال رويال: "القراصنة شيء يُمكن أن يفهمه آيادون، إنهم جزء منطقي من عالم الإبحار بالسفن، فبطريقة ما كل تاجر يعتبر نفسه قرصانًا، ولكن إدارة الحكومات شيء مختلف. من وجهة نظر الملك لن يكون من المنطقي أن تتسبب مملكة في إغراق سفن مليئة بالبخائع الثمينة. الملك لن يهاجم التجار مهما اشتدت الحرب، وحسبما يعرف فإن هناك صداقة حميمة ما بين أربيلون وفيوردين، وكان هو أول من سمح للكهنة الديرينين بالجيء إلى كاي، وقد منح لذلك الجيرون

هراثن كل الصلاحيات التي يمنحها لزائر نبيل. أشك حقاً في أننا سنتمكن من إقناعه بأن الويرن يحاول عزله."

قال إيونديل: "ربما يمكننا أن نحاول توجيه أصابع الاتهام ناحية فيوردن، أن نُلَقِّق شيئاً يجعل دور الويرن في إغراق السفن واضحاً للعيان".

قال آهان وهو يهز رأسه: "سيستغرق الأمر وقتاً طويلاً يا إيونديل، كما أن آيادون لم يتبقَّ لديه عدد كبير من السفن، ولا أعتقد أنه سيخاطر بالإبحار بما في نفس المنطقة مرة أخرى".

أومات سارين برأسها وقالت: "كما سيكون من الصعب علينا أن نثبت علاقة الويرن بالأمر، فهو على الأرجح يستخدم سفناً سفوردية من أجل هذه المهمة، فيوردن نفسها لا تمتلك أسطولاً بحرياً يستحق الذكر".

سأل إيونديل عاقداً حاجبيه: "ألم يكن دريوك كاسر الحناجر سفوردياً؟".

قال آهان: "سمعت أنه كان فيوردياً".

قال رويال: "لا، أعتقد أنه كان آيونياً، أليس كذلك؟".

قالت سارين في نفاذ صبر: "ليس هذا هو المهم". كانت تحاول أن تمنع مسار الاجتماع من التشتت، بينما تقطع أرضية الحديقة اللينة. "قال اللورد آهان إن الملك لن يغامر بالإبحار بسفنه في تلك المنطقة مرة أخرى، ولكن بالتأكيد يجب أن يُحجر بجم الملك إلى مكان ما".

أوما آهان برأسه وقال: "لا يمكنه أن يتحمل التوقف الآن، فالربيع هو أفضل موسم للتجارة، فالناس يظلمون محبوسين طيلة الشتاء مع الألوان الباهتة والأقارب المملين، لذا بمجرد أن يذوب الثلج يكونون مستعدين لإنفاق بعض المال للترويح عن أنفسهم. هذا هو الوقت الذي يكون فيه الحرير الملون باهظ الثمن، والحرير هو أفضل البضائع لدى آيادون".

إن إغراق السفن كان كارثة، ليس لأن آيادون قد خسرت السفن فحسب، بل خسرت كل الأرباح التي كان سيحنيها من الحرير، ناهيك بالبضائع الأخرى. العديد من التجار يكادون أن ينفقوا كل ما لديهم من مال في مثل هذا الوقت من العام لتخزين البضائع التي يعرفون أنهم سيبيعونها في نهاية المطاف".

قال شودن: "لقد صار جلالته الملك جشعًا، فاشترى الكثير والكثير من السفن، وملاها بأكثر قدر من الحرير استطاع أن يوفره".

قال آهان: "نحن جميعًا جشعون يا شودن، لا تنسَ أن عائلتك قد جنت ثروة بتنظيم مسار تجارة التوابل من جيندو. إنكم لا تبيعون أي شيء، بل تبنون الطرق وتأخذون نقدًا من التجار نظير استخدامها".

قال شودن: "دعني أعيد صياغة ما قلته أيها اللورد آهان. لقد ترك الملك جشعه يحوله إلى أحق، إن التاجر البارع يجب عليه أن يخطط لكل شيء حتى الكوارث، فلا يجب أن يشحن سفنًا لا يمكنه تحمل خسارتها".

قال آهان: "أحسننت القول".

قالت سارين: "على أي حال، إن لم يكن قد تبقى للملك سوى بضع سفن إذن فيجب أن تدر له ربحًا كبيرًا".

قال آهان: "إن كلمة كبير ليست مناسبة يا عزيزتي، تقصدين ربحًا مهولًا، سيحتاج آيادون إلى معجزة لكي يعوض هذه الكارثة الصغيرة، وخصوصًا قبل أن يذله تيلري بشكل يصعب تداركه".

سألته سارين: "ماذا لو عقد اتفاقية مع تيودو؟ عقدًا مرنًا للغاية لتجارة الحرير؟".



هز آهان كنفه وقال: "ربما، إنها فكرة ذكية".

قال الدوق رويال: "ولكنها فكرة مستحيلة".

سألته سارين: "لماذا؟ يمكن لتيود تحمل تكلفة الأمر".

قال الدوق مفسراً: "لأن آيادون لن يقبل مثل هذا العقد، فهو تاجر محنك، لن يُبرم صفقة تبدو مذهلة للغاية على أن تكون واقعية".

قال شودن: "أتفق معك، لن يعارض الملك جني أرباح كبيرة من تيود، ولكن هذا فقط في حال أن اعتقد أنه استطاع أن يخدعكم".

أوما الآخرون برؤوسهم في موافقة على ما قاله شودن، رغم أن الشاب الجيندوي كان الأصغر في المجموعة سرعان ما أثبت أنه حاذق مثل رويال وربما أكثر. هذه الميزة بالإضافة إلى السمعة المستحقة بأنه صادق أكسبته احتراماً يتجاوز عمره، إن الرجل القوي بالفعل هو الذي يمكنه أن يجمع ما بين الاستقامة والدهاء.

قال رويال: "علينا أن نفكر أكثر في هذا الأمر، ولكن ليس لوقت طويل، يجب أن نكون قد وضعنا حلاً للمشكلة قبل يوم الجرد، وإلا فإننا سنتعامل مع تيلري بدلاً من آيادون، وعلى الرغم من سوء صديقي العزيز أعرف أن حظنا سيكون أسوأ مع تيلري، وخصوصاً مع دعم فيوردن له".

قالت سارين بينما النبلاء يستعدون للمغادرة: "هل تفعلون جميعاً ما طلبته منكم بشأن مزارعكم؟".

قال آهان: "لم يكن الأمر سهلاً، إن المشرفين لديّ والنبلاء الصغار يعارضون الفكرة".

"ولكنك نفذتها؟".

قال آهان: "نفذتها".

قال رويال: "وكذلك أنا".

قال إيدان: "لم يكن لدي خيار آخر".

أوما شودن وإيونديل أحدهما إلى الآخر في صمت.

قال إيدان: "لقد بدأنا الزراعة في الأسبوع الماضي، كم سيمضي من الوقت قبل أن نرى النتائج؟".

قالت سارين: "من أجل مصلحتك يا سيدي أمل ألا يطول الأمر عن الشهرين المقبلين".

قال شودن: "هذا عادة يكون وقتًا طويلًا بما يكفي لتقدير جودة المحصول".

قال آهان: "ما زلت لا أرى كيف سيكون من المفيد بالنسبة لنا أن يعتبر الناس أنفسهم أحرارًا أو لا، سيزرعون نفس البذور ومن المفترض أن ينبت نفس المحصول".

قالت سارين: "أعدك أنك ستُفاجأ يا سيدي".

سألها إيدان: "هل يمكننا أن ننصرف الآن". كان لا يزال يشعر بالاستياء من فكرة إدارة سارين لهذه الاجتماعات.

قالت: "سؤال واحد آخر أيها السادة، كنت أفكر في ابتلاء الأرملة، وأود أن أعرف رأيكم في الأمر".

بدأ الرجال يتململون في عدم ارتياح مع هذا السؤال، وهم ينظرون في توتر إلى بعضهم بعضًا.

قالت سارين وقد قطبت جبينها في تجمه: "بمحققم، أنتم رجال بالغون، فلتتخلصوا من خوفكم الطفولي من إيلانتريس".

قال شودن: "إنه موضوع حساس للغاية في أريلون يا سارين".

قالت: "حسنًا، يبدو أن هرائن لا يقلق بشأن هذا، جميعكم تعرفون ما يفعله الآن".

قال رويال: "إنه يربط بين إيلانتريس والشو-كورات، محاولًا أن يؤلب الناس على الكهنة الكوراثيين".

قالت سارين: "وسينجح في هذا ما لم نتصدَّ له. لذا فالأمر يتطلب منكم جميعًا أن تتخلصوا من حساسيتكم المفرطة، وأن تكفوا عن النظاهر بأن إيلانتريس غير موجودة، المدينة جزء أساسي من خطط الجيورن".

تبادل الرجال نظرات متفهمة، إنهم جميعًا يعتقدون أنها تولي الجيورن اهتمامًا لا يستحقه، ويرون أن حكومة آيادون هي المشكلة الأساسية، ولا يبدو لهم الدين تهديدًا ملموسًا. إنهم لا يفهمون أن الدين والحرب وجهان لعملة واحدة، بالنسبة لفيوردن على الأقل.

قالت سارين: "سيكون عليكم أن تضعوا ثقتم في أيها السادة، مخططات هرائن مهمة، تقولون إن الملك يرى الأمور بشكل ملموس، حسنًا، هرائن هذا على النقيض منه، إنه يقيس كل شيء بناءً على قدراته المحتملة، وهدفه أن يجعل أريلون تحت وصاية فيوردن. إن كان يستخدم إيلانتريس ضدنا فيجب أن نتصدى لهذا".

قال آهان مقترحًا: "علينا فقط أن نجعل الكاهن القصير يوافقه الرأي، وأن نضعهما على نفس الجانب، وهكذا لن يتمكن أحد من استخدام المدينة ضد الآخر".

قالت سارين وهي تمز رأسها: "لن يفعل أومين هذا يا سيدي، إنه لا يحمل أي ضغينة تجاه الإيلانتريين ولن يوافق على وصمهم بالشياطين".

قال آهان: "ألا يُمكننا فقط...".

قال رويال: "بحق دومي الرحيم يا آهان، ألم تحضر عظة له من قبل؟ لن يفعل الرجل شيئًا كهذا أبدًا".

قال آهان باعتزاز: "بل أذهب إلى عظاته، اعتقدت فقط أنه قد يكون مستعدًا لخدمة مملكته، يمكننا تعويضه".

قالت سارين بإصرار: "لا يا سيدي اللورد، إن أومين رجل صالح وصادق، بالنسبة له فإن الحقيقة لا تخضع للنقاش أو المساومة. أخشى أنه ليس لدينا خيار آخر، سيكون علينا أن نتحالف مع إيلانتريس".

امتعت العديد من الوجوه مع هذه الجملة، بما في ذلك وجه إيونديل.

قال رويال محذرًا: "هذا لن يكون اقتراحًا سهل التنفيذ يا سارين، قد تعتقدن أننا نفكر بطريقة طفولية، ولكن هؤلاء الأربعة هم من أذكى الرجال في أربلون وأكثرهم تفتحًا للذهن. إن كنتِ ترين أنهم قلقون تجاه إيلانتريس، فستجدين أن بقية أربلون أكثر قلقًا".

قالت سارين: "سيكون علينا أن نغير هذا الإحساس، وابتلاء الأرملة هو فرصتنا لفعل هذا، سأذهب بالطعام إلى الإيلانترين".

هذه المرة نجحت في أن تحصل على رد فعل حتى من شودن ورويال.

سأها آهان بصوت مرتجف: "هل سمعتك بشكل صحيح يا عزيزتي؟ ستذهبين إلى إيلانتريس؟".  
قالت سارين: "أجل".

قال آهان وهو يفتح زجاجة النبيذ: "أحتاج أن أشرب شيئًا".

قال إيدان: "لن يسمح الملك بهذا، إنه لا يسمح حتى لحرس مدينة إيلانتريس بأن يدخلوها".

قال شودن: "إنه محق. لن تنجح في عبور تلك البوابة يا سمو الأميرة".

قالت سارين: "اتركوا لي أمر الملك".

قال رويال محذراً: "لن تنجح حيلتك هذه المرة يا سارين، لا يمكن لأي قدر من الغباء أن يقنع الملك بالسماح لك بدخول المدينة".

قالت سارين محاولة أن تبدو أكثر ثقة مما هي عليه: "سأفكر في شيء ما، لا تشغلوا بالكم بالأمر، لا أريد منكم سوى وعد بأنكم ستساعدوني".

سألها آهان في توتر: "نساعدك؟".

قالت سارين: "تساعدوني في توزيع الطعام في إيلانتريس".

مرة أخرى قال آهان بعينين جاحظتين: "نساعدك؟ هناك؟".

قالت سارين: "هدي هو إزالة الغموض الذي يكتنف المدينة، ولفعل هذا يجب أن نقنع النبلاء بأن يذهبوا بأنفسهم إلى الداخل ليروا أنه ليس هناك شيء شنيع بشأن الإيلانترين".

قال إيونديل: "لا أريد أن أن أثبتك، ولكن ماذا لو كان هناك شيء شنيع بالفعل يا سيده سارين؟ ماذا لو أن كل شيء يقولونه عن إيلانتريس صحيح؟".

فكرت سارين في الأمر وقالت: "لا أعتقد أن هناك خطراً منهم يا لورد إيونديل، لقد نظرت إلى المدينة وقاطنيها، لا يوجد شيء فظيع في إيلانتريس، ربما باستثناء الطريقة التي يُعامل بها سكانها. لا أصدق الحكايات عن الوحوش الإيلانترين أو أكلة لحوم البشر، لم أر سوى مجموعة من الرجال والنساء يعانون الظلم والمعاملة السيئة".

لم يبدُ إيونديل مقتنعاً وكذلك البقية.

قالت سارين: "السمعوني، سأذهب أولاً وأجرب الأمر، وأريد منكم أيها السادة أن تلحقوا بي بعد الأيام القليلة الأولى".

قال إيدان متذمراً: "لماذا نحن؟".

"لأنني بحاجة إلى أن أبدأ في مكان ما، إن تشجعتم أيها السادة ودخلتم المدينة فإن الآخرين سيشعرون بالحماقة إن اعترضوا. إن الأرسقراطيين لديهم عقل جمعي، إن استطعتُ أن أحفزهم فربما أتمكن من إقناع معظمهم بالجيء معي ولو مرة واحدة على الأقل. حينها سيرون أنه لا يوجد شيء شنيع في إيلانتريس، أن قاطنيتها مجرد بؤساء مساكين لا يريدون إلا الطعام. يُمكننا أن نزم هراثن بحقيقة بسيطة؛ من الصعب أن تُشيطان رجلاً بعد أن رأيت الدموع في عينيه وهو يشكرك على إطعامه".

قال إيدان ويده ترتعش مع فكرة دخول إيلانتريس: "كل هذا عديم الجدوى على أي حال، الملك لن يسمح لها بدخول إيلانتريس أبداً".

سألته سارين على الفور: "وماذا لو سمح لي؟ هل ستذهب حينها يا إيدان".

رمش البارون بعينه في دهشة مدركاً أنه قد وقع في الفخ. انتظرت إجابته ولكنه رفض في عناد أن يُجيب السؤال.

قال شودن: "أنا سأذهب".

ابتسمت سارين وهي تنظر له، كانت هذه هي المرة الثانية التي يكون فيها أول من يعرض المساعدة.

قال رويال: "إن كان شودن سيفعلها، فأشك أن أيّاً من بقيتنا سيعرض نفسه للمهانة بأن يرفض. فلتحصلي على التصريح أولاً يا سارين وبعدها سنناقش هذا الأمر بالتفصيل".

\*\*\*

قالت سارين معترفة وهي تقف عند باب مكتب آيادون: "ربما كنت متفائلة أكثر من اللازم".  
كان هناك حارسان يقفان على مسافة قصيرة يراقبأها في ريبة.

سألها آش: "هل تعرفين ما ستفعلينه يا سيدتي؟". كان السيون قد أمضى وقت الاجتماع حائماً خارج أسوار الكنيسة، ولكن على مرمى من السمع، ليحرص على ألا يسترق أي شخص آخر السمع إلى اجتماعهم.

هزّت سارين رأسها، لقد تظاهرت بالشجاعة وهي تواجه آهان والآخرين، ولكنها الآن تعترف بأن هذه الشجاعة لم تكن في محلها، لم يكن لديها أدنى فكرة عن كيفية إقناع آيادون بالسماح لها بدخول إيلانتريس، ناهيك بإقناعه بقبول مساعدتهم له.

سألته: "هل تحدثت مع أبي؟".

أجابها آش: "أجل يا سيدتي، قال إنه سيمنحك أي مساعدة مالية تطلبينها".

قالت سارين: "حسنًا، هيا بنا". ثم أخذت نفسًا عميقًا وخطت ناحية الجنديين، وقالت: "أريد الحديد مع أبي".

تبادل الحارسان نظرة، ثم قال أحدهما: "امم، لقد قيل لنا ألا...".

قالت سارين بحزم: "هذا لا ينطبق على العائلة أيها الجندي، إن جاءت الملكة للحديث مع زوجها فهل كنت لتمنعها؟".

قَطَّب الحارسان جبينيهما في حيرة، على الأرجح لا تأتي إيشن لزيارته، فقد لاحظت سارين أن الملكة النشيطة تميل إلى البقاء بعيدًا عن آيادون، حتى النساء الحمقاوات يكرهن أن يصفهن أحد بمذه الطريقة في وجوههن.

قالت سارين: "فلتفتح الباب أيها الجندي، إن لم يرغب الملك في الحديث معي فسيلقيني إلى الخارج، وستعرف أنه في المرة التالية لا يجب عليك السماح لي بالدخول".

تردد الحارسان، ولكن سارين شقت طريقها بينهما ببساطة وفتحت الباب بنفسها، يبدو أن الحارسين لم يكونا معتادين على التعامل مع النساء الحازمات، وخصوصًا في العائلة الملكية، لذا سمحا لها بالمرور.

رفع آيادون عينيه من على مكتبه، وعلى أرنية أنفه نظارة لم تره يضعها من قبل. انتزع النظارة بيده على الفور ووقف وهو يضرب بيديه على سطح المكتب فتطايرت أكوام الفواتير.

قال لها: "ألم تكفي بإزعاجي على الملأ فقررت أن تلحقي بي إلى مكنتي؟ لو كنت أعرف كم أنت فتاة حمقاء ومزعجة لما وقعت على تلك المعاهدة، انصرفي يا امرأة واتركيني أعمل!".

قالت سارين بصراحة: "سأقول لك شيئًا يا أبي، سأتظاهر أنني إنسانة ذكية قادرة على إجراء محادثة شبه عقلانية، وعليك أن تتظاهر بالمثل".

اتسعت عينا آيادون واحتقن وجهه بالدماء حتى صار أحمر اللون، ثم سب قائلاً: "راج دومي!". وهي سبة بذيئة للغاية حتى إن سارين لم تسمعها في حياتها إلا مرتين. "لقد خدعتني يا امرأة، يُمكنني أن أمر بقطع رأسك لأنك جعلتني أبدو أحمق".

"إن بدأت في قطع رؤوس أبنائك يا أبي فسبيدأ الناس في طرح الأسئلة". تفحصت رد فعله بعناية وهي تأمل أن تحصل على شيء عن اختفاء رابودن، ولكنها أصيبت بخيبة أمل، فقد تجاهل آيادون التعليق دون أن يوليها اهتمامًا كبيرًا.

قال: "رُبما يجب أن أعيدك إلى إيفينتيو على متن أول سفينة".



كذبت قائلة: "لا بأس، سأكون سعيدة بالرحيل، ولكن فلتُدرِك أنني لو رحلت ستخسر معاهدة التجارة مع تيوود، قد تكون هذه مشكلة بالأخذ في الاعتبار الحظ العاثر الذي واجهته في بيع الحرير في فيوردن مؤخرًا".

جز آيادون على أسنانه لسماع هذا التعليق.

همس آش: "فلتحذري يا سيدي، لا تُغضبيه أكثر من اللازم، عادة ما يُقدم الرجال كبرياءهم على التفكير العقلاني".

أومات سارين برأسها وقالت: "يُمكنني أن أمنحك سبيلًا للخلاص يا أبي، لقد جئت لأعرض عليك صفقة".

قال في حدة: "وما السبب الذي يدفعني لقبول عرض منك يا امرأة؟ لقد أمضيت هنا ثلاثة أسابيع والآن أكتشف أنك كنتِ تخدعيني طيلة الوقت".

"ستثق بي يا أبي، لأنك فقدت ثلاثة أرباع أسطولك على يد القراصنة، وفي غضون بضعة أشهر ستخسر عرشك أيضًا ما لم تُصغِ إليّ".

لم يستطع آيادون إخفاء دهشته لمعرفة الأمر، فقال لها: "كيف عرفتِ هذه الأشياء".

قالت سارين ببساطة: "الجميع يعرفون يا أبي، كل من في البلاط، إنهم يتوقعون سقوطك في فترة جمع الضرائب التالية".

اتسعت عينا آيادون وهو يقول: "كنت أعرف هذا!". ثم بدأ يسب ويلعن رجال البلاط وتصميمهم على خلعهم من العرش.

رمشت سارين في دهشة، لقد أَلقت بالتعبير بشكل عابر لكي تزعزع توازن آيادون، ولكنها لم تتوقع رد فعل قويًا كهذا. قالت لنفسها وقد أدركت الأمر: إنه مصاب بجنون الارتياب! لم تُم

يلاحظ هذا أحد من قبل؟ ولكن السرعة التي قمالك بها آيادون نفسه جعلتها تُدرك السر، إنه مصاب بجنون الارتياب ولكنه يجيد إخفاء الأمر، إن الطريقة التي تلاعبت بها بمشاعره قد أضعفت سيطرته على الأمر.

سألها الملك: "قلتِ إنك تعرضين صفقة؟".

قالت سارين: "أجل، الحرير يُباع بأعلى الأثمان في تيود الآن يا أبي. يُمكن للمرء أن يجني أرباحًا طائلة ببيعه إلى الملك، وبوضع علاقات أسرية معينة في الاعتبار يُمكنك أن تُفجع إيفينتيو بإعطائك الحقوق التجارية الحصرية في بلده".

ازداد آيادون ارتيابًا، ولكن غضبه قد هدا مع إحساسه بوجود صفقة حقيقية، ولكن سرعان ما بدأ التاجر بداخله في تخمين المشكلات. جرّت سارين على أسناتها في سخط، كان الأمر كما أخرجها الآخرون، لن يقبل آيادون العرض، فرائحة الخداع تفوح منه بشكل يزكم الأنوف. قال معترفًا: "إنه عرض مثير للاهتمام، ولكن أخشى أنني...".

قاطعته سارين وهي تفكر بسرعة: "أنا بالطبع سأطلب شيئًا في المقابل، فلنقل إنها أتعابي نظير ترتيب الصفقة بينك وبين إيفينتيو".

صمت آيادون قليلًا ثم سألها في حذر: "ما نوع الأتعاب التي نتحدث عنها؟". إن المقايضة تختلف عن الهدية، يُمكن وزنها وقياسها والوثوق بها إلى حد ما.

قالت سارين: "أريد أن أدخل إيلانتريس؟".

"ماذا؟".

قالت سارين: "يجب عليّ أن أخوض ابتلاء الأرملة، وسأخذ الطعام إلى الإيلانترين".

"أي دافع يملك على فعل هذا يا امرأة؟".

قالت سارين: "أسباب دينية يا أبي، الشو-كوراث تعلمنا أن نساعد أتعس الناس حالاً، وأتحداك أن تجد لي شخصاً أتعس حالاً من الإيلانترين".

قال آيادون: "هذا غير قابل للنقاش، دخول إيلانتريس مُحرم بالقانون".

قالت سارين: "قانون وضعته أنت يا أبي، وبالتالي يُمكنك أن تسمح ببعض الاستثناءات. فلنتفكر جيداً، ثروتك وعرشك يمكنهما أن يتوقفا على إجابتك".

جزَّ آيادون على أسنانه بصوت مسموع وهو يفكر في هذه المقايضة، ثم قال: "تريدين أن تدخل إيلانتريس بالطعام؟ كم ستمكثين؟".

"حتى أفتنع أنني قد أدت واجبي كزوجة الأمير رابودن".

"هل ستذهبين وحدك؟".

"سأخذ معي كل من هو مستعد لاصطحابي".

قال آيادون ساخراً: "ستجدين صعوبة في إقناع أي شخص بالاستجابة لهذا الطلب".

"هذه مشكلتي وليس مشكلتك".

قال الملك متذمراً: "أولاً يبدأ هذا الشيطان الفيوردي بتهييج شعبي وتحويلهم إلى حشود غاضبة، والآن تريد أن تفعلي الشيء ذاته".

قالت سارين: "لا يا أبي، بل أريد العكس تماماً، الفوضى لن تكون في صالح أحد سوى الويرن. فلنصدق ما تريد، ولكن هدي الوحيد هو أن أرى الاستقرار في أريلون".

فَكَرَّ آيَادُون لِبَعْضِ الْوَقْتِ ثُمَّ قَالَ آخِرًا: "لَنْ يَذْهَبَ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ فِي الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ، بِاسْتِثْنَاءِ الْحِرَاسِ، فَأَنَا لَا أُرِيدُ حِجًّا جَمَاعِيًّا إِلَى إِيْلَانْتَرِيْس. سَتَدْخُلِينَ قَبْلَ الظُّهْرِ بِسَاعَةٍ وَسَتُخْرَجِينَ بَعْدَ الظُّهْرِ بِسَاعَةٍ، لَا اسْتِثْنَاءَاتٍ".

قَالَتْ سَارِين: "اتَّفَقْنَا، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَسْتَعْمِدَ سِيَوِي لِلاتِّصَالِ بِالْمَلِكِ إِيقِينْتِيُو وَالاتِّفَاقِ عَلَي تَفَاصِيلِ الصَّفَقَةِ".

\*\*\*

قَالَ آش وَهُوَ يَطْفُو إِلَى جَانِبِهَا فِي الرِّدْهَةِ الْمُؤَدِيَةِ إِلَى غُرْفَتِهَا: "يَجِبُ أَنْ أَعْتَرِفَ يَا سِيدَتِي أَنَّكَ بَارِعَةٌ حَقًّا".

كَانَتْ سَارِين قَدْ بَقِيَتْ بَيْنَمَا آيَادُون يَتَحَدَّثُ مَعَ إِيقِينْتِيُو، لِتَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمَا بَيْنَمَا يَتَّفَقَانِ عَلَي تَفَاصِيلِ الصَّفَقَةِ. كَانَ صَوْتُ أَبِيهَا كَأَنَّهَا يَقُولُ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ "أَمَلْتُ أَنَّكَ تَعْرِفِينَ مَا تَفْعَلِينَ يَا إِين". كَانَ إِيقِينْتِيُو رَجُلًا طَيِّبًا وَصَالِحًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ رَجُلًا أَعْمَالًا سَيِّئًا لِلغَايَةِ، وَيُوْظَفُ أَسْطُوْلًا مِنَ الْخَاسِسِينَ لِإِدَارَةِ شُئُونِ الْمَمْلُكَةِ الْمَالِيَةِ. مَا إِنْ أَحْسَسَ آيَادُون بَعْدَمِ خِيَرَةِ أَبِيهَا حَتَّى هَجَمَ بِجَمَاسٍ وَحَشٍ مَفْتَرَسٍ هَائِجٍ، وَلَوْلَا وَجُودُ سَارِين لَابْتَلَعَ كَامِلَ عَائِدَاتِ تِيُوْدٍ مِنَ الضَّرَائِبِ فِي نَوْبَةِ شَرَسَةٍ مِنَ الْحِمَاسِ التِّجَارِيِّ. مَا حَدَثَ هُوَ أَنْ تَمَكَّنَ آيَادُونُ مِنْ إِقْنَاعِهَا بِشِرَاءِ حَرِيرِهِ بِأَرْبَعَةِ أَضْعَافِ ثَمَنِهِ، لَقَدْ بَدَأَ الْمَلِكُ مَبْتَهَجًا لِلغَايَةِ بَيْنَمَا سَارِين تُغَادِرُ، حَتَّى بَدَأَ أَنَّهُ قَدْ غَفَرَ لَهَا خَدَاعَهَا لَهُ مِنْ قَبْلِ.

أَجَابَتْ سَارِين سُؤَالَ آش بِأَنَّ قَالَتْ بِرِءَاءَةٍ: "بَارِعَةٌ؟ أَنَا؟".

ضَحِكَ السِّيُونُ بِصَوْتِ خَافَتٍ وَقَالَ: "هَلْ هُنَاكَ شَخْصٌ لَا يُمَكِّنُكَ التَّلَاعِبُ بِهِ يَا سِيدَتِي؟".

قَالَتْ سَارِين: "أَي. أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ تَغَلَّبَ عَلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ أَصْلِ خَمْسَةٍ".

قال آش: "إنه يقول الشيء ذاته عنك يا سيدتي".

ابتسمت سارين وهي تدفع باب غرفتها وتتوجه ناحية الفراش، ثم قالت: "لم يكن ما فعلته بهذه البراعة يا آش، كان علينا أن ندرك أن مشكلتنا في الواقع تحل إحداها الأخرى، إحداها عرض بلا مقابل يجعله مقنعاً، والثانية طلب بلا دافع للموافقة عليه".

أصدر آش صوتاً يدل على الاستياء وهو يطفو في أرجاء الغرفة بسبب حالتها الفوضوية.

سألته سارين: "ما الأمر؟". بينما تنزع الشريط الأسود المربوط حول عضدها؛ الشيء الأخير المتبقي من حدادها.

قال آش: "مرة أخرى لم تُنظّف الغرفة يا سيدتي".

زفرت سارين ثم قالت: "ليس الأمر وكأنني تركتها في مثل هذه الفوضى من الأساس".

قال آش: "لا يا سمو الأميرة، فأنتِ امرأة منظمة للغاية، ولكن الخادومات في القصر متراخيات تجاه واجبهن، إن الأميرة تستحق التقدير المناسب، إن سمحت لهن بإهمال عملهن، فلن يمضي وقت طويل قبل أن يتوقفن عن احترامك".

هزّت سارين رأسها وهي تخلع ثوبها وتجهز قميص النوم، ثم قالت: "أعتقد أنك تُبالغ في تفسير الأمر يا آش، هل نسيت أنني من المفترض أن أكون الشخص المرتاب منا نحن الاثنين؟".

قال آش: "هذه مسألة متعلقة بالخدم وليس السادة يا سيدتي، أنتِ امرأة ذكية، وسياسية بارعة، ولكنك تغفلين نقطة الضعف في طبقتكم النبيلة، أنكم تتجاهلون آراء الخدم".

قالت سارين محتجة: "آش، لطالما عاملت خدم أبي باحترام ولطف".

قال آش: "ربما يجب أن أعيد صياغة ما قلته يا سيدتي. أجل، أنت لا تتعاملين بإجحاف أو قسوة، ولكنك لا تولين اهتمامًا لما يعتقدك الخدم عنك، بقدر ما تهتمين دومًا بما يعتقدك الأرسقراطيون عنك".

جذبت سارين قميص النوم على رأسها رافضة أن تُظهر أذني أثر على انزعاجها، ثم قالت: "لطالما حاولت أن أكون عادلة".

"أجل يا سيدتي، ولكنك وُلدت نبيلة، وتربيت على تجاهل من يعملون من حولك. لا أنصحك إلا أن تتذكري أنه لو لم تحترمك الخادמות فهذا قد يكون له آثار سلبية، تمامًا كما لو لم يحترمك السادة".

تهتدت سارين وقالت: "حسنًا، فهتمت مقصدك. فلتجلب لي ميالا، سأسألها إن كانت تعرف ما حدث".

"أمرك يا سيدتي".

حلَّق آش ناحية النافذة، ولكن قبل أن يُغادر علَّقت سارين تعليقًا أخيرًا.

سألته: "آش؟ لقد أحب الناس رايبودن، أليس كذلك؟".

"بحسب ما سمعت يا سيدتي فإنه كان مشهورًا عنه أنه يولي اهتمامًا شخصيًا لكل آرائهم واحتياجاتهم".

قالت بنبرة حزينة: "لقد كان أميرًا أفضل مما أنا عليه كأميرة، أليس كذلك؟".

قال آش: "لم أقل هذا يا سيدتي، أنتِ امرأة طيبة، ولطالما عاملتِ خادماتك معاملة حسنة، لا تقارني نفسك برايبودن، من المهم أن تتذكري أنك لم تُجهزي لإدارة بلد، ولم تكن شعبيتك مع

الناس مشكلة بالنسبة لك. كان الأمير رايودن هو ولي العهد، وكان من الضروري أن يفهم مشاعر رعاياه".

قالت سارين بإعجاب: "يقولون إنه منح الناس الأمل، وإن الفلاحين تحملوا أعباء آيادون الشنيعة لأنهم يعرفون أن رايودن سيجلس على العرش في نهاية المطاف. كان البلد لينهار قبل سنوات لو لم يكن الأمير بينهم ويشجعهم ويرفع من روحهم المعنوية".

قال آش بصوت خافت: "والآن قد رحل".

قالت سارين: "أجل لقد رحل، والآن علينا أن نسرع يا آش، ما زلت أشعر أنني لا أبلبي حسناً، إن البلد يتجه نحو كارثة، بغض النظر عما أفعله. يبدو الأمر وكأنني عند سفح تل أشاهد صخرة هائلة تتدحرج نحوي، وأنا ألقى الحصى في محاولة لصدّها".

قال آش بصوته العميق الرخيم: "تحلي بالقوة يا سيدي، إن إهلك لن يكتفي بالجلوس ومراقبة أربيلون وتيود تنسحقان تحت قدمي الويرن".

قالت سارين: "أمل أن الأمير يُراقبنا أيضاً، هل سيكون فخوراً بي يا آش؟".

"فخور للغاية يا سيدي".

"أتمنى فقط أن يقبلوني". أدركت مدى سخافة العبارة، لقد قضت معظم حياتها. التي تكاد أن تبلغ ثلاثة عقود. تحب بلداً دون أن تشعر أنه يجها. إن تيود تحترمها، ولكنها سئمت الاحترام وتريد شيئاً مختلفاً من أربيلون.

وعدها آش قائلاً: "سيقبلونك يا سارين، امنحهم بعض الوقت وسيقبلونك".

تهنّدت سارين بصوت خافت وقالت: "شكراً لك يا آش، شكراً لك على تحمل رثاء فتاة حمقاء لحالها".

أجابها آش: "يمكننا أن نكون أقوياء في وجه الملوك والكهنة يا سيدتي، ولكن المرء لا يعيش بدون مخاوف وشكوك، إذا قمعتها بداخلك فستدمرك بالتأكيد، وستتحولين إلى شخص بالغ الصرامة، حتى إن المشاعر لن تستطيع أن تمد أي جذور إلى قلبك".

وما إن قال السيون هذا حتى خرج من النافذة ليبحث عن الخادمة ميالا.

\*\*\*

بجول الوقت الذي وصلت فيه ميالا كانت سارين قد استعادت رباطة جأشها، لم يكن هناك أي دموع، بل مجرد تفكير في الذات، من آن لآخر يكون الأمر أكثر من قدرتها على التحمل، فيسيطر عليها إحساس بعدم الثقة بالنفس، لطالما كان آش وأبوها بجانبها لدعمها في تلك اللحظات.

قالت ميالا وهي تتأمل حالة الغرفة: "رباه!". كانت نحيفة وصغيرة السن نوعاً ما، بالتأكيد ليس ما توقعته سارين في البداية عندما انتقلت إلى القصر، كانت ميالا تُشبه إلى حد ما إحدى محاسبات والدها بدلاً من كونها كبيرة الخادמות.

قالت ميالا معتذرة وهي تنظر إلى سارين بابتسامة شاحبة: "المعذرة يا سيدتي، لم أفكر في هذا الأمر، لقد فقدنا فتاة أخرى هذا الصباح، ولم يخطر ببالي أن غرفتك كانت على قائمة مهامها".

سألته سارين في قلق: "ماذا تعنين بأنكم فقدتموها يا ميالا؟".

قال ميالا مفسرة: "لقد هربت يا سيدتي. ليس من المفترض أن يُغادرن، ففقودنا مُلزمة مثل بقية الفلاحين، ولكن لسبب ما نجد مشكلة في الحفاظ على الخادמות داخل القصر. دومي وحده يعرف سبب هذا، فلا يوجد خادم في البلد يُعامل معاملة أفضل من الخدم هنا".

سألته سارين في فضول: "كم عدد المفقودات؟".



قالت ميالا: "إنها الرابعة هذا العام. سأرسل شخصًا ما إلى هنا على الفور".

"لا، لا ليس بالضرورة هذه الليلة، ولكن فلتحرصي على ألا يحدث هذا مرة أخرى".

قالت ميالا وهي تنحني: "بالطبع يا سيدتي".

"شكرًا لك".

\*\*\*

قالت سارين في حماس وهي تقفز من فراشها: "ها هو مرة أخرى".

على الفور توهج آش بوميض كامل وهو يحوم في تردد بالقرب من الجدار ويقول: "سيدتي؟".

قالت سارين آمرة: "فلتصمت". ثم وضعت أذنها على الجدار الحجري أسفل نافذتها وهي تُصغي إلى صوت الاحتكاك قبل أن تقول: "ما رأيك في هذا؟".

قال آش في اقتضاب: "أعتقد أن أيًا كان ما تناولته سيدتي على العشاء فإنه لم يكن مناسبًا لها".

قالت سارين متجاهلة سخريته: "لقد كان هناك ضجيج بالفعل". رغم أن آش يكون دومًا مستيقظًا في الصباح عندما تستيقظ لكنه لا يجب أن يزعمه أحد بعد أن يغرق في النوم.

مدت يدها إلى الطاولة الصغيرة بجانب فراشها وأمسكت بقصاصة من الورق، كانت قد رسمت عليها علامة باستخدام قطعة صغيرة من الفحم دون أن تبالي باستخدام القلم والحبر.

قالت وهي ترفع الورقة ليراها آش: "انظر، بدأ النمط يتكرر".

حَقَّق آش مقتربًا لينظر إلى الورقة، والضوء المنبعث عن آيونه المتوهج ينير الغرفة إلى جانب ضوء النجوم. "لقد سمعته مرتين في المايدال<sup>٣١</sup> ومرة في الأوبيدال<sup>٣٢</sup>، بمجموع ثلاث مرات، هذا لا يكاد يعد دليلاً على وجود غمط متكرر يا سيدتي".

قالت سارين وهي ترمي قطعة الورق على طاولتها: "إذن فأنت تعتقد أنني أتوهم سماع أشياء. ظننت أن السيونات من المفترض أن تمتلك حواس سمعية ممتازة".

قال آش: "ليس عندما نكون نائمين يا سيدتي". مشيرًا إلى أنه كان من المفترض أن يكون نائمًا في هذه اللحظة.

قالت سارين وهي تطرق على الجدار الصخري بلا جدوى: "لا شك أنه يوجد ممر هنا".  
"كما ترين يا سيدتي".

قالت وهي تعتدل واقفة لتتفحص نافذتها: "أنا أرى هذا بالفعل. انظر إلى مدى سمك الحجر حول هذه النافذة يا آش". مالت على الجدار وأخرجت ذراعها من النافذة، وبالكاك لمست أناملها الحافة الخارجية. "هل من الطبيعي أن يكون الجدار عريضًا إلى هذا الحد؟".

"إنه يوفر الكثير من الحماية يا سيدتي".

"كما أنه يوفر مساحة من أجل ممر".

قال آش: "ممر ضيق للغاية".

قالت سارين وهي تجتو على ركبتيها لتضع حافة النافذة على مستوى النظر: "هذا صحيح، لا شك أنه ينحدر لأعلى، لقد أنشئ هذا الممر ليمر تحت النوافذ في هذا الطابق، وفي الطابق

---

<sup>٣١</sup> المايدال: اليوم الثاني في الأسبوع بحسب التقويم الآيوني.  
<sup>٣٢</sup> الأوبيدال: اليوم السادس في الأسبوع بحسب التقويم الآيوني.

السفلي أيضاً". كانت قادرة على أن تتخيل القصر من الخارج، ستكون هناك نافذة أصغر في الغرفة المجاورة لها، وستكون النافذة أعلى في الجدار.

"ولكن الشيء الوحيد عبر هذا الاتجاه هو...".

أضمت سارين جملته قائلة: "جناح الملك، فأني مكان آخر يُمكن أن يؤدي إليه ممر كهذا؟".

"هل تفترضين يا سيدي أن الملك يخرج في جولات سرية مرتين في الأسبوع في منتصف الليل؟".

قالت سارين وهي تتفحص الساعة الكبيرة القائمة بذاتها في ركن غرفتها: "عند الساعة الحادية عشرة بالضبط، يكون هذا دومًا في نفس التوقيت".

"أي سبب يُمكن أن يدفعه لفعل شيء مثل هذا؟".

قالت سارين وهي تنقر على وجنتها مفكرة: "لا أعرف".

تمتم آش: "رَبّاه، إن سيدي تُخطط لشيء ما، أليس كذلك؟".

قالت سارين بلطف وهي تعود إلى فراشها: "خفف من ضوئك، شخص ما هنا يُريد أن ينام".

## الفصل الواحد والعشرون

اعتدل هرائن في كرسيه وهو يرتدي روبه الديريني الأحمر بدلاً من دروعه، كما يفعل عادة عندما يكون في حجرته. كان يتوقع الطرق الذي جاء على بابه فقال: "ادخل".

دخل الأرتيث ثريد. كان ثريد رجلاً ذا هيئة فيوردية مميزة، طويل القامة قوي البنية أسود الشعر حاد القسما، كان لا يزال مفتول العضلات منذ أيام تدريبه في الدير.

قال الرجل وهو ينحني جاثياً على ركبتيه في إشارة احترام ملائمة: "مولاي".

قال هرائن وهو يشبك أصابعه أمام وجهه: "خلال فترة وجودي هنا أيها الأرتيث كنت أراقب الكهنة المحليين، وقد أعجبني خدمتك لمملكة جادث، وقررت أن أعرض عليك منصب كبير الأرائنة في هذه الكنيسة".

رفع ثريد عينيه في دهشة وقال: "مولاي؟".

قال هرائن: "كنت أعتقد أنني سأضطر لتأجيل تعيين كبير أرائنة جديد حتى تصل دفعة جديدة من الكهنة من فيوردن، ولكنك أثرت إعجابي كما قلت، لذا أعرض عليك المنصب".

ثم أضاف في عقله: وبالطبع أنا ليس لدي رفاهية الوقت. أحتاج إلى شخص يدير هذه الكنيسة لكي أتفرغ لمهامي الأخرى.

قال الأرتيث وقد طغت عليه مشاعره بوضوح: "سيدي... لا يمكنني أن أقبل هذا المنصب".

تجمد هرائن ثم قال: "ماذا؟". ليس من المعقول أن يرفض كاهن ديريني منصباً يمنحه هذا القدر من السلطة.

كرر الرجل وهو يطرق بعينه: "أعتذر يا سيدي".

سأله هراثن: "ما هي الأسباب التي تبرر بما هذا القرار أيها الأرتيث؟".

"لا يُمكنني أن أمتحك سببًا يا مولاي، أنا فقط... لن أكون مناسبًا لتولي هذا المنصب. هل يمكنني أن أنصرف".

صرفه هراثن ملوحًا بيده وهو يشعر بالاضطراب. كان الطموح سمة فيودورية جوهرية، كيف يُمكن لرجل مثل ثيريد أن يفقد كبريائه بهذه السرعة؟ هل أضعف فيون الكهنة في كاي جذريًا حقًا؟

أم أن هناك سببًا آخر وراء رفض الرجل؟ كان هناك صوت مُلح يهمس في عقل هراثن أن فيون المنفي ليس المُلام. ديلاف... ديلاف له علاقة برفض ثيريد.

على الأرجح كانت الفكرة مجرد مبالغة في الارتياب، ولكنها دفعت هراثن إلى التفكير في الخطوة التالية في خطته. يجب عليه أن يتعامل مع ديلاف، فرغم الحيلة التي فعلها مع الإيلان تري كان الأرتيث يزداد نفوذًا بشكل ملحوظ على الكهنة الآخرين. مد هراثن يده إلى درج مكتبه وأخرج ظرفًا صغيرًا، لقد ارتكب خطأ بشأن ديلاف، فبينما يُمكن توجيه حماسة المتعصبين لم يكن لدى هراثن حاليًا الوقت أو الطاقة لفعل هذا. إن مستقبل مملكة بأسرها يعتمد على قدرة هراثن على التركيز، ولم يكن يُدرك قدر التركيز الذي يتطلبه ديلاف.

لا يُمكن أن يسمح له بالموافاة، إن عالم هراثن مبني على السيطرة والقدرة على التوقع، ودينه هو التفكير المنطقي. إن ديلاف مثل إناء من الماء المغلي يُصب على ثلج هراثن، في النهاية سيصير كلاهما ضعيفًا ومشتتًا، كبخار في مهب الريح، وبعد فشلهما ستموت أريلون.

ارتدى هراثن دروعه وغادر حجرتة ليدخل الكنيسة، كان العديد من المصلين جاثين يصلون في صمت، والكهنة يتحركون جيئةً وذهابًا في انشغال. كانت أسقف الكنيسة المخدبة مألوفة،

وكذلك طرازها المعماري الحيوي، هذا هو المكان الذي من المفترض أن يشعر فيه بالراحة، ولكن في كثير من الأحيان يجد هرائن نفسه يهرب ليصعد أسوار إيلانتريس. لقد قال هرائن لنفسه إنه ببساطة يذهب إلى الأسوار لأن ارتفاعها يمنحه فرصة لأن يطل على كاي بأسرها، ولكنه يعرف أن هناك سببًا آخر، كان يذهب إلى هناك لأن إيلانتريس هي آخر مكان قد يذهب إليه ديلاف طواعية.

كانت حجرة ديلاف عبارة عن تجويف صغير، يُشبه إلى حد كبير التجويف الذي شغله هرائن بنفسه عندما كان أرتيًا قبل سنوات عديدة. رفع ديلاف عينيه من على مكتبه عندما دفع هرائن باب الحجرة الخشبي البسيط.

قال الأرتيث وهو يعتدل واقفًا بدهشة: "سيدي الهروودن؟". فنادرًا ما يزوره هرائن في حجرته.

قال هرائن: "لدي مهمة عاجلة من أجلك أيها الأرتيث، مهمة لا أثق في غريك لكي ينجزها".

قال ديلاف في خضوع وهو يحني رأسه: "بالطبع يا سيدي الهروودن". ولكنه ضيق عينيه في ريبة. "أنا أخدم بإخلاص، وأعرف أنني جزء من السلسلة المتصلة بالرب جادث نفسه".

قال هرائن بلا اكتراث: "أجل أيها الأرتيث، أحتاج منك أن توصل رسالة".

نظر إليه ديلاف في دهشة وقال: "رسالة؟".

قال هرائن بحزم: "أجل، من المهم أن يعرف الويرن التقدم الذي نحزّه هنا، لقد كتبت له تقريرًا، ولكن الأمور التي أناقشها فيه حساسة للغاية، في حال فقدانه قد يحدث ضرر لا يُمكن تداركه، لذا اخترتك يا أوديفي لكي توصل الرسالة بنفسك".

"هذا سيستغرق أسابيع يا سيدي الهروودن".

"أعرف هذا، ويؤسفني أن أستغني عن خدماتك لبعض الوقت، ولكنني ألتمس العزاء من معرفتي أنك تتولى مهمة حيوية".

أطرق ديلاف بعينه وهو يضع يديه برفق على سطح طاولته، ثم قال: "سأذهب كما يأمرني سيدي الهرودن".

عقد هرائن حاجبيه، من المستحيل أن يهرب ديلاف، إن علاقة الهرودن-أوديف ملزمة إلزامًا لا رجعة فيه. عندما يأمر السيد يُطيع الآخر، ورغم هذا توقع هرائن المزيد من ديلاف، حيلة ما، محاولة للتملص من هذه المهمة.

قَبِلَ ديلاف رسالة هرائن بخضوع واضح. أدرك هرائن أنه ربما كان هذا ما يريده طيلة الوقت، طريقة للذهاب إلى فيوردن، إن منصبه كأوديف تابع لجيورن سيمنحه السلطة والاحترام في الشرق، ربما كان هدف ديلاف الوحيد هو استعداد هرائن لكي يخرج من أريلون.

استدار هرائن على عقبيه وبدأ يمشي عائداً إلى قاعة العظاظ بالكنيسة. كان الأمر أكثر صعوبة مما يأمل، لقد منع نفسه من أن يتنفس الصعداء، وجعل خطواته أكثر ثقة وهو يمشي ناحية حجرتة.

تردد صوت من ورائه، صوت ديلاف. كان يتحدث بصوت خافت ولكنه كان مسموعاً بما يكفي. قال الأرتيث أمراً واحداً من الدرافنة: "فلترسل الرسل، نحن سنغادر إلى فيوردن في الصباح".

كاد هرائن أن يواصل السير، كاد ألا يُبالي بما يخطط له ديلاف أو يفعل به بما أنه سيغادر، ولكن لقد قضى هرائن وقتاً طويلاً في المناصب القيادية. وقتاً طويلاً للغاية في العمل السياسي. على أن يسمح لهذه الجملة أن تمر مرور الكرام، وخصوصاً من ديلاف.

دار هرائن على عقبيه وقال: "نحن؟ لقد أمرتك وحدك أيها الأرتيث".

قال ديلاف: "أجل يا سيدي، ولكنك بالطبع لا تتوقع أن أترك أوديثاتي ورائي".

سأله هراثن: "أوديثاتك؟". بصفته عضوًا رسميًا في الكهنوت الديرشي، كان إيلاف قادرًا على أن يجعل غيره يقسم له بأن يصير أوديفًا مثلما فعل معه هراثن، ليُكمل السلسلة التي تربط كل البشر بجادث. ولكن هراثن لم يفكر في احتمال أن هذا الرجل قد يجعل آخرين يقسمون له بقسم الأوديف، متى وجد وقتًا لهذا؟

سأله هراثن: "من يا ديلاف؟ من الذين جعلتهم يقسمون لك بقسم الأوديف".

أجابه ديلاف في مراوغة: "العديد من الأشخاص يا سيدي الهرودن".

"أريد أسماء أيها الأرتيث".

وعندها بدأ يذكر أسماءهم. معظم الكهنة يكون لهم أوديف أو اثنان، والجويرونات يكون لهم عشرة أو نحو ذلك. كان لدى ديلاف أكثر من ثلاثين. ازداد ذهول هراثن وهو يستمع، كان مذهولًا وغاضبًا، لقد تمكن ديلاف من أن يجعل معظم أتباع هراثن المفيديين أوديثات له، بما فيهم وارين والعديد من الأرستقراطيين الآخرين.

عندما أنهى ديلاف القائمة أطرق بعينه في تواضع خائن.

قال هراثن ببطء: "قائمة مثيرة للاهتمام، ومن تنوي أن تأخذه معك أيها الأرتيث؟".

قال ديلاف ببراءة: "جميعهم بالطبع يا سيدي، إن كان هذا الخطاب مهمًا كما يقول سيدي فيجب أن أمنحه الحماية اللائقة".

أغلق هراثن عينيه، إن كان ديلاف سيأخذ كل هؤلاء الأشخاص الذين ذكرهم فسيترك هراثن بدون داعمين، هذا على افتراض أنهم سيذهبون معه. لا يُمكن للأوديف أن يتخلص من أمر قد تلقاه، هكذا يؤمن معظم الديرشيين. حتى إن العديد من الكهنة يقسمون بقسم الكرونوت



الأقل إلزامًا؛ الكروندت يُصغي إلى مشورة سيده الهروذن، ولكنه لا يكون مُلزماً بفعل ما يقوله له.

كان من سلطة ديلاف أن يأمر أتباعه الأوديفات بأن يذهبوا معه إلى فيوردن. وليس لدى هراثن أدنى سلطة على ما يفعله الأرتيث مع أتباعه المقسمين له، سيكون خرقاً جسيماً للميثاق أن يأمر ديلاف بتركهم وراءه. ولكن إن حاول ديلاف أن يأخذهم معه ستكون كارثة بلا شك. هؤلاء الرجال حديثو العهد بالشو-ديريث، ولا يعرفون قدر السلطة التي منحوها لديلاف، إن حاول الأرتيث أن يجرحهم معه إلى فيوردن فمن غير المتوقع أنهم سيتبعونه.

وإن حدث هذا فسيكون هراثن مجبراً على حرمان كل واحد منهم كنسيًا، وحينها ستدمر الشو-ديريث في أريلون.

واصل ديلاف استعداداته كأنه لم يلاحظ الصراع الدائر داخل نفس هراثن. ولكنه لم يكن صراعاً جسيماً، فهراثن يعرف ما يجب عليه أن يفعله. إن ديلاف غير متزن، من المحتمل أنه يُخادع، ولكن من المحتمل بنفس القدر أنه سيُدمر جهود هراثن في انتقام حاقده.

جزَّ هراثن على أسنانه حتى نبض فكه. ربما أوقف هراثن محاولة ديلاف لحرق الإيلانترى، ولكن من الواضح أن الأرتيث قد أدرك خطوة هراثن التالية. لا، لا يُريد ديلاف الذهاب إلى فيوردن، ربما كان غير متزن، ولكنه أيضاً أكثر استعداداً مما افترض هراثن.

بينما رسول ديلاف يستعد للرحيل أمره هراثن: "انتظر". إن غادر هذا الرجل الكنيسة فسيتمدح كل شيء. "لقد غيّرت رأبي أيها الأرتيث".

سأله ديلاف وهو يطل برأسه من حجرتة: "سيدي الهروذن؟".

"لن تذهب إلى فيوردن يا ديلاف".

"ولكن يا سيدي...".

"لا، لا يُمكنني الاستغناء عنك". هذه الكذبة جعلت معدة هراثن تنقبض بعنف. "فلتجد شخصًا آخر ليرسل الرسالة".

وما إن قال هراثن هذا حتى دار على عقبه وبدأ يمشي ناحية حجرته.

همس ديلاف: "سأكون دومًا الخادم المتواضع لسيدي الهروذن". فحمل خواء الحجرة همسه مباشرة إلى أذني هراثن.

\*\*\*

لقد هرب هراثن مرة أخرى.

كان بحاجة إلى التفكير، إلى تصفية ذهنه. لقد أمضى ساعات عديدة يغلي في مكتبه، غاضبًا من ديلاف ومن نفسه. وأخيرًا لم يعد قادرًا على تحمل الأمر، فهرب إلى ظلمة شوارع كاي في الليل.

أخذته قدماه إلى سور إيلانتريس كالعادة، كان يسعى إلى الارتفاع، كأنما ارتفاعه فوق مساكن البشر يُمكن أن يمنحه منظورًا أفضل يطل به على الحياة.

قال صوت متوسل: "هل يمكنك أن تمنحني بعض النقود يا سيدي؟".

توقف هراثن في دهشة، كان غارقًا في أفكاره إلى حد كبير، حتى إنه لم يلاحظ الشحاذ الواقف أمامه مرتديًا أسماألً بالية. كان الرجل عجوزًا، ومن الواضح أن نظره ضعيف، فقد كان يضيق عينيه محاولًا أن يرى هراثن في الظلمة. عقد هراثن حاجبيه وقد أدرك للمرة الأولى أنه لم يرَ شحاذًا في كاي من قبل.

كان هناك شاب يرتدي ملابس ليست أفضل حالاً من ملابس العجوز، يعرج عند الناصية. تجمد الفتى في موضعه وقد امتقع وجهه ثم قال بصوت غاضب: "ليس هذا أيها العجوز الأحمق!". ثم التفت إلى هرائن على الفور وقال: "أعتذر يا سيدي، لقد فقدت والدي عقله، وأحياناً ما يعتقد أنه شحاذ. أرجوك اغفر لنا". ثم تحرك ليُمسك بذراع الرجل العجوز.

رفع هرائن يده في حركة أمرة فتوقف الشاب في موضعه وقد ازداد وجهه امتقاعاً. جثا هرائن على ركبتيه بجانب الرجل العجوز الذي يبتسم ابتسامة خرفة وسأله: "قل لي أيها العجوز، لم لا أَرِ إلا قلة من المتسولين في هذه المدينة؟".

قال الرجل بصوت أجش: "الملك يُحرم التسول في المدينة يا سيدي الكريم، إن وجودنا في الشوارع أمر يسيء إلى رخاء المدينة. إن عثر علينا فسيعيدنا إلى المزارع".

قال الشاب محذراً: "لقد تفوهت بما لا يُقال". كان وجهه الخائف يشير إلى أنه على وشك أن يتخلى عن العجوز ويلوذ بالفرار.

ولكن الشحاذ العجوز لم يكن قد انتهى من حديثه، فقد قال: "أجل يا سيدي الكريم، لا يجب أن نسمح له بالإمساك بنا، لذا نختبئ خارج المدينة".

سأله هرائن: "خارج المدينة؟".

"كأي ليست البلدة الوحيدة هنا، كان هناك أربعة في الماضي، جميعها تحيط بإيلانتريس، ولكن المدن الأخرى قد جُفَّت، قالوا إنه لا يوجد طعام من أجل العديد من الناس في منطقة صغيرة كهذه، لذا نختبئ في الأطلال".

سأل هرائن: "هل هناك العديد منكم؟".

قال العجوز: "لا، ليس الكثير منا، هؤلاء فقط الذين يملكون الجرأة للهروب من المزارع". ثم اكتست عيناه بنظرة حاملة وهو يقول: "لم أكن دومًا شحاذًا يا سيدي الكريم. كنت معتادًا على العمل في إيلانتريس، كنت نجارًا، واحدًا من أفضل النجارين. ولكني لم أستطع أن أكون مزارعًا بارعًا. كان الملك مخطئًا يا سيدي، لقد أرسلني إلى الحقول، ولكني كنت عجزًا للغاية على أن أعمل فيها، لذا هربت، وأتيت إلى هنا، والتجار في البلدة يمنحوننا المال أحيانًا، ولكن لا يمكننا التسول إلا بعد حلول الظلام، ولا نتسول مطلقًا من السادة النبلاء، لا يا سيدي فهم سيخبرون الملك".

ضيق العجوز عينيه وهو ينظر إلى هرائن كأنما قد أدرك لأول مرة سبب تخوف الصبي، فقال في تردد: "أنت لا تبدو تاجرًا يا سيدي الكريم".

أجابه هرائن: "لا لست تاجرًا". ثم وضع كيس نقود في يد الرجل وقال: "هذا من أجلك". ثم وضع كيسًا آخر وقال: "وهذا من أجل الآخرين. طابت ليلتك أيها العجوز".

صاح الرجل: "شكرًا لك يا سيدي الكريم!".

قال هرائن: "الشكر لجادث".

"من هو جادث يا سيدي الكريم؟".

أحنى هرائن رأسه وقال: "ستعرف قريبًا أيها العجوز، ستعرف بطريقة أو بأخرى".

\*\*\*

كان الهواء يهب بقوة أعلى سور إيلانتريس، فراحت حرملة هرائن تخفق كأنما بابتهاج. كانت الرياح كمحيط بارد، فكادت أن تجلب معها رائحة ملح البحر. وقف هرائن بين مشعلين مضيقين وهو يميل على الحاجز الخفيض وينظر إلى كاي.

لم تكن المدينة كبيرة للغاية، خصوصًا بمقارنتها مع اتساع إيلانتريس الهائل، ولكن يُمكن أن تُحصن بشكل أفضل. أحس باستيائه القديم يعود إليه، إنه يكره كونه في مكان لا يستطيع حماية نفسه. ربما كان هذا جزءًا من الضغط الذي يشعر به تجاه مهمته.

كانت الأضواء تتلألأ في جميع أرجاء كاي، معظمها من مصابيح الشوارع، بما في ذلك سلسلة من المصابيح على طول السور القصير الذي يُمثل حدود المدينة الرسمية. كان السور يمثل دائرة مثالية، مثالية للغاية في الواقع حتى إن هرائن كان ليستغرب الأمر لو كان في أي مدينة أخرى. هنا كان هذا مجرد شيء آخر من بقايا مجد إيلانتريس الضائع. كانت كاي تمتد إلى ما وراء ذلك السور الداخلي، ولكن الحدود القديمة بقيت كما هي، حلقة من اللهب تلتف في دائرة حول مركز المدينة.

قال صوت من ورائه: "لقد كانت أكثر جمالاً من قبل".

التفت هرائن في دهشة، كان قد سمع الخطوات تقترب منه، ولكنه افترض ببساطة أنه أحد الحراس في دورية من دورياته. بدلاً من هذا وجد رجلاً أربلياً قصيراً أصلع الرأس، يرتدي رويًا رماديًا بسيطاً. أومين، رأس الديانة الكوراثية في كاي.

اقترب أومين من الحافة ثم توقف بجانب هرائن ليتفحص المدينة قبل أن يقول: "كان هذا في الماضي بالطبع، عندما كان الإيلانتريون ما زالوا يحكمون. إن سقوط المدينة على الأرجح كان خيراً لأرواحنا، ولكني لا أستطيع أن أمنع نفسي من تذكر تلك الأيام برهبة، هل تعرف أنه لم يكن هناك جائع في أربلون، كان باستطاعة الإيلانترين أن يحولوا الحجر إلى ذرة، والتراب إلى شرائح لحم. عندما تراودني تلك الذكريات لا أستطيع منع نفسي من التساؤل؛ هل يمكن للشياطين أن يفعلوا كل هذا الخير في هذا العالم؟ هل يمكنهم حتى أن يرغبوا في هذا؟".

لم يُجبه هرائن، بل اكتفى بالوقوف هناك متكئًا بذراعيه على الحاجز، وشعره يتموج في الرياح.

لاذ أومين بالصمت، حتى سأله هراثن أخيراً: "كيف استطعت العثور علي؟".

"من المعروف أنك تقضي الليل هنا فوق السور". بالكاد كان الكاهن القصير قادراً على أن يضع ذراعيه على الحاجز. كان هراثن يعتبر ديلاف قصيراً ولكن هذا الرجل جعل الأرتيث يبدو عملاقاً. أكمل أومين حديثه قائلاً: "يقول أنصارك إنك تأتي إلى هنا وتخطط لهزيمة الإيلانترين الأشرار، ويقول خصومك إنك تأتي إلى هنا لأنك تشعر بالذنب للتنديد بشعب ملعون بالفعل".

التفت هراثن ناظراً إلى أسفل إلى عيني الرجل القصير وقال: "وما الذي تقوله أنت؟".

قال أومين: "أنا لا أقول شيئاً، لا يهمني سبب صعودك هذه السلام يا هراثن، ومع هذا فأنا أتساءل لماذا تدعو إلى كراهية الإيلانترين بينما أنت نفسك تُشفق عليهم؟".

لم يُجبه هراثن على الفور، بل راح ينقر بأصابعه المغطاة بالقفاز على الحاجز الحجري بنقرات رتيبة، حتى قال أخيراً: "ليس بالأمر الصعب بمجرد أن تحمل نفسك على الاعتقاد عليه. يُمكن للمرء أن يُجبر نفسه على الكراهية إن أراد، وخصوصاً إن أفتع نفسه أن هذا من أجل تحقيق هدف أسمى".

"ظلم القليل يجلب خلاص الكثير؟". سأله أومين بابتسامة شاحبة كأنما يرى أن هذا المفهوم سخيف.

قال هراثن: "من الأفضل لك ألا تسخر أيها الأريلي، إن لديك خيارات قليلة، وكلانا يعرف أن الخيار الأقل إيلاًماً يتطلب منك أن تفعل ما أفعله".

"أن أجاهر بالكراهية بينما لا أشعر بما؟ لن أفعل هذا أبداً يا هراثن".

قال هراثن ببساطة: "إذن فسوف تصير بلا تأثير حقيقي".

"هل هذا ما يجب أن يكون عليه الأمر إذن؟".

قال هراثن: "إن الشو-كورات خاضعة ومتواضعة أيها الكاهن، بينما الشو-ديريث تنبض بالحياة والحياة، ستكتسحكم كفيضان هادر يجتاح بركة راكدة".

ابتسم أومين مرة أخرى وقال: "تصرف وكأن الحقيقة شيء يتأثر بالمثابرة يا هراثن".

"أنا لا أتحدث عن الحقيقة أو الزيف، أنا ببساطة أشير إلى الحتمية المادية، لا يُمكنكم الوقوف في وجه فيوردن، وحيثما تحكم فيوردن تنتشر الشو-ديريث".

قال أومين وهو يهز رأسه الأصلع: "لا يمكن للمرء أن يفصل الحقيقة عن الأفعال يا هراثن، سواء كان هناك حتمية مادية أم لا، فإن الحقيقة تعلو فوق كل شيء، إنها مستقلة عن من يملك أفضل جيش ومن يُمكنه إلقاء أطول خطاب، أو حتى من لديه أكبر عدد من الكهنة. يمكنك أن تحاول دفنها، ولكنها دومًا ما تخرج إلى السطح، الحقيقة شيء لا يمكن تهديده".

سأله هراثن: "وإن كانت الشو-ديريث هي الحقيقة؟".

قال أومين: "إذن فسوف تسود، ولكني لم آتِ إلى هنا للجدال معك".

رفع هراثن حاجبيه وقال: "حقًا؟".

قال أومين: "لقد جئت لأسألك سؤالاً".

"فليتسأله إذن أيها الكاهن، ثم اتركني لأختلي بأفكاري".

قال أومين وهو يحاول سبر أغواره: "أريد أن أعرف ما الذي حدث، ما الذي حدث لك يا هراثن؟ ما الذي حدث لإيمانك؟".

سأله هراثن في صدمة: "إيماني؟".

قال أومين بكلمات مُشفقة: "أجل، لا شك أنك كنت مؤمناً في مرحلة ما من حياتك، وإلا لما التحقت بالكهنوت لوقت طويل حتى صرت جيورناً، ولكنك فقدت إيمانك عند نقطة ما. لقد استمعتُ إلى خطبك، فسمعت المنطق والفهم الكامل، ناهيك بالعزيمة، ولكني لم أجد أي إيمان، فأتساءل ما الذي حدث له".

أخذ هراثن نفساً عميقاً بطيباً من بين أسنانه، ثم قال آمراً: "فلتذهب". دون أن يكلف نفسه عناء النظر إلى الكاهن.

لم يُجبه أومين، فالتفت هراثن ولكن الأريلي كان قد مشى بالفعل، يمشي عبر السور بخطوات متمهلة، كأنها قد نسي وجود هراثن.

وقف هراثن على السور لوقت طويل هذه الليلة.



## الفصل الثاني والعشرون

كان رابودن يتقدم ببطء وهو يختلس النظر بحذر عند الناصية، كان من المفترض أن يتصبب عرقاً، في الواقع كان يرفع يده لمسح جبينه من آن لآخر، رغم أن هذه الحركة لم تفعل شيئاً سوى تلطّيح جبهته بوحل إيلانتريس. كانت ركبته تترجفان بينما يريض عند السياج الخشبي المتحلل وهو يفتش الشارع بحذر بحثاً عن الخطر.

"وراءك يا سول!"

التفت رابودن وقد فاجأه تحذير جالادون فانزلق على أحجار الرصف اللزقة ليسقط أرضاً. أنقذه هذا السقوط، فبينما يحاول أن يعتدل واقفاً أحس بشيء يشق الهواء من فوقه. صرخ الرجل المجنون الواثق عندما أخطأ الهدف وارتطم بالسياج ليتناثر الخشب المتعفن في الهواء.

أسرع رابودن ليعتدل واقفاً، ولكن الرجل المجنون تحرك بسرعة أكبر، كان الرجل أصلع وشبه عارٍ ويصرخ بينما يشق طريقه عبر بقية السياج مزحجراً ومزقاً الخشب ككلب مسعور.

ضرب جالادون الرجل مباشرة في وجهه بلوح خشبي، وعندما جمدت المفاجأة الرجل أمسك جالادون حجر رصف وضرب به جانب رأس الرجل. انهار الرجل المجنون أرضاً ولم ينهض مرة أخرى.

اعتدل جالادون واقفاً، ثم قال وهو يرمي حجر الرصف: "إنهم يزدادون قوة بطريقة ما يا سول، يبدو أنهم يكادون لا يشعرون بالألم، كولو؟".

أوما رايودن برأسه وهو يتمالك أعصابه، ثم قال: "لم يقدرُوا على الإمساك بأي وافدين جدد طيلة أسابيع، نهم يزدادون يأسًا، ويزدادون انحطاطًا في حالتهم الوحشية. لقد سمعت عن محاربين يشعرون بغضب عارم أثناء القتال فيتجاهلوا حتى الجروح المميتة". صمت رايودن بينما جالادون يركز المهاجم بعضا ليتيقن أنه لا يتظاهر.

قال رايودن بصوت خافت: "ربما وجدوا أخيرًا سرًّا لإيقاف الألم".

قال جالادون وهو يهز رأسه: "كل ما عليهم فعله هو التخلي عن إنسانيتهم". بينما يواصلان التسلسل عبر ما كان يومًا سوق إيلانتريس. مرا بأكوام من الحديد الصدئ والخزفيات المنقوش عليها الأحرف الآيونية. ذات يوم كانت هذه المخلفات تُنتج آثارًا رائعة، وقواها السحرية تجعلها لا تُقدر بثمن. الآن صارت مجرد عقبات يجب على رايودن تفاديها لكيلا تصدر أصوات تَهشم تحت قدميه.

قال جالادون بصوت خافت: "كان يجب أن نجلب سايولين معنا".

هز رايودن رأسه وقال: "سايولين جندي رائع ورجل صالح، ولكنه يفتقر إلى القدرة على التخفي، حتى أنا يُمكنني سماعه وهو يقترب. كما أنه سيكون مصرًّا على جلب مجموعة من حراسه، إنه يرفض تصديق أنني قادر على حماية نفسي".

نظر جالادون إلى جسد الرجل المجنون ثم نظر إلى رايودن بعينين ساخرتين وقال: "إن كنت ترى هذا يا سول".

ابتسم رايودن وقال معترفًا: "حسنًا، ربما كان سينفعنا مجيئه، ولكن رجاله يصرون على تدليلي. صدقًا كنت أعتقد أنني تركت هذه الأشياء ورائي في قصر أبي".

هز جالادون كتفيه وقال: "الناس يحمون الأشياء التي يرونها مهمة، إن كنت تعارض هذا فلم يكن يجب عليك أن تجعل نفسك شخصًا يصعب الاستغناء عنه، كولو؟".

تهند رابودن وقال: "فهمتكم، هيا بنا".

لاذا بالصمت بينما يواصلان التسلسل. كان جالادون قد اعترض لساعات عندما شرح له رابودن خطته للتسلسل ومواجهة شايور. كان الدولادي قد وصف الخطة بالتهور وعدم الجدوى والخطر والغباء التام. ولكنه مع ذلك لم يكن مستعداً لترك رابودن يذهب وحده.

كان رابودن يعرف أن الخطة ربما تكون متهورة ولا جدوى منها وكل الأشياء الأخرى التي قالها جالادون، فرجال شايور سيمزقونهما إرباً دون لحظة تردد واحدة، وربما حتى دون أن يفكروا في الأمر أولاً، بالأخذ في الاعتبار حالتهم العقلية. ولكن طيلة الأسبوع الماضي حاول رجال شايور الاستيلاء على الحديقة ثلاث مرات، وكان حرس سايلوين يُصابون بجروح أكثر وأكثر بينما رجال شايور بدا أنهم يزدادون وحشية وجموحاً.

هز رابودن رأسه، فبينما تزداد مجموعته عددًا كان معظم أتباعه ضعافاً بدنيًا. على الجانب الآخر كان رجال شايور أقوىاء بشكل مخيف، وكل واحد منهم كان محاربًا، لقد منحهم غضبهم القوة، ولم يعد أتباع رابودن قادرين على ردعهم أكثر من هذا.

يجب على رابودن أن يجد شايور، إن تمكن من الحديث مع الرجل فإنه واثق في أنهما سيتوصلان إلى تسوية. قيل إن شايور نفسه لم يذهب في أي من هذه الهجمات، الجميع يشيرون إلى العصاة باسم "رجال شايور" ولكن لا أحد يتذكر رؤية شايور نفسه. من المحتمل إلى حد كبير أنه مجرد مهووس آخر لا يُمكن تمييزه عن البقية، ولكن من المحتمل أيضاً أن الرجل المسمى شايور قد التحق بالهويد منذ زمن بعيد، وأن المجموعة مستمرة بدون قيادة.

ومع ذلك كان هناك شيء بداخله يُخبره أن شايور لا يزال حيًا، أو ربما أراد رابودن أن يصدق هذا فحسب. كان بحاجة إلى عدو يُمكنه مواجهته، إن الرجال المجانين متفرون للغاية بحيث أنه لا يُمكن هزيمتهم ضائبًا، وهم يفوقون جنود رابودن عددًا بفارق كبير. ما لم يكن شايور موجودًا،

ما لم يتمكن من إقناع شايبور، وما لم يكن شايبور قادرًا على السيطرة على رجاله، فإن مجموعة رايبودن في مأزق حقيقي.

قال جالادون هامسًا وهما يقتربان من الشارع الأخير: "لقد أوشكنا على الوصول". كان هناك حركة على الجانب الآخر فتوقفنا في خوف حتى بدا أن الحركة قد ابتعدت عنهما.

قال جالادون وهو يوميء إلى مبنى ضخم في نهاية الشارع: "هذا هو البنك". كان مبنى ضخمًا مربعًا، وجدرانه سوداء أكثر بكثير مما يتسبب فيه الوحل عادة. "لقد أنشأ الإيلانتريون هذا المكان ليضع فيه التجار المحليون ثرواتهم، فإن أي بنك موجود في إيلانتريس يراه الناس أكثر أمانًا من أي بنك في كاي".

أومأ رايبودن برأسه، كان بعض التجار - مثل أبيه - لا يثقون في الإيلانترين، وقد ثبت في نهاية المطاف أن حفظ ثرواتهم خارج المدينة كان قرارًا حكيمًا. سأله: "هل تعتقد أن شايبور هناك؟".

هز جالادون كتفيه وقال: "إن كنت سأختار قاعدة فستكون هذا المبنى، إنه ضخم وحصين ومهيب، ومن ثم فهو مثالي تمامًا بالنسبة لزعيم عصابة".

أومأ رايبودن برأسه وقال: "إذن هيا بنا".

كان هناك من يقطن المبنى بالفعل، فقد كان الوحل المحيط بالباب الأمامي مكشوفًا بفعل حركة الأقدام غير المنقطعة، وكان باستطاعتهم أن يسمعا أصواتًا تأتي من الجزء الخلفي للمبنى. نظر جالادون إلى رايبودن نظرة متسائلة فأومأ رايبودن برأسه قبل أن يدخل.

كان المبنى بالداخل مقبضًا كما هو بالخارج، قاتم وعطن حتى بالنسبة لمدينة متداعية كإيلانتريس. كان باب السرداب - دائرة كبيرة محفور عليها بعمق آيون إيدو - مفتوحًا، والأصوات تأتي من الداخل. أخذ رايبودن نفسًا عميقًا وهو يستعد لمواجهة آخر زعماء العصابات.

صرخ صوت رفيع: "اجلبوا لي الطعام!".

تجمد رايبودن في موضعه ثم أطل برأسه مختلسًا النظر إلى داخل السرداب قبل أن يتراجع إلى الوراء على الفور. ففي الجزء الخلفي من الحجرة، وعلى كومة مما يبدو أنه سبائك ذهبية تجلس فتاة صغيرة، ترتدي ثوبًا نظيفًا وردّيًا. كان لها الشعر الآيوني الأشقر، ولكن بشرتها كانت سوداء ورمادية كأى إيلان تري آخر. كان هناك ثمانية رجال في أسمال بالية جاثين أمامها وهم يبسطون أذرعهم في تبجيل.

كررت الفتاة بصوت آمر: "اجلبوا لي الطعام".

سبَّ جالادون من ورائه قائلاً: "ما هذا بحق الدولوكين؟".

قال رايبودن في دهشة: "شايور". ثم انتبه وقد أدرك أن الفتاة تُحدق إليه.

صرخت شايور: "اقتلوهما!".

صاح رايبودن: "آيدوس دومي!". ثم دار على عقبه وأسرع ناحية الباب.

\*\*\*

قال جالادون: "لو لم تكن ميتًا بالفعل لقتلتك يا سول".

أومأ رايبودن برأسه وهو يتكى بتعب إلى الجدار. إنه يزداد ضعفًا، وقد حذره جالادون من أن هذا سيحدث. إن عضلات الإيلان تري تبدأ في الضمور قرب نهاية شهره الأول، ولا يمكن للتمارين أن تمنع هذا، فرغم أن العقل لا يزال يعمل واللحم لم يتحلل إلا أن الجسد يقتنع بأنه قد مات.

لقد نجحت الحيلة القديمة، فقد تمكنوا في النهاية من الهرب من رجال شايور بتسلق جانب جدار متداعٍ والاختباء على سطح مبنى. ربما يتصرف الرجال المجانين ككلاب صيد، ولكنهم بالتأكيد لم يكتسبوا حاسة شم الكلاب، لقد مروا بجانب موضع اختباء رابودن وجالادون عشرات المرات، ولم ينظروا لأعلى ولو مرة واحدة. كان الرجال مثابرين ولكنهم لم يكونوا أذكياء.

قال رابودن وهو لا يزال مصدومًا: "شايور فتاة صغيرة".

هز جالادون رأسه وقال: "أنا أيضًا لا أفهم الأمر يا سول".

"أنا أفهمه ولكني فقط لا أصدق. ألم ترهم ساجدين أمامها؟ تلك الفتاة، شايور، إنها ربتهم، وثن حي. لقد ارتدوا إلى أسلوب حياة أكثر بدائية، واعتنقوا دينًا بدائيًا كذلك".

قال جالادون محذرًا: "فلتحذر يا سول، العديد من الناس يقولون إن الجسكزية ديانة بدائية".

أشار رابودن بيده أن عليهما البدء في الحركة مرة أخرى، ثم قال: "حسنًا، ربما يجب أن أقول ديانة ساذجة، لقد عثروا على شيء غير مألوف، طفلة ذات شعر ذهبي طويل، فقرروا أنها يجب أن تُعبد. لقد وضعوها في محرابهم وهي تُملي عليهم أوامرها. الفتاة تريد الطعام، لذا يجب أن يجلبوه لها، وبعدها ستزعم أنها تباركهم".

"وماذا عن ذلك الشعر؟".

قال رابودن: "إنه شعر مستعار من نوع دائم، لقد تعرفت عليها، إنها ابنة واحد من أغني الدوقات في أربيلون، لم ينبت لها شعر قط، لذا وضع أبوها على رأسها شعرًا مستعارًا، وأعتقد أن الكهنة لم يفكروا في إزالته قبل إلقائها إلى هنا".

"متى أصابها الشايود؟".

قال رايودن: "قبل أكثر من عامين، لقد حاول أبوها .الدوق تيلري . أن يُقيي الأمر سراً، فزعم أنها ماتت بفعل الديونيا<sup>٣٣</sup>، ولكن كان هناك الكثير من الشائعات".

"من الواضح أن جميعها صحيحة".

قال رايودن وهو يهز رأسه: "يبدو هذا، لم ألتقِ بها سوى بضع مرات، ولا أستطيع تذكر اسمها، ولكنه مبني على أيون سوي، اسمها سوين أو شيء من هذا القبيل. لا يُمكنني أن أتذكر إلا أنها أكثر فتاة مدللة لا تُطاق قد قابلتها في حياتي".

قال جالادون في سخرية: "هذا على الأرجح يجعلها إهبة مثالية".

قال رايودن: " حسناً، لقد كنتَ محققاً في شيء واحد؛ إن الحديث مع شايبور لن يُجدي نفعاً، لقد كانت غير عقلانية بالخارج، لذا فمن المرجح أنها أسوأ بعشر مرات الآن. كل ما تعرفه هو أنها تتضور جوعاً، وهؤلاء الرجال يجلبون لها الطعام".

"طاب مساؤك يا سيدي". قالها أحد الحراس وهما يقتربان من قطاعهم في إيلانتريس، أو إيلانتريس الجديدة كما بدأ الناس يسمونه. كان الحارس شاباً قوي البنية يُدعى ديون، وقد اعتدل واقفاً عندما اقترب رايودن وهو يثبت رمحہ البدائي إلى جانبه. "لقد انزعج القائد سايبولن للغاية بسبب اختفائك".

أوماً رايودن برأسه وقال: "سأحرص على الاعتذار له يا ديون".

خلع كل من رايودن وجالادون حذاءه ووضعه بجانب الجدار إلى جوار العديد من الأحذية المتسخة الأخرى، ثم ارتدى كل منهما حذاءً جديدًا كان قد تركه وراءه. كان هناك أيضاً دلو ماء استخدماه لغسل أكبر قدر ممكن من الأوحال. كانت ملابسهما لا تزال متسخة، ولكن

---

<sup>٣٣</sup> الديونيا: هي المصطلح الآيوني المعبر عن الإنفلونزا، والاسم مبني على أيون ديو الذي يعني البرد.

لم يكن هناك شيء يُمكنهما فعله حيال هذا. كان القماش نادراً رغم مجموعات التفتيش العديدة التي نظمها رابودن.

لقد استطاعوا أن يعثروا على قدر مذهل من الأشياء، صحيح أن معظمها كان صدئاً ومتعفنًا، ولكن إيلانتريس كانت شاسعة، ومع قليل من التنظيم وبعض التحفيز اكتشفوا عددًا كبيرًا من الأشياء المفيدة، من رؤوس الرماح المعدنية وحتى الأثاث الذي لا يزال قادرًا على تحمل ثقل المرء.

بمساعدة سايولين تمكن رابودن من تحصين جزء من المدينة ليصبح إيلانتريس الجديدة، لم يكن هناك سوى أحد عشر شارعًا يؤدي إلى المنطقة، وكان هناك سور صغير، لم يستطيعوا تخمين الغرض الأساسي منه، يمتد على طول نصف المحيط تقريبًا. كان رابودن قد وضع الحراس في كل تقاطع لمراقبة هجوم النهابين.

هذا النظام يحميهم من أي هجمة كبيرة العدد، لحسن الحظ كان رجال شايبور يميلون للهجوم في مجموعات صغيرة، وما دام حرس رابودن سيتلقون تحذيرًا فيمكنهم أن يجتمعوا ويهزموا أي مجموعة واحدة. إن استطاعت شايبور أن تنظم هجومًا كبيرًا من اتجاهات متعددة فستكون النتيجة كارثية. إن فرقة رابودن المكونة من نساء وأطفال ورجال ضعاف لا يُمكنها أن تقف في وجه هذه المخلوقات الوحشية. بدأ سايولين يعلم القادرين منهم تقنيات قتالية بسيطة، ولكنه لم يكن قادرًا إلا على استخدام أبسط أساليب التدريب وأكثرها أمانًا، وإلا لصارت جروح التدريبات القتالية أخطر من هجمات شايبور.

ولكن الناس لم يتوقعوا أن يصل القتال إلى هذا الحد، سمع رابودن ما يقولونه عنه، إنهم يفترضون أن "لورد سبيريت" سيجد طريقة ما لاستمالة شايبور إلى جانبهم كما فعل مع آندين وكاراتا.



بدأ رايودن يشعر بالغثيان وهما يمشيان ناحية الكنيسة، وقد جعلته آلامه الناجمة عن عشرات الرضوض والحدوش يشعر بالاختناق. أحس كأن جسده مغطى بنار مشتعلة، وأن اللهب يلتهم لحمه وعظمه وروحه.

قال بصوت خافت: "لقد خذلنهم".

هزَّ جالادون رأسه وقال: "لا يُمكننا دومًا أن ننال ما نريده من المحاولة الأولى، كولو؟ ستجد طريقة ما، لم أعتقد يومًا أنك ستصل إلى هذا المدى".

قال رايودن لنفسه والألم يضربه بقوة: كنت محظوظًا، محظوظًا أحق.

فجأة نظر جالادون إلى رايودن وسأله: "هل أنت بخير يا سول؟".

يجب أن أكون قويًّا، إنهم يحتاجونني قويًّا. تأوه رايودن في أعماقه بتحدٍّ، ونفض عن عقله ضبابية الألم، قبل أن يرسم ابتسامة شاحبة ويقول: "أنا بخير".

"لم أرك هكذا من قبل يا سول".

هزَّ رايودن رأسه وهو يتكى إلى جدار مبنى حجري، قبل أن يقول: "سأكون على ما يرام، كنت فقط أتساءل ما الذي سنفعله بشأن شايبور، لا يُمكننا أن نفاهم معها، ولا يمكننا أن نهزم رجالها بالقوة...".

قال جالادون: "ستفكر في شيء ما". وقد تغلب على تشاؤمه المعتاد رغبته الواضحة في تشجيع صديقه.

قال رايودن لنفسه: أو سنموت جميعًا. كانت يدها تزدادان توترًا وهو يتشبث بركن الجدار الحجري. وهذه المرة سنموت حقًا.

تنهد رابودن وهو يدفع نفسه بعيداً عن الجدار، فتفتت الحجر تحت أصابعه، جفل ثم التفت يتأمل الجدار. كان كاهار قد نظفه مؤخراً، فراح رخامه الأبيض يلعب في ضوء الشمس، باستثناء المنطقة التي هشمتهما أصابع رابودن.

سأله جالادون بابتسامة ساخرة: "أنت أقوى مما كنت تظن؟".

رفع رابودن حاجبيه وهو يدفع الحجر المتكسر فتفتت. "هذا الرخام ألين من الحجر الخفاف!".

قال جالادون: "إنما إيلانتريس، الأشياء تتحلل بسرعة هنا".

"أجل، ولكن الحجر؟".

"كل شيء، حتى الناس".

ضرب رابودن القطعة المتكسرة من الحجر بصخرة أخرى، فتهاوت رقائق وشظايا إلى الأرض إثر الضربة. "كل شيء مرتبط بطريقة ما يا جالادون، إن الدور مرتبط بإيلانتريس، تماماً مثلما ترتبط إيلانتريس بأريلون نفسها".

سأله جالادون وهو يهز رأسه: "ولكن لم يفعل الدور هذا يا سول؟ لم يُدمر المدينة؟".

قال رابودن: "ربما ليس الدور، بل الاختفاء المفاجئ للدور. السحر. الدور. كان جزءاً من هذه المدينة، كل حجر يضيء بنوره الخاص، وعندما أُزيلت هذه القوة صارت المدينة ياباً، كقشرة زاحف صغير قد تَحلى عنها عندما صارت أكبر من حجمه. إن الأحجار خاوية".

سأله جالادون في شك: "كيف يُمكن لِحجر أن يكون خاوياً؟".

انتزع رايودن قطعة أخرى من الرخام فتفتت بين أصابعه، ثم قال: "هكذا يا صديقي، الصخرة قضت وقتًا طويلًا مندمجة مع الدور، حتى إن الربود قد أضعفها بشكل لا يمكن إصلاحه، هذه المدينة جثة حقًا، لقد هربت منها روحها".

قاطع هذا النقاش اقتراب ماريش وهو يلهث ويقول في إلحاح: "سيدي سييريت!".

سأله رايودن في قلق: "ما الأمر؟ هجوم آخر؟".

هزّ ماريش رأسه والحيرة في عينيه ثم قال: "لا يا سيدي، شيء مختلف، لا نعرف ماذا نفعل حياله، إننا نتعرض للغزو".

"ممن؟".

ابتسم ماريش ابتسامة شاحبة ثم قال: "نعتقد أنها أميرة".

\*\*\*

كان رايودن رابضًا على السطح وجالادون إلى جانبه، كان المبني قد تحول إلى نقطة لمراقبة الوافدين الجدد، ويُمكن للمرء من هذا المنظور أن يُلقى نظرة فاحصة على ما يحدث في الباحة.

كان هناك حشد متجمع أعلى سور مدينة إيلانتريس، والبوابة مفتوحة، هذا المشهد كان عجيبيًا، عادة ما تغلق البوابة على الفور بعد إلقاء الوافدين الجدد بالداخل، كأن الحرس خائفون من إبقائها مفتوحة ولو للحظة واحدة.

ولكن أمام البوابة المفتوحة كان المشهد في غاية العجب، كان هناك عربة كبيرة تجرها الأحصنة واقفة في منتصف الباحة، وإلى جانبها مجموعة من الرجال المتأنقين. شخص واحد لم يبدُ خائفًا مما يراه أمامه، امرأة طويلة بشعر أشقر طويل منسدل على جانبي وجهها حاد القسمات. كانت ترتدي فستانًا بنيًا ناعمًا يُغطي الجسد بالكامل، ووشاحًا أسود معقودًا حول ذراعها اليمنى،

التي رفعتها لتزيت على عنق أحد الأحصنة لتهدئ من روعه. كانت تتفحص الباحة المتسخة الموحلة بعينين لا تتركان شاردة ولا واردة.

زفر رايبودن وتمتم قائلاً: "لم أرها إلا من خلال السيون، لم أكن أدرك أنها بهذا الجمال".

سأله جالادون: "هل تعرفها يا سول؟".

"أعتقد... أنني متزوج منها. لا يمكن أن تكون هذه سوى سارين، ابنة إيقينتيو ملك تيود".

سأله جالادون: "وما الذي تفعله هنا؟".

قال رايبودن: "السؤال الأهم؛ ما الذي تفعله هنا بصحبة أكثر من عشرة من أهم نبلاء أريلون؟ هذا العجز الواقف في الخلف هو الدوق رويال، يقول البعض إنه ثاني أقوى رجل في المملكة".

أوماً جالادون برأسه وقال: "وأفترض أن الشاب الجيندوي هو شودن، بارون مزرعة كا".

قال رايبودن مبتسمًا: "كنت أظنك مجرد مزارع بسيط".

"إن مسار قوافل شودن يمر مباشرة من مركز دولادل يا سول، لا يوجد دولادي على قيد الحياة لا يعرف اسمه".

قال رايبودن: "الكونت آهان والكونت إيونديل هنا أيضًا، ما الذي تخطط له هذه المرأة بحق دومي؟".

وكأنما ردًا على سؤال رايدون أنهت الأميرة سارين تأملها لإيلانتريس واستدارت على عقبيها لتتوجه إلى مؤخرة العربة وهي تشير بيدها في نفاذ صبر إلى النبلاء المتخوفين لكي يتعدوا عن طريقها. مدت يدها وانتزعت الغطاء القماشي عن مؤخرة العربة لتكشف عن محتوياتها. كانت العربة مليئة بأكوام من الطعام.

سبَّ رابودن ثم قال: "آيدوس دومي! نحن في ورطة يا جالادون".

تأمله جالادون عاقداً حاجبيه، والجوع يطل من عينيه، ثم قال: "ما الذي تتحدث عنه بحق الدولوكين يا سول؟ هذا طعام، وبخبري حدسي أنها ستعطينا إياه، ما المشكلة في هذا؟".

قال رابودن: "لا شك أنها تخوض ابتلاء الأرملة، ولن يفكر في المجيء إلى إيلانتريس إلا أجنبي".

قال له جالادون بحدة: "قل لي ما تفكر فيه يا سول".

قال رابودن: "التوقيت خاطئ يا جالادون، لقد بدأ قومنا للتو في الإحساس بالاستقلال، لقد بدأوا في التركيز على مستقبلهم ونسيان آلامهم، إن منحهم شخص ما الطعام الآن فسينسون كل شيء آخر. سيتلقون الطعام لفترة قصيرة من الوقت، ولكن ابتلاء الأرملة لا يستمر إلا لبضعة أسابيع، وبعدها سيعودون إلى جوعهم وألمهم وإشفاقهم على أنفسهم. يُمكن لأمرتي هذه أن تدمر كل شيء عملنا من أجله".

قال جالادون: "أنت محق، لقد كدت أن أنسى مدى جوعي حتى رأيت الطعام".

تأوه رابودن.

"ما الأمر؟".

"ما الذي سيحدث عندما تسمع شايبور بهذا؟ سيهاجم رجالها العربية كقطيع من الذئاب، ولا أحد يعرف قدر الضرر الذي سيحدث إن قتل أحدهم كونتاً أو باروناً. إن أبي يتحمل إيلانتريس فقط لأنه غير مضطر للتفكير في الأمر، ولكن إن قتل أحد الإيلانترين واحداً من نبلاته فقد يقرر إبادةنا جميعاً".

بدأ الناس يظهرون في الأزقة المحيطة بالباحة، ولكن لم يظهر أي من رجال شايبور، لم يكن هناك سوى الإيلانترين البائسين المتعبين الذين لا يزالون يعيشون بمفردهم ويتجولون في شوارع المدينة

كالظلال. كان المزيد والمزيد منهم ينضمون إلى رايدون، ولكن الآن مع توفر الطعام المجاني فلن ينضم إليه بقيتهم، سيواصلون العيش بدون هدف أو غاية، ضائعين في ألمهم وعذابهم.

همس رايدون: "أوه يا أميرتي العزيزة، إن نيتك حسنة على الأرجح، ولكن إعطاء هؤلاء الناس الطعام هو أسوأ شيء يُمكن أن تفعله لهم".

\*\*\*

كان ماريش منتظرًا أسفل الدرج، ثم سأل في قلق: "هل رأيتماها؟".

قال رايدون: "أجل".

"ما الذي تريده؟".

قبل أن يتمكن رايدون من الإجابة سمع صوتًا أنثويًا ينادي من الباحة: "أريد أن أتحدث مع طاعة هذه المدينة، هؤلاء الذين يسمون أنفسهم آندين وكاراتا وشايور، فلتمثلوا أمامي".

قال رايدون في دهشة: "من أين...؟".

قال ماريش: "من الواضح أنما جمعت قدرًا كبيرًا من المعلومات".

أضاف جالادون: "ولكنها معلومات قديمة بعض الشيء".

جزَّ رايدون على أسنانه وهو يفكر بسرعة ثم قال: "فلترسل غدًا لإحضار كاراتا يا ماريش، أخبرها أن تقابلني عند الجامعة".

قال الرجل: "أمرك يا سيدي". ثم أشار إلى فتى من الساعة.

قال رايدون: "وأمر سايبولين بإحضار نصف جنوده والالتقاء بنا هناك، سيكون عليه أن يجتس من رجال شايور".

قال ماريش الذي كان ينتظر دومًا فرصة لإثارة إعجابه: "يُمكنني أن أذهب وأحضرهما بنفسني  
إن أردت هذا يا سيدي".

قال رابودن: "لا، سيكون عليك أن تتدرب على التظاهر بأنك آندين".